المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا

٢٩٤/٣
ت م ج

البوذية

تاريخها، وعقائدها، وعلاقة الصوفية بها

رسالة مقدمة لنيل شهادة العالمية
"الماجستير"

من شعبة العقيدة قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

إعداد الطالب : عبد الله نوسوك

إشراف الدكتور : محمد ضياء الرحمن الأعظمي

١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م

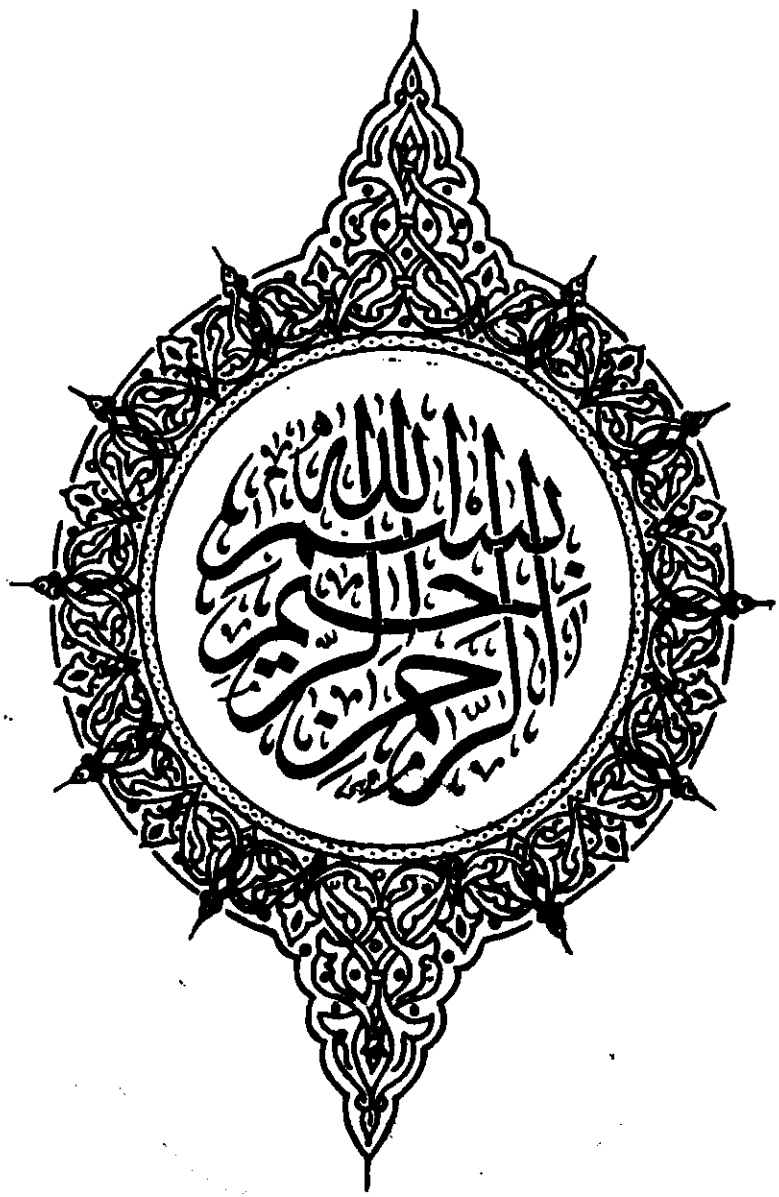
بسم الله الرحمن الرحيم

شکر و تقدیر

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله على توفيقه واحسانه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد : فاعترافا بالفضل لأهله ، وعملا بالأدب الإسلامي ، أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري لأستاذي الفاضل ، فضيلة الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي الذي تولى الاشراف على هذه الرسالة والذي لم يكن مطلعا على الديانة الهندية فحسب ، بل عاش فيها فترة من حياته ، ثم هداه الله الى الاسلام . فكان لخبرته الطويلة ، ومراسه المتواصل في هذا المضمار أكبر الأثر في انجاز هذه الرسالة ، وكان حفظه الله - لم يدخر جهدا في ابداء توجيهاته القيمة ، وملاحظاته السديدة ، ورعايته المخلصة . وقد فتح لي صدره الرحب ، ومنحني من وقته الكثير ، مما جعلني أستسهل المصاعب التي صادفتني أثناء السير ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وبارك في أيامه ، وأطاله العمر في العمل الصالح ونفع به أبناء المسلمين .

كما أتقدم بجزيل شكري وتقديري لجميع القائمين على قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية ، لما لاقيته منهم من صدق واخلاص ، ورحابة صدر . وأخص منهم فضيلة رئيس القسم الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع

ويسّر لي الطريق في الاتيان بالمراجع من الخارج .

وأشكر القائمين على الجامعة الاسلامية عموما ، وعلى رأسهم معالي رئيس الجامعة الاستاذ الدكتور عبد الله صالح العبيد لما يبذلونه في سبيل الدعوة الاسلامية ، ورفع راية كلمة التوحيد باعداد العلماء ، وما يقدّمونه لطلبة العلم خاصة . فجزاهم الله عني خير الجزاء .

كما لا يفوتني أن أسجل شكري لجميع زملائي الذين ساعدوني وأسهموا في انجاز هذه الرسالة . ضارعا الى الله عز وجل أن يثيبهم أحسن الجزاء ، إنه سميع مجيب

وما توفيقي الا بالله ، هو ربي لا اله الا هو ، عليه توكلت واليه متاب .

المقدمة

وتشمل :

١ أهمية الموضوع

٢ أسباب اختيار الموضوع

٣ خطة البحث

٤ منهجي في البحث

٥ المشكلات التي واجهتني خلال البحث

٦ التعريف بالكتب البوذية التي اعتمدت عليها في هذا البحث

٧ دليل المصطلحات البوذية في هذا البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد .

فان التدين فطرة انسانية لا يخلو منها انسان بدائيا كان أم حضاريا وسواء كانت ديانته صحيحة أو باطلة . وإن أصل التدين هو الحق أي عبادة الاله الواحد ، ثم الانحراف والردة الى عبادة مظاهر الطبيعة وقواها ، والى عبادة الرجال والأبطال وأرواحهم ، وما شابه ذلك .

وقد أشار القرآن الكريم الى أن الناس جميعا كانوا على التوحيد ، ثم انحرفوا على طول العهد ، واختلفوا، فعبدوا آلهة مختلفة ، وصاروا مشركين . فبعث الله اليهم النبيين .

قال تعالى : " كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (١)

وقال تعالى : وما كان الناس الا أمّة واحدة فاختلفوا (٢)

وقد سجلت في تاريخ البشرية انحرافات كثيرة تتمثل في

---

(١) البقرة ٢١٣. روى ابن جرير بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال :كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلّهم على شريعة من الحقّ فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين . وروي أيضا عن قتادة في قوله تعالى :كان الناس أمّة واحدة .قال :كانوا على هدى جميعا (فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين)فكان أوّل نبيّ بعث نوحا .وهكذا قال مجاهد
(انظر تفسير الطبري ٢/٢٧٤، ٢٢٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٦، ٢٦٥ طبعة دار الشعب القاهرة)

(٢) يونس ١٩

الفرق ، والمذاهب ، والديانات ، ومنها البوذية التي هي موضوع هذا البحث .

وفي هذه المقدمة سأتحدّث من الأمور الآتية :

أولا : أهمية الموضوع .

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع .

ثالثا : منهجي في هذا البحث .

رابعا : خطة البحث .

خامسا : المشكلات التي واجهتني خلال البحث .

سادسا : التعريف بالكتب البوذية التي اعتمدت عليها في هذا البحث .

سابعا : دليل المصطلحات البوذية في هذا البحث .

أولا : أهمية الموضوع

وتتبين أهمية هذا الموضوع من خلال الأمور الآتية :

١) ان دراسة الأديان من المهام الأساسية التي تناط بعلماء الاسلام ودعاته ، فالاسلام دين دعوة . ودعوة الاسلام دعوة عالمية لا تنحصر في بلد دون بلد ، ولا تقتصر على قطر دون قطر . ورسوله قد بعث للناس كافة .

قال تعالى : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١)

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ندعو الناس الى دينه بالحكمة

(١) سبأ ٢٨ .

فقال تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (١)

ولا يخفى أن دعوة الناس الى الله بالحكمة تحتاج احتياجا واسعا الى المعرفة بالأديان التي يعتنقونها ، والاطلاع الواسع عليها ، والوقوف على عيوبها ، ومتناقضاتها ، ومواضع ضعفها . ليتمكن دعاة الاسلام من مجادلتهم بالحجة ، وارشادهم الى الحق ، وصدهم عن الباطل .

٢) إن الديانة البوذية ليست أقل أهمية بدراستها من غيرها من الديانات . إنها وان كانت أرضية غير منزلة . الا أنها تعد من أكثر الديانات أتباعا في العالم بعد النصرانية والاسلام .

تقول أحدث الاحصائيات ان عدد البوذيين في العالم بلغ (٥٥٠ ، ٨٦٧ ، ٥٥٤) مليون نسمه (٢) وأكثرهم ينتشرون في بلاد شرقي آسيا ، لأن البوذية تسود هذه البلاد كلها . ماعدا اندونيسيا ، وماليزيا ، وفلبين . (٣)

==========

(١) النحل ١٢٥ .

(٢) احصائية من رابطة العالم البوذي بسيلان سنة ١٩٨٣ م

المرجع : Buddhism in Siam: D.r Srijandhara P. I33.

(٣) يسود الاسلام في اندونسيا وماليزيا . أما فلبين فالنصرانية هي الديانة الرسمية لها .

والبوذية الآن بدأت تنتشر في بلاد أوربا ، وأمريكا الجنوبية والشمالية ، واستراليا . واعتنقها كثير من هؤلاء الناس كردود فعل لحياتهم المادية .

وهذا أمر يجب أن يتنبه له المسلمون عامة ، والدعاة الى دين الله خاصة .

ومن ناحية أخرى قام المبشرون الغربيون بدراسة هذه الديانة دراسة مستفيضة (١) واهتموا بها اهتماما شديدا ، لتكون وسيلة لهم للتبشير بالنصرانية في تلك البلاد ، وقد نجحوا نجاحا كبيرا في تبشيرهم .

أما نحن المسلمين فمازلنا في حاجة الى التعرف على هذه الديانة ، ومازلنا في حاجة الى أبحاث تبين حقيقتها ، لأن المكتبة الاسلامية بصفة عامة ، والعربية بصفة خاصة ، لم تعرف بعد الكافي من الكتب والأبحاث في هذا المجال ، انهاتستند غالبا على ما يقدّمه المستشرقون ، وعلى ما تقدّمه بعض اللغات الأجنبية .

---

(١) وقد كثرت مؤلفاتهم وأبحاثهم في البوذية ، ويستند عليها معظم الكتاب والباحثين في الأديان من المسلمين وغيرهم . وأذكر على سبيل المثال :

I) The Buddhs Philosophy: G.f Allen.

2) The life of Buddha as legend and history: Edward thomas.

3) The history of Buddhist thought: Edward thomas.

4) Buddhism (E.D): Richard cord.

5) Buddism as a Religion: Hagmann.

6) Buddhism: C. Humphrey.

٣) كما أن دعوة غير المسلمين الى الاسلام واجب ، كذلك فان تنقية الاسلام مما ليس منه من أهم الواجبات . وعلى هذا فاني في هذا البحث لم أعرض البوذية كدين من الأديان فقط ، بل عرضتها أيضا كمصدر هام من مصادر الصوفية المنحرفة في الاسلام

فلقد أثبت التاريخ أن الأديان الهندية بصفة عامة ، والبوذية بصفة خاصة ، قد تلاقت مع الثقافة الاسلامية منذ عهد مبكر . ولقد انتشرت الثقافة البوذية الهندية قبل الفتح الاسلامي في بلاد الفرس وبلاد آسيا الوسطى مما يلي الحدود الهندية . وكانت مدينة بلخ وخراسان ، وسمرقند ، وقندهار (أفغنستان) قبل الفتح الاسلامي من أهم مراكز التصوف البوذي ، ومركزا لكثير من الأديرة البوذية القديمة ،وكان لهذا التصوف البوذي الهندي أثره في بعض جوانب الصوفية من المسلمين ، وبخاصة فيما يتعلق بالطقوس الدينية والرياضات النفسية ، وأساليب مجاهدة النفس ، أو بتعبير مختصر فيما يتعلق بالرهبانيات .

وقد أكتشفت من خلال البحث هذه الجوانب ، وعرضتها مفصلة في هذا البحث ، ليتبين أن هذه الجوانب الصوفية ليست من الاسلام في شيء ، وانما هي من أصول البوذية القديمة ، استوردها الصوفيون وتناقلوها فيما بينهم .

==========

= ومن الكتب التي ترجمت الى العربية . حضارات الهند لفوستاف لوبون ، وقصة الحضارة لول ديورانت .

وخـــلاصـة الكلام . إن هذا البحث يخدم الدعوة الاسلامية ـ باذن الله ـ في ناحيتين :

١ ـ في التعريف بالبوذية احدى الديانات العالمية التي يعتنقها أكثر من خمسمائة مليون نسمة ، والتي لايستغني عن معرفتها كل من يتصدى للدعوة الى الاسلام والتبشير به .

٢ ـ في إزالة ما نسب الى الدين الاسلامي الصحيح من أو شـــاب الصوفية المنحرفة ، وردّه الى أصله .

ثانيـا : أسباب اختيار هـذا الموضوع

وكان من أهم الأسباب التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع مايلي :

١) قلة وجود الكتب التي تتحدث عن الديانة البوذية في مكتبتنا العربية . نعم إن هناك كتبا باللغة العربية عن الديانـــات الهندية (١) ومنها البوذية . مثل كتاب : أديان الهند الكبـــرى للدكتور أحمد شلبي ، والفلسفة الشرقية للدكتور محمد فـــلاب ، والفلسفات الهندية للدكتور علي زيعور . غير أن هذه الكتـــب

---

(١) ولعل من أحسن ما كتب عن أديان الهند وفلسفاتها عمومـــا كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة . للمؤرخ المسلم الكبير أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م . غير أنه لم يتعرض فـي كتابه هذا للديانة البوذية الا في مواضع قليلة جدا باســـم " الشمنية " أو أصحاب البدّ . والسبب في ذلك ان البوذية قـد زالت تماما من الهند في الفترة التي عاش فيها البيرونـــي بل قبلها بقرون وشقت طريقها الى الخارج . كما سنعلم ذلك من خلال هذا البحث .

وأمثالها عندما تعرضت للبوذية لم تعتمد على مصادرها الأصلية ، بل تعتمد غالبا على كتب المستشرقين الغربيين ، ومن المعروف ان الرجوع الى كتب أصحاب النحلة أولى علميا وأوثق من الرجوع الى كتب المستشرقين ، وشتان ما بين باحث يفهم ويستنتج ، وعالم متخصص في نحلته ، يقدمها بعقله ، ومشاعره ، وتصوراته .

كما أنها لم تتعرض لبعض النواحي الهامة في البوذية وهي الرهبانية . وسلكت معظمها مسلك العرض والمقارنة دون النقد والتفنيد.

وهناك كتب أخرى ألفت في الأديان عامة ، ومع قلتها في مكتبتنا العربية فانها لم تتعرض للبوذية الا في صفحات تعد بالأصابع ، لاتكفي في اعطاء صورة واضحة عن هذه الديانة الكبيرة

٢) حاجة الدعاة الى التعرف على البوذية ، وبخاصة الذين يتصدون لنشر الاسلام والتبشير به في بلاد شرقي آسيا التي انتشرت فيها هذه الديانة . ليتمكنوا من مجادلة القوم بالحجة في بطلان دينهم ، ودعوتهم الى الحق بسهولة .

٣) رغبتي في دراسة الأديان ، بغية الاطلاع والوقوف على تاريخها ومقاصدها ، ومعرفة نقائضها ، وعيوبها ،ومفاسدها وأباطيلها ، من باب معرفة الشر لتوقيه ، ولمجادلة القوم بالحجة في بطلان دينهم امتثالا لقوله تعالى :

" وجادلهم بالتي هي أحسن " (١)

---

(١) النحل ١٢٥ .

حيث ان منازلة العقائد والأديان الأخرى تعود بالفائدة علينا ،فمن الظلام نعرف قيمة النور ، ومن الباطل نعرف قيمة الحق . ولذلك قال الأقدمون : وبضدها تتميز الأشياء .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصا على تعريف الجاهلية للناس ، لا لأن تعريف الجاهلية دين ؛ بل لأن تعاليم الاسلام وبراهينه إنما تتألق وتزدهر اذا عرفت الظلمات والمظالم التي جاء هذا الدين لتبديدها ومحو شاراتها .

قال عمر رضي الله عنه : " إنما تنحل عرى الاسلام عروة عروة اذا عاش في الاسلام من لا يعرف الجاهلية " (١)

٤) رغبتي في إزالة شبهة كبيرة في هذا الموضوع . ألا وهي شبهة نسبة بوذا .

فهناك كثير من الباحثين المعاصرين من المسلمين وغيرهم كانوا يعجبون ببوذا ونحلته البوذية ، بعضهم يكتب في حصول بوذا على الاشراق ، بحيث يقر به من مفهوم الوحي في الأديان السماوية (٢) وآخرون يرون فيه نبيا لم يرد ذكره في القرآن الكريم (٣) استنادا على آية :

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الاسلام منها للدكتور جمعة الخولي ص ٧ .

(٢) انظر على سبيل المثال

Buddhism as a religion. by Hagmann. p, p30, 31.
and The history of the world: Renesedillt. P 62.

(٣) انظر على سبيل المثال الفلسفات الهندية للدكتور علي زيعور ٢٣٣ والصلب والفداء للدكتور محمد توفيق صدقي ١٥٨ – ١٦٠ .

" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك،ومنهم من لم نقصص عليك . " (١)

فاخترت هذا الموضوع لازالة هذه الشبهة ، ولبيان أن مذهب البوذية خرافة قائمة على الأهواء والظنون ، وأن مبادئها وتعاليمها معادية للطبع البشري .وأنه لاشيء فيها يسمن ولا يغني من جوع.

٥) من خلال دراستي للبوذية تبين لي أن هناك لقاء بينها وبين مذهب الصوفية في الاسلام في جوانب عديدة ، فاخترت هذا الموضوع لأبرز هذه الجوانب ، ولأثبت أن البوذية مصدر هام لم يقل أهمية من مصادر أخرى في بناء هذا المذهب.

ومما يجدر بي أن أذكره في هذا الصدد أن صلتي لدراسة البوذية صلة قديمة ، منذ أن كنت في المدارس الابتدائية والمتوسطة في تايلاند . فان مادة " البوذية " وكذلك اللغة البالية تعتبر من المواد الاجبارية في جميع المدارس الحكومية هناك ، وكانت صلتي بأصحاب هذه الديانة أوثق عندما أجبرتني الدولة على الدخول في الجيش مدة سنتين (من عام ١٩٧٤ – ١٩٧٦ م) فهناك عشت معهم ودرست ديانتهم .

ثالثا : خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة. أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، والأسباب التي حملتني على اختياره ، وخطة البحث ، والمنهج الذي سلكت فيه ، والمشكلات التي واجهتني خلاله ، والتعريف بالكتب البوذية المعتمد عليها في هذا البحث . كما اشتملت أيضا على دليل المصطلحات البوذية التي وضعتها تيسيرا للقارىء في الرجوع اليها .

وأما باب التمهيد فقد اشتمل على فصلين :

---

(١) غافر ٧٨ .

الفصل الأول : البيئة التي ظهر فيها بوذا . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نبذة عن شبه القارة الهندية .

المبحث الثاني : حالة الحكم والسياسة في عصر بوذا .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية في عصر بوذا .

الفصل الثاني : عناصر الديانة الهندية في عصر بوذا . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة .

المبحث الثاني : عبادة الآلهة من الحيوانات وأرواح الأجداد .

المبحث الثالث : الاعتماد على التأمل الذاتي ، والرياضة النفسية .

وأما الباب الأول فقد خصصته للحديث عن بوذا ومذهب البوذية وقسمته الى خمسة فصول :

الفصل الأول : بيت بوذا وحياته ، وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : نسبه وولادته .

المبحث الثاني : نشأته واتجاهه .

المبحث الثالث : حياته التلمذية .

المبحث الرابع : استنارته المزعومة .

المبحث الخامس : وفاته .

الفصل الثاني : الفلسفة البوذية وأخلاقها . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحقائق السامية الأربع .

المبحث الثاني : انكار الذات .

المبحث الثالث : الأخلاق في البوذية .

الفصل الثالث : العقائد في البوذية ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : قضية الألوهية عند بوذا وأتباعه .

المبحث الثاني : " كارما " (Karma) أو قانون الجزاء .

المبحث الثالث : " سمسارا " (Samsara) أو تناسخ الأرواح .

المبحث الرابع : " نرفانا " (Nirvana) أو الفناء والخمود البارد.

الفصل الرابع : الرهبنة في البوذية ،وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الرهبنة البوذية ونشأتها .

المبحث الثاني : الموازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة النصرانية .

المبحث الثالث : نماذج من التقاليد والخصائص ، والنظم ، والآداب في الرهبنة البوذية .

المبحث الرابع : القديسون وعبادتهم .

المبحث الخامس : بيان ما في الرهبنة البوذية من فساد .

المبحث السادس : موقف الاسلام من الرهبنة .

الفصل الخامس : الفرق والمذاهب في البوذية وانتشارها في الأقطار ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الفرق والمذاهب في البوذية .

المبحث الثاني : انتشار البوذية في الأقطار .

وأما الباب الثاني فقد خصصته للحديث عن الصوفية وعلاقتها بالبوذية . وقسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالصوفية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصوفية وسبب تسميتها .

المبحث الثاني : موجز عن نشأتها وتطورها .

المبحث الثالث : البوذية مصدر من مصادر الصوفية والأدلة على ذلك .

الفصل الثاني : علاقة الصوفية بالبوذية في العقائد والأخلاق ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في الفناء .

المبحث الثاني : في الطريق الى الفناء .

المبحث الثالث : في الحلول .

الفصل الثالث : علاقة الصوفية بالبوذية في العادات والتقاليد ،وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : في لبس الخرقة والمرقعة .

المبحث الثاني : في اتخاذ الشيخ .

المبحث الثالث : في ملازمة الرباط .

المبحث الرابع : في السياحة .

المبحث الخامس : في التسوّل وترك العمل .

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث .

رابعا : منهجي في هذا البحث

أما المنهج الذي سلكته في اعداد هذا البحث فهو كالآتي :

١) فيما يتعلق بمصادر البوذية رجعت الى الكتب الأساسية التي كتبها علماء البوذيين أنفسهم ، وبخاصة كتاب " ترى بيتاكا" (Tri Pitaka) الذي هو بمكانة الأناجيل عند النصارى، ومن المعروف ان النقل من أصحاب النحلة أولى علميا وأوثق من النقل عن غيرهم .

وما ذكرته من نصوص هذا الكتاب يمثل أمثلة يسيرة لما هو موجود فيه ، والقادر على قراءة هذا الكتاب يرى فيه غرائب وعجائب .

ومثل هذا عملت فيما يتعلق بمصادر الصوفية ، حيث حاولت قدر المستطاع النقول من الكتب المعتمدة عند القوم ، بل ان غالب ما رجعت اليه هي كتبهم الأمهات التي تعتبر مراجع أساسية لهذه الفرقة .

٢) ترجمت النصوص البوذية ترجمة تفصيليّة ، إلاّ في حالات النزر ، فاختصرتها،وترجمتها ترجمة إجمالية ، مراعيا المعنى المراد منها ولا سيّما اذا كانت النصوص طويلة ومستطردة .

٣) أكثرت أحيانا ايراد النصوص البوذية ،ولا أعتقد أن أحدا يؤاخذ علي في هذا ، لأني أرى أن القرّاء وبخاصة العرب قد

لايصلون الى هذه النصوص بسهولة .

٤) عرضت البوذية في هذا البحث حسب مذهبها القديم الذي له صلة وثيقة ببوذية بوذا . وأشرت الى مذهبها الجديد في بعض القضايا الهامة .

٥) تعرضت للبوذية بالتفصيل من حيث تاريخها ، ومذاهبها وفلسفاتها ، وأخلاقها ، وعقائدها ، ورهبانياتها . ثم تعرضت للصوفية في بعض جوانبها التي لها علاقة بالبوذية .

٦) استشهدت أحيانا بالمشاهدات التي شاهدتها في تايلاند وفي بعض الدول البوذية المجاورة .

٧) سلكت في هذا البحث مسلك النقد والمناقشة ، فلم اكتف بعرض الموضوع ، بل أعقب عليه بنقده وابراز ميزة الاسلام فيه ، وان كان الاسلام لايحتاج الى هذا .

٨) استأنست في الحديث عن الصوفية أحيانا ببعض آراء المستشرقين لا احتجاجا به ، وإنما لبيان أن الحق قد أدركه هؤلاء أيضا على عداوتهم .

ولا أعتقد أن أحدا يلومني في الأخذ بجوانب الحقيقة أنى وجدتها من فم مسلم . أو عالم ، أو باحث ، أو مستشرق ، لأن في ترك النتائج الصحيحة جمودا فكريا وعقليا وروحيا في جميع الميادين .

٩) علقت في الهامش أحيانا على ما رأيت أنه يحتاج الى تعليق من الألفاظ أو المعاني .

١٠) أشرت في الهامش الى سور الآيات القرآنية وأرقامها .

١١) خرّجت الأحاديث من كتب السنة ، وحاولت - على قدر المستطاع - ذكر ما حكم به العلماء المتخصصون عليها ما لم يكن الحديث في أحد الصحيحين .

١٢) ترجمت لمن رأيت أنه يحتاج الى ترجمة من الأعلام والاشخاص ، غير أن هناك بعض الأشخاص ورد ذكرهم في لمحة حياة بوذا ، ولم أقف على ترجمتهم في أي كتاب من كتب البوذية التي بين أيدينا ، أمثال الملوك ، وبعض أصحاب بوذا .

١٣) عرّفت المدن والبلدان التي وردت في تاريخ البوذية بالخرائط ، وتشمل : خريطة الهند القديمة ، وخريطة المدن التي تجول فيها بوذا ، وخريطة بلاد السند ، وآسيا الوسطى والفرس التي انتشرت فيها البوذية قبل الاسلام ، وخريطة البلدان التي تنتشر فيها البوذية في وقتنا الحاضر .

١٤) عرّفت في المقدّمة بالكتاب المقدّس لدى البوذيين ، من حيث مكانته عندهم ، وتاريخ تدوينه ، ولغته ، ومحتوياته ، والتعديلات التي لحقت به ، وما الى ذلك .

وعرّفت بالكتب البوذية الأخرى التي اعتمدت عليها في هذا البحث ، كما وضعت قوائم للمصطلحات البوذية الغريبة ومعانيها ، مرتبة على حروف الهجاء ، ليرجع اليها القارىء ويستفيد منها بسهولة

١٥) قمت بوضع فهارس متنوعة لهذا البحث ، ليسهل الانتفاع به

والاستفادة منه .

وهي تشمل : فهارس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام والأشخاص، والبلدان والأماكن ، والمراجع ، والموضوعات . والخرائط .

خامسا : المشكلات التي واجهتني أثناء كتابة البحث .

ولقد واجهتني خلال كتابة هذه الرسالة مشكلات كثيرة . أهمها قلة المراجع العربية في هذا الموضوع مما اضطرني الى ترجمة المواد العلمية من الكتب البوذية التي تنتمي الى ثلاث لغات . وهي : التايلاندية ، والبالية ، والانجليزية .

ولقد واجهتني صعوبات كثيرة في الترجمة . وبخاصة ترجمة النصوص من كتاب " ترى بيتاكا " المقدس عند اللوم ، لأن هذا الكتاب مع ضخامته واستطراده مليء بالكلمات الغريبة والمصطلحات المعقدة .

ولقد تغلبت على هذه الصعوبات - بحمد الله - باللجوء الى بعض الكتب التي اعتنت بجمع هذه الكلمات والمصطلحات وبيان معانيها .

سادسا : التعريف بالكتب البوذية التي اعتمدت عليها في هذا البحث :

---

١) " ترى بيتاكا "(Tri Pitaka)الكتاب المقدس لدى البوذيين .

إن الحديث عن هذا الكتاب حديث طويل جدا ، ولقد اختصرته هنا في العناصر الآتية :

أ - مكانته عند البوذيين

يعتبر كتاب " ترى بيتاكا "(Tri Pitaka) أهمّ الكتب البوذية كلها ، لأنه يتضمن النصوص الدينية التي جمعتها المجامع البوذية

المختلفة طيلة قرون طويلة .

وهذه النصوص إما تكون عبارات منسوبة الى بوذا ، أو حكاية لأفعاله ، أو نقل ما أقرّه من أعمال أتباعه ، أو غير ذلك من الحكايات والأساطير البوذية القديمة .

والبوذيون يقدّسونه كما يقدّس الهندوس كتابهم " الفيدا " (١)

==========

(١) " الفيدا " (Veda) كلمة سنسكريتية ، معناها : الحكمة والمعرفة . وهي عبارة عن الأسفار المقدسة القديمة عند الهندوس . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن هذه الأسفار ترجع الى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، والمحقق أنها أقدم من التوراة . وعلى أي حال فان هذه الأسفار لم يعرف بالضبط واضعها وعصر تدوينها ، وأقصى ما تأكد لديهم ان الكتاب كان موجودا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وأنه كان مع الفاتحين الأريين ، ويقول جماهيرهم انه كتاب معجز لا يستطيع البشر الاتيان بمثله لأنه نزل من السماء .

والفيدا عبارة عن أربعة كتب دينية هي

١ ـ الريج فيدا (Rig Veda) أي معرفة ترانيم الثناء .

٢ ـ ياجورفيدا (Yajur Veda) أي معرفة الصيغ الخاصة بالقرابين

٣ ـ سامافيدا (Sama Veda) أي معرفة الأنغام .

٤ ـ آثارفيدا (Athar Veda) أي معرفة الرقى السحرية .

المراجع . تاريخ الأديان ٣٠٧ (بالتايلاندية) ، وقصة الحضارة لول ديورانت ٣/ ٣٨ وما بعدها . وأديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي ٤١ ـ ٤٥ والفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب ٩٢ ـ ٩٣ .

وكـــــــــــما يقدّس النصارى الأناجيل ، غير أن البوذيـــــــن لا يدّعون أن كتابهم منزّل ، ولا ينسبون ماقيه الى جانب إلهي ، بل ينسبونه الى بوذا نفسه والى أتباعه الأولين .

وهذا الكتاب هو المعتمد والمعول عليه عند البوذيين قديمـــا وحديثا .

ب ـ تاريخ تدوينه

اتفقت الروايات البوذية على أن كتاب " ترى بيتاكا " لـــم يدوّن في عصر بوذا ، وأن تدوينه كان بعد وفاته بقرون طويلة .

واختلف العلماء البوذيون في تحديد وقت تدوينه .

فقال بعضهم : أنه بعد وفاة بوذا بخمسمائة سنة (١) وقال بعـــض الآخر : إنه بعد وفاته بأربعمائة سنة ، وقال الثالث : إنه تمّ في سنة ٨٠ ق م ، وقال الرابع وهو المشهور : إنه تمّ في عهد الملـــك " أشوكا " (Ashoka) فيما بين ٢٧٣ ـ ٢٣٢ ق م . (٢)

وفي مقدمة كتاب " ترى بيتاكا " الذي بين أيدينا تفصيـــل دقيق عن مراحل تدوين الكتاب يمكن أن أعتمد عليه في هذا البيان والتعريف .

فقد جاء في هذه المقدمة أن بوذا لم يدوّن شيئا ابّـــان حياته المديدة ، وأن أتباعه هم الذين حفظوا عنه أحاديثه ،وخطبه،

---

(١) انظر أصول البوذية ٧٤

(٢) انظر تاريخ الأديان ٢٥٩ وتاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٤٣٥ ٤٣٦ وانظر بالعربية أديان الهند الكبرى ١٩٣ .

وأمثاله ،ولكن بعد وفاة بوذا وقع الخلاف الشديد بين أتباعه، فذهب كل منهم في تأويل عبارات بوذا مذهبا خاصا يلائم ظروفه وأحواله الشخصية ، فارتاع المخلصون من أنصار هذه الديانة ارتياعا شديدا من هذا الخلاف ، وطلبوا عقد مجمع ديني من خاصّة البوذية ليتولّوا الفصل في أسباب الخلاف . (١) وانعقد هذا المجمع ولم يكن المجمع الوحيد بل توالت المجامع الكثيرة التي اهتمّت بتقميش روايات بوذا وتدوينها ، ومن خلال هذه المجامع المختلفة دوّنت رواياته ، وأطلقوا عليها " تري بيتاكا " (Tri Pitaka) ،وهي مركبة من كلمتين " تري" (Tri) ومعناها : ثلاثة ، و"بيتاكا" (Pitaka) ومعناها سلّة ، فكلمة " تري بيتاكا " أي ثلاث سلّات .

والسبب في هذه التسمية أنهم قسّموا الكتاب الى ثلاث مجموعات ; فينايا (Vinaya) ،وسوتا (Sutta) ،وأبيدارما (Abhidharma) كما سيأتي . وشبّهوها بالسلّة التي يجمعون فيها بضائعهم ، ويعنون بها تعاليم بوذا . (٢)

جـ ـ المجامع البوذية التي عقدت لتدوين " تري بيتاكا "

المجمع الأول : عقده خمسمائة قدّيس (Arhat) في مدينة " راجا غريها " (Rajkareha) (٣) عند غار " ساتابانا خوها " (Satapanakuha) بعد وفاة بوذا بثلاثة أشهر ، وهذا المجمع

---

(١) انظر مقدمة " تري بيتاكا " ١ ، ٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ٦ ، ٧ ، ٨ .

قصد به تنظيم ما يسمونه بـ " فينايا " (Vinaya) أي النظام الرهباني ، وما يسمونه بـ " سوتا " (Sutta) أي الحكايات والمواعظ .

وطريقة التنظيم كما في الروايات أنهم يسألون الحفاظ من أصحاب بوذا أن يتلوا عليهم ما سمعوه من بوذا من تعاليم ، وشرائع، وحكايات ، فقرأوها عليهم ، فتلقوها ، ورووها عنهم .

ومن الحفاظ البارزين الذين سجّلت أسماؤهم في هذا التنظيم أوبالي (Upali)، وآناندا (Anandha)، و " سون كوتي كانا" (Sonkutti Kanna)، وكا سابا (Kasabpa).

المجمع الثاني : أقامه في " والي كارام " (Vali karam) في مدينة " فيسالي (Vesali) سبعمائة راهب بعد وفاة بوذا بمائة سنة .

وهذا المجمع عقد لتبديع بعض الخارجين عن النظام (فينايا)، وهو مجرد استفتاء عمّا أثر عن بوذا في بعض شريعته (النظام).

المجمع الثالث : أقامه ألف راهب في " أسوكارام " (Asoka Ram) بمدينة " بتالي بوترا " (Pattali Buttra) بعد وفاة بوذا بـ ٢٣٤ أو ٢٣٥ سنة . وقيل بعد حكم الملك البوذي الشهير " أشوكا " على الهند بستة عشرة أو سبع عشرة سنة .

وهذا المجمع قصد به ازالة الخلافات في الرواية . ولقد استغرق هذا المجمع تسعة أشهر ، تمّ من خلالها تنظيم النصوص

في مجموعات معيّنة ، وتسميتها " ترى بيتاكا " ،ذلك الاسم الذي لم يكن معروفا في المجمعين الأولين . (١)

ويبدو لي أن النصوص لم تدوّن بعد في هذا المجمع تدوينا رسميا ، فان تنظيمها لم يزل يعتمد على الرواية الشفوية .

ولقد نقشت في هذا العهد بعض تعاليم بوذا الشهيرة في الصخور، وحفرت تعاليمه على أعمدة تقديسا له وتخليدا لذكراه ،ولا يزال بعضها محفوظا في مدينة " الله آباد " (Allah Abad)

المجمع الرابع : عقد في سري لانكا (سيلان) في مكان يقال له " توبارام " (Tuparam) بمدينة " أنوراتافورا(Anuratta pura) وذلك بعد وفاة بوذا بـ ٢٣٨ سنة ، وهو أول مجمع عقد خارج الهند للاستفتاء ومراجعة مايسمى بالنظام (فينايا).

ولقد ظلت النصوص محفوظة في صدور الحفاظ ـ كما يقولون ـ يتناقلها بالرواية الشفوية جيل بعد جيل ، الى أن عقدوا المجمع الخامس في سري لانكا بعد وفاة بوذا بـ ٤٣٣ سنة وقيل ٤٥٠ سنة، حيث تمّ تدوين هذه النصوص في اللحاء أول مرة في هذا المجمع خوفا من ضياعها.(٢)

د ـ لغة الكتاب

كتبت نصوص " ترى بيتاكا " في أول مرة باللغة البالية (Pali) وهي احدى اللهجات العامية التي تفرعت عن

(١) مقدمة " ترى بيتاكا " ٦ ،٧ ،٨ .

(٢) المصدر السابق ١٠ ،١١ .

السنسكريتية (Sanskrit) (١) وكان يتكلم بها سكان الهند الشمالية ، وبخاصة الطبقات الفقيرة . وقد انتشرت هذه اللهجة في أنحاء ربوع شمال الهند أيام ازدهار البوذية ، ونالت اعجاب الناس في الأقطار الجنوبية الى سيلان ، وصارت مناوئة للغة السنسكريتية ومنافسة لها .

وأصبحت في عصر أشوكا (٢٧٣ – ٢٣٢ ق م) لغة الدولة ولغة التبشير للديانة البوذية (٢) . ثم ماتت هذه اللغة بدورها في الهند. ولكنها احتفظت بكيانها ومجدها بعد انتقالها بكامل هيكلها الى بقاع أخرى هي: سيلان ، وبورما ، وسيام (تايلاند) ، وكمبوديا. وكتبت باللغات المحلية في هذه البلاد . (٣)

---

(١) هي اللغة التي كان يتكلم بها الآريون (Aryan) في موطنهم الأصلي ، ثم أتوا بها الى الهند ، وتكلموا بها كأي غزاة ، ثم أصبحت لها سيطرة تامة على لغات نهر الهند بسبب كونها لغة الغزاة الفاتحين ، ولكنها سرعان ما اندمجت في اللغات الأصلية في الهند . وقد اختفت السنسكريتية أيام ازدهار البوذية في الهند ، وحلت البالية محلها ، ثم عادت الى مجدها ، ورونقها ، ونشاطها ، وألفت بها الكتب الدينية والأدبية ، والقصصية كلها ، وأصبحت لغة التخاطب ، والتفاهم ، والبلاط ، والجهات الرسمية . كما سكت بها النقود والعملات . (راجع الهند القديمة حضاراتها وديانتها للدكتور محمد اسماعيل الندوي ١٨٨ ، ١٨٩ و ٢٥٦ ، ٢٥٧ وداثرة المعارف البريطانية ٨/ ٨٧٣ ، ٨٧٤) .

(٢) فجر الهند القديمة ١٨٩ .

(٣) مقدمة ترى بيتاكا ١٢ .

وقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات ، وطبع بحروف مختلفة منها اللاتينية ، والسيلانية ، واللاوسية ، والكمبودية ، والتايلاندية ، وغير ذلك ، والطبعة التي اعتمدت عليها في هذا البحث هي الطبعة التايلاندية سنة ٢٥٢٦ بالتاريخ البوذي الموافق ١٩٨٣ الميلادي .

وهناك مجموعات " ترى بيتاكا " غير البالية عند المذهب الجديد المعروف بـ " مهايان " (١) وكتبت هذه المجموعات باللغة السنسكريتية ثم ترجمت الى عدة لغات كالصين والتبت ، واليابان ، وتتكون من مجموعات مختلفة . كمجموعة نصوص نيبال ، ومجموعة نصوص التبت ، ومجموعة النصوص الصينية . (٢)

هـ ـ محتويات الكتاب

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أسفار أو مجموعات :

المجموعة الأولى : " فينايا بيتاكا " (Vinaya Pitaka) وتعني النظام ، لأنها تحتوي على النظم الرهبانية ، وقوانينها ، ومسالكها . وهي تنقسم الى خمسة أقسام :

١ ـ مهاويبانج (Maha Vipang) ويحوي المحظورات العامة للرهبان .

٢ ـ بيهكشوني ويبانج (Bhikshuni Vipang) ويحوي المحظورات العامة للراهبات .

(١) سيأتي تعريفه في مبحث خاص

(٢) المصدر السابق ١٤ .

٣ – مهاوانج (Maha Wang) ويحوي البداية من سيـــرة بوذا ورهبانيته .

٤ – جولاوانج (Chula Wang) ويحوي الطقوس الدينية لقبول طالب البوذية ، واجتماعات البوذية ، وتفاصيل حياة البوذي .

٥ – باريوان (Barivan) ويحوي بعض النظم والآداب في الرهبنة كما يحوي العقوبة المفروضة على ما يقع من الراهب البوذي من ذنوب ومخالفات .

المجموعة الثانية : سوترا ، أو سوتان بيتاكا (Suttan Pitaka). وهي مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا على تلاميذه ، وفي هذه الخطب وصايا بوذا ودعواته التي وجّهها الى الناس ، وكثير من الأحكام التي تتصل بالبوذية مما يجب على السالك البوذي سلوكه . وهي تنقسم الى خمسة أقسام :

١ – تيخا نيكايا (Teeka Nikaya) ويحوي الخطب الطويلة

٢ – ماجشيم نيكايا (Majjim Nikaya) ويحوي الخطب المتوسطة

٣ – سانغيوتا نيكايا (Sangkayutta Nikaya) ويحوي الخطب التي جمعت في موضوع مستقل .

٤ – انكوتارا نيكايا (Angkuttara Nikaya) ويحوي المحاورات ، والمحاضرات ، والأسئلة والأجوبة التي صدرت من بوذا مع تلاميذه أو عامة الشعب .

٥ – خوتاكا نيكايا (Kuttaga Nikaya) ويتضمن التراتيل

والحكم المنسوبة الى أصحاب بوذا ، والقصص ، والأساطير .

المجموعة الثالثة : أبيدارما بيتاكا (Abhidharma Pitaka)

وتحوي القضايا الفلسفية المعقدة التي قامت عليها الديانة البوذية ، والأصل الذي استنبطت منه تعاليمها . كما تحوي تفصيل الأخلاق الهامة (دهارما Dharma) التي يتبعها البوذيون عامة. وتتميّز هذه المجموعة بالطول والتعقيد ، الأمر الذي يؤكد أنها ليست قديمة ، وأغلب الظن أنها ثمرة المجتمع البوذي .

و ـ التعديلات التي لحقت بالكتاب

وقد لحقت بالكتاب تعديلات كثيرة ، وعقدت لأجلها عدة مجامع أذكر منها :

المجمع الأول : عقد في سري لانكا بعد وفاة بوذا بـ ٩٥٦ سنة ويعتبر السادس من المجامع البوذية التي عقدت لهذا الكتاب ، وقد بدأوا شرح نصوص بوذا في هذا المجمع بالبالية ، وأضافوه الى الأصل .

المجمع الثاني : عقد أيضا في سري لانكا بعد وفاة بوذا بـ ١٥٨٧ سنة . وقد أضيف في هذا المجمع بعض الشروح والتعديلات في النظام الرهباني (فينايا) وغيره . ومثل هذا ماجرى في

المجمع الثالث : الذي انعقد في سيام (تايلاند) في مدينة شيانج ماي (Chiangmai) بعد وفاة بوذا بـ ٢٠٢٠ سنة .

والمجمع الرابع : الذي انعقد أيضا في سيام في معبد " مهاتات "

(Mahathad) بعد وفاة بوذا بـ ٢٣٣١ سنة . (١)

وهكذا أخذت نصوص الكتاب تتزايد على مر القرون ، واختلط الأصل بالشروح والزيادات الكثيرة ، وأصبحت لا تحتوي بالضرورة على تعاليم بوذا وحده ، بل تحتوي على تعاليم المدارس البوذية القديمة (هينايان Hinayan) كلها .

ز - ملحوظات على الكتاب

وقد تبيّن لي من خلال العرض الموجز لهذا الكتاب مايلي :

١) إن تعاليم بوذا التي ألقاها على أتباعه لم تكتب في أي وثيقة أثناء حياته .

٢) إن تعاليمه كانت تتناقلها الألسن اعتمادا على الذاكرة لرابة خمسة قرون من غير سند يتصل به أوشبه سند ، أي انها لبثت كذلك منذ وفاة بوذا حتى انتهى بها الأمر الى التدوين الرسمي في المجمع الخامس الذي انعقد بعد وفاة بوذا بـ ٤٣٣ سنة أو ٤٥٠ سنة على الاختلاف الذي ذكرناه .

٣) إن أحدا من كتّاب " ترى بيتاكا " لم يعايش بوذا أو يصاحبه أو يسمع الوالد .

٤) ان مجموعات " ترى بيتاكا " كتبت جميعا باللغة البالية عند المذهب القديم (هينايان) ، والسنسكريتية عند المذهب الجديد (مهايان) فيما كان بوذا يتحدث باللغة أو اللهجة التي

(١) المصدر السابق ١٢ ، ١٣ .

عرفت بالمجدية نسبة إلى إمارة مجدا (Magada) (١) التي نشأ فيها .

٥) لحقت بهذا الكتاب طوال القرون إضافات وتعديلات كثيرة، ومازجه كثير من الخلط ، والعبث ، والتحريف ، والانتحال . وهذا أمر يعترف به كثير من علماء البوذيين .

وعلى هذا فان نصوص الكتاب ليست بعيدة من الريبة فيها شأنها كشأن الأناجيل عند النصارى . ولكننا نقف عند هذا الحد من النصوص لا نتجاوز عنها ، وان كانت هذه النصوص غير موثوقة علميا عندنا . الا أنها موثوقة ومعتمدة عند أصحابها البوذيين ، وأنها هي النصوص الوحيدة التي تعتبر أقرب صلة من بوذية بوذا .

٦) تبيّن من خلال هذا العرض أنه لا يوجد كتاب من كتب الأديان في هذا العالم بقي نقيّه بالنقاء والصحّة عبر القرون الطويلة الا القرآن الكريم ، كتاب الله الوحيد الذي سلم من أيدي التغيير والتبديل ، ومن أيدي العبث والتحريف ، وبقيت نصوصه كما أنزلها الله ، ولقد وعد الله بحفظه في قوله تعالى :

" إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٢)

وكما حفظ الله القرآن حفظ السنة النبوية التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي .

فمن الأمور التي امتازت بها الأمة الاسلامية من غيرها

---

(١) انظر تاريخ الأديان ٢٦٠ (٢) الحجر ٩ .

استعمال الاسناد في رواية الحديث النبوي (١) ، لبيان صدقها من كذبها وصحيحها من سقيمها .

ولم تتنبّه الأمم السابقة الى أهمية الاسناد ، فاختلطت الوشائق الدينية لديها بالزيف ، والدجل ، والتحريف . إن البوذية ومثلها النصرانية مثال واضح لما ذكرناه .

وعلى هذا فان الاسلام هو الدين الوحيد الذي ظلت أصوله ومصادره ثابتة موثقة لم يتطرّق اليها تحريف ، أو زيف ، أو تغيير. وماتزال تهدي البشرية وستظل تهديها أبد الآبدين .

٢) من الكتب البوذية الأخرى التي اعتمدت عليها في هذا البحث .

١ - قصة بوذا .

ألف هذا الكتاب جماعة من كبار الرهبان البوذيين عام ٢٤٠٠ البوذي الموافق ١٨٥٧ الميلادي . واشتمل الكتاب على ثلاثة أجزاء من الحجم المتوسط .

وتحدث في الجزء الأول عن البيئة الهندية التي نشأ فيها بوذا، وفي الجزء الثاني عن بداية حياته ، وفي الجزء الثالث عن آخر حياته . وهذا الكتاب مقرر لطلاب الشهادة العالية بجامعات البوذية في تايلاند ، وطبع الطبعة الأربعين عام ٢٥٢٢ البوذي الموافق ١٩٧٩ الميلادي ، وقام بطبعه ونشره الجامعة البوذية " مهامونج كوت راجا فيديالي " (مهاتات) بانكوك .

(Mahamongkot Rajawidyaly Buddhist University.Bangkok.)

---

(١) ان الاسناد له أهمية ومكانة لدى علماء الحديث من المسلمين لأنه يمثّل شطرا لحديث لأن الحديث سند ومتن والسند بمثابة الدعامة التي يعتمد عليها ويتوقف عليه قبولا الحديث أو رده ، وقد بدأ المسلمون الاهتمام بالاسناد والسؤال عنه في فترة مبكرة وذلك في أعقاب الفتنة التي بدأت منذ خلافة عثمان رضي الله عنه ، روى الامام مسلم باسناده عن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . وعن عبد الله بن المبارك قال : الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء . وكان من ثمار هذا الاهتمام حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على مر الدهور والأزمنة كما جاء عنه دون أن يشوبه دخل . (انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١/٨٧ ، ٨٤ باب بيان أن الاسناد من الدين)

٢ ـ تاريخ الديانة البوذية :

مؤلفه هو الراهب البوذي الكبير " واشيرايان واروروت "
(Washirayan Warorot) من أحد علماء البوذية في تايلاند. عاش في النصف الأول من القرن الثالث والعشرين البوذي الموافق للقرن السابع عشر الميلادي . ويقع الكتاب في ٦٦٥ صفحة ، وتحدث فيها عن تاريخ البوذية منذ نشأتها في الهند الى انتشارها في العالم في الوقت الحاضر . كما تحدث عن أهم المبادىء التي قامت عليها البوذية ، والخلافات التي نشأت بين مذاهبها وفرقها . وطبع الكتاب عدة مرات ، والطبعة التي اعتمدت عليها هي الطبعة الثالثة والثلاثون عام ٢٥٢٠ البوذي الموافق ١٩٧٧ الميلادي .

٣ ـ المبادىء الهامة في البوذية :

مؤلفه هو القديس البوذي المعاصر " واسن انتا سارا "
(Vasin Intasara) من علماء البوذية المشهورين في تايلاند له عدة مؤلفات في البوذية . واشتمل هذا الكتاب على المبادىء الهامة التي تأسست عليها البوذية ، من العقائد ، والأخلاق ، والفلسفات. وقد طبع في ٦٨٨ صفحة سنة ٢٥٢٤ البوذي الموافق ١٩٨١ الميلادي وللمؤلف كتاب آخر اعتمدت عليه في هذا البحث هو تاريخ انتشار البوذية في الأقطار . تحدث فيه عن تاريخ انتشار البوذية في أقطار العالم قديما وحديثا . وطبع الطبعة الأولى عام ٢٥٢٥ البوذي الموافق ١٩٨٢ الميلادي ونشر هذين الكتابين مكتبة بانناخار (Bannakar) بانكوك .

٤ ـ الفلسفة البوذية :

ألفه القديس البوذي الكبير " بودهي ناندا " (Bodhi Nandha) عاش في النصف الثاني من القرن الثالث والعشرين البوذي الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي . له مؤلفات كثيرة جدا في البوذية . منها كتاب لبّ البوذية الذي اعتمدت عليه في هذا البحث . وقد تحدث القديس في كتابه الأول عن أهم القضايا الفلسفية التي ابتكرها بوذا في تفسير الحياة . وهي مايسمى بالحقائق السامية الأربع. كما تحدث في الكتاب الثاني عن تعاليم بوذا الأصلية التي أراد أن يسلكها أتباعه . وقد قام بطبعهما ونشرهما الجامعة البوذية " مها مونج كوت راجا فيد يالي " (مهاتات) بانكوك .

٥ ـ تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها :

ألفه الباحث البوذي الدكتور " ساماخ بوراوات "

(Samak Burawat) أستاذ الفلسفة البوذية السابق بجامعات البوذية في تايلاند . وقد تحدث في هذا الكتاب عن تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها عند الفرق والمذاهب المختلفة عبر العصور ، ويقع الكتاب في ٧٨٩ صفحة وطبع عدة مرات ، والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الأخيرة عام ٢٥١٣ البوذي الموافق ١٩٧٠ الميلادي . وقام بنشره مكتبة " بري بيتيا " (Pre phittaya) بانكوك .

٦ ـ الفلسفة الهندية :

هذا الكتاب ألفه باللسنسكريتيّة، كتبه عالم من علماء البوذية في

" سري لانكا " اسمه "بودها بين يو" (Buddha Pinyo) وترجمه الى التايلاندية "سانان شايا نوكول" (Sanan shiyanukol) الاستاذ بجامعة البوذية " مهاجولا " بتايلاند . وهو مقرر لطلاب الشهادة العالية في هذه الجامعة . وقد تحدث الكتاب عن جميع الديانات الهندية القديمة قبل البوذية وبعدها ، وتحدث بتوسّع عن البوذية وفلسفاتها التي تميزت عن غيرها . ويقع الكتاب في ٥١٥ صفحة ، وطبع الطبعة الأخيرة عام ٢٥١٣ البوذي الموافق ١٩٧٠ الميلادي وقام بنشره الجامعة البوذية (مهاجولا لونج كون راجا فيديالي) (Mahachula buddhist university) بانكوك تايلاند

ولهذا المترجم كتاب آخر اعتمدت عليه في هذا البحث وهو المذاهب الهندية الستة . حيث تحدث فيه عن مدارس الهندوسية الست التي انتشرت في الهند في عصر بوذا وبعده . وقد طبع الكتاب الطبعة الرابعة عام ٢٥٢٣ البوذي الموافق ١٩٨٠ الميلادي بمطبعة الجامعة البوذية (مها جولا لونج كون راجا فيديالي) بانكوك .

٧ ـ مجموعة المصطلحات البوذية :

ألفها الأستاذ " بين موتوكان " (Pin Motokan) الباحث البوذي المعروف في تايلاند ، له عدة مؤلفات في مجال البوذية وقد جمع فيها المصطلحات البوذية وغرائب الكلمات البالية والسنسكريتية التي وردت في الكتب البوذية ، مرتّبة حسب الحروف التايلاندية . وبيّن معاني كل واحدة منها باختصار .

والكتاب يقع في ٧٣٧ صفحة . وطبع الطبعة الأولى عام ٢٥٠٤ البوذي الموافق ١٩٦١ الميلادي ، ونشرته مكتبة " كلانج فيديا"(klang Widya) بانكوك .

٨ - القوانين الرهبنة :

اشترك في تأليفه جماعة من كبار الرهبان البوذيين في تايلاند وسيلان وبرما ، ليكون مقررا لطلاب الشهادة العالية في الجامعات والمعاهد البوذية في هذه البلدان . واشتمل الكتاب على جزئين ، تناول فيهما الحديث عن قوانين عامة للرهبان والراهبات. والكتاب - كما بيّنه المؤلفون في المقدمة - عبارة عن شرح وتحليل مافي " ترى بيتاكا " من الغموض والتعقيد فيما يتعلق بالنظام الرهباني (فينايا). ولقد طبع الكتاب عدة مرات ، والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الخامسة والعشرون عام ٢٥٢٤ البوذي الموافق ١٩٨١ الميلادي ، وقام بنشره الجامعة البوذية (مهامونج كوت راجا فيد يالي " مهاتات ") بانكوك .

٩ - أصول البوذية :

للمؤلف البوذي " سانج جاندراكام " (Sang Jandharakam) الأستاذ بكلية الانسانية جامعة " شينج ماي " (Chiangmai) في شمال تايلاند . ولقد تحدث في هذا الكتاب عن الفلسفات البوذية وعقائدها ، وعن واجبات البوذيين من الرهبان والمدنيين نحو دينهم، كما تحدث عن التراث المقدس في البوذية . (١) وعن مراحل ممارسة

(١) سيأتي تعريفه .

" سمادهي " (Smadhi)أو التأمل الذاتي للوصول الى الفنـــاء.

وقد طبع الكتاب الطبعة الثالثة في ٥٢٠ صفحة عام ٢٥٢١ البـــوذي

الموافق ١٩٧٨ الميلادي ونشرته مكتبة " باناخار " بانكوك .

١٠ ـ بودها دهارما (Buddha Dharma)

مؤلفه هو القديس البوذي " بانيانانداا "(Panya Nandha)

من كبار علماء البوذية في تايلاند. له عدة مؤلفات في البوذيـــة.

وقد ألف هذا الكتاب باللغة البالية المكتوبة بالحروف التايلانديـــة،

وهو من أهم الكتب التي تناولت الطقوس الدينية عند البوذيين قديما

وحديثا ، وهناك كتابه الآخر اعتمدت عليه في هذا البحث هـــو

" النظـر الى الداخل " . وقد نشرهما المجلس الأعلى لطبع الكتـــب

البوذية ونشرها في تايلاند (دهارما بوشا) .

١١ ـ قانون " كارما " (Karma)

للمؤلف السابق . وتحدث فيه عن عقيدة " كارما "، نشأتها

وتطورها في الديانات الهندية بصفة عامة ، وفي البوذية بصفـــة

خاصة ، ويقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات وطبع الطبعة الأخيرة عام ٢٥٢٥

البوذي الموافق ١٩٨٢ الميلادي ، ونشرته مكتبة " أم نوي ســـات "

(Amnoy Sat) بانكوك .

١٢ ـ الأخلاق البوذية الخمسة أو " سيلا الخمسة " :

للمؤلف البوذي تانيت يوبودهي (Tanit Yobodhi)

ألفه بالبالية وتناول فيه الحديث عن الأخلاق البوذية الخمسة ، وهـــي:

الكف عن القتل ، والسرقة ، والزنى ، والكذب ، والمسكرات . وقد طبع

الكتاب في ٣٩ صفحة من الحجم الصغير . ونشرته الجامعة البوذيـــــة (مها مونج كوت راجا فيديالي " مهاتات ") عام ٢٥٢٦ البوذي الموافـق ١٩٨٣ الميلادي .

١٣ ـ الحياة بعد الموت :

مؤلفه هو " يوجي راماجاركا " (Yogi Ramacharaka) من علماء البوذية في الهند ،عاش في القرن الثامن عشر الميـــلادي، وكان هندوسيا ثم اعتنق البوذية ، وتعمق فيها ، له عدة مؤلفـات في الفلسفة ، والعلوم الروحية ، وهذا الكتاب ألفه باللغة الهنديـــة وقد ترجمه الى التايلاندية " سيري بودها سوك " (Siri Buddhasuk) كما ترجمه الى اللغة الانجليزية بعنوان "The Life beyond death" والكتاب يقع في ٢٨٩ صفحة . تحدث المؤلف فيها عما يتعلق بالروح حسب عقيدة البوذية . وقد طبع الكتاب الطبعة الثالثة عام ٢٥٢٦ البوذي الموافق ١٩٨٣ الميلادي . ونشره المعهد للبحوث الروحية فـــي تايلاند .

١٤ ـ المذاهب البوذية :

للمؤلفين البوذيين " ساتين كوسيت " (Satian Kosat) وناخابراتيب (Naka Prateeb).وقد تناول الكتاب الحديث عن المذاهب البوذية المختلفة ، نشأتها ، وتطورها ، وانتشارها قديما وحديثـا. كما تناول القضايا التي اختلفت فيما بينها ، وما الى ذلـــك. والكتاب مقرر للطلاب البوذيين في الجامعات البوذية بتايلاند ويقـــع

الكتاب في ٣٤٠ صفحة ، وطبع عدة مرات والطبعة التي بين أيدينا هي طبعة عام ٢٥١٦ البوذي الموافق ١٩٧٣ الميلادي ، و نشرته مكتبة " باناخار " بانكوك .

١٥ - تاريخ الأديان

للمؤلف البوذي " سوشيب بونيانوبا(Sucheeb Bonyanobab) أستاذ الأديان السابق في عدة جامعات في تايلاند ، وقد تحدث في هذا الكتاب عن معنى الدين ، والمناهج في دراسة الأديان ،وأسباب التدين ، ثم تحدث عن الأديان الميتة ، والأديان الحية ، والأديان الجديدة في العالم ، وقد تحدث عن البوذية بتوسع من حيث تاريخ مؤسسها ، وتاريخ انتشارها ، وتاريخ تدوين كتبها ،مع مقارنتها بالأديان الأخرى . وقسّم الأديان حسب منشاها ، فمثلا الأديان التي نشأت في شرق آسيا ثلاثة وهي: شنتو (Shintoism) في اليابان وكونفوشيوسية (Confucianism) وتوسية (Taoism) كلتاهما في الصين ، والأديان التي نشأت في جنوب آسيا أو الهند أربعة وهي : الهندوسية ، والجينية ، والبوذية ، والسيخية . والأديان التي نشأت في غرب آسيا أربعة وهي: اليهودية في فلسطين ، وزراد شتية في فارس ، والمسيحية في فلسطين ، والاسلام في الجزيرة العربية وهكذا . والكتاب يقع في ٤٤٠ صفحة وطبع الطبعة الرابعة عام ٢٥٢٦ البوذي الموافق ١٩٨٣ الميلادي ، ونشرته مكتبة روم سات (Rom Sat) بانكوك .

وللمؤلف كتاب آخر اعتمدت عليه في هذا البحث.وهو تاريخ انتشار البوذية في العالم.ويقع في ٣٤٢ صفحة وطبع الطبعة الخامسة عام ٢٥٢٤ البوذي الموافق ١٩٨١ الميلادي ، وقام بنشره مؤسسة لاحياء البوذية في تايلاند .

١٦ - بوذية مهايان :

ألفه الراهب : " أريان بيهكشو " (Aryan Bhikshu) أحد العلماء المشهورين في البوذية في القرن الرابع والعشرين البوذي (الثامن عشر الميلادي تقريبا) له عدة مؤلفات في البوذية . وقد تحدث في هذا الكتاب عن البوذية عند المذهب الجديد المسمى بمهايان (Mahayan) من حيث نشأتها ، وأهم عقائدها ، ومدى انتشارها في أقطار العالم ، وأسباب الانتشار . والكتاب يقع في ٣٠٠ صفحة ، وطبع الطبعة الرابعة عام ٢٥٢٢ البوذي الموافق ١٩٧٩ الميلادي . ونشره المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها في تايلاند (دهارما بوشا) .

١٧ - " نرفانا " (Nirvana)

مؤلفه هو القديس " بوذتات بيهكشو"(Buddhat Bhikshu) من كبار علماء البوذية وفلاسفتها المعروفين في تايلاند وغيرها من الدول المجاورة . كان رئيسا عاما للمجلس الأعلى لشئون الرهبان في تا لاند . عاش فترة في الهند ، وتجول في كثير من الأقطار البوذية

وله أكبر محل للرياضة النفسية في جنوب تايلاند المعروف بحديقة " موخلارام " (Moklaram) له مؤلفات كثيرة جدا في البوذية بعضها ترجمت الى عدة لغات .

وقد تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن معاني " نرفانا "، وحقائقها، والطريق الأفضل للوصول اليها . ويقع الكتاب في ١٧٨ صفحة ،وطبع الطبعة الأخيرة عام ٢٥٢٤ البوذي الموافق ١٩٨١ الميلادي ، ونشره المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها في تايلاند (دهارما بوشا)

١٨ ـ تعاليم للرهبان :

للمؤلف السابق . وقد تحدث في هذا الكتاب عن معنى الرهبنة في البوذية ، وثمراتها ، وأغراضها ، وحقوق الرهبان منها، كما تحدث عن أهم الأعمال اليومية التي يجب على الرهبان القيام بها. والكتاب يقع في ٢٠٢ صفحة ، وطبع الطبعة العاشرة عام ٢٥١٨ البوذي الموافق ١٩٧٥ الميلادي ، ونشره الناشر السابق .

١٩ ـ سمادهي عند بوذا :

للمؤلف السابق أيضا . وقد تحدث فيه عن معنى سمادهي (Smadhi) في البوذية ومن فوائدها ، وطريقة ريافتها وتمرينها ، وطبع الكتاب الطبعة السادسة في ١٩٥ صفحة عام ٢٥١٩ البوذي الموافق ١٩٧٦ الميلادي .

وللمؤلف كتاب آخر في هذا المجال اعتمدت عليه في هذا البحث وهو مبادىء عامة في الرياضة النفسية . ويقع الكتاب في ٢٢٥

صفحة وطبع الطبعة الرابعة عشر عام ٢٥٢٣ البوذي الموافق ١٩٨٠ الميلادي . وهذان الكتابان نشرتهما الجامعة البوذية مهامونج كوت راجا فيديالي (مهاتات) بانكوك .

٢٠ - بين البوذية والنصرانية في رأينا

ألفه الراهب البوذي الكبير راجاوارا مونى (Rachvara Muni) من أحد العلماء المعاصرين في البوذية . له مؤلفات كثيرة ، وقد حاول في هذا الكتاب التقريب بين البوذية والنصرانية في كثير من العقائد ، وبخاصة في قضية الألوهية . وطبع الكتاب الطبعة الثانية عام ٢٥٢٢ البوذي الموافق ١٩٨٠ الميلادي ، ونشرته مكتبة بانا خسار بانكوك .

وهناك كتاب آخر في هذا المجال وهو :

٢١ - مشكلة الألوهية بين البوذية والمسيحية

للراهب ناندابيهكشو (Nandha Bhikshu) وقد حاول في هذا الكتاب ما حاول المؤلف السابق . واكتسب به شهرة كبيرة بين أوساط البوذيين وعلمائهم . والكتاب يقع في ٣٥١ صفحة وطبع الطبعة الأولى عام ٢٥٢٧ البوذي الموافق ١٩٨٤ الميلادي ، ونشرته مكتبة تين وان (Tian Wan) بانكوك .

٢٢ - مقارنة الأديان :

للمؤلف البوذي الدكتور ساتين بانتارانج سي (Satian Pantarangsi) وهذا الكتاب مقرر لطلاب الشهادة العالية في كثير من الجامعات في

تايلاند ، ويقع الكتاب في جزئين ، تحدث في الجزء الأول من أهمية دراسة الأديان ،ومن معنى الدين ، وأسباب نشأته ، وأنواع الأديان في العالم ، ثم تحدث عن البرهمية ، والجينية ، والبوذية ، والسيخية والتوسية ، والكونفو شيوسية ،وشنتو . أما الجزء الثاني فتحدث فيه عن اليهودية ، والنصرانية ، والاسلام ، وقد طبع الكتاب الطبعة الخامسة عام ٢٥٢٤ البوذي الموافق ١٩٨١ الميلادي . ونشرته الجامعة البوذية (مها جولا لونج كون راجا فيد يالي) بانكوك .

وللمؤلف كتاب آخر اعتمدت عليه في هذا البحث وهو تاريخ بوذا الجديد نشرته مكتبة " أودين ساتور "(Odian Store)بانكوك بدون تاريخ .

٢٣ - " Introduction to indian philosophy "

أي "تعريف بالفلسفة الهندية "

ألفه الدكتور ساتس جاندرا شاتيرجي (D.r Stischadra chatterjee) عميد كلية الفلسفة بجامعة 'كلكتا' في الهند سابقا ، والدكتور تيريندرا موهان (D.r Dherendra Mohan) أستاذ الفلسفة السابق بجامعة " باتنا " (Patna) في الهند . وهذا الكتاب مطبوع باللغة الانجليزية في ٥٤٢ صفحة ، واشتمل على مقدمة وتسعة فصول وخاتمة ، وتناول في كل فصل فلسفة من فلسفات الهندية بالدراسة والتحليل ،وهذه الفلسفات هي : الجينية ،والبوذية ، واليوجية ، والنيايانسا والميمانسا ، والفيدانتا ، وسامكهيا ، والفايشيشيكا ، وجاروك . وهذا

الكتاب مقرر لطلاب الشهادة العالية في الجامعات والمعاهد البوذية في تايلاند . وقد طبع الطبعة الثانية عام ٢٥١٩ البوذي الموافق ١٩٧٦ الميلادي ، ونشرته الجامعة البوذية (مهاجولا لونج كون راجا فيد يالي) بانكوك .

٢٤ - " Buddhism in Middle Asia "

أي "البوذية في آسيا الوسطى "

للمؤلف البوذي ساتين بودهي ناندا(Prof.Stian Bodhinandha) وقد تحدث في هذا الكتاب عن انتشار البوذية في بلاد آسيا الوسطى التي تشمل تركستان الغربية والشرقية ، وأفغانستان ، وبعض الأجزاء من فارس ، وأثبت بالأدلة التاريخية أن البوذية قد ازدهرت في هذه البلدان الواسعة منذ القرن الأول الميلادي ، وبلغت ذروة في الازدهار في القرن الخامس والسادس الميلادي الى أن فتحها المسلمون في القرن السابع والثامن الميلادي على التوالي . والكتاب ألفه بالانجليزية في ٢١٥ صفحة وقد طبع الطبعة الرابعة عام ٢٥٢٢ البوذي الموافق ١٩٧٩ الميلادي ونشرته الجامعة البوذية مهامونج كوت راجا فيديالي (مهاتات) بانكوك .

٢٥ - " Buddhism in Siam "

أي "البوذية في سيام (تايلاند) "

ألفه الدكتور البوذي شاشوال سري جاندر(D.r Shashawal Srijandra) وقد تحدث في هذا الكتاب عن انتشار البوذية ، ودعوتها في سيام

في مختلف العصور ، وجمع فيه الاحصائيات عن عدد البوذيين في بلدان العالم . والكتاب ألف بالانجليزية ، وطبع في ١٢٥ صفحة عام ٢٥٢٥ البوذي الموافق ١٩٨٢ الميلادي . ونشرته الجامعة البوذية مهامونج كوت راجا فيد يالي (مهاتات) بانكوك .

هذه هي أهم الكتب البوذية التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة وهناك كتب أخرى أقل أهمية منها وسنجد جملة منها في قائمة المراجع آخر الرسالة . وبالله التوفيق .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

سابعا : دليل المصطلحات البوذية فى هذا البحث

الكلمة	المعنى
آبات (Abat)	مخالفة الرهبان لقانون من قوانين الرهبنة "Breach of discipline"
أبيدارما (Abhidrama)	المجموعة الثالثة من مجموعات " تري بيتاكا " الكتاب المقدس فى البوذية وتشمل القضايا الفلسفية المعقدة والأخلاق البوذية الهامة .
آرام (Aram)	معبد بوذا " Temple "
أرهات (Arhat)	القداسة أو القديس " Saint "
أفيديا (Awidya)	الجهل " Ignorance "
أناتا (Anatta)	لاذات ، لاجوهر "Non Existence of the soul"
أنيجانج (Anijang)	التغير ، التبدل ، الزوال " Uncertainly "
أوباسانا (Upasana)	التأمل ، المراقبة " Maditation "
أوتار (Avatar)	التجسد الالهى " Incarnation "
أهنسا (Ahinsa)	لإيذاء ولإساءة لأى كائن حي "Non oppression"
باربا شا (Barbasha)	الانخراط فى سلك الرهبنة "Ordination"
بانيا (Panya)	المعرفة ، الحكمة ، العقل "Wisdom"
باريبرفانا (Pari Mirvana)	الفناء التام " Extinction "
بودها (Buddha)	العارف ، المتنور ، المستيقظ " Enlightenmend one "
بودهى ساتفا (Buddhi Satwa)	بوذا المستقبل " On destined to become a Buddha "
بيهكشو (Bhikshu)	الراهب المتسول " Buddhist monk "
تتافتا (Tathakata)	لقب من ألقاب بوذا ومعناه المخلص
تري بيتاكا (Tri Pitaka)	الكتاب المقدس فى البوذية

الكلمة		المعنى
توخ خانج	(Tuk kang)	الألم " Suffering "
دهارما	(Dharma)	تعاليم بوذا "The teaching of the Buddha"
راتاناتري	(Ratana Tri)	الثالوث المقدس في البوذية "The triple gems" وهو بوذا ، ودهارما ، وسانغا
راخها	(Rakha)	رغبة أو شهوة " Pleasure "
سانغا	(Sangkha)	جماعة الرهبان في البوذية " Buddhist monk "
سمادهي	(Smadhi)	التركيز في التأمل "Perfect concentration"
سمسارا	(Samsara)	تناسخ الأرواح " Metempsychosis "
سمنا	(Samana)	
أو " شارامانا "	(Sharmana)	أي الهادئ والمبتعد عن الشهوات. ويطلق على كل راهب بوذي
سوتان	(Suttan)	المجموعة الثانية من مجموعات " تري بيتاكا " الكتاب المقدس في البوذية وهي عبارة عن الخطب والوصايا ، والحكايات.
سونياتا	(Sonyata)	الفراغ " Void "
سيلا	(Sila)	المبادئ ، الأخلاق ، الوصايا. " Precepts "
فينايا	(Vinaya)	المجموعة الأولى من مجموعات " تري بيتاكا " الكتاب المقدس في البوذية وهي عبارة عن القوانين والنظم في الرهبنة
كاراوات	(Karawat)	المدنيون الساكنو البيوت (غير الرهبان) " Layman "
كارما	(Karma)	العمل ، الجزاء ، السبب. " Causality "
كوتي	(Kutti)	الدير أو مسكن الرهبان " Hermitage "

الكلمـــة		المعنـــى
مارا	(Mara)	الشيطان " Devil "
مايا	(Maya)	الغرور ، المكر ، الخداع " Pretend "
موها	(Moha)	الغواية ، الوهم " Delosion "
مهايان	(Mahayan)	المذهب الجديد فـى البوذية
نرفانا	(Nirvana)	الفناء والخمود " Extinction "
		أو التخلص من الألم . " Salvation "
هينايان	(Hinayan)	المذهب القديم فى البوذيـة
يانا	(Yana)	الكشف " Perception "

باب تمهيدي

ويشمل فصلين :

الفصل الاول: البيئة التى ظهر فيها بوذا

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : نبذة عن شبه القارة الهندية

المبحث الثانى : حالة الحكم والسياسة فى عصر بوذا

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية فى عصر بوذا

الفصل الأول

" البيئة التي ظهر فيها بوذا "

المبحث الأول : نبذة عن شبه القارة الهندية

١) الملامح الجغرافية (١)

الموقع والحدود

تحتلّ شبه القارة الهندية موقعا جغرافيا ممتازا ، فهي تتوسّط نصف العالم الشرقي ، حيث تمتد في جنوب آسيا من هضبة ايران (Iran) وافغانستان (Afghanistan) في الغرب الى شبه جزيرة الهند الصينية في الشرق ، ومن جبال هملايا(Himaliya) في الشمال الى المحيط الهندي في الجنوب ، ويتكون القسم الجنوبي من هذه البلاد العظيمة من شبه جزيرة مثلثة الشكل لها سواحل في الغرب على بحر العرب ، وسواحل في الشرق على خليج بنغال (Bengal) ، وتطل على المحيط الهندي في الجنوب برأس بارد هو رأس كوماري (Cape Comari) الذي هو أبعد أجزاء الهند نحو الجنوب . (٢)

المساحة

تبلغ مساحتها مليونين من الأميال المربعة (٣) أو حوالي ٨ر٢ مليون كم٢

---

(١) لتكون هذه الملامح واضحة أنظر خريطة الهند في هذه الرسالة صفحة ٥٩ .

(٢) قارن الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ، أبو الليل محمد موسى ص ٩

(٣) تاريخ الهند الحديث ، الدكتور عادل حسن غنيم ، والدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ص ١٣ .

بالاضافة الى جزيرة سيلان (Ceylon) (١) . وهو مايعادل مساحة أوربا مجتمعة باستثناء روسيا (Russia). فسميت شبه القارة الهندية لضخمة مساحتها ، وفيها من كثرة السكان ، واختلاف اللغات مافي القارة الاوربية وتكاد تشبه القارة الأوربية كذلك في اختلاف أجواءها ، وآدابها ، وفلسفاتها ، وفنونها . كما تسمى أيضا بشبه الجزيرة ، لأنها جزيرة من بعض النواحي . فالبحر يفصلها عن غيرها في الجنوب الغربي ، (وهو بحر العرب) والجنوب الشرقي ، (وهو خليج بنغال ومحيط الهند) ، والجبال التي يتعذّر اختراقها تفصلها من العالم في الشمال ، والشمال الشرقي ، والشمال الغربي . وبهذا تكاد تكون جزيرة . (٢)

أما كلمة " الهند " فاختلف المؤرّخون في أصلها ، فمنهم من نسبها الى الاله " اندرا "(Indhira) اله الهند القديم .. (٣) ومنهم من ردّها الى " سندو " (Sindus) وهي النهر المعروف ثم غير الفرس السين الى الهاء فصارت " هندو " (Hindu) وأطلقوا على الهند الشمالية كلها كلمة " هندوستان " (Hindustan) أي مقر أهل الهند ، ومن هذه الكلمة الفارسية " هندو " نحت الأغريق

---

(١) جغرافية العالم ، دولت أحمد صادق ، ومحمد سيد فلاب ، وجمال الدين الدناصوري ١/ ٩٧

(٢) قارن الهند القديمة حضاراتها وديانتاتها عبد الرحمن حمدي ص ١١

(٣) حضارات الهند ، الدكتور فوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ٢٥ .

الغزاة كلمة الهند وهي التي بقيت لنا الى اليوم . (١)

الجبال والأنهار

في الهند جبال كثيرة ، وخاصة في المنطقة الشمالية ، وأشهرها سلسلة جبال هملايا (Himaliya) أعظم وأعلى سلسلة جبلية في العالم إن هذه السلسلة الجبلية تشبه حائطا طبيعيا تفصل الهند عن غيرها في الشمال . (٢)

ولهذه الجبال أهمية كبرى في تاريخ الهند القديم ، فقد تصوّر الأقدمون أن هذه الجبال الشاهقة هي موطن الآلهة . فهي أقرب الأماكن الى السماء ، وقد أصبحت منابع الأنهار في هذه الجبال أماكن مقدّسة يحج اليها الهندوس ، وفي سكونها يجدون مجالا للتعبد والعبادة . (٣)

أما الأنهار فهي كثيرة أيضا أهمّها نهر السند (Sindus) ويعتبر من أكبر الأنهار الهندية التي تتفجر ينابيعها من " هملايا ".وعلى ضفاف هذا النهر قامت أقدم حضارة هندية . ومن أهمّها أيضا نهر برهمابوترا (Brahma Putra) ونهر جنجا (Ganges) الذي يقدسه الهندوس ،حيث يحبّون أن يغتسلوا فيه معتقدين بأن مياهه

---

(١) قارن قصة الحضارة للدكتور ول ديورانت ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ٣/ ١٢

(٢) جغرافية العالم ١/ ١٠٠

(٣) الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ص ١٢

تغسل عنهم خطاياهم . كما يحبّون أن تحرق جثتهم على شاطئه ، وأن يلقى بالرماد في مياهه .

ومن الأنهار المقدسة لدى الهندوس أيضا نهر جمنا (Jamuna) حيث يعدّون الاغتسال فيه طقوسا دينية مقدّسة ينبغي أداؤها على كل فرد منهم . (١)

٢) سكان الهند

نقسم سكان الهند الى أربع مجموعات رئيسة :

١ ـ السكان الأصليّون

إنه من الصعوبة بمكان أن نتعرّف أصول سكان الهند الأصليين لغموض تاريخهم في تلك الفترة ، وعلى العموم انهم قوم بدويّون عاشوا في الغابات والأدغال والجبال ، ومارسوا الحياة البداشية الأولى تحددت ألوانهم وفق جغرافية المناطق ، وليس لهم دين معيّن ولاتقاليد معروفة ، بل هم على كل حال وثنيون يعبدون مظاهر الطبيعه كلها . ويطلق عليهم اسم " قبائل الأحراش " ومازال نسلهم يعيشون في الهند . (٢)

ثم ظهرت حضارة بارزة الرقيّ عند سكّان بنجاب (Panjab) خلال

---

(١) قارن الهند القديمة للدكتور محمد اسماعيل الندوي ص ١٥ وأيضا حضارات الهند ص ٣٨

(٢) وهم الجماعات التي يقال اليوم لأفرادها : موندرا ، وموشار وشامر ، وغوند ، وسندال ، وكاسي ، وبسيس ، وكثرى ، وشاندال وغيرهم . (Mondras, Mushar, Shamars, Ghons, Santhals, Khasi, Pases, Kathari, Chandalas.)

الألف الرابعة والألف الثالثة من السنين قبل الميلاد ، تلك الحضارة التي فنّدت آراء معظم المؤرخين وعلماء البوذيين (١) الذين ذهبوا الى أن الهند قد كانت همجية ووحشية ، لاتعرف شيئا من الحضارة حتى هاجر اليها الآريون (Aryan) فهذه الحضارة العريقة المكتشفة فتحت آفاقا جديدة في تاريخ الهند ، كما أنها دلت على مدى التقدم والمدنية في حياة سكان وادي نهر السند في تلك الأزمنة

٢ ـ الدراويديون (Dravidians)

يطلق هذا الاسم على الجنس الأسود والأسمر ذي الأنف الكبير والشعر المتموج ، وهم من سكّان الهند الأصليّين على الأرجح كما تشير الى ذلك ملامحهم وتقاليدهم كلها . وقد واصلوا جهود أصحاب حضارة وادي نهر السند ، فاستولوا على مقاليد بلاد السند وبنجاب، وأنشأوا فيهما حضاراتهم العريقة مدة من الزمن ، (٢) وظلّوا على ذلك حتى دخول الآريين واستيلائهم تلك الأرض في عام ١٨٠٠ ق م تقريبا ، فشرّدوا أمام الزحف الى ناحية الجنوب . والآن لاتزال حضارتهم يرون في المناطق الجبلية في جنوب الهند التي التجأ اليها أجدادهم بالتدرج فرارا من تأثير الغازي الأجنبية في الشمال . والدراويديون يكونون عنصرا أساسيا في معظم سكان الهند الحالية ، وعنصرا

---

(١) هذه الآراء تحفل بها كتب البوذية التي كتبها علماء البوذيين وذلك لقصد استعلاء الآريين الذين انتسب اليهم بوذا .

(٢) من عام ٢٠٠٠ ق م الى ١٨٠٠ ق م تقريبا .

هاما في حضارات الهند وثقافتها .

٣ - التورانيون (Turanians)

يطلق هذا الاسم على العرق الأصفر في بعض الأحيان ، وهم مجموعة من القبائل الجبلية البربرية التي تدفّقت من جبال بلوشستان (Balushistan) وافغانستان (Afghanistan) وقد توغّلت في الهند من طريق ثغور جبال هندوكوش(Hindu Kush)وذلك قبل نزوح الأريين بقرون طويلة . وقد تمّ بينهم وبين أهل البلاد ألوان من العلاقات أنتجت ما أصبح بعد حين يعرف بالسكان الأصليين . ويعتبر التورانيون أشدّ الغزاة تحويلا لعروق الهند من الناحية الجثمانية فمنهم أخذ الهند نصب أجسامهم وتقاطيع وجوههم .

٣ - الأريون (Aryan)

ان هذه القبيلة عرفت فيما بعد في التاريخ بالمجموعة الهندية الأوربية (Indu European) فهم أكثرَ أقرب شبها بسكان أوربا الشمالية ، وسميت بالآرية لأنها تطلق على الأشراف في اللغة السنسكريتية ، والأريون اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم الى هذه المناطق بالشرف ، والسكّان الأصليين بالأرازل . ولعل هذا هو المنشأ لنظام الطبقات في الهند .

وقد اختلف المؤرخون في أصل الأريين ومقامهم الأول ، والأرجح أنهم آسيوي الأصل ، كان يعيش في وسط آسيا في بقعة من بلاد تركستان (Turkistan) في جنوب روسيا (Russia) وشرق بحر قزوين (Caspian) وقد تدفّقت هذه القبيلة كامواج هائلة

على اوربا (Erope) وآسيا صغرى ، ثم موجة أخرى الى الشرق الأوسط ، واستوطنت العراق ، ثم هجرات عديدة الى ايران (Iran) حيث أقاموا ببلاد فارس(Persia) ثم داوم حفدتهم سيرهم الى الجنوب فجاوزوا جبال هندوكوش (Hindu Kush) ودخلوا الهند وذلك في عام ١٨٠٠ ق م تقريبا .

ولقد استقرّوا في سهول السند وبنجاب ، وطردوا منها الدراويديين الى ناحية الجنوب ، وأخذوا من بقي منهم أسرى وسموهم " داسا" (Dasa) أي العبيد . (١)

وكان الأريون يحافظون غالبا على سلالتهم البيضاء . ولم يتصلوا بالسكان الأصليين بالتزاوج في بداية الأمر . ولكن بعد مرور الزمن تمّ امتزاجهم بالسكان الأصليين شيئا فشيئا ، فقد تكوّن سكان الهند أخيرا قبل عصر بوذا من ثلاث طوائف رئيسة :

الأولى : الأريون الجدد (أي الذين هاجروا الى الهند حديثا)

الثانية : الأريون القدامى الذين تمّ التزاوج مع السكان الأصليين حتى أصبحوا جنسا مستقلا مغايرا من الأصل .

الثالثة : الأسرى من السكان الأصليين ويسمون " داسا " (Dasa)

وهذا بناء على أن الأريين لم يقوموا كلهم بغزو الهند في وقت

---

(١) ومازال نسلهم يعيشون في الهند في منطقة مدراس وهم يتكلمون بلغة تاميل (Tamil) وتيلوكو (Telugu) ومالابار(Malabar)وكاناري (Kanari) ومن نسلهم أيضا طائفة تاميل في جزيرة سيلان . (Ceylon)

واحد ؛ بل جاءوا في مجموعات متتالية ، خلال فترة طويلة . وأقاموا هنا وهناك . والجدير بالذكر أن لغتهم التي سميت بالسنسكريتية هي اللغة التي تشعّبت منها معظم لغات أوربا على أرجح الأقوال . (١)

---

(١) من المراجع التي أسهمت في ايضاح هذا الموضوع

١) حضارات الهند للدكتور غوستاف لوبون

٢) قصة الحضارة لول ديورانت الجزء الثالث

٣) الهند القديمة للدكتور محمد اسماعيل الندوي

٤) Introduction to Indian philosophy.
by D.r Satischandra chatterjee and
D.r Dhirendramohan Datta

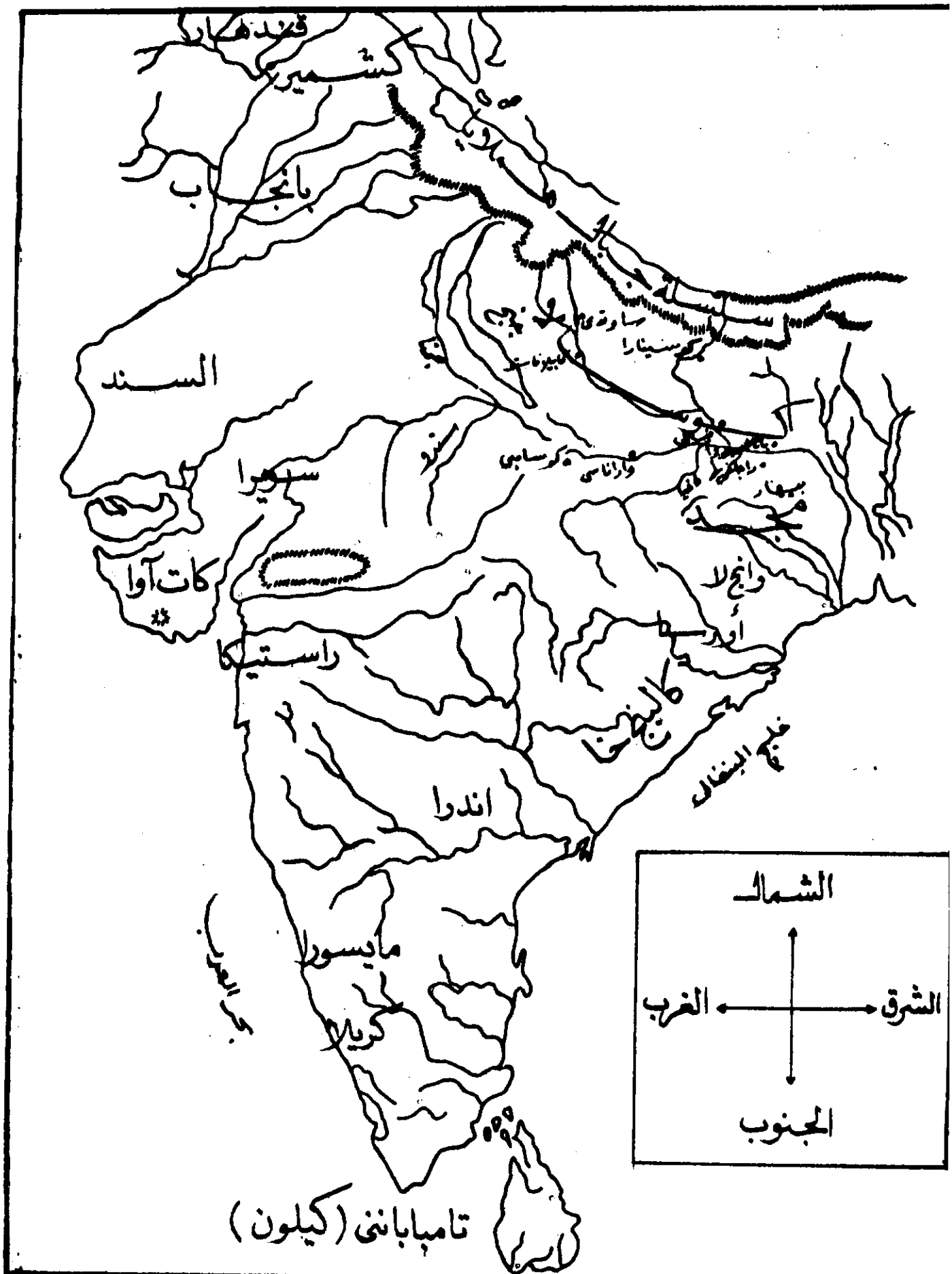

خريطة الهند القديمة

المبحث الثاني : حالة الحكم والسياسة في عهد بوذا

١ ـ تقسيم الهند من حيث الحدود والإمارات

في العهد البوذي الذي يرجع الى ٦٢٣ ـ ٥٤٣ ق م كانت الهند مسماة بشبه القارة الهندية ، لسعة مساحتها ، وكثرة عدد سكانها . وهي وان جمعتها الوحدة الاسمية ، هي بلاد كثيرة مختلفة باختلاف أقطارها ومختلفة باختلاف أصول سكانها وعقائد أهلها ، وقد قسّمت الهند وقتئذ من حيث حدودها الى الجزئين : (١)

الجزء المتوسط أو الداخلي ، ويشمل المناطق الشمالية والمتوسّطة التي استوطنها الآريون ، وهذا الجزء هو المقصود في هذا البحث لأن فيه نشأة بوذا ومذهبه .

والجزء الخارجي أو المتاخم للحدود ، ويشمل المناطق الجنوبية التي هي مواطن الدراويديين . (٢)

ويبدو أن هذا التقسيم قد بدأ منذ غزو الآريين للهند (١٨٠٠ ق م) واستيلائهم عليها ، فكانوا يسمّون المناطق التي استولوا عليها واستوطنوها في الشمال والوسط بالبلد المتوسط ، أو البلد الداخلي . ويسمون المناطق الريفية في الجنوب التي لم يستولوا عليها ، واستوطنوها الدراويديّون بالبلد المتاخم للحدود أو البلد الخارجي . (٣)

---

(١) وهذا التقسيم هو ما جرى عليه معظم الكتّاب البوذيين الذين كتبوا في تاريخ البوذية

(٢) قصة بوذا ١/ ٢٨

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٢ .

ولم يكن بين البلدين حدود معيّنة وإنما تتغيّر وتتوسّع تبعـــا لعدد سكّان الآريين ومدى تقدّمهم . (١)

والظاهر أن هذا التقسيم مبني على تعصّب الآريين لجنسهم ، وتفضيلهم على الآخرين ، كما هو معروف عند الفكر الغربي في نظرية الاستعـــلاء العنصري للآريين .

أما الامارات في عهد بوذا فقد نصّ عليها كتاب " ترى بيتاكا "(٢) بأن عددها ست عشرة امارة وهي كالتالي :

١ - أنكا (Angka) ٢ - مجدا (Magada) ٣ - كاسي (Kasi)

٤ - كوسالا (Kosala) ٥ - واتشي (Watshe) ٦ - مالا (Malla)

٧ - جيتي (Jeti) ٨ - وانج سا (Wangsa) ٩ - كورو (Kuru)

١٠ - بانجالا (Panjala) ١١ - مادشا (Madsha) ١٢ - سوراسينـــا (Surasena) ١٣ - أساسكا (Assasaka) ١٤ - آوانتـــي (Awanti) ١٥ - كانتارا (Kantara)

١٦ - كام بوشا (Cambosha)

وهذه الأسماء منها أربعة ذكرت في عدة مواقع في الكتاب لكثـــرة علاقتها بقصة بوذا وديانته ، وهي : أنكا ، مجدا ، كاسي ، كوسالا . وهناك امارات صغيرة أخرى وردت أسماؤها في قصة حياة بـــوذا في الكتاب مثل ساكا (Sagka) وكوليا (Koliya)

==========

(١) المصدر السابق

(٢) سوتان ٤٢٩ ، ٤٣٠

وويتيها (Vitheha)

ان هذه الامارات كلّها كانت في الجزء الداخلي لشبه القارة الهندية وهو موطن الآريين الذين انتسب اليهم بوذا . (١)

ومن المعروف انه قد تغيّر الوصف لهذه الإمارات ، ولايكاد أن تعرف هذه الأسماء في هذا الزمن .

ب ـ نظام الحكم في الامارات

كان نظام الحكم في معظم الإمارات نظاما ملكيا ، غير أنه قد اختلف هذا النظام تبعا لاختلاف الامارات ، فبعضها محكومة بنظام الملكية المطلقة كامارة " مجدا " (Magada) في عهد الملك" بمبيسارا" (Phimbisara) وامارة " كوسالا " (Kosala) في عهد الملك " باسين تي " (Basinti) وبعضها الآخر محكومة بنظام " الملكية الديمقراطية " كامارة " ساكا " (Sagka) و " لوكيا " (Lokiya) و " واتشي " (Watshe) و " مالا " (Malla) وغير ذلك . (٢)

فكل امارة لها ملك يتزعم إمارته بالوراثة . وله ألقاب مختلفة، تختلف هذه الألقاب باختلاف نظام الحكم في إمارته .

وقد ذكر كتاب " ترى بيتاكا " (٣) عدة ألقاب للملوك في ذلك الوقت بعضهم تلقّب بـ " مهاراجا "(Maha Rasha) أي الملك العظيم كالملك " آجاتسترو " (Ashatsatru) وبعضهم تلقّب بـ " راجا " (Rasha)

---

(١) قصة بوذا ١/ ٢٩

(٢) تاريخ الديانة البوذية ٣ ، ٤

(٣) سوتان ٦٢٧

فقط أي الملك ، كراجا " بمبيسار " ملك إمارة مجدا وراجا " باسين تي " ملك امارة كوسالا .

ويوجد بعض الملوك لم يلقّبوا بشيء ، وذكرت أسماؤهم مجرّدة كالملوك في امارة " واتشي " (Watshe) و" مالا " (Malla) ان هذا الاختلاف في الألقاب يدلّ على تفاوتهم في مدى القوة والسلطان ، كما يدلّ على اختلاف نظامهم في الحكم . فكلمة " مهاراجا " و " راجا " تستعمل لقبا للملك الذي له قوة مستبدّة في شئون الحكم كلّها . ولا شأن لأحد غيره معه ، وهذا النظام هو مايطلق عليه بالملكية المطلقة "Absolute Monarchy" غير أن هناك فرقا بين كلمة " مهاراجا" و " راجا " ، فكلمة " مهارجا " مخصوصة باللملك الحاكم على الإمارة العظيمة التي ضمّت المدن والدويلات إليها ، وهي ذات قوة واسعة ، واشتهر هذا الملك صيته بين الناس في جميع شبه القارة الهندية (١) وذلك مثل مهاراجا " أشوكا " (Ashoka) مبشّر الديانة البوذية في العالم الذي أنشأ أمبراطورية عظيمة في العالم فيما بين (٢٧٣ – ٢٣٢ ق م) (٢)

هذا بخلاف كلمة " راجا " فإنها أقل درجة من " مهاراجا " كراجا " بمبيسارا " ملك إمارة مجدا . أما بعض الامارات التي ليس لملوكها هذه الألقاب كامارة " واتشي " و " مالا " و" ساكيا"

---

(١) قصة بوذا ١/ ٢٧

(٢) قارن الهند القديمة ١٧١ .

فنظام الحكم فيها شبيه بنظام الديمقراطي في مصطلحنا الحديث (١) حيث منح الشعب فيها ـ على الرغم من وجود نظام الوراثي لتولي الزعامة ـ حرية تامة للتعبير عن حاجاتهم . وكان عندهم مجلس الشعب أومجلس الشورى ، (٢) يتشاورون فيما بينهم ، في الأمور السياسية والاجتماعية . (٣)

ويبدو أن الهنود عموما في هذه الإمارات قد تمتّعوا بقدر كبير من الحرية في ظل الأسرات الحاكمة الملكية ، فالملكية عندهم ينبغي أن تكون قوية الشكيمة في حياد ، وأن ترعى مصالح الناس رعاية الوالد لولده .

ج ـ التعريف ببعض الامارات والمدن المتعلّقة بقصة بوذا

---

١) " مجدا " (Magada)

تقع هذه الامارة في ولاية " بيهار " (Bhihar) الجنوبية (٤) وكانت عاصمتها مدينة " راجا فريها " (Rajakareha) وهي المدينة الأولى التي تأسّست فيها الديانة البوذية (٥)

وإمارة " مجدا " من أعظم الامارات شانا ، وأكبرها أهمية في تاريخ البوذية ، ولكنّا مع الأسف لا نعرف شيئا عن بدء ظهور هذه الامارة

---

(١) تاريخ البوذية الجديد ٢

(٢) وأطلقوا على هذا المجلس بلغتهم " سانتاخار " (Santakar)

(٣) تاريخ الديانة البوذية ٧

(٤) أنظر خريطة الهند القديمة صفحة ٦٠ .

(٥) مجموعة المصطلحات البوذية ٥٢٥

بل كل ما نعرفه عنها يعود الى أميرها الخامس " بمبيسارا " في عهد بوذا في القرن السادس قبل الميلاد .

وقد ذكرت المراجع البوذية أن هذا الأمير هو الذي بنى عاصمة جديدة " راجا غريها " ، واشتهرت في تقدّمها وازدهارها حتى تعدّ مدينة من المدن التي فضّلها " آناندا " (Ananda) احد أصحاب بوذا ، وطلب منه أن يمكث فيها في آخر حياته ، وأن يموت فيها.(١)

وتقول الروايات ان الأمير " بمبيسارا " قتل بيد ابنه ويدعى " أجاتسترو "(Ashat satru)وبمقتله أثار حربا بين إمارتي " مجدا" و " كوسالا " حتى ان هذه الحرب قد قضت على امارة " كوسالا " وأصبحت " مجدا " بضمّ امارة " كوسالا " اليها أقوى إمارة عرفت في تاريخ الهند القديم . (٢)

٢) كاسي (Kasi)

وقعت هذه الإمارة في الجنوب من ولاية " أتاربرادیش(Uttar Pradesh) المتاخمة لولاية " بيهار " (Bhihar) ، وفي الغرب من امارة " مجدا " وكانت عاصمتها مدينة " بنارس " (Banares) ويطلق عليها أيضا " واراناسي " (Varanasi) .وفي عهد بوذا كانت مستعمرة لا مارة " كوسالا " (٣)

==========

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٢٨

(٢) قصة بوذا ١/ ٣٠ وانظر أيضا تاريخ شبه الجزيرة الهندية القباكستانية ، احسان حقي ص ١٩

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٢

وقد ألقى أوّل وعظه في هذه المدينة ،ومن هنا نالت هذه المدينة مكانة التبجيل والتقديس لدى البوذيين ، وكذلك لدى الهندوس ، ومما زاد من قدسيتها لدى الهندوس أن نهر " جنجا " (Ganga) يجري وسط هذه المدينة (١) ، وأصبحت هذه المدينة حتى الآن أكبر المراكز الدينية للهندوس والبوذيين ، حيث يتوجّهون إليها لأداء شعائر الحج وفق تقاليدهم .

٣) " كوسالا " (Kosala)

وقعت " كوسالا " في ولاية " أتاربرادیش " فوق إمارة " كاسي " الى جبال " همالايا " أو بين جزء الوسط من نهر " جنجا " وبين جبال " همالايا ".وهي الآن جزء من نيبال (Nepal) وجزء من " أتاربرادیش" في الهند . (٢)

وتعد " كوسالا " من أكبر الإمارات في ذلك العصر ،لضمّ امارتي " كاسي " و " ساكا " اليها

ومن أهم المدن في هذه الامارة مدينة " ساوتدي " (Sawatdhi) وهي العاصمة للامارة ، وقد تجوّل فيها بوذا لنشر تعاليمه مدة طويلة ويروي كتاب " ترى بيتاكا " (٣) أن " ساوتدي " من إحدى المدن التي اقترح عليه تلميذه " آناندا " (Ananda) أن يلقي

---

(١) المصدر السابق ١ / ٣١

(٢) المصدر السابق

(٣) سوتان ٣٢٨

آخر حياته فيها . لأنها أشهر المدن تقدما في ذلك الوقت . ورفضه بوذا ، واستمر في تجوّله حتى توفّي في مدينة قريبة منها ، يقال لها " كوسينارا " (Kusinara) (١) وهي المعروفة الآن بمدينة " كاسي " (Kasia) (٢)

٤) " ساكا " (Sagka) مسقط رأس بوذا

وتقع الآن في الشمال من ولاية "جوراك فورا "(Gurakhapure) على الحدّة الشمالية من نهر " رابتي " (Rapti) في حدود نيبال (Nepal) وكانت في القديم إمارة صغيرة وقعت في ولاية بيهار (Bhihar) وسميت " ساكا " لانها بنيت أصلا في دوحة " ساكا " وهي نوع من الشجرة المعروفة في الهند (٣)

وكانت " ساكا " إمارة مستقلة ، ثم استعمرتها امارة " كوسالا" وبقيت على هذه الحالة الى عهد بوذا (٤)

وتحدثنا الروايات البوذية ان " ساكا " انقسمت الى عدة مدن أشهرها مدينة " كابيل فاستور " (Kapila Vastu) موطن قبيلة " ساكيا " (Sakya) التي انتسب اليها بوذا ، وكان أبوه " شددودانا " (Suddho dhana) ملكا لهذه المدينة

---

(١) انظر الخريطة صفحة ٦٠ وأيضا ١١٩ .

(٢) مجموعة المصطلحات البوذية ٤٣

(٣) المصدر السابق ٦١٩

(٤) تاريخ بوذا الجديد ٣

وقد سمّيت " بكابيل فاستو " لأنها بنيت في مكان لناسك معـــروف اسمه " كابيل " (Kapil) (١) فسميت " كابيل فاستو " أي أرض كابيل وفي هذه المدينة نشأ بوذا كما ستأتي قصته .

وهناك مدينة أخرى قريبة منها يقال لها " غيا " (Gaya) أو " بودهغيا " (Buddhgaya) ، وهي مدينة هامّة أيضا في تاريخ البوذية ، حيث زعم بوذا أنه حصل على الاشراق والعرفان في هـذه المدينة ، ومنها نشر تعاليمه الدينية والاجتماعية .

وهناك مدينة ثالثة يقال لها " ديفاداها " (Dhewa Dhaha) ، وهـي موطن لقبيلة " كوليا " ، وكان بين هذه القبيلة وقبيلة " ساكيـا " (Sakya) علاقة قوية منذ زمن بعيد ، وقد تزوّج بوذا بنت رئيس هذه القبيلة . (٢)

---

(١) تاريخ بوذا الجديد ٤

وهذه المدينة أصبحت الآن جزءا من نيبال حيث تبعد عـــن حدود الهند بحوالي خمسين كيلو مترا (مجموعة المصطلحـــات البوذية ٧)

(٢) تاريخ الديانة البوذية ١٤ .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية في عصر بوذا

كانت الحالة الاجتماعية في عصر بوذا تقوم على أساس الطبقات تبعا للفكرة الهندوسية التي سادت الهنود في ذلك الوقت ، فالناس في نظر الديانة الهندوسية ليسوا سواء ، لامن حيث العبادة والدين ولا من حيث الطبقات والاعمال ، ومايمتهنون من مهن . ولذلك قسم الناس الى أربع طبقات

١) طبقة البراهمة (Brahmans)

٢) طبقة الكشتريا (Kshatriyas)

٣) طبقة الويشيا (Vaisyas)

٤) طبقة الشودرا (Sudra)

أما طبقة البراهمة . فهم طبقة رجال الدين ، أو الكهنة . ويعتقدون بسموّ طبقتهم على سائر الطبقات ، فيقتصر نشاطهم على أعمال من شأنها أن ترفع من شأن طبقتهم ، فنشاطهم محصور في تقديم القرابين ، ودراسة الكتب المقدسة ، وتلقي الهدايا ، والزهد ، والتقشف وأما طبقة الكشتريا . فهم طبقة المحاربين ، والحكام ، ورجال الادارة . ويدّعون أيضا بأن طبقتهم أعلى من الطبقات الباقية . أما طبقة الويشيا وهم الزرّاع ، والتجّار . وطبقة الشودرا وهم الخدم ، والعبيد ، فهم يعترفون بأحوالهم من الدنوّ والذلّة . فلا يختلطون بطبقة أعلى منهم وهناك دون هذه الطبقات الأربع طبقات المحرومين ، وأبناء الزنى ، والذين يتناولون أعمال القذرة في المدن وتسمّى طبقة المنبوذين

وكان كل طبقة من هذه الطبقات لها مجتمع خاص بها ، تعيش في إطار جماعتها ، بحيث يتمّ الزواج ، والتناسل ، والحفلات في نفس الاطار الطبقي ،وان طبقة الفرد ميراث من الأجيال السابقة ،وعليه أن يقبل وضعه الحالي طائعا مختارا ، فالزرّاع لا يصح أن يكونوا من التجّار والجند لا يرتقون الى درجة الكهنة . وهكذا ولايتزاوج أفراد الطبقة منها من أفراد الطبقة الأخرى ، ولاتضمّهم كذلك مائدة طعام واحد وكل طبقة تحتقر الطبقة التي تحتها ، وخاصة طبقة الشودرا ، والمنبوذين وهم من السكّان الأصليين ،فانهم محرومون من جميع السعادة والنعيم والحرية في الحياة . (١)

وقد أثبتت الشريعة الهندوسية المتمثلة في قوانين " مانو " (٢) قوانين ثابتة لهذه الطبقات ،ووظائفها ، وأعمالها بحيث من المستحيل الخروج من هذه القوانين ، فأثبتت أن هذه الطبقات خلقت كلّ من جزء معيّن من الإله " براهما " (Brahma) . فالبراهمة خلقوا

---

(١) انظر قصة بوذا ١/ ٣ – ٥ وانظر من المراجع العربية كتاب البيروني في تحقيق ماللهند ٧٥ – ٧٩ وقصة الحضارة ٣/ ١٦٥ – ١٧٠ ، والهند القديمة ١٠٠ – ١٠٤ والهند عقائدها وأساطيرها ٣٧ – ٤٦ وأديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي ٥٤ – ٦١

(٢) وهو الكتاب المقدس عند الهندوس ،يحتوي على الشرائع التي تتبعها الطوائف الهندوسية ، وهو مؤلّف من ٢٦٨٥ بيتا من الشعر ، كانوا يرجعونه الى سنة ١٢٠٠ ق م وهذا التشريع يحدّد قواعد السلوك للمجتمع الهندوسي كله . وقد ترجمه الى العربية احسان حقي ونشره دار اليقظة العربية .

من وجهه ، والكشتريا من ذراعيه ،والويشيا من فخذيه ، والشودر من قدميه (١)

وفرضت على كل منهم واجبات واعمالا معيّنة ، فعلى البراهمة أن يشتغل بالتعلّم والتعليم ، وعلى الكشتريا ان يقدّم القرابين ، ويحمل السلاح للدفاع عن الوطن ،وعلى الويشيا أن يزرع ، ويتّجر ، وينفق على المعاهد العلمية والدينية ، أما الشودر فعليه أن يخدم هذه الفرق الثلاث (٢) .

وفي اعتقادهم أن هذه الطبقات كلّها ، ظهرت من جزاء أعمالهم في الحياة الأولى ، ونتيجة لها . وان من أدّى الواجبات التي تفرضها عليه طبقته باخلاص وأمانة ، فقد ضمن أن يرتقي الى طبقة أعلى عندما يبعث من جديد حسب عقيدتهم في " التناسخ " (٣)

وهكذا الحالة الاجتماعية التي سادت المجتمع الهندي في ذلك الوقت. وفي هذا الجوّ الظالم نشأ بوذا ، وكان من طبقة " الكشتريا " (٤) ، وقام بدعوته الى المساواة ، وإلغاء الطبقات ، فاستجاب له كثير من الناس. وخاصة الذين يعانون شدة هذا النظام الطبقي العنصري ، من طبقة الشودر ، والمنبوذين . وتعتبر هذه الدعوة ثورة على المجتمع الآري وعلى الخصوص طبقة البراهمة . لفقدهم النفوذ التي كانوا يتمتّعون بها .

==========

(١) انظرمنوسمرتي فقرة ١١ من الباب الأول

(٢) انظر المصدر السابق فقرة ٨٨ – ٩١ من الباب الأول

(٣) الفلسفة الهندية ٦٢

(٤) تروي بعض الروايات ان البراهمة في عصر بوذا – على الرغم من اعتقادهم بأنهم فوق جميع البشرية لما كانوا يتمتّعون به من السلطان والحقوق والاحترام – قد أصابهم بعض الضعف فان طبقة " الكشتريا " التي كان بوذا منها هي التي لها السلطان على الميدان الفكري والسياسي في البلاد. قصة بوذا ١/ ٦.

الفصل الثانى: عناصر الديانات الهندية في عصر بوذا

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة

المبحث الثانى: عبادة الآلهة من الحيونات وأرواح الاجداد

المبحث الثالث: الاعتماد على التأمل الذاتى والرياضة النفسية

الفصل الثاني : عناصر الديانة الهندية في عصر بوذا

اشتهرت الهند بكثرة المذاهب والمعتقدات الدينية منذ العهد القديم، وكانت الهندوسية هي الديانة التي تمثّلت فيها هذه المذاهب والمعتقدات . وفي عصر بوذا كانت هذه الديانة هي التي يعتنقها أغلبية سكان الهند . (١)

والهندوسية نسبة الى الهند لأنها ديانة محلّية قومية تشمل تقاليد الهند ، وعاداتهم ، وأخلاقهم ، وصور حياتهم . وأطلق عليها أيضا البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد ، نسبة الى إلهها براهما (Brahma). ومن براهما اشتقّت كلمة " البراهمة". وهي تعني طبقة رجال الدين أو الكهنة الذين يستمتعون بجميع الحقوق الدينية .(٢)

والهندوسية ديانة قديمة جدا لايعرف بالتحديد تاريخ نشأتها . وعلى مايقول مؤرخو الأديان إنها نشأت نتيجة امتزاج بين عدد من المعتقدات المختلفة ، وبالتحديد بين معتقدات الآريين الغزاة وبين معتقدات الهنود الأصليين التي كانت سائدة في وادي اندوس (Indus)(٣) وهي تحتوي على كثير من المعتقدات ، أهمّها عقيدة " كارما "(Karma)

---

(١) ومازالت هذه الديانة تسود الهند الى الآن حيث يعتنقها أكثر من ٠/٠٨٥ من الهنود .

(٢) Introduction to indian philosophy P.P I4, I5
وقارن أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ٣٩ .

(٣) Ibid P.I6

أو قانون الجزاء ، وتناسخ الأرواح ، ووحدة الوجود ، و " موكشـــا" (Moksha) ،أي التحرر والانطلاق ،(١) كما تحتوي على عناصر مـــن الآلهة والعبادات ،وقد لخّصت هذه العناصر الموجودة في عصر بوذا في ثلاثة كما يلي :

(١) عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة .

(٢) عبادة الآلهة من الحيوانات وأرواح الأجداد .

(٣) الاعتماد على التأمل الذاتي والرياضة النفسية .

وسأتكلم عن كل واحدة منها بشيء من التفصيل .

المبحث الأول : عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة

اشتملت الديانة الهندوسية على أنواع كثيرة من الآلهة ، فهيهـــا آلهة تمثّل مظاهر الطبيعة كالله السماء ، وإله البرق ،وإله النار وإله الريح ، وإله السحاب ،وماشابه ذلك ،فلكل قوة طبيعيـــة تنفعهم أو تضرّهم إله يعبدونه ويستغيثون به في الشدائـــد .(٢) وكانت المظاهر الكونية الجميلة ، والمناظر العظيمة في الهند ، من الجبال والأنهار وغيرها ، باعثة لايقاظ الديني فيهم وجها لوجه ، فولدت فـــي أنفسهم الشعور بالصغر والضعف تجاهها . وهي محيطة بهم ومسيطـرة

(١) سيأتي تعريف هذه المصطلحات فيما بعد ان شاء الله .

(٢) قصة بوذا ٥٨/١ وانظر تفصيل هذا الموضوع في المراجع العربية مثل الفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب ٩٣ ،٩٤ وأديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ٣٣ والفلسفات الهندية للدكتور علي زيعـــور ١٠٧ – ١٠٩ وأيضا قصة الحضارة لول ديورانت ٣/ ٣١ ،٣٢ .

على مشاعرهم فخضعوا لها إعجابا بدورها الخالد في حياتهم، وتقديرا لخدماتها العظيمة من أجل سعادتهم ومكاسبهم .

وكان الكثيرون من الهنود في ذلك الوقت يعتقدون أن لهذه المظاهر أرواحا كما أن لهم أروحا . ويعتقدون أن هذه الأرواح قوى مختفية وراء المظاهر ، وأنها تستطيع أن تضرّهم أو تنفعهم .

وعلى هذا كانوا يتقربون اليها بأنواع من العبادة والقرابين . (١)

ولاتزال هذه المعتقدات الخرافية موجودة في كثير من الهندوس والبوذيين وأمثالهم .

المبحث الثاني : عبادة الآلهة من الحيوانات وأرواح الأجداد

وبالاضافة الى عبادتهم لقوى الطبيعة فقد عبد الهندوس كثيرا من الحيوانات ، وأضفوا عليها صفات الآلهة ، ولم يروا فارقا بين روح الانسان وروح الحيوان ، لأن جميع الأرواح في اعتقادهم تمضي دواما ، متنقلة من بني الإنسان الى بني الحيوان ، ثم تعود الى بني الانسان مرة أخرى تبعا لقانون كارما والتناسخ .(٢) وهكذا حتى تصل الروح وتتحد بالاله " براماتما " (Barmatma) الذي هو مصدر الأرواح في زعمهم (٣) .

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) الكارما ، في اللغة السنكريتية تعني العمل، والهندوس يرون ان جميع أعمال البشر خيرا كانت أو شرا لابد من أن يجازى عليها بالثواب أو بالعقاب، ويكون الجزاء في هذه الحياة . أما التناسخ فهو القول بأن الروح بعد مفارقتها الجسد ترجع الى العالم الأرضي ، حيث تتقمّص جسدا آخر لتشاب في الأرض أو تعاقب حسب ما قدّمت من عمل في دورتها السابقة . وسيأتي تفصيل هذا الموضوع في مكانه ان شاء الله .

(٣) الفلسفة الهندية ٥٨ .

وقد جعل الهندوس الثعابين والأفاعي من أهمّ آلهتهم ؛ لأن هؤلاء ينحدرون من سلالة الأبطال.(١) وأكثر الحيوان قدسية لدى الهندوس هي البقرة، ولاتزال حتى الآن تحتفظ بهذه القدسية.(٢) .

وبجانب هذه الآلهة من الحيوانات، كان بعض الهندوس يقدّسون أرواح أجدادهم، لاعتقادهم بخلود الروح، وانها تحتاج كما يحتاج الانسان الحي . فيقدّمون اليها القرابين من الطعام والشراب، ويتضرّعون اليها عند الشدائد . (٣)

وهكذا كثرت الآلهة عندهم كثرة زائدة ، وكانوا ينحتون التماثيل في أشكال مختلفة رمزا لتلك الآلهة ، ويقدّمون صلواتهم ومناجاتهم بين يدي هذه التماثيل .

ومما يجب أن أشير اليه في هذا الصدد، أن الهندوس في وسط هذا التعدد من الآلهة يتّجهون الى فكرة الاتحاد،(٤) أي الاتحاد بين الآلهة الكثيرة وجمعها في إله واحد ، وقد أطلقوا على هذا الإله

==========

(١) الهند القديمة ٩٨

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى ٢٩ ـ ٣٣ .

(٣) قصة بوذا ١ / ٦٠

(٤) وليس التوحيد كما يزعم بعض الباحثين ؛ لأن التوحيد الكامل هو التوحيد في العبادة والخلق والاعتقاد ؛ فلا يصحّ اطلاقا ان نفهم أن الهندوس يعتقدون بهذا التوحيد، وعلى أي حال يمكننا القول بأن أصل هذه الفكرة هو التوحيد نقله الآريون المهاجرون من منطقة الشرق الأوسط التي كانوا يمرّون بها . وقد ظهرت دعوة ابراهيم عليه السلام في هذه المناطق فيما بين ١٨٦١ ـ ١٦٨٦ ق م تقريبا فلعلّهم تأثّروا من هذه الدعوة ثم لما دخلوا الهند مزجوا هذه الفكرة على مر الأيام بعقائد الهنود الأصليين .

ثلاثة أسماء على حسب فعله في الوجود فهو " براهما " (Brahma) من حيث هو موجد . وهو " فشنو " (Vishnu) من حيث هو محافظ وهو " سيفا " (Siva) من حيث هو مهلك . (١)

وتعتبر هذه الثلاثة أقانيما لإله واحد ويسمونه " براماتما " (Barmatma) أو " مها براهما " (Maha Brahma) أو " برميشور" (Permeshwar) وفي اعتقادهم أنه مصدر جميع الكائنات ، وروح جميع المخلوقات الحية من آدميين وحيوانات ، وأنه موصوف بكل صفة كمالية لا يدركه العقل ، وأنه موجود في كل كائن وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه (٢) فالواجب على الانسان هو أن يتمكّنوا من الاتصال بالاله " براماتما " (Barmatma) ، واندماج حياتهم الداخلية فيه تخلّصا من تكرار المولد (٣) .

المبحث الثالث : الاعتماد على التأمل الذاتي والرياضة النفسية

أشرت فيما سبق الى أن الهندوس يعتقدون بأن " براماتما " مصدر الكائنات وجوهر الوجود وأن الهدف الأسمى للحياة الهندوسية هو الاتحاد به . والطريق المعروف عندهم لتحقيق هذا الهدف هو التزهّد والتنسّك (٤) في الغابات ، والكهوف ، والجبال ، والتأمل في أسرار الكون وخفايا الوجود.

---

(١) الفلسفة الهندية ٥٩

(٢) وهذا هو مايعبّر عنه بنظرية وحدة الوجود التي تسربت في بعض المتصوفين في الاسلام .

(٣) مقارنة الأديان ١/ ٥٨ ، ٥٩

(٤) Introduction to indian philosophy P. 40

ويبدو أن هذا الطريق موافق لطبيعة الهنود في ذلك الوقت ، ومافطروا عليه من روحانية وميل شديد الى العزلة والتأمل .

فقد رويت لنا روايات كثيرة تفيد انتشار المذاهب والمدارس الأخلاقية انتشارا واسعا قبيل عصر بوذا ، لكل منها طريق خاص في التنسك والتأمل .

والطريقة المشهورة التي ازدهرت في عصر بوذا وتأثر منها طريقتان : اليوجية (Yogism) و " الجينية " (Jainism)

أ - اليوجية (Yogism)

"اليوجية " نسبة الى " يوجا " (Yoga) ومعناها فعل الربط ، والسيطرة ، والتحكم . وهي فلسفة دينية هندية ظهرت خلال عام ٨٠٠ ق م تقريبا ولم يعرف بالتحديد أول من أسّسها (١) ويقال إنها نتاج فكري جماعي بين كثير من النساك المتقدمين في البرهمية ، والهدف من اليوجية تحرير النفس من شهوات الجسد ، عن طريق الممارسات والتدريبات الروحية والجسدية . ويوصل هذا الهدف الى الاتصال والوحدة مع الاله كما يزعمون .

واليوجية لا تؤمن أساسا بالعلم والمعرفة ولا تعني بالحصول على نصيب منهما وانما تعني فقط بالعمل والممارسة . فتعاليمها كلها عملية

==========

(١) تنسب التعاليم والتآليف الباحثة في يوجا الى الحكيم باتنجالي (Patanjali) فيما بين (١٠٠ - ٣٠٠ ق م) ولكن أصلها أقدم من هذا بكثير فقد ظهرت اليوجية لأول مرة كعلم قائم بذاته في بعض "الاوبانيشاد " (Upanishads) الأقدم ، إحدى الكتب المقدسة لدى الهندوس حوالي القرن الثامن قبل الميلاد . وقد =

تتعلق برياضة النفس على الزهادة ، والتحرر من قيود الشهوات ، ومحاولة انقاذ الروح من سلطان البدن ، أو بتعبير آخر ازاحة كل العوائق المادية من الروح • (١)

وللبوجية ثماني وسائل أو مراحل يجب على الممارس اجتيازها ، مرحلة مرحلة ، حتى يصل الى مرحلة التنوير الأعلى ، أو الحقيقة العليا على حد تعبيرهم •

وهذه المراحل هي :

١ ـ " ياما " (Yama) وهي الاتّباع للوصايا اليوجية الخمس وهي : لا تؤذ ، لا تكذب ، لا تسرق ، لا تشته ، لا تدّخر •

٢ ـ " نياما " (Niyama) وهي المحافظة على الفضائل الخمس : النظافة ، والقناعة ، والتقشف ، وحفظ النصوص المقدّسة وتلاوتها والتقوى والتضحية •

٣ ـ آسنا " (Asana) وتعني التحكّم في الأوضاع الجسدية المعيّنة والغرض منه إبقاء كل إحساس •

٤ ـ " برانايامًا " (Paranayama) وتعني تنظيم التنفّس والتحكّم في الشهيق ، ثم إبقاء النفَس ، ثم الزفير ، وهذه الرياضة تعين صاحبها على نسيان كل شيء ماعدا حركة التنفّس •

٥ ـ " براتياهارا " (Paratyahara) وتعني التحكّم في النشاطات

---

(١) أرجع بعض الباحثين الى أقدم من ذلك . انظر الفلسفة الهندية ٧٩، ٨٠ الفلسفة الهندية ٤٦٧ والمذاهب الهندية الستة ٣٦، ٣٧ •

الحواسية والحركية ، وهي مرحلة سيطرة النفس على جميع الحواس .

٦ - " تارانا " (Tharana) وهي مرحلة تركيز الانتباه والتأمّل أي تركيز النفس على شيء معين كجزء خاص من الجسد ، أو الضوء ، أو الألوان ، أو ماشابه ذلك الى أن يصبح جميع الاشياء حوله قد اختفت وأنه لا يعي سوى ذلك الشيء الذي اختاره .

٧ - "داهيانا " (Dhayana) وتعني ممارسة التأمل بشكله أمثل وهي حالة تنتج عن المرحلة السابقة ، ولكنّها أدقّ وأعمق .

٨ - مرحلة التنوير الأعلى لتجارب اليوجا ، وهي فصل النفس عن الجسم فصلا تاما (١) وقسمت اليوجية حياة الانسان الى أربع مراحل : الطفولة ، والشباب ، والكهولة ، والشيخوخة ، وحينما ينتهي الانسان الى مرحلة الكهولة تبدأ حياته بالتنسّك . فيغادر بيته وأهله ، ويتخلّى عن ممتلكاته متوجها الى غابة ، ويمتنع عن جميع الشهوات واللذات كليّة . ولا يكون همّه الا التحرير من القيود الجسمانية والوصول الى التنوير الأعلى في زعمهم . (٢)

==========

(١) المذاهب الهندية الستة ٣٩ - ٤٢ وأيضا

Introduction to indian philosophy P.471-474

ولمزيد من التفاصيل راجع الكتب العربية التالية : قصة الحضارة ٣/ ٢٦٠ - ٢٦٧ والفلسفات الهندية ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، والهند القديمة ١٠٨ - ١١٠ الهند تاريخها وتقاليدها ٥٣ والهند عقائدها وأساطيرها ٦٦

(٢) المصدر السابق وقارن الهند القديمة ١٠٩

والجدير بالذكر إن التعاليم اليوجية لم تكن الآن مقصورة على العقيدة الهندوسية ، وإنما يدرسها ويمارسها كثير من البشر من مختلف الأديان والأماكن وقد انتشرت الآن في كثير من البلاد =

ب ـ الجينية (Jainism)

أسّس هذا المذهب رجل يدّعى " فاردامانا " (Pardhamana) عاش في فترة (٦٣٥ ـ ٥٦٣ ق م) من طبقة الكشتريا (Kshatriya) ومن أسرة نبيلة من مدينة "فيسالي" (Vesali) بالشمال الشرقي من الهند . وكان معاصرا لبوذا ، غير أنه أسنّ منه بقليل ،ولقّب بـ " مهافيرا " (Maha Vira) أي البطل الكبير كما لقّب أيضا " جينا " (Jaina) أي الغالب والمنتصر على الشهوات ، والى هذا اللقب انتسبت مدرسته فأصبحت تدّعى بالمدرسة الجينية ، وادّعى أنه ليس جينا الأول بل سبقه ثلاث وعشرون جينا وأنه آخرهم . (١)

وقد مارس ، مهافيرا " العديد من الرياضات الروحية المعروفة في الهند وبقي في عزلة مدة ١٢ سنة ، يبحث عن النجاة ، والتحرر من التناسخ . وفي الثانية والأربعين من عمره دعا قومه للديانة الجديدة "الجينية" ومن أهمّ ما يدعو اليه :

١ ـ الالحاد فلم يعترف بالآلهة في البرهمية ، وقرّر أنه لا يوجد

= الاسلامية وغيرها كتجربة جسمانية ونفسانية معا . ولقد أعجب بها الأوربيون ، ويميلون اليها ميلا شديدا ، فينشرون الكتب والمجلات ويفتحون النوادي في البلدان الكثيرة لترويج هذه التجربة .

(١) المصدر السابق ١٣٦ ، ١٣٧

ومن المؤلفات العربية التي تحدثت عن هذه الفرقة . أديان الهند الكبرى ١٠٩ ـ ١٢٩ والديانات والعقائد في مختلف العصور لأحمد عبد الغفور عطار ١/ ١٠٦ ـ ١١٦ ، والانسان في ظل الأديان للدكتور عمارة نجيب ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، والفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب ١١٥ ـ ١٢٠ ، والهند القديمة ١٤٢ ـ ١٤٥ ، وقصة الحضارة ٣/ ٥٨ ـ ٦٢ والهند عقائدها وأساطيرها ١٣٩ ـ ١٤٨ .

خالق أعظم للكون . (١)

٢ - إلغاء نظام الطبقات ،والتحرّر من سلطان الكتب الفيدية المقدّسة لدى البرهميّين. ومن هنا تعتبر الجينية حركة مضادّة للبرهمية ومقاومة لطغيان البراهمة وجبروتهم .

٣ - تحريم اللحوم مهما كان نوعها ، والامتناع عن قتل أو ايذاء كل كائن حي مهما كان نوعه ، ويسمّون هذا المبدأ " أهنسا " (Ahinsa) أي عدم الأذية ، وقد بلغت شدّتهم في المحافظة على هذا المبدأ الى حد أنهم لا يشربون الحليب ،ولا يغلون الماء حتى لا يقتلوا مافيه من كائنات ،ولا يهتمّون بالزراعة لنفس السبب ،ويضعون على وجوههم نقابا حتى لا يبتلعوا كائنا حيا ، وهكذا (٢)

٤ - الاعتقاد بكارما (Karma) والتناسخ ،والاعتقاد بأنّ الخلاص النهائي هو التحرّر من عجلة التناسخ .

وهنا فرضت الجينية رياضات ،وتدريبات جسمانية ، وروحية قاسية صارمة على أتباعها . وقد أدّت هذه الرياضات القاسية الى إباحة العري وإباحة الانتحار ويعتبرون ذلك غاية مثلى تظفر بها الروح . (٣)

==========

(١)ومالبث الجينيون أن جعلوه الها بعد وفاته ،كما جعلوا من سيرته من جينا وعددهم أربعة وعشرون الها لهم ،والمعبد الجيني يضمّ تمثالا لإله من أربعة وعشرين إلها .

(٢) والجينيون يشكّلون الآن حوالي مليون نسمة من سكان الهند ، ومعظمهم من كبار أصحاب الأموال ، ويمتنعون عن ممارسة جميع المهن التي تؤدي الى تربية الحيوانات وبيعها وذبحها .

(٣) صفحات متفرّقة من كتاب الفلسفة الهندية ، والمذاهب الهندية الستة ، وأيضا قصة الحضارة .

والجينية تشترك مع اليوجية في فلسفتها من الحياة ، فكل منهما يرى أن حياة الدنيا ألم وتعاسة ، وأن النجاة منها هي غاية للحياة ، وتشتركان أيضا في الوسائل الى النجاة ، غير أن اليوجية تميل أكثر الى التأمل الذاتي ، أما الجينية فإنها تميل الى تعذيب الأبدان ، وتروي النصوص البوذية في " ترى بيتاكا " (١) أن بوذا في خلال تجاربه قد لجأ الى وسائل الجينية للوصول الى الخلاص ، كما لجأ قبل ذلك الى وسائل اليوجية حتى بلغ أعلى مرحلة من مراحلها ، غير أنه لم يقتنع بهاتين الطريقتين ، ولم يرأنهما طريق للخلاص الحقيقي ، فلجأ الى طريقته الخاصة التي سماها طريق الوسط ـ كما سنرى ـ ، وقام بنشرها بين الناس ، حتى أصبحت فيما بعد ديانة كبيرة يعتنقها ملايين من سكان العالم .

وقد رأى بعض الباحثين (٢) ان الديانة الهندية حتى الى ظهور بوذا قد مرت بها أدوار ثلاثة .

الأول : دور التوحيد الخالص وهو دين قدماء الهنود الذين انحدروا من الأصل السامي (نسبة الى سام بن نوح معلّمهم ومرشدهم وراثة من أبيه) .

الثاني : دور الكهنة البرهميين والرموز الطقسية ، وفيه نشأ الثالوث الهندي براهما ، وفشنو ، وسيفا . وذلك بعد انقضاء أزمنة طويلة على الدور الأول ، ويعتبر هذا الدور دور التعدّد والوثنية ، لما فيه من كثرة الآلهة

---

(١) سوتان ٤٥١ ، ٤٥٢

(٢) انظر الدين المقارن لمحمود أبو الشيخ المنوفي الحسيني ٥١ .

وكثرة الخرافات والأساطير .

الثالث : دور الالحاد الخالص وفي هذا الدور ظهرت الجينية ثم البوذية التي نحن بصددها في هذا البحث .

الباب الأول

بوذا ومذهب البوذية

ويشمل خمسة فصول :

الفصل الاول : بيت بوذا وحياته

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الاول : نسبه وولادته

المبحث الثانى : نشأته واتجاهه

المبحث الثالث : حياته التقشفية

المبحث الرابع : استنارته المزعومة

المبحث الخامس : وفاته

الباب الأول : بوذا ومذهبه البوذية

الفصل الأول : بيئة بوذا وحياته (١)

المبحث الأول : نسبه وولادته

منذ ألفين وخمسمائة سنة تقريبا في الأرض التي تقع في شمال الشرقي من الهند على حدود تبت (Tibet) كانت هناك عدة امارات صغيرة لكل منها ملك يحكمها ويطلق عليه راجا (Raja) أو مها راجا (Maharaja) ومن بين هذه الامارات امارة يقال لها " ساكا " (saka) (٢) وعاصمتها مدينة " كابيلافاستو" (Kapilavastu) وهي موطن قبيلة " ساكيا " (Sakya) من عائلة آرية (Aryan) ومن طبقة الكشتريا (Kshatriyas) وهي جماعة القواد والعساكر ، وكان يحكم على هذه المدينة رجل من نبلاء هذه القبيلة ويدعى " سودودانا " (Suddhodhana) من أبناء عشيرة " جوتاما " (Gautama) ولذا يطلق عليه أحيانا " سودودانا جوتاما " . كان له فيها صياح فسيحة والصور شاهقة وجاه عريض ، وكان متزوجا من نبيلة اسمها " مايا" (Maya) وهي بنت ملك مدينة " ديفاداها "(٣) (Devadaha) وأنجب هذان

---

(١) اننا في حقيقة الأمر لا نعرف شيئا عن بوذا معرفة اليقين لأن قصته لا تتجاوز من كونها مجموعة من الأساطير القديمة يتوارث البوذيون بينهم خلفا عن سلف بدون سند أو شبه سند ، وكان معظمها أقاصيص خرافية لا تمت الى التاريخ الصحيح بصلة ، ولكن لم نعرف حياة هذا الرجل الشهير الا من هذه الأساطير ، فمن الضروري أن نرويها ونحكيها كما هي في كتبهم ، وكما يعتقد أهلها ، وليس ذلك لانها تاريخ نريد إثباته ، ولكنها جزء ضروري من تاريخ هذه الديانة وتصويرها .

(٢) مر تعريفها في صفحة ٦٨ . (٣) سبق تعريفها في صفحة ٦٩ .

الأبوان طفلا أطلق عليه " سدهـــارتا " (Siddhartha) واشتهر فيما بعد بلقب " بوذا " .

واختلف الباحثون حول تاريخ ميلاده ، ولكن آخر نتيجة وصلوا اليهـا في هذا الصدد هو أنه ولد في عام ٦٢٣ قبل ميلاد المسيح عليـه السلام . (١)

وتروي القصة البوذية انه عندما حملت الملكة " مايا " (maya) بوذا ، وقربت ولادته رغبت في الذهاب الى بيت أهلها بمدينـــة ديفاداها (Devadaha) جريا على عادة البرهميين ، حيث تفع المـــرأة حملها عند بيت أهلها لا عند بيت زوجها ، فوجهت رغبتها الى زوجها الملك سودوهاناSuddhodanaفوافق عليها وأرسلها الى بيت أهلهـــا في حاشية كبيرة (٢)

وكانت في الحدود بين البلدين حديقة كبيرة ذات أشجار جميلـــة يملكها أهل المدينتين جميعا يقال لها حديقة 'لومبيني' (Lumbini) وكانت الحديقة اذ ذاك كتلة واحدة من الزهور التي تغطي جميـــع الأشجار . فلما رأتها الملكة رغبت في أن تمرح في الحـديقـــة فذهبت الى مرحها بالأشجار والزهور . وفي خيمة من الأشجار داهمتها

==========

(١) هذا التحديد ذكره معظم الباحثين من علماء الأديان ، والبوذيـــون يقولون إن بوذا و' في سنة ٨٠ قبل التاريخ البوذي . وذلك لانهم يعدون بداية التاريخ البوذي من يوم وفاته ، وكان وفاته في سن الثمانين الموافق سنة ٥٤٣ ق م . والتاريخ البوذي الموافـق لعام ١٩٨٧ م هو ٢٥٣٠ على المشهور .

(٢) قصة بوذا ١ / ١٤ .

آلام المخاض فمدت يدها لغصن شجرة تستند عليه ، ووضعت وليدهـــا وهي واقفة مستندة على غصن شجرة . (١)

وهناك أساطير كثيرة في الكتب البوذية تروى حول الغرائب والعجائب التي حدثت عند ولادة بوذا منها :

١ ـ ان الملائكة في السماء احتفلت بولادته ، وسبحت بحمده قائلة : ولد اليوم بوذا على الأرض ليمنح السلام للناس وينقذ العالم . (٢)

٢ ـ حدثت تغيرات في أحوال الطبيعة حينذاك، فرحت الحيّات ، وانشـــدت العصافير ، وتلألأ النور في العالم ، وظهر نجم في السماء يبشر به ، ويقود من رآه الى مدينة "كابيلافستو" مكان مولـــده ليهنئه ويسجد له (٣) .

٣ ـ ان تجسّد بوذا كان بواسطة حلول روح القدس في رحم الملكة " مايا " التي لم يمسها أحد لأنها رأت في منامها أن الاله قد حلّ في أحشائها في شكل فيل أبيض كالفضة وفسره المنجّمون بأنه سيولد لها ابن يحكم الدنيا ؛ الا أنه سيتخلّى مـــن العرش ، ويتزهد ، وسيكون مخلصا البشرية . (٤)

---

(١) تاريخ الديانة البوذية ، وأيضا قصة بوذا ١/ ١٦ . ولقد بنى "اشوكا " (Ashoka) (٢٧٣ ـ ٢٣٢ ق م) أحد ملوك الهنـــد أسطوانة حجرية منقوشة في المكان الذي ولد فيه بوذا لتكون علامة على مولده ولا تزال موجودة حتى الآن في قرية (Padaria) في نيبال والبوذيون يتوافدون اليها ويقدسونها .

(٢) بوذية مهايان ١٥ ، وقصة بوذا ١/ ١٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ترى بيتاكا (سوتيان) ٣١٨ .

وغير هذا من الأشياء العجيبة التي رواها البوذيون في كتبهم وقد كثرت مثل هذه الروايات في كتب " مهايان " (Mahayan)(١) ومن الغريب أن بعض هذه الروايات الأسطورية تشبه ماروواه المسيحيون في أناجيلهم من معجزات المسيح عليه السلام عند ولادته ، مما يدل على تأثير البوذية في المسيحية الحالية .

ففيما يروي انجيل متى (٢) ان مريم حبلى من الروح القدس، وان ملاك الرب ظهر ليوسف بن داود في حلم قائلا ، بأن ابنا سيلد.واسمه يسوع ، ليخلص شعبه من خطاياهم ،وانا ولد يسوع ، ظهر نجمه في المشرق ، يقود الناس ويتقدمهم الى حيث كان الصبي ، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا ، وأتوا الى البيت، ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرّوا وسجدوا له " .

وهناك تشابه آخر بين الديانتين سأورده في مكانه .

ومما روى كتاب " ترى بيتاكا " (٣) ان بوذا عند ولادته وطئ الأرض بقدميه وسار سبع خطوات ثم قال : " أنا أعظم الناس وهذه ولادتي هي الأخيرة على الأرض " وكان الملك " سودودانا " مسرورا بخبر وليده فطلب من زوجته الرجوع مع وليدها الى " كابيل فاستو" ثم أقام حفلة التسمية في اليوم الخامس من الولادة جريا على عادة

==========

(١) يطلق " مهايان " على المذهب الجديد في البوذية وسيأتي الكلام عنه مفصلا .

(٢) انظر الاصحاح الأول من فقرة ١٨ – ٢٠ والاصحاح الثاني من فقرة ١ – ١١

(٣) سوتان ٣١٨ .

الهنود في ذلك الوقت (١) ودعا جماعة من البراهمة لتسمية هـــذا المولود فسموه " سدهـاتـا " (Siddhartha) أي الذي سيبلـــغ هدفه (٢)

وكان يطلق عليه عدة ألقاب مثل " جوتاما (Gautama) أي الراهب و " ساكيا موني " (Sakya Muni) أي المتبتل والمعزل من قبيلـــة ساكيا و " تتاغاتا " (Tatakata) أي البالغ أو المخلص (٣) ثم ماتت أمه " مايا " في اليوم السابع فحضنته خالته تدعـــى " مها باشا وادي " (Mahapashavadi) (٤)

وتحدثت القصة ان هناك في الغابة مواطن لكثير من النساك ، وكـان من بينهم ناسك كبير يدعى " كال تيول " (Kaldhevil) وكـــان برهميا يعيش حياة نسك ورهبنة ، سمع صوتا في السماء يعلـــن مولد الطفل الذي سينقذ العالم ، فدخل المدينة لزيارته ، وأمـــام " سودودانا " قال الناسك ; جئت لأبارك المولود الجديد ; ، ثم قبّلـه وجعل يبكي ، فسأله الملك عن سبب بكائه . فقال ; لقد أنجبت طفـلا رائعا سأعبده منذ اليوم عوضا عن براهما . انه اذا سكن بيتـه فسيكون ملكا يحكم الدنيا بأسرها ، أما اذا تخلّى عنه ، وخرج مـن

---

(١) قصـة بوذا ١/ ٢٢

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٥

(٣) تاريخ الديانة البوذية ٤٨ ،

(٤) المصدر السابق ١٢ وقصة بوذا ١/ ٢٣ .

أحفـا ن العـالم للتنسك فسيصبح بوذا العالِم المستنير وسيخلّص البشـر، وما بكائي الا لأنني سـاموت قبل أن يصبح ابنك بوذا فلا أستطيع الاستماع لكلامه " .

ثم سجد وجهه للطفل وانصرف .

واستغرب الملك من سجود الناسك للطفل ، ثم أدرك انه ينبغي لـه أيضـا أن يفعل كما فعل الناسك ،فسجد وجهه لوليده احتراما وتقديسا له . (١)

==========

(١) قصـة بوذا ١/ ٢٣ - ٢٦

ولا يزال سجود الآباء لأبنائهم عادة معروفة في البوذيين الى الآن والبوذيون كما رأيتهم يسجدون لأبنائهم المترهبيـــــن ويسجدون للأمـوات ،سواء كانوا من البوذيين أو غيرهم ، كمـا يسجدون لكل شيء يقدسونه من الانسـان ، و الحيوان ، و الجمادات .

المبحث الثاني : نشأته واتجاهه

نشأ سذهاتا (Siddhartha) نشأة الأمراء وأبناء الملوك ، وأحيط به من أسباب العزّ والترف واليسر والثراء ، ووجد الدنيا كلها تحت أمره ، وتهيأت له مباهج الحياة ، وشب سذهاتا في هذا النعيم العظيم ، باعتباره ابنا للملك من ناحية ، ومن ناحية أخرى تأثر والده الملك "سودودانا" (Suddhodhana) من تنبؤات المناسك "كال تيول" الذي قال: إن "سذهاتا" سيصبح بوذا العالم المتنور اذا ترك بيته وخرج من أحضان العالم: ، والملك لا يريد من ابنه الا أن يكون ملكا بعده ، وهذا هو أمله الوحيد من ابنه "سذهاتا" وعلى هذا قرّر الملك في نفسه انه سيفعل كل شيء في تحقيق هذا الأمل ليكون " سذهاتا " ملكا عظيما في المستقبل ، فلما بلغ عمره ست سنوات أرسله الملك الى أحد العلماء المشهورين في ذلك الوقت يقال له " جورو وسوامترا" (Guru Viswamitra) (١) فتعلم منه الفنون العسكرية من الرمي والفروسية وغيرها ، وأحسن تدريبه فيها ، فسرّ به والده وشهرته (٢)

وذكر بعض المراجع ان سذهاتا تعلّم أيضا من أستاذه النظريات الفلسفية التي كانت شائعة في عصره ، وأتقن فيها . (٣)

---

(١) ذكر بعض المراجع انه من أحد فلاسفة المغوليين وليس من البراهمة ، وأنه هو الاستاذ الوحيد الذي درس منه بوذا وتأثر منه كثيرا قبل خروجه الى الترهب . انظر دراسات في الديانة البوذية ٣٢ (٢) قصة بوذا ٢/ ٢١

(٣) دراسات في الديانة البوذية ٣١

ويؤيد ذلك ما روي في كتاب " ترى بيتاكا " (١) انه عندما أقام المزارعون في مدينة " كابيلافاستو " حفلة سنوية لبداية الموسم الزراعي ،حضر الملك سودودانا كعادته ليحرث الأرض مع الناس ، ومعه ابنه سذهاتا ، ولما جاء وقت الطعام ، ذهب جميع الناس الى مأدبتهم ، وتركوه وحيدا ، فذهب سذهاتا الى احدى شجرة كبيرة مظلة ، وجلس تحتها ، وأحسّ بالراحة والسكينة ، فجعل يبدأ بالتأمل الذاتي (Meditation) على طريقة " يوجا " (Yoga) تطبيقا للنظريات الفلسفية اليوجية التي تلقاها من أستاذه "وسوامترا"؛ فركز تفكيره وأفرغه من كل الحواس الدنيوية ، ثم أخذ يتأمل في حالة هؤلاء الناس الذين يفرحون بحفلتهم ويتلذذون بطعامهم ، ان بجانبهم أبقارا تتعب وتتألم ، بسبب جلب المحراث الثقيل ، ومعاملة غليظة من صاحبها، وأخذ يتأمل في حالة الحيوانات حوله من الطيور والحشرات والزحّافات، فرأى حرباء خرجت من مكانها ، فأكلت النملة الصغيرة ، ثم تقدمت حية فأكلت الحرباء ، وفي ذلك الحين جاءت حدأة فخطفت تلك الحية وأكلتها ، فقال سذهاتا في نفسه : اذا كانت الحياة هي كما نرى فلابدّ أن يكون لكل نعيم هموم وأحزان بعده ، وأحسّ بأنه بينما كان في ترف ونعيم ، هناك آلام عظيمة يعانيها كثير من البشر والحيوانات ، وتساءل نفسه باستمرار " ألا يمكن أن يكون العالم

---

(١) سوتان ٣٢٠ .

شيئاً غير هذا ؟ "

وتروي القصة أن تأمله هذا أدى إلى فقدان شعوره ، ومازال على هذه الحالة إلى أن جاءه مربّيه فأخذه إلى والده ، وأثناء طريقه إلى القصر كان قلقا مضطربا بالأفكار المختلفة ، وأحس بالأسى والحزن على الآلام والهموم التي تسيطر على الحياة البشرية والحيوانية كلها.(١) إن هذه الأحاسيس لها أثر كبير في اتجاهات سذهاتا وميوله ، ولقد أدرك الأمر الملك "سودودانا" فحاول مقاومته وبذل جهوده في إبعاد المناظر المؤلمة عن عينيه ، وأسبغ عليه مزيدا من الملذات والمسرّات لتجذبه وتصرفه عن التفكير في الآلام والهموم (٢)

وروى في كتاب " ترى بيتاكا " (٣) أن الملك أمر ببناء ثلاثة قصور لابنه ؛ قصر للصيف ، وآخر للشتاء ، وثالث لفصل الأمطار ، يقضي فيه أربعة أشهر بين تسلية الراقصات الجميلة ، ولكن سذهاتا لم يستسلم ولم يرض للحياة التي رسمت له من هذه الملذات والثراء ولم ير أن لها قيمة في حياته ، فلا يزال يتفكر في الآلام . ولقد تمكّن هذا التفكير من حياته ، فلم يكن من السهل أن يبعد عنه ، فاستشار الملك مشيرته ووزراءه ، فلم يجدوا خيرا من أن يزوّجه فتاة جميلة لعلها تشغله عن التفكير ؛ فزوّجه من ابنة حاكم

---

(١) تاريخ الديانة البوذية ٢٦

(٢) المصدر السابق

(٣) سوتان ٣٢٦ ، ٣٢٧

القطر المتاخم " ديفاداها " (Devadhaha) وتدعى " ياسودهـرا" (Yasodhara) وكان عمره حينئذ ١٦ سنة (١)

وتروي القصة أن زواج "سذهاتا" لم يصرفه عن التفكير ، فلم يـزل يتفكر بمشكلات الناس ومتاعبهم وآلامهم ، ولاسيما طبقة البؤسـاء والفقراء ، وما أحدثه كهنة البراهمة من التغيير في الدين رغبة في التسلّط عليهم .

وقد زاد به هذا التفكير يوما بعد يوم حتّى صار لا يتركه في منامه ، فسئمت نفسه من مجد السلطان ومن ملاذ هذه الحياة (٢)

ثم تروي القصة أن في ذلك الحين اتفقت له أربع مصادفات:(٣)

الأولى : أنه صادف في الطريق شيخا مجوزا يتوكأ على عصاه ،وقد تقوّس ظهره ، فاضطرب له "سذهاتا" ، وتألم له ، فسأل رفيقه شانا (Shanna) قائلا " ماشأن هذا الرجل ؟ أراه ضيئل الجسم ،عديم القوة ، قد جفّ لحمه وعظمه ، والتصقت عضلاته بجلده ، وابيضّ شعره وسقطت أسنانه ، وهو يئنّ بصوت مزعج سائلا الطعام من الناس ،هل هذا الحال صفة من صفات ماثلته ، أو مصير كل كائن حي في هذا

---

(١) قصة بوذا ٢/ ٤٧ وتاريخ الديانة البوذية ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/٥٤

(٣) ذكر بعض المراجع البوذية : ان هذه المصادفات الأربع صور تمثلها الملائكة التي نزلت من السماء . والملائكة (Devadha) في اعتقاد البوذيين نوع من الكائن الحي ، يشترك مع الانسان في جميع الصفات ، في الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت ، وفي وجود الشهوات والرغبات ، وأنه يبعث ملائكة نتيجة من عمله السابق ، وعلى هذا يقول : البوذيون إن بوذا أفضل من الملائكة (Devadha) لأنه تخلص من الصفات البشرية وتخلص من تكرار المولد .

العالم ؟" . فاجاب شانا (Shanna) قائلا :" أيها الأمير إن هذا الرجل كان شابا قويا مثلنا ، وقد أدركته الآن الشيخوخة ،وفعلت سائر حواسه ، واستخفّ به أهله ،وتركوه بلا عائل ، وقد أصبح كما ترى لا يغني في العمل شيئا ، فيئس منه أهله ، وأهملوه ليموت كما تموت الخشبة في الغابة ، وليس حاله هذا خاصا بعائلته دون العائلات ،فإن كل كائن حيّ مصيره هذا الحال ، يحلّ لديه الهرم محل الشيخوخة ، وسينتهي أمر والدك وزوجتك ورفيقك وغيرهم من الناس الى الشيخوخة والعجز ،فلا مفرّ لهم من هذا السبيل، وهكذا نهج الحياة ، فلا تعتني به أيها الأمير " .

فقال سذهاتا :" أرى الانسان في جهله وفعله يفخر بالشبيبة ولا ينظر الى الشيخوخة التي استدركته ، أما أنا فساكون محلا للشيخوخة وآلامها ، لايليق بي أن أفرح ، وكيف أفرح بشبابي وصحتي وزوجتي وولدي وأنا عارف بما ينتظرني " ورجع من فوره الى قصره .

الثانية : ثم بعد مضي أيام ،خرج ثاني مرة مع حاشية كثيرة قاصدا حديقته يتنزه فيها ، واذا بمريض صادفه في الطريق، كان يتلوى من المرض،ويئنّ من الألم ، ويشكو من العناء ،وأرهقه الخوف من الموت ، فصاح سذهاتا برفيقه "شانا" سائلا عن أمر هذا الرجل ،فقال "شانا": أيها الأمير لا تهتمّ بهذا الرجل ،إنه مريض . أصابه مرض الطاعون القبيح ، ولا معالجة ، وكلّنا عرضة

للاصابة بمثله ، ولا يستطيع أحد إيقافه " قال سذهاتا : "إذن الصحة حلم سريع الزوال ".

الثالثة : ثم بعد أيام خرج ثالث مرة ، فشاهد أربعة أشخاص يجتازون الطريق ، حاملين على أكتافهم جثمانا يتبعه جمع من الناس ويبكون ، فاضطرب له سذهاتا ، وسأل رفيقه شانا عن هذا الأمر فقال " إن هذا هو الميت ، قد انتهت حياته ، وفقدت أحاسيسه ، وهكذا نهج الحياة فلا تهتم به " .

قال سذهاتا : " يالتعاسة الحياة ! تهدّها الأمراض ، وتتربّص بها الشيخوخة ، وتنتهي بالموت ، ليت الشيخوخة ، والمرض ، والموت كلّها لم تكن ، أو كانت مقيّدة فلا تعدو على أحد أبدا " وتساءل : " هل من أحد يستطيع أن يجد الطريق يتخلص بها الانسان من هذه الآلام؟ وأخذ سذهاتا يبحث عن الطريقة أو الوسيلة التي يستطيع الانسان أن يتغلب بها على الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت.(١)

أقول إن هذه القصة - على فرض صحتها - لا تدل على عبقرية سذهاتا أو زكائه كما يدّعيه البوذيون ، وإنما تدل على ما يخالف ذلك اذ لا يعرف شيئا من طبيعة البشر التي سن الله في كل إنسان

---

(١) مراجع كثيرة ساهمت في هذه المعلومات منها ترى بيتاكا (سوتان) ٣٣٢، ٣٣٣ وقصة بوذا ٣/ ٦٠، ٦١ وتاريخ الديانة البوذية ٣٦ - ٣٨ ومقارنة الأديان ١/ ١١٥ وانظر بالعربية : أديان الهند الكبرى ١٣٨، ١٣٩ والفلسفة الشرقية ١٢٦ وقصة الحضارة ٣/ ٦٧ وبالانجليزية دائرة المعارف البريطانية ٣/ ٣٧٠ .

من أحوال الشيخوخة والمرض والموت وما شابه ذلك ، وهو ابن تسع وعشرين سنة كما ذكره معظم المراجع • (١)

أما كونه نشأ بعيدا من المناظر المؤلمة فلا يعتبر مانعا من المعرفة بهذه الأمور لأنها من البديهيات البشرية التي يعرفها كل انسان من دون اكتساب •

وعلى كل فان هذا الاتجاه الذي اتجه اليه سذهاتا اتجاه قاصر جدا اذ تدور أفكاره حول شيء واحد وهو آلام بني الانسان والحيوان التي تتمثل في الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت •

ويروي أنه سأل نفسه دائما هذه الأسئلة التافهة :

لم الولادة ؟ ولم الهرم ؟ ولم المرض ؟ ولم الموت ؟ وما أسباب ذلك؟ ومن أين هذا الألم ؟ وكيف يكافح ؟ (٢)

ولم يرو أنه سأل نفسه مرة مثل هذه الأسئلة القيمة والخالدة • ما الكون ؟ وما الانسان ؟ ومن أين جاء ؟ والى أين مصيره ؟ أو ما الحياة ؟ وما الموت ؟ وماذا بعدهما ؟

هذه الأسئلة التي ألحّت على الإنسان العاقل من يوم وجد وستظل تلحّ عليه إلى أن تطوى صفحة الحياة •

ولقد أدّى اتجاهه القاصر الى أن أصبحت الحياة كلها في نظره

---

(١) انظر المصادر السابقة وانظر بالعربية : الهند عقائدها وأساطيرها ١٣١ وذيل الملل والنحل لمحمد سيد كيلاني ٢/ ١٤

(٢) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٦١١ و (أبيدارما) ٦٣٦ •

عذابا وجحيما ، لأنها سبب لصيرورة الإنسان إلى هذا المصير المشئوم ، إلى الهرم ، والمرض ، والموت . فلو أن الحياة أصيبت بعقم لما وقع هذا المصير الذي يلاقيه الناس . ومن هنا رأى سذهاتا أن خير الانسان أن لا يولد ، لأنه عندئذ لا تجد الحياة من تصبّ بلاءها عليه . وفي هذا يقول :

" أيها الرهبان ، الحق أقول لكم : إن الولادة أمّ الآلام جميعا ، ومع ذلك فالولادة ماضية في طريقها ، إنها ماضية الى الأبد في طريقها إلى الآلام والأحزان البشرية . فلو استطعنا وقف هذه الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت ..... لماذا لا نوقفها ؟ .... (١)

ولا شك أن هذه الفكرة الغريبة أو قل النظرة المتشائمة الى الحياة قد تأثر سذهاتا من الفلسفات الهندوسية المنتشرة في عصره ، فلما رأى المناظر المؤلمة فعف دافع المقاومة في نفسه ، ورجّح عنده الميل الى سلوك نفس الطريق الذي سلكه الهندوس من قبل (٢)

وتروي القصة أنه خرج رابع مرة للارتياض قاصدا حديقته ، فالتقى براهب على ملامحه السكينة والهدوء ، وارتاح لرؤيته ، فسأل رفيقه " شانا " عن حال هذا الرجل فقال :

" هذا واحد ممن يدعى " بهيكشو " (Bhikshu) أي الراهب المتسول الذي جافى جميع أنواع الملاذ ، وبعد عن كل أسباب السرور ، واقتنع

---

(١) ترى بيتاكا (أبيدارما) ٦٥١

(٢) انظر أديان الهند الكبرى ١٤١ .

بأن يعيش معيشة الزهد والقناعة ، ويطوف على الناس يسألهم قـــوت يومه ". فاستحسن سذهاتا هذا الكلام ، وقرّر في نفسه أن يكون راهبـــا ، وأن يترك رتبته الملوكية ، وأن يبحث عن الوسيلة التي يتخلص بهـــا الإنســان من آلام الحياة.(١)

وتحدثنا القصة أنه لما وصل سذهاتا الى البيت بشّروه بولادة ابن له ، فتمتم قائلا : " هذا قيد جديد لي " فأطلقوا على ابنه اسم " راهولا " (Rahula)، ومعناه : القيد أو الربقة.(٢)

---

(١) تاريخ الديانة البوذية ٦٣

(٢) قصة بوذا ٢/ ٦٧ .

المبحث الثالث : حياته التلشلية

صمّم سذهاتا أن يترك أباه وزوجته وولده الرضيع ، ليهرب في الصحراء زاهدا راهبا لعله يصل إلى معرفة سر الكون ، وذلك بعدما اتفقت له المصادفات المذكورة ، واستولت عليه رغبة شديدة في الجري وراء الحقيقة . وكان عمره حينذاك تسعا وعشرين سنة وتروى الأسفار البوذية في خروجه (١) أنه لما أسدل الليل ستاره تسلل سذهاتا إلى غرفة زوجته ، فرآها نائمة على السرير ، وقد وضعت يدها على رأس ابنها ؛ عند ذلك شعر بحنين عظيم أن يحمل الطفل ويعانقه ، ولكن خوفه من إيقاظ زوجته منعه من ذلك ، وقال لنفسه : لو أزحت يدها لأخذ ابني فستستيقظ وسيكون ذلك حائلا دون فراري ، إنني اذا ما أصبحت بوذا سأعود لأراه "

" وأخيرا ولّى ظهره ، وركب جواده " كانتاكا " (Kantaka) ، وخرج في عتمة الليل مصحوبا برفيقه " شانا " (Shanna) (٢) .

وفي ظلمة الصباح الباكر توقف خارج أراضي مشيرته على ضفّة النهر " أنوما " (Anoma) ، وهناك ترجّل بقدميه ، وقصّ شعر رأسه المتموّج ، واستبدل ثوبه الملوكي بثوب آخر من لون أطهر وهو من رداء الزاهدين اليوجيين (Yogi) ، وخلع عنه كل حلية ، ثم قدّمها إلى رفيقه " شانا " (Shanna) قائلا : " خذ هذه الحلية وهذا الجواد إلى البلاط فمن

---

(١) انظر ترى بيتاكا (فينايا) ١٩٧ وأيضا (سوتان) ٣١١

(٢) قصة بوذا ٢/ ٦٩ .

الآن أنا زاهد " . (١) ثم واصل سيره حتى بلغ مدينة " فيسالي" (Vesali) (٢) حيث التقى ببعض المعلمين من البراهمة ، فتعلّم منهم طريق الخلاص . ثم قرّر الرحيل بعد ما عرف نقائصها ، واتجه جنوبا الى امارة " مجدا " (٢) (Magada) حيث تكون مدينة " راجافريها" (Rajakareha) (٢) وكان عندما دخل المدينة يتنقل من بيت إلى آخر صامتا يستجدي الطعام من الناس ويجمع بكشكولته صدقات المحسنين (٣). وتروي الروايات أن " بمبيسارا " (Pimpisara) ملك المدينة استقبله وعرض عليه ملكها العرش ، فرفض مذهاتا مصرّا على عزيمته الأولى. ثم خرج من المدينة ، واتجه إلى مثوى النساك والمعلمين ، والتقى براهبين يقال لهما " الاراكالاما "(Alarakalama) و" اوتاكا رامابوترا" (Utaka Ramabuttra) ، فبقي معهما ، ودأب على دراسة فلسفات الهندوسية واليوجية ، وتخرّج على أيديهما ؛ إلا أنه لم يجد الأجوبة الشافية لتساؤلاته ، (٤) فهجرهما مذهاتا ، وقرّر أن يسعى بنفسه لنيل المعرفة ، وكشف أسرار الكون ، وسار بمفرده حتى استقر على مكان يقال له " اوروفيلا " (Uruvela) ، وهو مكان رائع وغابة خضراء

---

(١) تاريخ الديانة البوذية ٧٦

(٢) انظر خريطة المدن التي تجول فيها بوذا . صفحة ١١٩ .

(٣) × وهذا التسوّل صار عادة من عادات الرهبان البوذيين الى اليوم فكل صباح نستطيع أن نشاهدهم يتجولون في البيوت ، ويحملون في أيديهم كشكولة سوداء . يجمعون فيها قوت يومهم .

(٤) تاريخ الديانة البوذية ٢٤ .

على قرب من النهر والقرية ، فاستحسن هذا المكان ، واتخذه ليخضع نفسه لأشقّ أنواع التقشف . (١)

وكان الفكر الهندي القديم ميّالا منذ القدم الى الاعتقاد بأن القوة والمعرفة يمكن الحصول عليهما بالزهد المفرط أي بالصوم وتعذيب النفس ومن طريقهما يصل الإنسان إلى غايته المنشودة، وهي الانطلاق من دورات الوجود المتوالية ، والإندماج في الإله " براماتما " . وعلى هذا الأساس ، فلا يهتمّ الفكر الهندى بالجسد لاعتباره محلا للعاهات ، ووعاء لسائر الآلام ، وهو سائر الى الانحلال والفناء ، فمثله كمثل جثّة لا قيمة لها . وأما الروح فهي موضع الاهتمام والتقديس ، ومن أجل ذلك حفلت حياة كثير من الهنود قديما وحديثا بالبؤس ، ومحاربة الملاذ ، وتعذيب النفس .

قال الدكتور أحمد شلبي :

" لقد امتهنت أديان الهند الجسم بل عذّبته وحرّمته الطعام والشراب والملاذ المباحة غالبا ، وعرفته الجينية للعرى وعوامل الجو القاسية . وفكرت فيه أديان الهند على أنه جثة عفنة سريعة العطب والفناء ، وكان من الممكن ان تعتبره الهيكل الذي تعيش به الروح المقدس " . (٢)

==========

(١) المصدر السابق ٢٧ .

(٢) أديان الهند الكبرى ٢٠١ .

وقد حكيت حكايات كثيرة حول النسّاك اليوجيين والجينيين الذيـــن مارسوا أساليب عنيفة متعددة لتعذيب أبدانهم .

فلجأ سذهاتا إلى اختيار هذه الأساليب ، وقام بألوان مـــن الرياضات النفسية التي اشتهرت في عصره في ربوع الهند ، رغبة في أن يطهّر نفسه حتى تصل إلى الخلاص، وصار يسمى من هـــذا الحين جوتاما (Gautama) أي الراهب .

وتروي القصة أنه في هذا الطور عاش على الحبوب والكلأ ، وخلـــع ثيابه ، واكتفى برقاع أو أوراق الشجر يستر بها عورته ، وألقـــى بجسمه بين الأشواك والحصي . وكان يلطّخ جسده بالتراب والقذر ، ويقضي طول نهاره والقا تحت شمس الحرارة . وكثيرا ماكـــان يرتاد مكانا تلقى فيه جثث الموتى، فينام بين هذه الجثث العفنـــة، وبدأ يحدّ من كمية غذائه ، حتى انتهى به التدرج إلى أن جعـــل طعامه أحيانا حبة من الرز في اليوم (١) .

وذكرت الروايات ان الرياضات العنيفة ، والأعمال القاسية التي مارسهـا " جوتاما " في هذه الفترة قد كلّفته اضمحلالا في جسمه ،وانحـــلالا في قوته ، وأصبح هيكلا من العظام بسبب معاناته الجوع ، والعطـــش، والمتاعب ، والمشاق . (٢)

وصحبه في هذه الفترة خمسة من النساك (٣) رأوا فيه مثالا أعلـى

---

(١) ترى بيتاكا (فينايا) ١١٠ – ١١١ وقصة بوذا ٢/ ٣١٨، ٣١٩ .

(٢) قصة بوذا ٢ / ٣١٩

(٣) وهذه أسماؤهم (١) كونتانيا (Kontanya)(٢) وابا (Vappa)=

للزهادة والتقشف ، فاحترموه ، وجعلوه معلما (١) .

وتروي القصة أن جوتاما استمر على هذه الحالة ستّ سنين ، لم يدرك له وطرا ، ولم يصل إلى غايته ، وبعد أن أنهكه الجوع وهدّده الموت أدرك أن ما هو عليه من تعذيب الجسم ليس بقادر على إيصاله للمعرفة الحقيقية ، فعدل حينئذ عن قراره بقساوته على جسمه ، وقرّر أن يعود إلى طعامه وشرابه . (٢)

وفي هذا قصّ على تلاميذه قائلا :

" ان ماقمت به من تعذيب الجسم لم يكن صوابا فعليّ إذن أن أعود إلى تقوية جسدي بالشراب والطعام .... واذا كان المهم التغلب على النفس ، فمايهمها عندما تكون مغلوبة أن يكون الجسم هذيلا أو سمينا " (٣).

ويبدو من خلال هذا النص أن جوتاما قد رجع إلى رشده ، وتخلّى عن وسائله القديمة المتوارثة ، غير أن تعاليمه فيما بعد تشير الى أنه لم يستطع التخلي عنها تخليا تاما ، كما سنبينه مفصلا ان شاء الله .

= ٣) باتيبا (Patiya) ٤) مهامانا (Mahamana) ٥) أساساشي (Asa sashi) وكان هؤلاء الخمسة أول حواريه .

(١) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٤٤١ .

(٢) تاريخ الديانة البوذية ١٠٣ .

(٣) المصدر السابق وانظر أيضا ترى بيتاكا (سوتان) ٤٣٤

وقد أعلن في هذه الفترة أن الزهد وحده لا يكفي لتحقق الخـــلاص والمعرفة ، بل لابد لتحققهما من الثقافة الروحية العميقة ، وأعلـــن أن العقل السليم يتغذى في الجسم السليم (١).

وكانت هذه الفكرة غريبة غير معهودة في نساك عصره ؛ إذ كانـــوا يعتقدون أن الطريق الوحيد للمعرفة وكشف أسرار الكون هو التقشـف وتجويع النفس وتعذيبها ، ولذلك لمّا رأى تلاميذه الخمسة أن سيّدهـــم قد عاد إلى حياته الأولى ، وتناسى القصد الذي رمى اليه ، أخذتهـــم الشكوك ، وظنّوا به الظنون ، وانصرفوا عنه قائلين : إن "جوتامـــا" سيّدنا قد تركنا منفردين في نسكنا نطلب مسراتنا الروحيـــة " وتوجّهوا الى مدينة " فاراناسي " (Varanasi) في حالة حزن وقنوط . وانعزل جوتاما في غابة " أوروفيلا " (Uruvela) متابعـــا تفكيراته . ورأى أن ماوصل اليه لم يبلغ بعد طريق الحكمة القـادر على الإفناء النهائي للولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت . (٢)

---

(١) قصة بوذا ٢/ ٣٢٥ وقارن بما في أديان الهند الكبرى ١٤٢

(٢) مقارنة الأديان ٢/ ١٠٨ ، ١٠٩ وقصة بوذا ٢/ ٣٢٢ .

المبحث الرابع : استنارته المزعومة (Inlightenmend)

ونعني بكلمة " الاستنارة " أي المرحلة التي ادّعى فيها جوتاما (Gautama) أنه حصل على النور والنجاح والمعرفة بعد أن كابد أقصى مايتصوّره العقل من تجارب عديدة في الزهد والتقشف .

وتعتبر هذه الاستنارة من أهمّ مراحله ؛ إذ بها تأسست ديانته الجديدة هي البوذية ، وبها تشكّلت مبادؤه وفلسفاته .

وتروي القصة البوذية ما حدث لجوتاما حين حصوله على الاستنارة أنه بعدما انصرف عنه رفاقه الخمسة ، تجوّل جوتاما منفردا في غابة " اوروفيلا " (Uruvela)وهي التي اتخذت الآن اسما جديدا يتناسب مع هذا الحدث وهو " بودهاغيا " (Budihagya).وفي تجواله من مكان إلى آخر جلس تحت شجرة ممتدة الظل من أشجار الغابة. ويقال إنه جلس ليتناول في ظلها طعامه ,(١) غير أنه أحسّ ببعض الراحة النفسية تحت ظلال الشجرة ، وبينما هو كذلك إذ هتف به هاتف من نفسه أن يجاهد نفسه هذا اليوم حتى يعرف سرّ الكون والحياة ، فجلس هناك جلسة مستقيمة ، لا حركة فيها متوجها إلى المشرق مغمّضا عينيه ، قائما بين رجليه ساكتا ، صامتا ، مصمّما ألا يبرح ذلك المكان ، ولا يتحرك حتى يجد ما ينشده .

وقصّ على تلاميذه هذا الحدث قائلا :

---

(١) ذكر بعض المراجع ان امرأة في القرية يقال لها : سوشادا (Sushada) جاءته وقدمت له الطعام في ذلك اليوم . انظر تاريخ بوذا والبوذية ٢٦ .

" فجلست تحت تلك الشجرة في تلك الليلة في شهر الأزهار ، وقلت لعقلي وجسدي " اسمعا لا تبرحا هذا المكان لينشف الجلد ، ولتنقطع العروق ، ولتنفصل العظام ، وليقف الدم عن الجريان ، لن أقوم من مكاني هذا حتى أجد الطريق الذي أتخلّص به أنا وغيري من بني الإنسان من سائر الآلام والأحزان التي تولدت من تكرار الولادة والموت .... (١)

وفي هذا المكان الجديد بدأت آراؤه عن الحياة تتشكّل ، وعندما انتهى من هذا التشكيل تيقّن من أنه قد وجد السبيل لعلاج آلام الحياة ، فحدث ما تمنّاه ، وتمّ له في هذه الجلسة الاستنارة المزعومة التي كان يترقّبها .

وتروي الأسطورة البوذية أنه عندما أجهد جوتاما نفسه في الوصول الى غرضه اذ ابتلي بروح الشرور " مارا " (Mara) أي الشيطان. فصد هذا الشيطان الى المكان الذي جلس فيه جوتاما ، وأراد أن يبطل عمله ، ويصرفه عن عزمه ، وحاول إغواءه بصور مختلفة. فقال " مارا " ابتعد عن طلب الحكمة وعن الدعوة الدينية وتصبح امبراطور العالم " . ولكن جوتاما صبر على هذا الامتحان الساحر ولم يلتفت اليه ، ولم يهتمّ به ، وصاح به " ابتعد عني " . وانتصر جوتاما على " مارا "(Mara) الشيطان ، وفرّ " مارا " مع جنوده الأشرار من أمام شجرة المعرفة ، فتساقطت أزهار كالمطر

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٢٥١ وتاريخ الديانة البوذية ١١٤ .

من السماء ، ونزلت الملائكة " ديفادها " (Devadha) (١) تخدمه وتبارك عليه .

ومن الملاحظ ان هذه الأساطير البوذية تشبه مانص في الأناجيل المحرّفة في قصة المسيح عليه السلام .

فقد نصّ في انجيل متى الاصحاح الرابع هذه النصوص الآتية :

" ان المسيح بعدما صام أربعين نهارا و أربعين ليلة جاع أخيرا " (٢)

" ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرّب من ابليس (٣) الشيطان"

" وأراه الشيطان جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي " (٤)

" حينئذ قال له يسوع : اذهب عني ياشيطان "

ثم تركه إبليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه " (٥)

ولا شك ان مثل هذا التشابه بين المسيحية والبوذية دليل على ان المسيحية الحالية قد تأثرت كثيرا بالبوذية التي سبقتها بعدة قرون . و بخاصّة

انّ هذه الأساطير البوذية دوّنت قبل ظهور عيسى عليه السلام كما تقدم بيانه.

==========

(١) المصدر السابق ٢٥٩ ، ٥٦٠ وقصة بوذا ١/ ٣٢٩ .

(٢) فقرة ٢ .

(٣) فقرة ١ .

(٤) فقرة ٨ – ٩

(٥) فقرة ١٠ – ١١ .

وتروي لنا القصة " ان جوتاما لبث في مكانه لا يبرحه عدة أيام وانقطع في التأمل والتفكر العميق (Meditation) حتى غاب عن نفسه وعن كل ما حوله ، وظل يطرأ عليه حال بعد حال ، ويلحقه طور بعد طور ، ثم عاد شعوره يتجلى رويدا رويدا ، فاشرق الكون لديه ، وأصبح العقل يتجرّد من شوائب المادية ، وأبصر ينابيع الحياة ، ومنابع الآلام ، ورأى سبيلا الى إعدامها وإطفائها ، فأدرك متمنّاه ، وتخلّص من تقلّبات الحياة ، ونجا من الآلام ، وتنوّرت بصيرته ومعرفته بجميع مشكلات الناس وطريق حلّها " (١) .

هذه الاستنارة هي التي زعم "جوتاما" لنفسه ، واعتبرها هو وأتباعه لحظة اشراق وفوز .

ويرى بعض الباحثين الغربيين أنها وحي من الله (٢) وهو رأي مردود لا يصح القول به في هذا المجال البوذي ، لأن جوتاما (Gautama) لم يدع الوحي إطلاقا ، ولم يدع أية صلة بالآلهة ، وانما ادّعى أنه تنور بنفسه وجهوده ، فما زعم قط للناس ان إلها كان يتكلّم بلسانه ، بل لم يتكلّم جوتاما أصلا من وجود الإله الخالق والايمان به كما سنبيّنه بالتفصيل إن شاء الله .

والظاهر لدينا أن هذه الاستنارة المزعومة لا تتجاوز من أنها خيالات تراءت له كردود فعل من تجاربه العنيفة وتأملاته العميقة

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٢) انظر أديان الهند الكبرى ١٤٢ نقلا عن

Rene Sedillot: The History of the world P.62

وانظر أيضا

Hagmann:Buddhism as a Religion P. 30,31

وكذلك تشاؤمه في النظر الى الكون والحياة .

وتذكر المراجع البوذية مراحل الاستنارة التي أشرقت عليه في تلك الليلة ، وهي ثلاثة :

المرحلة الأولى : أشرقت عليه صورة للموت والحياة يتعاقبان في مجرى الحياة تعاقبا لا ينتهي ، ورأى أن كل موت يزول أثره بولادة جديدة ، وكل سكينة وغبطة تقابلها شهوة جديدة وألم جديد ،وكل كائن في الكون شيء وهمي لا حقيقة له ، ثم تراءت له سلسلة طويلة من ولادته وموته في دورات حياته السابقة قبل هذه الحياة، وذكر أنه كان يولد حيوانا في تلك الدورات ، ثم أخذ يتطهر دورة بعد دورة حتى انتهى الى هذه الدورة الأخيرة ، وهذا مايسمى بعقيدة تناسخ الأرواح ودورانها ، وسنبينها بالتفصيل ان شاء الله .

والمرحلة الثانية : أشرقت عليه حالة الكائنات الحية حيث إنها تولد وتتجول ، وتفنى ثم تعود ، فتولد دنيّة أو سنيّة ، خيّرة أو شريرة ، سعيدة أو شقيّة ، حسب ما يكون لها من " كارما" وفق ذلك القانون الشامل الذي بمقتضاه سيتلقى كل فعل جزاءه في هذه الحياة أو في حياة تالية تتقمص فيها الروح جسدا آخر وهذا ما يسمى بعقيدة " كارما "(Karma) وستأتي تفاصيل هذا الموضوع ان شاء الله .

المرحلة الثالثة : انكشف له ما سمّي عندهم بالحقائق السامية الأربع وهي :

الأولى : تتعلق بالألم أي إن هذا العالم كلّه ألم.

الثانية : تتعلق بسبب الألم أي الألم نشأ من سبب وهو الرغبة في الحياة .

الثالثة : تتعلق بإعدام الألم أي التمكن من الغاء ذلك الألم بالغاء سببه .

الرابعة : تتعلق بالوسيلة لإعدام الألم (١) وسيأتي تفصيلها ان شاء الله .

ومن هنا ادّعى جوتاما لنفسه أنه اكتشف الطريق التي يوقف بها الإنسان ألم الحياة ، ويتخلّص بها من تكرار الموالد ومن حلقة التناسخ المستمر . وينال بها " نرفانا " (Nirvana) وهو عنده السعادة الأبدية .

وادّعى أن اكتشافه اكتشاف جديد يخالف ما عرف في جميع المذاهب الفلسفية في ربوع الهند ، وعلى هذا أطلقوا عليه لقب " بودها" (Buddha) أو " بوذا " في التعريب المشهور ، ومعناه باللغة السنكريتية والبالية العارف المستيقظ ، والعالم المتنور . (٢)

على أن هذا اللقب " بوذا " ليس خاصّا بواحد ؛ بل شرع ديانة البوذية ليستحقّه أناس كثيرون من أهل النفوس العالية على زعمهم .

---

(١) انظر ترى بيتاكا (فينايا) ٢١٢ وأيضا (سوتان) ٢٥٦ ، ٢٥٧ وقصة بوذا ٣/ ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) قصة بوذا ٣/ ٣٣ ومجموعة المصطلحات البوذية ٤٣٩ وأشار ترى بيتاكا " الى هذا المعنى في عدة مواضع انظر على سبيل المثال أبيدارما ٦٥٥ ، ٦٦١ ، ٦٨٤ وفينايا ١٥٩ وسوتان ٢٦٧ .

وعلى هذا قسّموا من يستحق هذا اللقب الى ثلاثة أصناف :

الأول : " بارجيكا بوذا " (Padjaka Buddha)

ويطلق على الشخص الذي بلغ درجة التنوّر ، ولكنّه اعتزل عن الناس ولم يؤسّس أي مذهب .

الثاني : " سما سام بوذا " (Sammasam Buddha)

ويطلق على الشخص الذي حصل على التنوّر ، وأسّس المذهب ، وعلّمه الناس ، ويظهر هذا الشخص في فترات زمنية متفرقة ، وهذا الأمير " سذهاتا " واحد من هؤلاء الأشخاص .

الثالث : " أنوبوذا " (Anu Buddha)

ويطلق هذا الاسم على أصحاب بوذا الذين حصلوا على التنوّر بعد أن اعتنق مذهب بوذا ، ويطلق عليهم أيضا اسم " أرهات" أي القديس . (١)

فكلمة "بوذا " (Buddha) ليست علما وإنما هي صفة لقّب بها بوذا عند نيله هذ ه الدرجة ، ولكن لما غلب إطلاقها عليه أصبحت علما له .

ومن الآن سنستعمل هذا العلم في الحديث عن سذهاتا الأمير أو جوتاما الراهب جريا على المشهور .

أما الشجرة التي جلس تحتها بوذا عندما تمّت له الاستنارة فقد سمّيت فيما بعد شجرة العلم أو شجرة المعرفة (Bodhi tree) ولاتزال

---

(١) أصول البوذية ٧٥ ، ٧٦ .

موجودة حتى الآن في المكان الذي يعرف اليوم ببودهاغيا (Budhagya) وهي مقدّسة لدى البوذيين يحجّون اليها في مناسبات مختلفة (١).

وتروي القصة أن بوذا بعد ماتمّ له ما ينشده، لبث في وحدته هناك سبعة أيام مترددا بين أن يذيع في الناس ما أشرق له من المعرفة ليحظوا من العلم بما حظي به، أم يهملهم ويختزن لنفسه ما عرفه. فلم يطل تردده بهذا بل مال لنشرها، واستقرّ رأيه ان ينشر مذهبه الجديد، مهما استدعى ذلك النشر من مقاومة رغائب العامة والتعرض لسخطهم.

وهنا قسّم بوذا الناس الذين يتلقون تعاليمه الى ثلاث فئات: فئة تخلّصت من الشهوات، واخرى لم تزل فيها وتخلصت منها أحيانا، والثالثة استغرقت فيها ولكنها تمضي في طريقها الى الخلاص. ومثّل هذه الفئات الثلاث بزهرة اللوتس (٢) التي ظهرت بعضها فوق الماء، وطفت الأخرى على السطح، ونبتت الثالثة تحته. أما الفئة الرابعة فهي التي استحوذت عليه الشهوات، وستبقى فيها، ومثّلها بوذا بزهرة اللوتس التي نبتت في الوحل، وتبقى فيه الى الأبد. وهذه الفئة لا يرجى منها التخلص. (٣)

---

(١) في تايلاند: غرس البوذيون في كل معبد من معابدهم شجرة واحدة من نوع هذه الشجرة يأتون اليها ويتبركون بها.

(٢) وهي ضرب من النبات التي تنبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء. والبوذيون يستعملون زهورها في جميع طقوس دينهم، ويستعملونها كقربا بين لعبادة بوذا

(٣) ترى بيتاكا (فيتايا) ٢١٣.

وتحدّثنا القصة أن بوذا ترك غابة " بودهافيا " (Budhagya) وذهب الى مدينة : فاراناسى (Varanasi) حيث كان يعيش رفاقه النسّاك الخمسة الذين زاملوه في فترة جهاده وتقشفه ليدعوهم الى مذهبه .

وهناك جدّ بوذا في البحث عن رفاقه الخمسة حتى وجدهم ، وأفنعهم ثانية بتعاليمه الجديدة . فأطاعوه ، (١) وشادوا لأنفسهم في حديقة الغزلان الملكية بفاراناسى (Varanasi) أكواخا ، وأقاموا مدرسة وفد اليها كثيرون ممن كانوا يشعرون أنهم يستمعون الى أمور جديدة لا عهد لهم بها .

فأخذ بوذا يعلّمهم وينشر مبادئه وأفكاره بينهم حتى تبعه عدد كبير من الرجال والنساء والشيب والشباب .

ولازمه رفيقه يدّعى " آناندا " (Anandha) لم يفارقه في جميع جولاته ، كما كان له أحبار يبلغون الستين جمعوا حوله ، فطلب منهم القيام بنشر دعوته في مختلف نواحي البلاد (٢).

****

(١) المصدر السابق وقصة بوذا ٣/ ٣٥ .

(٢) قصة بوذا ٣٠ / ٣٨ – ٤٠ .

المبحث الخامس : وفاته

قام بوذا بدعوته الى مذهبه الجديد ، وكان يلقى عظاته في كل مكان ، في مدينة " فاراناسى" (Varanasi)،وفي " كوسينارا" (Kosinara)، وفي " توزمبي " (Kosampi)، (١) وفي " ساوتدي " (Sawatdhi)، وعلى ضفاف نهر " جنجا " (Ganges). وقد ظلّ على حياة التبشير والتسوّل حتى وصلت سنّه الثمانين ، ثم توفّي في مدينة كوسينارا سنة ٥٤٣ ق م . (٢)

ولوفاته قصة طويلة يرويها كتاب " ترى بيتاكا " (٣) وخلاصتها : أنه لما بلغ بوذا قرية صغيرة يقال لها " بافا " (Pawa) تبعد مائة ميل الى الشمال الشرقي من مدينة : فاراناسى" (Varanasi)، وهناك استقبله صائغ يدعى " جونتا" (Jonta) وقدّم له طعاما من لحم الخنزير ، وكان الطعام فاسدا ، ولكن بوذا لا يريد أن يجرح شعور الرجل ، فأكل منه ، ثم رقد في ظل شجرة وهو يحسّ بالألم الشديد ، ثم مات به وانتقل الى " نرفانا " .

ومما يروى عنه في آخر حياته قوله لأحد حواريه " آنانـدا " :

---

(١) وقعت على الضفة الجنوبية من النهر " جمنا " (Jamuna) وهي المعروفة الآن بولاية " الله آباد " (Allah Abad) (مجموعة المصطلحات البوذية ٤٦)

(٢) تاريخ الديانة البوذية ٣٢٦ وأيضا تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٢٩ .

(٣) أنظر (سوتان) ٣٢٦ ، ٣٢٧

" يا آناندا . لا تبكِ ، ألم أقل لك إن على الانسان أن ينفصل عن كل ما يحب ، ان الموت هو الطريق الى الخلاص ، ولا تتكرّر ولا د ة الانسان الّا اذا كان شريرا . (١)

وقد أحرقت جثّته حسب التقاليد الهندوسية ، ثم جمع ما تبقّى من رماده ، واقتسمه أتباعه الى ثمانية أجزاء ، ودفنوه في أضرحة في أجزاء مختلفة من الهند ، ومازال البوذيون الى الآن يحجّون اليها ويقدسونها .

هذه نبذة من حياة بوذا كما ذكرت في كتبهم ، وسأعرض فيما يلي أهم مبادئه الفلسفية التي بنى عليها مذهبه .

---

(١) المصدر السابق ٣٢٩ .

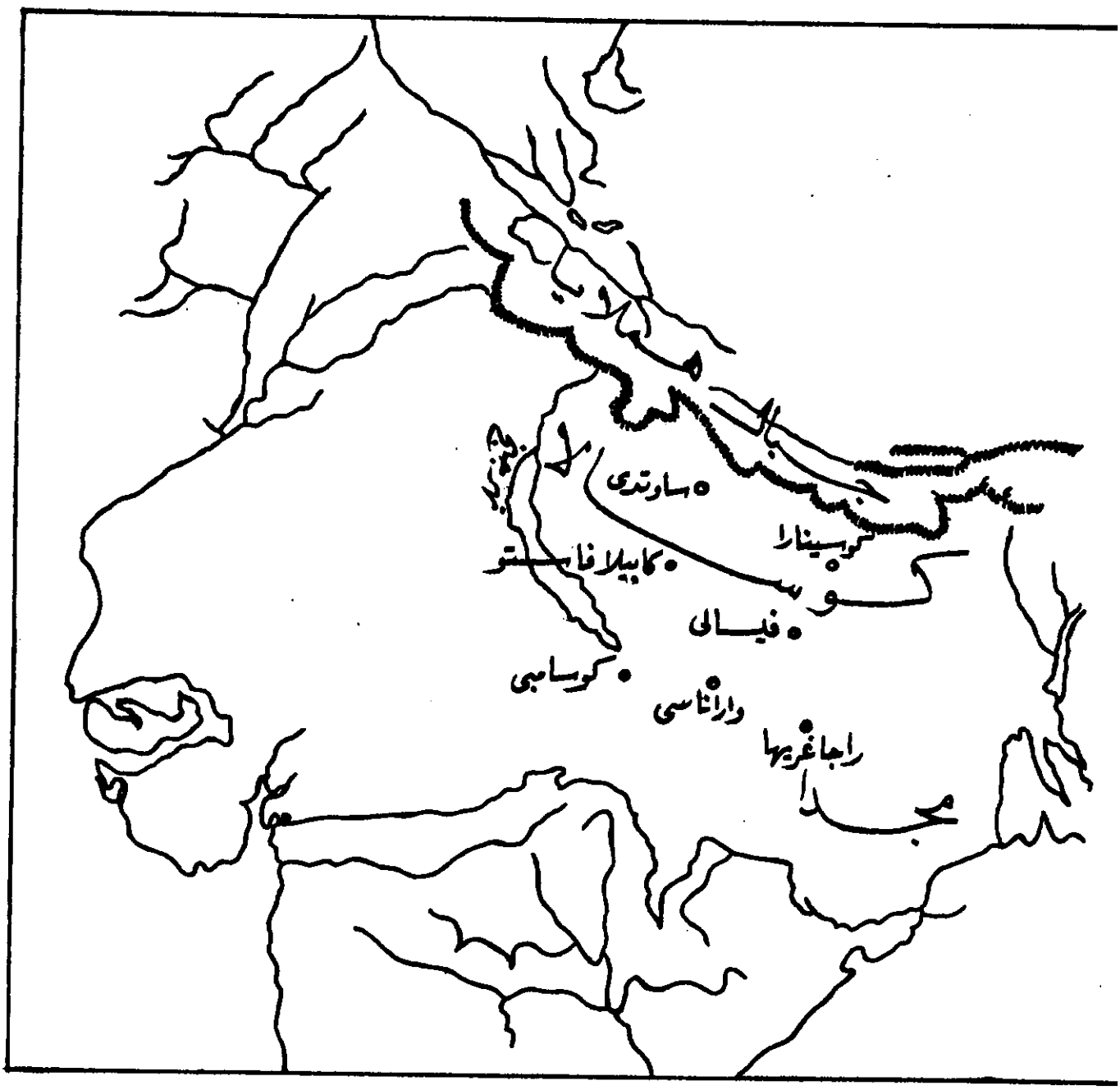

خريطة تبين المدن التى تجول فيها بوذ النشر تعاليمه

الفصل الثانى : الفلسفة البوذية وأخلاقها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحقائق السامية الأربع

المبحث الثانى : اناتا (ANATTA) أو انكار الذات

المبحث الثالث : الأخلاق فى البوذية

الفصل الثاني : الفلسفة البوذية وأخلاقها

المبحث الأول : الحقائق السامية الأربع

يختلف مذهب البوذية عن غيرها من المذاهب الهندية المختلفة ، فقد أسّس بوذا مذهبه بناء على تجربته الروحية ، وكانت دعوته حكاية عن هذه التجربة لا تعدو عنها ، إنه قطع كل علاقة له مع الحياة الدينية في الهند التي كانت تدين بآلهة كثيرة ، وكان ذهنه محصورا في دائرة أفكار عصره وقومه ، لم يكن له أي علم بالتاريخ ولم يكن له شعور واضح عن مغامرة الحياة الفسيحة ، إنه بدأ تجربته وفرغ منها دون أن يلجأ الى الاعتقاد بالله ، وأن الأساس الذي بنى عليه بحثه وتجربته أساس فلسفي خالص (١) حتى وضعه كثير من الباحثين المعاصرين في صفوف الفلاسفة . يقول بوذا فيما يروى عنه " أيّها الرهبان ، إن شقاء الحياة وضجرها وعناءها متولّد من رغبات النفس ، وإن الانسان قادر على أن يكون سيد رغباته لا عبدا لها ، وفي استطاعته الإفلات من هذه الرغبات بقوة المعرفة الروحية ..... ان هدف جهد الانساني يجب أن يكون الوصول الى حل

---

(١) وقد سار على هذا المنوال كثير من متقدمي الحكماء والفلاسفة ومن الملاحظ انهم ظهروا في وقت متقارب ، ولم يعترف أحد منهم بالدين السماوي ، و نذكر منهم :

١) مهافيرا (Mahavira) مؤسس الديانة الجينية في الهند (٥٩٩ – ٥٢٧ ق م)

٢) لاوتس (Lou-Tzu) مؤسس الديانة التاوسية (Taoism) في الصين (٦٠٤ – ٥٧٠ ق م)

مشكلة الحياة دون الاستعانة واللجوء الى شيء فوق العقل " (١)

وسأعود الى هذا الاتجاه بالنقد ان شاء الله في مكانه .

وتقوم دعائم الفلسفة البوذية على أربعة قواعد ذكرها بوذا في أول خطبة له بمدينة " فارانـاسى" (Varanasi) وفيما يلي أذكر نصّها مختصرا :

" هذه هي الحقيقة يا إخوتي "بيهكشو" (Bhikshu): ما هو الألم ؟ الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ،والموت ألم ، والانفصال عما نحبّ والاجتماع بما نكره ، واليأس والفشل ، كل هذا ألم .

هذه هي الحقيقة يا إخوتي "بيهكشو" : ما هو مصدر الألم ؟ الشهوة ، والتعطّش الى الوجود الذي يسلمنا الى اللذّة ، وتجديد الولادة ،والإحساس بالرغبة والأنانية ، كلّ هذه مصدر الآلام .

هذه هي الحقيقة يا إخوتي "بيهكشو" : كيف إفناء الألم ؟ إن الآلام لا تفنى إلا بالتحرر من الذات ، والانفلات من كلّ رغبة وشهوة .

هذه هي الحقيقة يا إخوتي "بيهكشو" : ماهي الطريقة الموصّلة الى

==========

= ٣) كونفوشيوس (Confucias) مؤسس الديانة الكونفوشية في الصين (٥٥١ – ٤٧٩ ق م)

٤) ومن الفلاسفة اليونانية سقراط (Socretes) (٤٧٠ – ٣٩٩ ق م) وأفلاطون (Plato) (٤٢٨ – ٣٤٧ ق م) وأرسطو(Aristotle) (٣٨٤ – ٣٢٢ ق م) وغيرهم .

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٢٩٠ .

الفناء الألم ؟ انها الممرات الثمانية :

الرؤية السليمة ، القرار السليم ، الكلام السليم ، العمل السليم ، السلوك السليم ، الجهد السليم ، التفكير السليم ، التأمّل السليم (١)

ثم يقول :

وها أنا ذا قد أريتكم يا اخوتي "بيهكشو" ما هو الألم ، وما سببه ، وكيف يكون فناؤه ، وما هي الوسائل التي يفنى بها .(٢)

هذه النصوص تبيّن ما قام به مذهب بوذا الذي أراد أن ينشره بين الناس ،وهو منصبّ على تجريد النفس ، وقمع الشهوات ، وإبطال الرغبات ، والتحرر من أمور الدنيا .

وتحوي هذه النصوص أهمّ عناصر البوذية الأربعة ، أو ما يسميه البوذيون الحقائق السامية الأربع (The four noble truths)

كما سنبيّنها فيما يلي :

١) الحقيقة الأولى :

الألم موجود ، فالولادة ، والمرض ،والعجز ، والشيخوخة ، والموت ومتاعب الحياة من فراق محبوب ، أو إصابة مكروه ، أو خيبة أمل ، كلّها تأتي بالألم ، وحتى نعم الحياة من الأولاد ، والزوجات ، والأموال ، والمناصب ، والثناء ، كلّها عند بوذا ألم وعذاب .

فالحياة عنده ليست الا سلسلة من موكب الآلام الحافلة بالعذاب

---

(١) المصدر السابق (فينايا) ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق ٢١٩ .

والتعب ، والكد ، والكفاح في سبيل البقاء والوجود على هذه الأرض (١) ولا يخفى على كل عاقل بطلان هذا الاتجاه الذي ينحطّ قيمة الانسان في هذا الوجود ، وكما أوضحته من قبل أن نظرة بوذا للحياة نظرة متشائمة فاسدة لاتصدقها الحقيقة والواقع ، فضلا عن أنها تخالف المفهوم القرآني ، والرباني ، والانساني بصفة عامة .

وعلى أساس هذه النظرة المتشائمة بنى مذهب بوذا فلسفته قائلا :

٢) الحقيقة الثانية

" إن كل شيء له سبب أو عامل ، ولابدّ لهذا الألم سبب أو عامل ، فالنار مثلا لها سبب في اشتعالها وهو وجود الوقود وإذا أفنى سببها وهو الوقود فنى المسبب وهو الاشتعال .

كذلك الإنسان له سبب في وجوده ، فإذا أفنى سبب وجوده فنى المسبب وهو الوجود وهكذا (٢)

فما هو سبب وجود الإنسان إذن ؟

إن السبب في وجود الانسان عند بوذا هو الرغبات والشهوات ؛ لأنها هي التي تبعث في الانسان الرغبة في اللذة ، والتملك ، والشوق الى عالم مستقبل ، فاذا وجدت هذه الرغبات والشهوات ، وجد الانسان واذا انتهت الرغبات والشهوات انتهى وجود الانسان (٣)

---

(١) أنظر أصول البوذية ٢٥٥ ـ ٢٥٦ والفلسفة البوذية ١٢٩ .

(٢) تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٢٧

(٣) المصدر السابق وأنظر أيضا

Introduction to indian philosophy P. 22I

فالشهوات والرغبات على زعم بوذا هي التي تحمل الانسان على التناسخ والظهور من جديد بعد فناء هذا الجسد ، فيتجدّد المولد الفردي مرة أخرى نتيجة من رغباته وشهواته المتقدمة ، وهكذا الى مالا نهاية .

ولا تنتهي هذه السلسلة المشئومة حتى تعدم بذورها من الشهوات والرغبات والعواطف والميول ، فينتهي الميلاد ، فالهرم ، فالمرض ،فالموت وسائر أوجاع الحياة وحسراتها .

وقسّم بوذا الشهوات البشرية الى ثلاثة أقسام :

١) شهوة تحقيق الرغبات الجنسية .

٢) شهوة تحقيق الرغبات في الخلود النفسي .

٣) شهوة تحقيق الرغبات في النجاح والثراء والاهتمام بأمور الدنيا .(١)

وزعم بوذا أن الشهوات البشرية ورغباتها كلها شر ،لاخير فيها اطلاقا . فالحب ، والرضى ، والحرص ، والطمع ، والطموح ، والغضب ،والغرور، والحقد ، والحسد ، والكراهية ، كل هذه شر لأنها تأتي دائما بالألم والحزن .

يقول بوذا مخاطبا أحد تلاميذه يدّعى " ساري بوترا "(Saributra) بوذا ـ " يا ساري بوترا ، ماهو السبب في حزنك وألمك عندما مات أحد من جيرانك " ؟

ساري بوترا ـ " لأني وجدت في نفسي حبّا فيه فاحسّ بالحزن عند موته"

---

(١) أصول البوذية ٢٦٧ وأيضا الفلسفة البوذية ١١٦ .

بوذا ـ " أجل اذا لم يكن عندك حبّ فيه فهل تحس بالحزن والألم ؟

ساري بوترا ـ " لا يا سيدي " .

بوذا ـ " إذن كل ما مضى من الآلام وما يستقبل منها له سبب وهو الحب ، ان الحب والرضى هما سببان للآلام والأحزان " . (١)

وهنا يحق لنا أن نقول إن كثيرا من هذه الرغبات والشهوات صالحة لا غبار عليهاولها ما يبررها . ولكنّ بوذا لم يسلّم مطلقا بأن هذه الرغبات والشهوات قد تكون صالحة ، بل يذهب الى أبعد بعيد حينما جعل الرغبات والشهوات التي أشبعها الانسان والتي تولّدت منها الأعمال هي التي تنتج وتوجد كائنا جديدا .

فان كان للانسان شهوات حيوانية وحشية ، تتجمّع هذه العناصر كلّها ، وقد تخلق بعد موته حيوانا شرسا وحشيا كالنمر ونحوه. (٢)

وهذه هي أكبر المزاعم الفاسدة التي أثارها بوذا في دعوته ،وهي في الحقيقة قائمة على أساس الكفر بالله وباليوم الآخر ، كما هي قائمة على منطقه الغريب الذي يقول :

" إن أسباب الولادة والموت هي الجهل " أفيديا " (Awidya) الذي يسبّب الرغبة في العيش ، وسبب هذه الرغبة وجود الادراك الستة التي هي الحواس الخمس والعقل ، وسبب الادراك الستة هو الجمع والتركيب بين الجسم والروح ، وسبب هذا التركيب وجود الجسم مع رغبته في العيش

---

(١) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٣٥٨

(٢) تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٢٨

في حياته السابقة . (١)

وهذه السلسلة هي ما يطلق عليه البوذيون في كتبهم بناموس العلة والمعلول ، به يتم الخلق والتكوين ، وبواسطته تظهر في الوجود حركة الحياة . (٢)

ومن هنا ينكر بوذا وأتباعه الإله الخالق سبحانه وتعالى،ويؤمنون بهذا الناموس. وسيأتي تفصيل هذا الموضوع عند حديثنا عن الفيلسوفة الألوهية ان شاء الله .

٣) الحقيقة الثالثة عند بوذا إعدام الألم

وهي مبنيّة على الحقيقة السابقة التي تقول إن الآلام والأحزان والمشكلات التي يعانيها الانسان كلها منبعث من السبب ،وهو زحمة الآمال والأماني والرغبات والشهوات التي تراود الانسان وتحتضنه دائما ، وإن هذا السبب قابل للزوال ،أي في استطاعة الانسان التخلص من هذه الآلام والمشكلات ،وذلك بمنع جميع الرغبات والشهوات والآمال والأماني ، والإفلات منها نهائيا ، وانكار الذات مطلقا والتحرر من كلمة " أنا " بكل الوسائل ، وقطع جميع العلاقات بها . (٣)

ومما ورد عن بوذا في ذلك قوله في إحدى خطبه في مدينة " فاراناسي " (Varanasi) : " ان قمع الجسد عذاب باطل ، وبدون

---

(١) انظر ترى بيتاكا (فينايا) ١١٣ ، ٢١٤ .

(٢) الفلسفة البوذية ١١٠ وانظر أيضا

Introduction to indian philosophy P.222-224

(٣) Ibid. P. 227

فاشدة ، والانسان لا يقدر أن يتحرر من كلمة " أنا " ومن الذات الأمارة بالسوء ان لم يفلح في اطفاء نار الشهوة ."

وقوله أيضا :

" ان كل الم للجسد باطل مادامت الذات تسعى وراء الشهوات والمسرّات ان الذات المتميزة هي التي تتحرّر من كل شهوة ، فلا ترغب في العالم ولا في المسرات " (١) .

ورأى بوذا ان جميع الكائن الحيّ واقع في ربقة دوران الأرواح المستمر ، لأن الشخص إذا مات فان روحه - بسبب ما يشوبها من الشهوات - ستعود فتولد من جديد في أدوار أخرى من التقمص ،وهكذا الى مالا نهاية . فعلى الانسان أن يفلت نفسه من هذه الربقة بتطهير النفس ،وابطال سائر الرغبات ، واماتة سائر الشهوات ، والتجرد من أمور الدنيا ، والدخول في ملكوت "نرفانا" (٢) و هي الراحة العليا كما يزعمون .

وكانت عقيدة بوذا التي يؤمن بصدقها هي أن الألم أرجح كفة من اللذة في الحياة الانسانية ، فعنده ان كل لذة تحمل سمّها في طيّها لمجرد أنها لذة عابرة قصيرة ، وعنده ان كل الرغبات البشرية وشهواتها ، وآمالها ، وأمانيها ، تعتبر من الرزائل التي لابد من إعدامها ، وكان منشأها عنده هو اللذّات والانهماك فيها ، وما

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٦١

(٢) انظر تاريخ الديانة البوذية ١٢٧ .

تدعوا اليه . (١)

وترجع الرزائل عنده الى أصول ثلاثة :

١) الاستسلام للملاذ ، فانه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر

٢) سوء النية في طلب الأشياء ، وذلك من تمكّن اللذات في النفس وهو أيضا أصل لكثير من الرزائل كالغش والكذب .

٣) عدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح " أفيديا " (Awidya) وغالبا ما يكون منشأه سيطرة الشهوات على النفس ، فيمتنع منها التنوّر أو الإشراق الذي نشأ من التجرد من الملاذ وهجر الشهوات . (٢)

ولقد قلنا ان الشهوات والرغبات عند بوذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام وكلّها شرّ بل هي أم الشرور . وفوق الشهوات كلها الشهوة الجنسية لأنها تؤدي الى التناسل الذي يطيل من سلسلة الحياة الى ألم جديد بغير غاية مقصودة (٣)

ولقد رأى بوذا أن الأوهام من أعظم الشرور ، وأنها مسيطرة على الإنسان نتيجة رغباته وشهواته ، فينبغي للإنسان أن يبيدها بإماتة الرغبات في نفسه . وفي ذلك يقول :

---

(١) المصدر السابق ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) أصول البوذية ٢٧٨ .

(٣) وعلى هذه العقيدة الفاسدة فقد وجدت حركة تحديد النسل الدول البوذية مكانا خصبا لتحقيق مآربها ، لأن موانع الحمل بجميع أنواعها تعني ايقاف الولادة ، وبالتالي إيقاف الألم على زعمهم ، فبدلا من إيقافهم الولادة بايقاف الرغبات والشهوات على حسب تعاليم بوذا ، وجدنا البوذيين اليوم يوقفون الولادة بطريقة =

يا اخوتي بيهكشو، إن كل شيء في الكون يتحوّل بلا انقطاع ، وإن كل شيء في الكون يهلك ويتجدد ، وإن كل شيء في الكون في يومنا غيره بالأمس ، فهل تجدون غير الأوهام التي هي وليدة الرغبة وهدفها؟ ألا نحسن صنعا إذا ما قتلنا الرغبة في أنفسنا ، وأبدنا بذلك الأوهام فالآلام ؟ (١)

ومن هنا نعرف أن بوذا وان كان قد عدل عن اماتة نفسه وتعذيبها في طور حياته الأولى ، فانه لم يعدل عن تفكيره ، ولم يخرج عن اطاره في هذا الطور الثاني وهو الأخير .

وقد صدق الدكتور أحمد شلبي اذ يقول :

" ومن الواضح أن الانسان يستطيع فجأة أن يغيّر أحواله المادية من صوم الى طعام ومن تقشف إلى بذخ ، ولكنه لا يستطيع بسهولة أن يتخلّى من تفكيره وفلسفته " (٢)

وها هو بوذا فإنه غيّر أحواله وترك طريقه الأولى من تعذيب النفس بالحرمان والرياضات العنيفة ، ولكنّه لم يستطع التخلي من تفكيره وفلسفته ، فما زال تفكيره يدور في إطار ضيق لا يخرج عنه إطلاقا ، وهذا الإطار هو الآلام البشرية المزعومة ، وكيف الخلاص منها ، ولهذا فقد رأينا بوذا - في طريقه الجديد - دعا الى تعذيب النفس

= = موانع الحمل وعلى هذا الاعتقاد أيضا فقد حرمت الديانة البوذية الزواج على جميع الراهبين والراهبات .

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٦١

(٢) أديان الهند الكبرى ١٤٢ .

لا بالحرمان ولا بالرياضات العنيفة ؛ ولكن بحبس الشهوات والرغبات، وإنكار النوازع الفطرية الأصيلة في النفس ، والقضاء عليها نهائيا. كما تبيّن من خلال أقواله التي أوردناها .

أقول إن هذه الطريقة التي ادّعى بوذا لنفسه وزعم أنها هي الوسيلة الوحيدة للتغلب على الآلام والهموم البشرية ، ماهي إلا تجربة شخصية فاشلة ، لا يمكن إطلاقا بأي وجه من الوجوه أن تحقق السعادة ، والطمأنينة ، والأمان في حياة الإنسان ،بل العكس إنها سبب في تعطيل قوى النفس الانسانية ، وتؤديها الى الكبت والهلاك. إنها طريق يستحيل للانسان تطبيقه ؛ لأنه ما من انسان الا وهو مفطور على الرغبات والشهوات ، والميول ، والعواطف ، والآمال والأماني، وماشابه ذلك من الغرائز الفطرية التي لا تنفك منها البشرية ، ولا يخلو أحد منها إلا وهو ناقص في بشريته ، ولهذا فليس في وسع الإنسان ومكنته أن يتجرد أو يتخلّص من هذه الغرائز ، مهما كان رتبته ومكانته ، ومن ادّعى ذلك فهو كاذب ، لأنه كيف يتصوّر الانسان فيمن تجرد من الرغبات والشهوات ، بحيث لا يكون عنده حبّ ولا رضى ولا طمع ولا غضب، ولا كراهية . ؟ انه لا يخلو من حالتين :

إما أن يكون مجنونا أو فاقد الحس .

الا ترى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم – مع كونهم من أفضل الخلق ، ومكانتهم العليا عند الله – يتّصفون بجميع الصفات التي لا تنفك عنها البشرية ، من الحب ، والرضا ، والغضب ، والرغبة

والحرص ، والأمل ، وماشابه ذلك . قال تعالى : قل إنما أنا بشر مثلكم " (١)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر .... " (٢)

وهكذا واقع الانسان الذي خلقه الله يحب ، ويرضى ، ويغضب ، ويكره ، ويطمع ، ويأمل ، ولا يستثنى أحد من هذا الواقع حتى الرسل والأنبياء فكيف من دونهم من سائر البشر ؟

وهذا سرّ ضلال الفلسفة البوذية التي تدعو إلى تجريد الرغبات والشهوات . وقد فشلت هذه الفلسفة في معالجة مشكلات الحياة لأنها إنكار لواقع الانسان الذي خلقه الله ، إنكار لفطرته التي فطر الناس عليها . قال تعالى :

" فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون " (٣)

إن الاسلام دين الفطرة ، فلا ينكر رغبات الانسان ، وشهواته وميوله ، وعواطفه . وإنما ينكر الاسلام استعمالها وممارستها خارج الحدود والضوابط التي رسم الله له ، مما يؤدي الى الفساد والاباحة والانهيار في المجتمع الانساني .

---

(١) الكهف ١١٠

(٢) من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك . صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٥٤ ـ ١٥٥ (كتاب صفات المنافقين، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبّه .)

(٣) الروم ٣٠

وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى أن الفطرة البشرية استعداد للخير وللشر معا ، خلافا لما زعم بوذا وأتباعه .

يقول الله سبحانه وتعالى :

" ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين " (١) أي طريقي الخير والشر .

ويقول أيضا :

" ونفس وما سوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها " (٢)

هذه الآيات القرآنية وأمثالها تكشف لنا عن حقيقة الطبيعة الانسانية وتبرز لنا نظرة الاسلام الى الانسان بكل معالمها .

فالاسلام يرى أن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة مزدوج الاستعداد ومزدوج الاتجاه ، وفي الانسان طبيعة الخير وطبيعة الشر ، وان ايمانه بالله هو الذي يردّه عن الشر .

والاسلام يحرّض على إبلاغ الانسان أعلى مستوى ممكن من الكمال ولكنه في نفس الوقت لا يغفل عن طبيعة الانسان وواقعه ، ولهذا يفسح الاسلام للرغبات والشهوات والميول والعواطف طريقها الى التحقيق ، ويحيط الانسان بالضوابط والقيود التي تحميه من الفساد وهذا هو المنهج الصحيح والوحيد الذي يكفل في تحقيق السعادة

---

(١) البلد ٨ – ١٠

(٢) الشمس ٧ – ١٠ .

والطمأنينة والأمان للحياة البشرية كلها .

٤) الحقيقة الرابعة : الوسيلة لإعدام الألم .

ولاعدام الألم طريق واحد عند بوذا وهو اتّباع ما يسميه "الشعب الثماني أو الممر الأوسط بين التلذذ والزهد"(١) وهذه الشعب الثماني هي قواعد الحياة الحقة في البوذية .

وقد ذكر الكتاب " ترى بيتاكا " هذه الشعب الثماني في عدة مواضع أذكر منها :

يقول بوذا " انظروا أيها الرهبان ،

ان لهذا الممرّ الأوسط ثماني شعب هي :

١ - سلامة الرأي (Samma titi)

أي المعرفة بالحقائق الأربع (الألم ، وسبب الألم ، وإعدام الألم ، والسبيل لإعدام الألم)

وتكون بالهدوء الدائم ، وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن .

٢ - سلامة النية (Samma sangkapa)

وتكون بهدوء المرء دائما ، وبعزمه على التخلص من الشهوات وعدم ايذاء أي مخلوق .

٣ - سلامة القول (Samma waja)

وتكون بالابتعاد عن الكذب ، والنميمة ، وعدم التلفظ بالكلمة الفاحشة .

---

(١) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٤٠٥

٤ ـ سلامة الفعل (Samma kammanta)

وتكون بالابتعاد عن السرقة ، وقتل الحيوانات ، والاعتداء على حق الغير ، وفعل ما يأسف له أو يخجل منه .

٥ ـ سلامة العيش (Samma A-sheva)

وتكون بالكسب الحلال ، والبعد عن العمل السيء مثل التزييف ، وعن أخذ السلع المسروقة ، وعن اغتصاب المرء ماليس له .

٦ ـ سلامة الجهد (Samma vayam)

بأن يسعى المرأ دائما الى كل ما هو خير ، والإبتعاد عمّا هو شرّ .

٧ ـ سلامة التفكير (Samma sati)

وتكون بقطع الجهل " أفيديا " الذي جعل المرء يتعلّق بالأوهام وينسى لباب الأمور .

٨ ـ سلامة التأمل (Samma smadhi)

وتكون بصفاء النفس والبصيرة ، وإيجاد التأمل الدائم ، وعدم الخوف والقلق ، ولا تتأتّى الا باتباع القواعد السابقة ، فلا يشعر بالألم والحزن ، ولا يشعر بالسعادة والسرور ، لأنه ترك الجميع وتخلّص منه ، وبلغ مرحلة السلام الكامل " نرفانا ". (Nirvana) (١)

---

(١) سوتان ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

ولهذه الطريقة أربعة أطوار تتكسّر في خلالها القيود العشرة التي تقيّد الإنسان وتمنعه من الوصول إلى درجة الكمال الانساني " أراهات " (Arhat)

والقيود العشرة هي :-

١ - الوهم الخادع في وجود الذات

٢ - الشك في ثالوث البوذي (بوذا ، تعاليمه ، الرهبان)

٣ - الاعتقاد في تأثير الطقوس السحرية

٤ - الشهوة .

٥ - الكراهة .

٦ - الرغبة في البقاء المادي ، كالنقود

٧ - الرغبة في البقاء غير المادي ، كالثناء والجاه .

٨ - الاعتداد بالبر الذاتي .

٩ - القلق .

١٠ - الجهل .

فالطور الأول يقدر الانسان على كسر القيود الثلاثة الأولى

والطور الثاني يقوي فيقدر على تخفيف الثلاثة الأخرى بعدها

والطور الثالث يحطّمها تحطيما نهائيا

أما الطور الرابع فهو طور القديسين (Arhat) وفي هذا الطور يتحرر القديس من القيود البالية ، ويكون قد أدرك الهدف الذي يسعى اليه

وهو " نرفانا " (١)

بهذه الآداب ينجو الإنسان عند بوذا من عجلة التناسخ الدائرة بالولادة والموت، والتجدد في حياة بعد حياة ، وجثمان وراء جثمان وبهذه الآداب يتخلص الانسان من العالم المملوء بالآلام والآثام فيدخل في " نرفانا " ولا يولد بعد ذلك ولا يموت .

يقول بوذا :

" لقد أحرزت - يا إخوتي بيهكشو - علم الحقائق الأربع ، وأحرزت فهمها ، فصرت على يقين بأني قد بلغت أسمى درجات المعرفة ، وأنني الآن هذه المرة ولادتي الأخيرة على الأرض ، إذ بتجردي من الألم قد أزلت التناسخ ولن أولد مرة أخرى بعد هذا " (٢)

وقد أصبحت هذه الحقائق الأربع المزعومة جوهر مذهب البوذية على مدى العصور ، واعتقد البوذيون أن المعرفة بها أفضل المعارف ؛ إذ بها توصّلهم الى الهدف الأسمى المنشود وهو " نرفانا " ، فمن آمن بها وحافظ عليها كتبت له النجاة والسعادة ، ومن لم يعرفها ولم يؤمن بها ظلّ في شقائه وآلامه ، يموت ويحيا ، ثم يهرم ويهلك ، فيولد من جديد " (٣)

---

(١) المصدر السابق (سوتان) ٤١١ ، ٤١٢ ومجموعة المصطلحات البوذية ٦٨٧ - ٦٨٨ .

(٢) المصدر السابق سوتان ٤٧٨ .

(٣) الفلسفة البوذية ٢٠٤ وأيضا أصول البوذية ٢٥٣ والمبادئ الهامة للبوذية ٢٨ ، ٢٩ .

أقول إن هذه الحقائق الأربع البوذية ما هي في الحقيقة إلا خيالات وأوهام ابتدعها بوذا لنفسه كردود فعل من تعاسة الحياة وشقائها في مجتمع الهند في عصره .

وكما تبين من خلال النصوص أنه بنى أوهامه على أساس الالحـــاد والكفر بالله وباليوم الآخر ، فألقى الجانب الرباني والتأله مـــن فلسفاته وواجباته ، واقتصرت فروضه على الجانب الأخلاقي وحده .

المبحث الثاني : انكار الذات " آناتا " (Anatta)

تختلف النظرية البوذية حول الكائن من النظرية الهندوسية الفلسفية بأن في كل كائن ذاتا يسمى " أتمان " (Atman) وهو ليس من الاله " براماتما " (Barmatma) فالبوذية ترى أن الذات غير واقعة أو مجرد لفظة مفترضة ، وليس لها وجود ، ويطلقون على هذه النظرية بانـاتا (Anatta) أي لا ذات .

وتعتبر هذه النظرية من أهم المبادىء الفلسفية التي تدور حولها سائر التعاليم الأخلاقية في البوذية .

وقد فسرها العلماء في البوذية بتفسيرين :

التفسير الأول

أي ليس للانسان ذات حقيقية ، بل ذات وهمية خيالية تتكوّن من خمسة عناصر وهي : -

١) الجسم Body

٢) الحواس Sensation feeling

٣) التذكر Remembering

٤) التفكير Thought

٥) الوعي Sen sorial consciousness (١)

إن هذه العناصر الخمسة التي يتكوّن منها الانسان ليست ذاتا للانسان ، وإنما هي مجرّد حالات أو سلسلة التي تخضع لقانون شامل هو قانون الحدوث والتغير والزوال والفناء ، فالانسان ليس له ذات

(١) ترى بهتاكا (أبيدارما) ٧١٣ .

حقيقية . إنما هو مجرد تجميع لهذه العناصر التي تحدث وتتغير وتفنى حسب الأسباب والعوامل .

والمراد بالأسباب والعوامل هنا هو الوجود الحسي في الانسان ، لأنه عند بوذا سبب لوجود الشهوات والرغبات . كما أن الشهوات والرغبات كلتيهما سبب لحدوث الألم : وهو الولادة ، والهرم ، والمرض ، والموت (١) وهكذا كل كائن ، إنه كلمة بدون مضمون ، إنه مجرد اصطلاح وتسمية ودلالة على شيء مناسب ، وليس له جوهر موجود يعتدّ به (٢)

وعلى هذا التفسير فلا حقيقة للذات في البوذية لاعتبارها شيئا قابلا للتغير والفناء لا قيمة لها في الاعتداد بها .

وهنا ننقل بعض أقوال بوذا التي تبيّن هذه النظرية :

" يا اخوتي بيهكشو ؛ كل شيء الى زوال ، لا شيء باق ، لا شيء ثابت الأحوال .... كل شيء هو مفترض ، يظهر هنا ، ثم يفنى هناك ، وهكذا دواليك " (٣)

" كل شيء فارغ والكل لا جوهر له ، لاشيء موجود ، والكل يسير ويفنى والكل في صيرورة مستمرة بغير جوهر .....(٤)

" يا اخوتي بيهكشو ، إن الجسم والحواس ، والتذكر ، والتفكير ، والوعي كل هذا شيء وهمي لا وجود له ، إنه يحدث ويتغير ، ثم يزال ويفنى

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٢٢٣ ، ٢٢٤

(٢) المصدر السابق ٢١٩ وانظر أيضا الفلسفة البوذية ٢٠٦ .

(٣) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٠٥ وأيضا (أبيدارما) ٦٥٣

(٤) المصدر السابق ٣١٢

ولا يقدر الانسان ان يحكم عليه ، أو يقضي فيه كما يشاء .. " (١)

الذات هي " مارا " (Mara) : الغرور وصانع الشر ، فمسراتها عابرة تقود الى الألم ، وجمالها المتغير يوقد نارا في اللذات التي لا تنفد " (٢)

" تعلّموا يا إخوتي بيهكشو ، أن تميّزوا بين الذات والحقيقة ، فان الذات سبب الأنانية ومصدر الخطيئة ..... ان الذات تصوّر باطل يرغب فيها الأنانيون ، فكل اهتمام بالذات باطل مهما كانت الحال. ومثل الذات كمثل سراب يتبدد كلّما اقترب منه الرائي ....

ان الذات خداعة تتراءى حلما جميلا ثم يضمحل ، أما الحقيقة فتبقى وتأتي بالطمأنينة .... (٣)

هذه النصوص تبيّن وجهة نظر بوذا في الذات ، وانها محض خيال ووهم ، والاعتداد بها مصدر للآلام .

التفسير الثاني

فسّره بعض فلاسفة البوذيين المعاصرين بأنه لا وجود للذات ولا وجود للروح ، أي لا حقيقة ولا خلود لهما .

ويشرح القدّيس البوذي " بودهي نانندا " (٤) هذا المعنى فيقول :

" ان الذات شبهة إنسانية نشأت من تخيّل الانسان كل موجود على

---

(١) المصدر السابق ٤٢٧

(٢) المصدر السابق ٤٩٢

(٣) المصدر السابق ٤٩٣

(٤) مر تعريفه في المقدمة . صفحة ٣٦ .

مثاله ، فالأجسام والأعراض التي سمّيناها بأسماء مختلفة ما هي إلا أشياء افتراضية خيالية . أما الروح فهي أسطورة من الأساطير فرضناها بغير مبرّر يؤيدها لنريح هذا الفرض أذهاننا الضعيفة فرضناها قائمة وراء سلسلة الحالات الشعورية المتواصلة والمتعاقبة. وكل ما هو موجود حقا هو الاحساسات نفسها والادراكات نفسها تتكون بصورة آلية في هيئة تذكرات وأفكار ... فالانسان ليس له وجود مستقل، لا ذاته ، ولا روحه ، إنه حلقة في سلسلة متتابعة ، وإن حياته لا تتجاوز أن تكون تلاحقا مستمرا لتلك الأحاسيس والادراكات " (١)

والواقع إن هذا التفسير شبيه بالتفسير الأول؛ غير أن المفسرين أرادوا بهذا التفسير الردّ على البرهميين في اعتقادهم بحقيقة الروح وخلودها .

والبرهميون يعتقدون أن الروح حقيقة أزلية خالدة ، لا تتغير ولا تفنى وهي واحدة في الأصل ، موجودة بذاتها ، لا تحتاج في وجودها الى أي سبب أو عوامل ، وإذا مات الانسان مات جسمه ، وتبقى روحه لا تموت فتخرج الروح من الجسم الميّت ، وتتقمّص في جسم جديد ، ثم تولد في حياة جديدة ، وهو في هذا كالذي خلع قميصه ولبس قميصا جديدا ، أو كالذي خرج من داره القديم ودخل في داره الجديد . هذا

---

(١) انظر الفلسفة البوذية ١١٣ .

بخلاف البوذيين القائلين بفناء الروح ، أي إنها خاضعة لقانون الزوال والفناء . إنها تحدث وتفنى على استمرار تبعا للأسباب والعوامل كما سبق أن بيناه .

وخلاصة ما أسلفته في هذا الموضوع انه لم يكن في رأي بوذا ما يعرف بالذات أو الروح ، أي انه لم يسلم بوجود الذات كشخصية موحدة ، ولم يسلم بخلود الروح وحقيقتها ، ولم ير الا تلك المجموعة من الصفات أو الخواص الخاضعة للقانون أو الناموس الذي أشرنا اليه وهو ناموس العلة والمعلول ، بهذا الناموس يفسر الموجودات كلها عند بوذا .

ولقد قصد بوذا من فلسفته هذه عدم الاعتداد بالذات والغرور بها لأن ذلك يؤدي الى الآلام والأحزان عندما تغيرت عناصر الذات الى ما لارغبة فيه ، كتغير الجسم الى المرض ، أو الهرم ، أو الموت ، وكتغير الأشياء المحبوبة إلى الفناء والاضمحلال والعدم . (١)

فعلى الانسان في ظل هذه الفلسفة التحرر من الذات ، والتغلب على عناصرها الخمسة ، ومحو كلمة " أنا " من نفسه . وهذا هو الطريق الذي يدفع المرء الى الحكمة العليا أو الصفاء الروحي في زعم بوذا .

ومن التناقضات في هذه الفلسفة :

---

(١) أصول البوذية ٢١٩

١) إنها تتناقض مع تعاليم بوذا المعروفة باللجوء الى النفس دون الغير ؛ يقول بوذا في إحدى خطبه :

" يا اخوتي .... فليكن كل أحد منكم اللجوء الى نفسه إن نفسه فقط هي الملجأ الصحيح .... ولا يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى " (١)

فاذا كانت النفس في نظرته شيئا وهميا خياليا ، فكيف يكون اللجوء اليها ؟ أليس اللجوء اليها هو اللجوء الى الوهم والخيال ؟

٢) إنها تتناقض مع الأخلاق التي تعتني بها البوذية . اذ كيف يعقل أن تكون للأخلاق مكانة في ذات وهمية ليس لها وجود ولا تتمتع بأدنى ما يمكن من الثبات والاستمرارية ؟

٣) إنها تتناقض أيضا مع عقيدتي " كارما " و"التناسخ" اذ لايعقل أن تتحمل الذات " أنا " مسئولية أعمالها في حياتها السابقة وتولد في حياة بعد حياة، مادامت الذات " أنا " عالما من الوهم والخيال والخرافة .

هذا بالاضافة الى بطلان هذه الفلسفة ، لأنها تنحط من قيمة الانسان الذي خلقه الله في هذه الأرض .

والحق أن وجود الانسان وكل ظواهر الكون وجود حقيقي لا وجود وهمي كما زعمه بوذا وأتباعه ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا

---

(١) ترى بيتاكا (أبيدارما) ٧١١ .

الوجود آية من آياته حيث قال :

" إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما يبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون " (١)

فلا تكون آية الله إلا حقيقة لا خيالا . أما كون هذا الوجود متصفا بالتغيّر والفناء فلا يدلّ ذلك على خياله وعدم حقيقته ، وإنما يدلّ على حدوثه ووجود محدثه ؛ ففي المنطق المعروف لدى العقلاء " الكون متغير ، وكل متغير حادث . وكل حادث لا بدله من محدث".

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المبدأ الحق في قوله تعالى :

" أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون " (٢)

وقد أدرك بوذا وأتباعه التغير والزوال في هذا الكون ، وأدركوا أيضا أنه ليس للانسان تدخّل في ذلك ، ولكن لم يوصّلهم هذا الإدراك إلى الاعتراف بوجود قدرة عليا من الخالق سبحانه وتعالى المدبّر للكون والانسان والحيوان . إنهم أرادوا الفرار من أوهامهم المزعومة ، ولكنّهم وقعوا في أوهام أخرى حقيقية أكبر وأعظم مما قبله ألا وهي الكفر بالله وعدم التدبر في خلق الله للوصول الى وجوده والايمان به .

" وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (٣)

---

(١) الجاثية ٣ – ٤

(٢) الطور ٣٥ .

(٣) الذاريات ٢٠ – ٢١ .

المبحث الثالث : الأخلاق في البوذية (Sila dharmma)

ان قضيّة الأخلاق في البوذية من القضايا التي اهتمّت بها اهتماما كبيرا . ويمكن القول بأن جزء الخصب في البوذية هو مذهبها في الأخلاق .

وقد أشرنا فيما سبق الى أنّ البوذية ألفت الجانب الربّاني من فلسفاتها وواجباتها، واقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الانساني وحده فكانت فكرة بوذا عن الدين فكرة خلقية خالصة ، وكلّ ما يعنيه سلوك الناس ، أما الطقوس،وشعائر العبادة ، وما وراء الطبيعة فكلّها عنده لا تستحق الكلام والنظر فيها ؛ الأمر الذي جعل نحلته البوذية مليئة بالخلال والفراغات ملأها أتباعه بعد وفاته حتى أصبحت كما هو معروف اليوم .

وفي الكتاب " ترى بيتاكا " المقدس والمعتمد لدى البوذية ما يوضح لنا مدى اعتناء بوذا بالأخلاق حيث تناول أكثر من ثلثي الكتاب الحديث عن القواعد السلوكية والتعاليم الأخلاقية ، أو ما يعرف باسم " سيلادهارما " (Sila dharmma) : أي الأخلاق .

ولكن لا يسعنا أن نفصل هذه الاخلاق البوذية في هذا البحث فإن تفصيلها يحتاج الى صفحات طويلة ، ونرى أنه يكفينا في هذا البحث أن نتناول موجزا من أهمّ تعاليم الأخلاق في البوذية مع بيان عيوبها ان توجد ان شاء الله .

الاخلاق العامة والأخلاق الخاصة

ذكر في كتاب "ترى بيتاكا " (١) أن بوذا قسم تعاليمه الى ثلاث درجات : وهي الابتدائية ، والمتوسّطة ، والعالية ؛ ولكلّ درجة منهـا تعاليم خاصة بها .

ففي الدرجة الابتدائية ذكر بوذا خمس رزائل أو ما يعرف عنـد البوذيين باسم "(Sila) جاء النهي عنها على صورة وصايا ،وهي لو أخذ الشخص نفسه بها ، ورعا حقّ رعايتها ، كان في الأخذ بهـا استيلاء تامّ على الارادة ، وتلك الوصايا الخمس هي :

١) لا تقتل أحداً، ولا تقض على حياة حيّ من الحيوان .

٢) لا تأخذ مالا يعطى اليك .

٣) لا تكذب ولا تقل قولا غير صحيح .

٤) لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا ما .

٥) لا تباشر علاقة جنسية محرّمة .

وذكر الكتاب أن هذه الوصايا الخمس قد تضمنت في مقابلها خمـس فضائل ؛ وهي التحلي بالرحمة ، والكسب الحلال ، والصدق ، والوعي الكامل ، والعفة . ان هذه الدرجة من الأخلاق وضعت لعامة البوذيين المدنيّين أي الذين يسكنون المنازل ، أما الذين يتطلّعون منهم الى سلـك الرهبنة ، فعليهم فوق ذلك . اتّباع الوصايا العشر الباقية وهي كالآتـي

١ ـ الامتناع عن الطعام في الليل وعن تناوله أكثر من مرة فـي

---

(١) انظر (سوتان) ٢٨٩ ـ ٢٩٠

اليوم .

٢ – الامتناع عن تزيين الجسم بالعطور ، أو الزهور ، أو بالدهـــن.

٣ – الامتناع عن الرقص والغناء ، ومن حضور حفلتهما ، ومن جميـــع الملاهي والألعاب .

٤ – الكفّ عن اقتناء المقاعد ، والمساند الفخمة ، والفراش الوثير المحشي بالقطن .

٥ – الامتناع عن إبادة النباتات وإماتتها .

٦ – الكفّ عن الهراء ، وفظاظة الكلام ، والنميمة .

٧ – الكفّ عن التزيف في الكلام للحصول على المطالب الدنيوية .

٨ – الكفّ عن القمار والرشوة .

٩ – الكفّ عن الوساطة بين الناس .

١٠ – الكفّ عن قبول الهدايا النقدية ومن اقتناء الذهب والفضة .

هذه الفضائل البوذية العشر وضعها بوذا لأتباعه من الرهبان دون غيرهم ، بالاضافة إلى النظم والآداب الكثيرة سأذكرها ان شاء الله في فصل الرهبنة .

أما الدرجة العالية من الأخلاق فهي درجة القديسين (Arhat) الذين حطّموا جميع القيود العشرة التي سبق ذكرها تحطيما كاملا . (١)

فرقتان في البوذية

بهذه الدرجات الثلاث تبين لنا أن بوذا قد قسّم أتباعه الى فرقتين كبيرتين :

---

(١) راجع صفحة ١٣٦ .

الفرقة الأولى : عامة ، وهم المدنيون الذين يسكنون المنازل .

الفرقة الثانية : خاصة ، وهم الرهبان الذين ينقطعون للتبتّل ، وقد أطلق عليهم اسم " بيكشو " (Bhikshu) أي المتسوّل . ومن هذه الفرقة القدّيسون الذين وصلوا الى نهاية الطريق ، ويمكن أن نسميهم خاصة الخاصة ، كما سمّاه المتصوفة من المسلمين مشايخهم ، ولقد وجد هذا التقسيم بين الفرقتين منذ أيام دعوة بوذا ، حيث أوجد بوذا الفرق والتمييز بين جماعة الرهبان وغيرهم من المدنيّين في المحافظة على التعاليم والأخلاق . فاكتفى المدنيّون بأن يطيعوا من النواهي المتقدمة خمسة الأولى فقط ؛ أو مايعرف بالوصايا الخمس ، أما بقيّة النواهي الأخرى فهي خاصّة للرهبان المتديّنين ، كما أن العمل بالوصايا الخمس ليس على سبيل الوجوب و الالزام ؛ فللمدنيين العمل بها أو تركها حسب رغبتهم وايمانهم ، وليس عليهم عقوبة معيّنة من قبل الشرع ، ولذلك نجد البوذيين المعاصرين بعضهم لم يحافظ الا على وصيّة واحدة من هذه الوصايا ، وبعضهم على وصيّتين ، والآخر على ثلاثة ، ولهم أن يختاروا ما شاءوا من هذه الوصايا للعمل بها .

ولقد روي أن بوذا نفسه لم يعاقب على أحد من أتباعه الذين حافظوا على وصية واحدة ؛ وعندما سئل بوذا عن ذلك قال " إن المحافظة على جميعها أمر صعب " (١)

وعلى هذا اعتبر البوذيون المدنيّون ان المحافظة على جميع الوصايا

---

(١) الأخلاق البوذية الخمسة ٢٨ .

الخمس أمر عظيم لديهم ، لأن الغالبية منهم تقع ازاءها في عجز وعمي . فقتل الحيوان مثلا لا يستطيع أن يمتنع منه إلا أفراد قليلون منهم .

وللمدنيّين في العمل بهذه الوصايا شرط غريب وهو التلقي ، أي تلقي هذه الوصايا من الرهبان مشافهة ، ولهذا التلقي طقوس تقليدية معروفة عندهم ، وهي :

أن يقول المريد ثلاث مرات أمام راهبه ، وهو جالس على ركبتيه ، ضام أصابعه العشرة فوق صدره ، مغمّض عينيه :

" أيها القديس المحترم نحن نريد منكم الوصايا البوذية الخمس لنعمل بها ..... " فيدعو له الراهب ، ويعطيه وصية بعد وصية ، ثم يتقبل المريد ، ويتعهد بالمحافظة عليها و عدم تركها مدى الحياة مهما حدث له من المشاقات (١)

وتعدّ هذه الوصايا منقطعة اذا تعدّى المريد على واحدة منها ، فعليه حينئذ أن يطلبها من الرهبان مرة جديدة . (٢)

بهذه العملية التقليدية البسيطة أصبح البوذيون اليوم في تايلاند وغيرها من الدول البوذية يتحررون من قيود الأخلاق البوذية التي

==========

(١) من الملاحظ ان هذه الطقوس البوذية شبيهة بالطريقة الصوفية التي يلتزم بها المريد ؛ حيث يشترط أن يكون الشيخ مأذونا له في اعطاء الورد وسلوك الطريقة للمريد ، ويتعهّد المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه ؛ فلا يتركه مدى الحياة ، كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق .

(٢) المصدر السابق ٩ - ١٠ .

رسمها بوذا لهم (١) ، و يحتفظ دون أن الالتزام بالاخلاق البوذية خاصّ للراهبين فقط دون غيرهم

المساواة في البوذية

ان هذا التمييز بين الرهبان والمدنيين في الالتزام بالأخلاق لا ينطبق اطلاقا مع مبدأ المساواة التي دعا اليها بوذا ؛

فقد دعا بوذا الى المساواة ردا على نظام الطبقات السائد في مجتمع الهندوس، وأعلن أن مفاضلة الناس على حسب عملهم .

ومما روي عنه في ذلك قوله في حوار طويل مع أحد حواريه " ساريبوترا " (Saributtra) : " ليس البرهمي برهميا بالولادة وليس المنبوذ منبوذا بالولادة بل بالأعمال ...

---

(١) ومن تجربتي خلال فترة التجنيد الاجباري في تايلاند وذلك في عام ١٩٧٤ م الى ١٩٧٦ م . وجدت أن رجلا واحدا فقط من بين مائة رجل بوذي يحافظ على الأخلاق البوذية الخمسة ، والباقي منهم لم يحافظ أو لم يعرف شيئا منها . ومن الحوادث العادية اليومية في تايلاند القتل ، والنهب ، والسرقة والزنى المكره ، وما شابه ذلك ، وان صناعة الخمر تعتبر من أكبر محصولات الدولة سنويا . أما التصرفات والعلاقات الجنسية فهي بالغة الحد والفوضى ، الى درجة أن جيلا كثيفا من الأبناء غير الشرعيين سوف يخرج الى الحياة دون هم أو إحساس من أحد بما سيلاقيه هذا الجيل ، لأنه يمكن الشاب البوذي أن يعيش مع فتاة بوذية دون عقد زواج ، ولو انجبوا عشرات الأولاد ، فليس هناك رقيب من الحكومة ، أو رقابة من الشعب ، ومن الغريب ان المجتمع البوذي في تايلاند تقبل هذه الحقيقة كعرف اجتماعي مألوف .

لا تقيم فروقا بين الغني والفقير ، وبين المتكبر والمتواضع ، وبين الصغير والكبير ، فجميعهم سواسيّة " (١)

وفي موضع آخر :

" يا إخوتي بيهكشو، الانسان يعلو أو يدنو بعمله "كارما" (Karma) لا بأصله ونسبه " (٢)

ولكنه في نفس الوقت كان يحثّ الناس على الدخول في نظامه " سانغا" (Sangka) أي نظام الرهبنة ، وكان يرسم بعض التعاليم الأخلاقية لهذه الجماعة دون البقية من الناس . فكأن بوذا في دعوته هذه أراد إبقاء الناس في ملته على طبقتين بدلا من أربع طبقات كما في الهندوسية .

يقول بوذا " اعلموا يا اخوتي بيهكشو، كما تفقد الأنهار الكبيرة أسماءها عندما تصب في المحيط كذلك تبطل الطبقات الأربع عندما يدخل الشخص في نظام " سانغا " أي الرهبان " (٣)

وعلى هذا فقد كوّن بوذا طبقة جديدة في ديانته لا تقل خطرا من كهنة الهندوس .

يقول الدكتور أحمد شلبي :

" ان ما يدعو اليه بوذا هو الرهبنة ، وفي الرهبنة يتساوى سائر

---

(١) ترى بيتاكا سوتان ٢٩٥

(٢) المصدر السابق ٣٥٤

(٣) المصدر السابق أبيدارما ٧٦٤ .

البشر ولكن يؤخذ على هذا الاتجاه انه جعل الغاء نظام الطبقات متوقفا على دخول البوذية ؛ فلم يدّع للمساواة في حدّ ذاتها ، أمّا الاسلام فهتف بالمساواة مبدأ عامّاً بين البشر .

قال تعالى " يأيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (١)

فالآية تنادي الناس ولا تنادي " المؤمنين " فقط ، وهي تتكلم من مبدأ الخلق ، وان الناس ينحدرون من أب واحد وأم واحدة ، فلا معنى للتفاوت والطبقية " (٢)

ولقد نادى الاسلام بالمساواة نظريا ، وطبّقها عمليا ، وأقام عليها مجتمعا حطّم كلّ الفوارق التي تقيم الحواجز بين الناس ، لأن الاسلام ليس فيه فرقة خاصة تدّعي الرهبان أو رجال الدين ، يستمتعون بالحقوق والامتيازات ، وفرقة أخرى عامة يقومون بخدمتهم . فكلّ مسلم رجل لدينه ، يشترك على السواء في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه دون تفريق فيما بينهم ، أما المساواة في البوذية فلم تحقق المساواة الكاملة المعروفة ، لأنها لم تتخلّص من النظام الطبقي في الحياة العملية ؛ اذ الفروق بين الطائفتين الرهبان والمدنيّين قائمة بارزة في كل مجتمع بوذي .

---

(١) الحجرات ١٣

(٢) أديان الهند الكبرى ١٧٥ .

الأخلاق السلبية في البوذية

هناك مجموعة من التعاليم الأخلاقية في البوذية أوصى بها بوذا وردّدها كثيرا في كلامه . كلّها تدور في فلك واحد وهو المحبة والشفقة إزاء جميع المخلوقات الحية ، ومبادلة الشر بالخير .

وفيما يلي أورد بعض أقواله في هذه الأخلاق :

١ ـ " الضغينة تزيلها عدم الضغينة " (١)

٢ ـ " فلينتصر الانسان على الغضب بالحب ، وعلى الشر بالخير ، وعلى الشحّ بالكرم ، وعلى الكذب بالصدق . إن النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء ... وإن الكراهية يستحيل عليها أن تزول بكراهية مثلها ، إنّما تزول الكراهية بالحبّ " . (٢)

٣ ـ " ان جميع الحيوانات تولد ، وتكبر ، وتمرض ، وتموت . وهكذا تتجوّل سائر الحيوانات في " سمسارا " (Samsara) أي دورة التناسخ .... فعلينا جميعا التجنّب من الاساءة والأذى بالحيوانات " (٣)

٤ ـ " جميع الكائنات الحية مهما كانت ضعيفة أو قوية ، صغيرة أو كبيرة ، مرئية أو غير منظورة ، كلّ منها تمشي في نشدان

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٢٩٥

(٢) المصدر السابق ٣١٤

ويلاحظ ان البوذية في هذه الأخلاق قد سبقت النصرانية في دعوتها التي دعا اليها المسيح عليه السلام في قوله : احسنوا الى مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضا ، ومن سرق قميصك فاعطه إزارك : (لوقا الاصحاح السادس فقرة ٢٧ ـ ٢٩) وستأتي الموازنة بين هذه التعاليم في مبحث خاص في فصل الرهبنة ان شاء الله .

(٣) المصدر السابق ٣٢٨ .

الخلاص، والكلّ أصدقاؤنا وإخوتنا في ألم الحياة ." (١)

٥ ـ " التقى بوذا ذات يوم جماعة من الشباب يقتلون سمكة فقال : ألا يخشى الواحد منكم الألم ؟ لماذا تقتلون هذه السمكة فهي مثلكم تتألم " ...

٦ ـ " جميع الكائنات الحيّة تبغي السعادة ، فليشمل عطفكم عليها ولا تسيئوها أيّة إساءة " (٢) .

إن هذه التعاليم الأخلاقية وأمثالها هي التي يفتخر بها البوذيون ،ويقولون إنّ دينهم دين الاحترام للحياة ، ودين المحبّة الشاملة .

يقول الراهب البوذي "تانيت يوبودهي "(Tanit youbodhi) في كتابه " الأخلاق البوذية الخمسة " (٣) :

" ان الاحترام والمحبة للحياة ، إنسانية كانت أو حيوانية ، من أهم الأخلاق في البوذية ، فازالة الحياة في جميع صورها محرّمة عند البوذيين ، وليس لبوذي أن يقتل حيوانا أيّا كان ، ولو لأكله أو دفع ضرره ، بل عليه أن يرفق بالحيوان ، ويعدّه أخاه في الوجود وفي المشاركة في آلام الحياة وهمومها "

وساق هذا الراهب قصّة خرافيّة لرجل ذهب الى الغابة ، فصادف ثعبان ، فأراد أن يقتله بالسيف ليسلم منه . ثم تذكّر أن عنده

---

(١) المصدر السابق ٣٢٦

(٢) المصدر السابق ٣٨١

(٣) صفحة ٨ ـ ١٠ .

الوصايا الخمس . كان يتعهّد بالمحافظة عليها ، فقال لنفسه : هـــلاك الحياة خير من هلاك الوصايا " فترك سيفه ، وحينئذ فرّ الثعبـــان ولم يمسّه بالضرر " .

وعلّق الراهب على هذه الخرافية فقال : إن ذلك من أجل محافظتـه على الوصايا .

وهنا يمكن القول بأن البوذية فيما ذهبت اليه من هذه الأخـلاق ، قد تأثّرت بمذهبين هنديّين ، وهما البرهمية والجينية .

أما تأثّرهـا بالبرهمية فلأن البرهمية اعتقدت بأن الحيوانات صـور لآدميين تقمّصوا فيها بسبب آثامهم " كارما " في الحياة السابقة غير أن البرهمية لا ترى كبير حرج في قتلها ، فكان الصيد من وسائل تسلية الملوك(١) وكان تقديم الذبائح لآلهتهم من أهمّ الطقوس والشعـائـر ولذلك لمّا ظهر بوذا قام بمعارضة هذه التقاليد والطقوس ، وبدعوته الى المحبة الشاملة لسائر الحيوانات .

وأما تأثرها بالجينية ، فلأن الجينية تمسّكت بمبدأ " أهنسا "(Ahinsa) أي الامتناع عن اساءة الكائنات الحية أشدّ التمسك . ولقد ذهـب الجينيون في تنفيذ هذا المبدأ بكل دقة وحماس .

يقول عبد الرحمن حمدي في كتابه " الهند عقائدها وأساطيرها " (٢) " والجانيون يحترمون ويمتنعون من قتل كل مادبّت فيه الحياة ، فهم

---

(١) قارن حضارات الهند ٣٨٨ وأيضا تاريخ الأديان ١٦٨ (بالتايلاندية)

(٢) صفحة ١٤٣ .

لا يمتنعون فقط عن أكل اللحوم بأنواعها ، بل إنهم لا يشربون إلا الماء المرشح ، ويضعون نقابا يشبه الكمامة على أنوفهم وأفواههم وذلك خوفا من استنشاق الميكروبات ، لا حرصا منهم على حياتهم بل حرصا على حياة الميكروبات ! ويكنسون الأرض أمامهم خوفا من أن يطأ أقدامهم حشرة ، ويشترط أن تكون المكنسة ناعمة الملمس لئلا تؤذي الحشرة " .

وقد ذهب بوذا إلى هذا المبدأ الجيني ، ودعا أتباعه الى التمسك به ، ولكن بطريق أخفّ مما تمسكت به الجينية .

فقد منع بوذا أتباعه من قتل الحيوان بجميع أنواعه ؛ ولكنه في نفس الوقت لم يمنعهم من أكل لحومه ، كما لم يمنع نفسه عنه ، وتروي لنا القصة البوذية ان بوذا لم يرد الطعام من اللحوم الذي قدمه الناس اليه ، وانه توفّي من سوء هضم بعد أكله لحم الخنزير الذي قدّمه اليه أحد أهل القرى (١)

وقد سار على منواله أتباعه اليوم من الرهبان ؛ فقد رأيناهم في كثير من المعابد البوذية في تايلاند أنهم يدعون الناس بحدة وحماسة الى احترام الحيوان ومحبته ، والى الإمتناع من قتله وإساءته ، ولكن في وقت طعامهم رأيت صنوفا من لحوم الحيوان على موائدهم ، وعندما سألت واحدا منهم عن ذلك ، قال : " نحن نأكل

---

(١) قصة بوذا ٣ / ٤٢ ، ٩١ وتاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٥٨ - ٥٩ وهذه القصة مروية في كتاب " ترى بيتاكا " ٣٢٦ ، ٣٢٧ وقد سبق ذكرها .

ولا نقتل ! فالأكل عندنا حكم ، والقتل حكم آخر " . (١)

قلت له : إذا كانت اللحوم جائزة لكم فما فائدة تحليمكم ذن في احترام الحيوان ومحبته ، وفي الامتناع عن قتله ، لأن الأكل لايكون الا بعد الموت وهو لا يكون غالبا الا بالقتل ؟

إنه لا يستطيع الاجابة المقنعة الا تكرار القول بأن القتل غير الأكل ان شأنهم في هذا كشأن الذين نهوا عن صناعة الخمر وهم يشربونه ثم قالوا : " نحن نشرب ولم نصنع "

ومما يدعو الى التساؤل أيضا ، اذا كانت العلة في الامتناع عن قتل الحيوان هي الانتهاك لحرمته ، لأنه أخو الانسان في الوجود ، والمخالفة للمحبة التي نادى بها بوذا ، فلماذا لم يمنع هو وأتباعه من استخدامه للركوب أو الحمل أو الجلب أو ماشابه ذلك مع أن هذا ايذاء أيضا للحيوان وانتهاك لحرمته على زعمهم . هذا هو التناقض في هذه الأخلاق البوذية ، التناقض بين النظري والتطبيقي ، انهم لا يستطيعون تطبيقها عمليا في حياتهم اليومية لتعارضها مع واقعهم الفطري الانساني ، ولقد أصبحت هذه الأخلاق فاشلة منذ نشأتها الى اليوم ، لا يمكنها توجيه الجماهير الغفيرة من الناس . (٢)

---

(١) من الغرائب التي رأيناها في تايلاند ان بعض البوذيين المتديّنين إذا أراد أن يأكل السمك أو أي حيوان ماشي أخذه ثم وضعه في الشمس مدة حتى يموت بها وذلك ليتخلّص من ذنب القتل في زعمه .

(٢) مما شاهدته في تايلاند ان البوذيين اليوم من أكثر الناس =

والسبب في ذلك أن البوذية لم تعرف الانسان والكون معرفة محيطة بهما ، انّما نظرت اليهما نظرة قاصرة ، ثم ركنت وراء الأوهام والتخيلات التي لا يقوم عليها الواقع والمشاهد .

هذا بخلاف الاسلام فإنه تميّز من البوذية بنظرته الشاملة المحيطة لواقعية الكون ، والحياة ، والانسان ، فلم يبن في تعليماته الاخلاقية وفي كلّ ما وضع من أنظمة وقوانين هذه الواقعية ، لأن الذي يشرع الاسلام للانسان هو الذي خلق الكون والحياة ، وهو الذي خلق الإنسان ، فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده .

فمن مظاهر هذه الواقعية أن شريعة الاسلام لا تحرّم شيئا يحتاج اليه الانسان في واقع حياته ، كما لم تبح شيئا يضره في الواقع فعندما أباح الاسلام لحوم المأكولات من الحيوان ، لم يبح ذلك الا لما فيها من فوائد كثيرة للانسان في طعامه ، ولذلك لم يحرم الاسلام قتل الحيوان اذا كان فيه غرض صحيح لفاعله ، كأكله ، أو دفع ضرره ، أو ماشابه ذلك . لأنّ الله سبحانه وتعالى خلق هذه الحيوانات بل هذه الموجودات كلّها مسخّرة لخدمة الانسان ومنفعته .

ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا في كثير من الآيات كقوله تعالى :

= قتلا للحيوان ، ومما يساعدهم على ذلك ، عدم وجود النواهي البوذية في نوع معيّن من الحيوان ، فجميع الحيوان على اختلاف أنواعه حل لهم ، سواء مات بالقتل أو مات حتف أنفه .

" أولم يروا أنا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون " .

وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ،ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون " (١)

وقوله تعالى " وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريا " (٢)

وقوله تعالى " ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " (٣)

هذه الآيات وأمثالها تدلّ دلالة واضحة على تكريم الله للانسان ؛ حيث جعل الكون كله في خدمته ، وسخّر لمنفعته العوالم كلها ،السماء والأرض ، وما بينهما ، والنبات ، والحيوان ، والجماد ، كلّها مسخرة لمصلحة الانسان ، وسعادته ، وكرامة من الله ، ونعمة منه عليه فللانسان أن ينتفع من هذه النعمة التي أنعم الله عليه ، ولا ذنب له في ذلك اذا كان الانتفاع داخل الحدود التي حدّدها الله له لا يتجاوز منها .

ومن التناقض أيضا في هذه الأخلاق البوذية ، انها تدعو الناس الى المحبة والشفقة تجاه المخلوقات ، والمعروف في تعاليم بوذا كما

---

(١) يس ٧١ - ٧٣

(٢) النحل ١٤ .

(٣) لقمان ٢٠ .

ذكرناه ان المحبة والشفقة وما أشبههما رغبة من الرغبات البشرية الرذيلة التي تؤدي الانسان الى الألم ، وعلى الانسان التخلص من هذه الرغبات للتخلص من الألم . فكيف دعا بوذا الى هذه الرغبات وتفضيلها ؟ مع أنه أنكر ميلها وعدّها سببا لآلام الحياة ؟

ان هذا التناقض وغيره من التناقضات في تعاليم بوذا يدلّ — بلا شك — على قصر نظرته ؟ وهو أمر لازم لتفكير البشر الذى يستحيل عليه أن ينظر في قضية ما نظرا يستوعب كلّ الجوانب والأحوال ، وعلى هذا فإن تعاليمه الأخلاقية مازالت تتساقط واحدة بعد أخرى عاجزة من أن تهدي النفس البشرية الى أي حق .

وقد أثنى على هذه التعاليم البوذية كثير من المستشرقين،(١) وغالوا في تمجيدها كل المغالات؛ فزعموا انها أرقى المعارف الدينية التي عرفها العالم ، وقد فاتهم التفكير بأنه لاجدوى في التعاليم مهما بلغت قمّة في الجودة والجمال ، اذا لم تطبّق في واقع الحياة لتعارضها مع طبائع البشرية .

وقد فنّدهم العقّاد في كتابه " الله " (٢) فقال :

" وعلينا أن نحترس من مغالاة الشراح الأوربيين بهذه الفلسفة البوذية ؛ لأنهم يتعصّبون لكل منسوب الى الآرية على اعتبارها عنصر

---

(١) منهم المستشرق مكس موللر (Max muller) والمستشرق غوستاف لوبون (Gostaf lobon). انظر حضارات الهند ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٢) صفحة ٧٧ .

الأوربيين الأقدمين والمعاصرين ، فقد رفعوها فوق قدرها بلا مبرر ، وزعموها أنها جرأة العقل الكبرى في مواجهة المشكلة الكونية ، وأنها الخطوة المتقحمة التي لم يذهب وراءها ذو عقيدة في مطاوح التأمل والإقدام ؛ لكنّها لا تحسب من الجرأة العقلية بوصف من الأوصاف فما هي جرأة حسيّة في أقصى ما تطوحت اليه من الفروض والأظانين وما البوذية كلها إلا تململا من وطأة الحسّ والجسد ، ولا سعادتها القصوى الا ضيقا بالحسّ ، وهربا منه الى الفناء أو " اللّا وهي " على أحسن تقدير " .

الفصل الثالث: العقائد في البوذية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضية الألوهية عند بوذا وأتباعه

المبحث الثاني: "كارما" أو قانون الجزاء

المبحث الثالث: تناسخ الأرواح (سمسارا)

المبحث الرابع: "نرفانا" أو الفناء والخمود البارد

الفصل الثالث : العقائد في البوذية

اشتملت الديانة البوذية كغيرها من الديانات على مجموعة من العقائد ، غير أن معظم هذه العقائد ليست أصلا لها، وإنما اقتبستها من البرهمية ، لأنها ديانة الأم التي تفرّعت عنها سائر الديانات الهندية .

وقد اتفقت البوذية مع البرهمية في الاعتقاد بكارما (Karma) أي قانون الجزاء ، وبالتناسخ ؛ كما اتفقت معها أيضا في محاولة التخلص من التناسخ ، وان اختلفتا في تفسير هذه العقائد .

وفي هذا الفصل سنتناول أربع نقاط مهمة في العقائد البوذية وهي : قضية الألوهية ، وقانون " كارما " (Karma)، وتناسخ الأرواح ، و " نرفانا " (Nirvana).

ونبدأ أولا بقضية الألوهية ، لأنها غاية في الأهمية بل في الخطورة في الديانة البوذية .

المبحث الأول : قضية الألوهية عند بوذا وأتباعه

أ ـ قضية الألوهية عند بوذا

اتفقت معظم الروايات البوذية على أن بوذا لا يقرّر العقائد، ولا يهتمّ بها ، لأنه كان يؤسّس مذهبه على أسس الأخلاقية ، وعلى التجربة الروحية والطريق المؤدية إليها ، وكان لا يعتمد على معونة أخرى ينتظر إلهامها أو نورها ، وإنما يعتمد على المجهودين العلمي والعملي لا أكثر ولا أقل . (١)

(١) قصة بوذا ٣ / ٤٨ ، ٤٩ .

ولذا يرى كثير من الباحثين في الأديان أن البوذية فلسفة أخلاقية وآداب السلوك أكثر منها دين، وأن أتباع بوذا هم الذين رفعوا هذه الفلسفة إلى مستوى الدين . (١)

وقد ثبت أن بوذا كان ماكفا وحده على دراسة تخفيف ويلات الانسانية، والقضاء على الشقاء والآلام في هذه الحياة، لكي تنال النجاة والخلاص من الدنيا وما فيها .

إن هذا الخلاص - عند بوذا - عمل شخصي بحت يخصّ الفرد بلا حاجة الى الالتجاء أو الاستنجاد بالاله المنقذ ، لأن قدر الانسان النهائي عنده يتوقّف على سلوكه الشخصي الحر لا على الاله ، وان الانسان حاكم حياته، وصانع مصيره، على حدّ زعمه (٢)

يقول بوذا في بعض مواعظه :

" من الحمق أن تعتقد أن سواك يستطيع أن يكون سبب سعادتك أو شقائك ، إن السعادة أو الشقاء ، نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن ..... كونوا لأنفسكم موئلا ومعتصما ، ولا تعتصموا بملاذ خارجي ، ولا تستمدوا إلا بأنفسكم " (٣)

ويقول في موضع آخر :

" ..... ألا إن في يد الانسان وحده خلاص نفسه، فلا يطلب من

---

(١) انظر أديان الهند الكبرى ١٦٦ - ١٦٧ وأيضا الديانات والعقائد للاستاذ عبد الغفور عطار ١/ ١٢٤ وحضارات الهند ٣٥٥

(٢) انظر الفلسفة البوذية ١٢٨ ، ١٢٩

(٣) كتاب ترى بيتاكا (سوتان) ٢٩٥ .

غير نفسه ملاذا ..... وليكن كل أحد منكم ملجأ لنفسه . ان نفسه فقط هو الملجأ الصحيح.(١)

وعلى هذا الأساس فلم يعن بوذا بالحديث عن الاله ، وعن قضايا الفلسفية الدقيقة في الكون وما وراءه.

وهذا هو ما ذهب اليه أكثر المؤرخين والباحثين في الأديان (٢)

يقول أبو الكلام آزار الذي كان وزيرا للمعارف بالهند :

" يبدو لي أن وضع بوذا في صفوف الفلاسفة أسهل من وضعه في صفّ الأنبياء ، وذلك لأنه لم يتعرض في مباحثه لوجود الله ، بل حاول حلّ مسألة الحياة ، وانتهى منها دون التحرّش بالله وبوجوده، إنه لقد قطع كل علاقة له مع الحياة الدينية في الهند التي كان تدين بآلهة وإلهات لا تعدّ ولا تحصى ، إنه بدأ بحثه وفرغ منه دون أن يلجأ الى الاعتقاد بالله " (٣)

ويقول " ول ديورانت " في كتابه " قصة الحضارة (٤) :

" إنك لن تجد في تاريخ الديانات من هو أغرب من بوذا، يؤسّس ديانة عالمية ، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاش عن الأبدية والخلود ، والله ،.... إنه ليبتسم ساخرا من المحاورة في موضوع نهائية الكون أو لانهائيته "

---

(١) المصدر السابق (سوتان) ٥٢١ ، وانظر أيضا (ابيدارما) ٧١١

(٢) انظر الديانات القديمة، لأبي زهرة ٧٨، والديانات والعقائد، لأحمد عبد الغفور عطار ١/ ١٢٤ .

(٣) أديان الهند الكبرى ١٧١ نقلا عن التاريخ الجديد العام للفلسفة (ثقافة الهند يونيو سنة ١٩٥١م، ص ٥٢ .)

(٤) ٣ / ٧٨ .

وتروي الروايات البوذية أنه قد رفض أن يجيب وأن يبدي رأيـــا ممّا إذا كان للعالم بداية أونهاية ، وانه حقّ أو غير حقّ ،أو اذا كانت النفس والبدن شيئا واحدا أو هما مختلفان ، أو غير ذلك من قضايا الوجود الكوني (الميتافيزيقيا Metaphysics) ، لأن أمثال هذه المسائل في رأي بوذا لاتؤدّي بالباحثين فيها الى التخلّص من آلام الحياة وإلى النرفانا ، ولا تؤديهم إلا إلى الخصومة الحـــادة، والكراهية الشخصية ، والحزن . (١)

وكان بوذا ينهى أصحابه وزوّاره أن يخوضوا في مثل هذه الأبحاث ويوبّخهم على سؤالهم عن قضية الألوهية وغيرها من قضايا دقيقة مجرّدة . ولهذا لا نجد في تعاليمه ومبادئه أثرا يدلّ على إيمانه بإله واحد أو عدة آلهة ،أي بالتوحيد ولا الوثنية .

ومن هنا اعتقد معظم الباحثين أنه كان ملحدا (٢) ، وهذا هو الظاهر في جميع تعاليمه ؛ لانّنا نجد أن بوذا في بعض أقواله اتجه الى جانب الإنكار في قضية الألوهية ، وأصبح يحارب معتقديها ؛ فيروي لنا الكتاب" ترى بيتاكا" (٣) الحوار الطويل بين بوذا وبين البراهمـــة بمدينة كوسالا (Kosala) ، وكان ممّا قاله في ذلك : " إن مشايخ البراهمة الذين يتكلّمون في " براهما " الخالق وهو لم يره وجها لوجه كالعاشق الذي يذوب كمدا ، وهو لا يعرف من هي حبيبتـــه

---

(١) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٤٨٦

وانظر ايضا Introduction to indian philosophy.P216

(٢) انظر اديان الهند الكبرى ١٦٨ والديانات والعقائد ١/ ١٣٥ – ١٣٦

(٣) انظر سوتان ٣١٤ .

أو كالذي يبني السلّم وهو لايدري أين يوجد القصر ، أو كالـــذي يريد أن يعبر نهرا فينادي الشاطئ الآخر ليقدم له " (١)

ومما روي عن بوذا أيضا أنه سئل عن رأيه في الاله والكـــون وفيما يشغل به الفلاسفة من الجدل والحوار في قدم العالم وحدوثه، وفي الروح وخلودها ، وما أشبه ذلك فقال:" إن الآلهة أنفسهم لـــو كان لهم وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا من هذه المسائل "(٢)

وقال في موضع آخر :

" يا إخوتي بيهكشو ! الحق أقول لكم إني في حياتي هذه قـــد دخلت النرفانا ، وافصحلت حياتي ، وتخلصت من ربقة كارما ومن سلسلة التناسخ ، .... لا إله ولا انسان ، ولكن الحقيقة هي التي تبقى أبدا "(٣)

وهناك نصوص أخرى كثيرة تشير الى مثل هذا المعنى .

إن هذه النصوص تكفي لنا للدلالة على إنكار بوذا الاله ، وعـــدم إيمانه بأي إله من الآلهة ، وهذا هو الرأي المعروف والمشهور لدى أتباعه من البوذيين قديما وحديثا .

غير أن بعضهم قد شذّوا ، فذهبوا الى أن بوذا كان يؤمن بالإلـــه (٤)

---

(١) هذا النص ذكره الدكتور أحمد شلبي في كتابه : أديان الهنـــد الكبرى ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ٣١٥ .

(٣) المصدر السابق (أبيدارما) ٧٠٦

(٤) منهم على سبيل المثال النديس البوذي " نانداا بيهكشـــو" (Nandha Bhikshu) في كتابه " مشكلة الألوهية بين البوذيـــة والمسيحية " ص ١٠٥ ، ١١٣ وذكر عددا من فلاسفة البوذيين الذيـن وافقوه في هذا الرأي ، وقد مال الى هذا الرأي بعض الباحثين المسلمين كالأستاذ أبي زهرة في كتابه : الديانات القديمة ٧٠ .

وكان إنكاره على الآلهة ليس إنكارا مطلقا ، وإنما هو مقصور على آلهة الآريين دون غيرها ، لأن آلهتهم شعبيّة مثل إله اليهود .

ويستدلون ببعض النصوص في الأسفار البوذية التي توهم إيمان بوذا بالاله ، منها قول بوذا :

" يا اخوتي بيهكشو ! أطيعوا " دهارما " (Dharma) الذي ظهر بينكم اتّبعوه بيقظة وانتباه ، واسلكوا الطريق التي عبدها لكم (١)

وقوله أيضا عن ناموس العلة والمعلول:

" من استبصر هذا الناموس فقد استبصر " دهارما " (Dharma)

ومن استبصر " دهارما " (Dharma) فقد استبصر الناموس " (٢)

فقد فسّر بعض فلاسفة البوذيين كلمة " دهارما " (Dharma) بأنها تساوي الإله في سائر الأديان ، وان هذا الاله ليس له ذات ولا صفة لأنه مجرد الناموس الذي يدبر الكون ويتحكّم في الحياة كلها (٣) والذي يظهر لي ان هذا النص لا يفيد ذلك ، لأن كلمة " دهارما " عند البوذية لا تطلق الا على تعاليم بوذا التي هي من أحد ثالوث المقدس في البوذية ، (٤) كما تطلق أيضا على القانون ، أو الدين ، أو الفضيلة ، أو الشرف ، أو المعتقد ، أو قاعدة سلوك التي وضعها بوذا لأتباعه ،

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٦٤٠

(٢) المصدر السابق (ابيداما) ٧٣١

(٣) انظر " مشكلة الألوهية بين البوذية والمسيحية ١٠٦ وأيضا الفلسفة البوذية ٢٠٧ .

(٤) سيأتي بحثه مفصلا ان شاء الله .

وهذا هو المصطلح المعروف في البوذية (١)

أما هذا التفسير الشاذّ فلم يقصد من وراءه إلا التوفيق بين البوذية وغيرها من الأديان . وعلى أية حال فان النصوص التي أوردناها تؤيد القول بأن بوذا ملحد ، وان القول بايمانه بالاله يحتاج الى دليل أكثر .

أما كونه لم ينكر الا على آلهة الآريين فليس دليلا كافيا على إيمانه بإله الحق ، لأن انكار الشيء لا يقتضي اثبات ضدّه الا بدليل يدل عليه .

ولعل بوذا أنكر هذه الآلهة لأنه كان يعيش في البيئة التي تعبد فيها هذه الآلهة ، فانكر عليها بهذا الاعتبار ، لأنه لم يعرف غيرها وإلا لأنكره .

ومما يؤيّدنا أيضا فيما ذهبنا اليه ماروي عن بوذا أنه أنكر الخلود والأبدية لجميع الكائنات ، فكل شيء عنده قابل للتغير والفناء حتى " براهما " نفسه يعتوره التغير والفناء مثل أي كائن. (٢)

وقرّر في بعض مواعظه أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون ، لأنه في زعمه أسطورة وخرافة من خرافات الفلاسفة (٣).

ومن هنا سمّى دينه دين الالحاد ، وأدخله علماء الأديان في مجموعة

---

(١) انظر مجموعة المصطلحات البوذية ٢٠٣ .

(٢) انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٦٤٤

(٣) انظر المصدر السابق ٦٤٥ .

الأديان الالحادية (Atheism) مثل الكونفوشية (Confucianism)[1]

(١) الكونفوشية Confucianism نسبة الى كونفوشيوس(Confucius) وهو المصلح الصيني المشهور الذي عاش في فترة مابين ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق م وكان معاصرا لبوذا ، وكان حاكما فيلسوفا يبشر بمذهب في الأخلاق ، ويستمسك أشدّ الاستمساك به . انه مثل بوذا لم يدّع انه إله ؛ بل لم يدّع انه نبي أو رسول وإنما حث على مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، والترفّع عن المطامع . وقد أصبح كونفوشيوس آية عند الصينيين في النزاهة والنبل . والكونفوشية : نظام أخلاقي أكثر منه دين ، لأنه لا يدعو الى عبادة الإله ؛ وأساس عقيدة الكونفوشية انهم يعبدون ثلاثة أشياء : السماء ، والأرواح المسيطرة على ظواهر الاشياء (Angel) ،وأرواح آلاباء والاجداد ، ومن عقائدهم أن أرواح الأموات تنفصل منهم بعد موتهم ، وتبقى في الدنيا مع أسرتهم ، ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديسا لهم ووفاء لعهودهم ، ويقدّمون لهم القرابين . وعقيدة الكونفوشيوس هي عقيدة قدماء الصين ، لايؤمنون بالجنة والنار،ولا عقاب ولا ثواب. ولقد أخذ الكونفوشيوس ولم يزد عليها فلم يؤمن باليوم الآخر ، ولم يفكّر في الحياة بعد الموت ؛ بل كان كلّ همّه في اصلاح الحياة الدنيا . وقد ارتفع الكونفوشيوس بعد موته الى أعلى درجة عند الصينيين ، فقد جعلوه إلها مثل السماء ،لأنه في زعمهم ندها وكفؤها ، والصينيون المعاصرون من أهل الثقافة والعلوم لا يؤلّهونه ؛ بل يرونه إنسانا حكيما مصلحا ، آية في النبل والنزاهة والكرامة والخلق . والجدير بالذكر أن هذا المذهب لا تزال الصين تجلّه وتعظّمه على اختلاف مللها ونحلها .

(انظر دائرة المعارف البريطانية ٤/ ١٠٩١ . وما بعدها ، والديانات القديمة ١٥٤ وما بعدها ،وتاريخ الأديان (باللتاينلاندية) ٨٠ وما بعدها)

والجينية (Jainism) (١) ومما دفع بوذا إلى هذا الموقف الخطير:

١ ــ ماروي في " ترى بيتاكا " (٢) انه تصوّر الإله على أنه ذات تجرّدت من الصفات البشرية ، كالحب ، والرضا ، والغضب ، والكراهية ، والسخط ، وما أشبه ذلك ، فما دامت الآلهة متّصفة بهذه الصفات ، فلا يجوز أن تكون آلهة ، لأنها لم تتخلص من الشهوات والرغبات ، والذي لم يتخلص من الشهوات والرغبات كيف يكون الها ؟ "

وعلى هذا فقد فسّر بعض العلماء البوذيين المعاصرين بأن بوذا أنكر الاله المشخّص ولم ينكر الاله غير المشخّص الذي هو ناموس دهارما (Dharma) في زعمهم وسياتي بحثه مفصّلا .

ومما يلاحظ في هذا التصور السخيف أنه شبيه الى حد بعيد بما تصوّره بعض الفرق الاسلامية الضالّة كالجهمية والمعتزلة (٣) وغيرهما في قضيّة الصفات الالهية ، حيث نفوا جميع الصفات من ذات الله سبحانه وتعالى بحجة أنها تشبه صفات المخلوقين ، ولم يدركوا أن الله سبحانه وتعالى لا يماثل شيئا ، ولا يماثله شيء ، لا في ذاته وأفعاله ، ولا في أسمائه وصفاته ، كل ما ثبت له من صفات فهو على مايليق بجلاله ، لايدلّ ذلك على نقصه بل يدلّ على كماله ، لأنّ صفاته تعالى صفات الكمال مختصّة به ، لا يشركه فيها غيره ؛ قال تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٤)

---

(١) تقدم تعريفها في صفحة ٨٢ .

(٢) انظر أبيدارما ٦٥٢ وأصول البوذية ٢٧ ــ ٢٨ .

(٣) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أنّ السمنيّة (وهم طائفة من البوذية كما سيأتي) مصدر من مصادر الجهم بن صفوان في انكار الصفات الالهيّة (انظر العقيدة الحمويّة الكبرى المطبوعة ضمن الرسائل الكبرى ٤٣٦/١ مكتبة محمّد علي صبيح وأولاده .

(٤) الشورى ١١

٢ ـ ان هذا الموقف السلبي كان رد فعل لسوء تصرف طبقة البراهمة ، وثورة على سلطانهم واستبدادهم ، فخاف بوذا أن تتكوّن عند أتباعه طبقة لاهوتية جديدة كالبراهمة إن اعترف بالاله فأنكره لهذا الغرض (١) انه ـ في الحقيقة ـ أراد الفرار من ضلالة البرهمية ولكنه وقع في ضلالة أكبر وأعظم منها وهو الالحاد .

ب ـ شبهة نبوّة بوذا والردّ عليها

ومن هنا أخطأ بعض الباحثين القائلين بأن بوذا نبي من أنبياء الله أرسله الى أمة الهند في عصره .

وقد ذهب إلى هذا القول كثير من الباحثين منهم الدكتور علي زيعور في كتابه " الفلسفات الهندية " (٢) حيث قال :

" لقد آمنت ذات يوم بفكرة تتخلّص بالقول إن بوذا قد يكون رسولا أو مصلحا يقرّه الاسلام وان لم يرد اسمه في القرآن "

وذكر رأي بعض الباحثين الذين يرون بوذا مجددا لما طمسه الدهْرِمنْ وحي إبراهيم عليه السلام ، أو داخلا في دائرة الرسل الذين لم يقصهم القرآن . ومنهم أيضا الدكتور محمد صدقي في كتابه " الطب والفداء " (٣) إذ يقول فيه :

" قال تعالى : والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الأمين : (٤)

---

(١) قد بيّنت فيما سبق أن البوذية لا تستطيع أن تتخلص من النظام الطبقي في الحياة العملية ؛ فقد دخل نظام الطبقات في البوذية بشكل عملي وان أنكرته نظريا . (راجع صفحة ١٥٢، ١٥٣)

(٢) صفحة ٢٣٣

(٣) صفحات ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

(٤) التين ١ ـ ٣ .

أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي حرّفت كثيرا من أصلها الحقيقي ،لأن تعاليم بوذا لم تكتب في زمنه ، وإنما رُويت كالأحاديث بالروايات الشفهية (١) ، ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى اتباعها ، والراجح عندنا بل المحقّق إذا صحّ تفسيرنا لهذه الآية ، انه كان نبيّا صادقا ، ويسمى " سكيا موني " أو " جوتاما" وكان في أوّل أمره يأوي الى شجرة تين عظيمة ، وتحتها نزل الوحي وأرسله الله رسولا .....

ويستمر المؤلف فيقول :

.... ولا يزال أهل الأديان الأربعة(٢) هم أعظم أمر الأرض ، وأكثرهم عددا وأرقاهم ، والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لأصولها الأولى ، فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية لأنها أقل درجة في الصحة ، وأشد الأديان تحريفا من أصلها ، كما يبدأ الانسان بالشيء الصغير ، ثم يرتقي للتأكيد الى ماهو أعلى ، ثم النصرانية وهي أقلّ من البوذية تحريفا ، ثم اليهودية ، وهي أصح من النصرانية ، ثم الاسلامية وهي أصحّها جميعا ، وأبعدها من

---

(١) هنا أيضا أخطأ المؤلف فظنّ أن الأحاديث النبوية رويت شفاهة زمنا طويلا بدون الاستعانة من الكتابة ؛ والصحيح ان الأحاديث النبوية قد كتبت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنها لا على سبيل التدوين الرسمي كما كان يدوّن القرآن .وهناك آثار صحيحة تدل على ذلك .
كما ثبت أن بعض الصحابة كانت لهم صحف يدوّنون فيها ماسمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم (انظر السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي ط ٣ / ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م المكتب الاسلامي صفحة ٥٩ ، ٦٠)

(٢) يعني : البوذية ، والنصرانية ، واليهودية ، والاسلام .

التحريف والتبديل "

وللرد على هذا الرأي أقول :

١ ـ لم يرد في الأقوال المأثورة ـ مع كثرتها ـ في معنى الآية الكريمة ان التين رمز أو اشارة الى شجرة بوذا التي زعم انه حصل الحكمة العليا تحتها .

وأصح الاقوال في معنى الآية عند المفسّرين هو أن المراد بالتين هو التين المعروف الذي يؤكل ، وبالزيتون هو الزيتون المعروف الذي يعصر منه الزيت، وبطور سينين هو الجبل المعروف الذي نودي موسى عليه السلام من جانبه ، وبالبلد الأمين هو مكة بيت الله الحرام. لأن هذه المعاني هي المعروفة عند العرب ،كما أنها هي الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل (١)

وزيادة على ذلك ان هناك فرقا كبيرا بين شجرة التين وشجرة بوذا ؛ لأن شجرة بوذا التي تعرف باسم " بو " (Bo)أو " بودهي" من الشجرات ذات ساق كبير وأغصان كبيرة ، ولها فروع واسعة كما لها ثمر ولكنه لا يؤكل ؛ وهذا لا ينطبق مع شجرة التين المعروفة

٢ ـ من الأمور المسلّم بها عند أهل السنة والجماعة انه لا يجوز إثبات النبوة لأحد الا بدليل صريح من الكتاب والسنة ، وليس لدينا أي دليل يثبت نبوة بوذا ورسالته ، ودعوى ذلك لا يخلو من الحدس

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٠ / ١١ ، وتفسير الطبري ٣٠/ ٢٤٠ ، وتفسير ابن كثير دار الشعب ٨/ ٤٥٧، ٤٥٨ ، وتفسير الكبير للفخر الرازي ٣٢/ ٨ ـ ١٠ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٦/ ٣٦٥،٣٦٦ .

والتخمين ؛ بل الذي ثبت عندنا أن بوذا زعم لنفسه الاستنـــارة (Enlightenment) ، وأنه نالها بجهده وتجربته ، لا بوحي مـــن الله أو الهامه ؛ فلم يدّع يوما ما أنه نبي أو رسول ، ولم يزعـــم قط للناس أن إلها كان يتكلّم بلسانه . (١)

٣ ـ لم يثبت أي دليل صريح يدلّ على اعتراف بوذا بالاله الخالق أو دعوته الناس الى عبادته ، بل الثابت هو العكس فقد نصّت فـــي الكتاب المقدس عند البوذية عبارات بوذا ـ كما ذكرناها ـ يفهـــم منها جحوده واستصغاره للآلهة كلّها حقّها وباطلها .

فلو كان بوذا نبيّا من أنبياء الله لاعترف على الأقل بالإله الخالق ودعا الناس الى عبادته ؛ لأنّ لـــ

Introduction to indian philosophy P. II6 (١) انظر

(٢) النحل ٣٦

(٣) الأنبياء ٢٥ .

على أن الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله إلى الأمم قبل هذه الأمّة هم جمّ غفير، لأن من رحمته سبحانه وتعالى أنه لا يترك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هاد يهديهم ، ولا رسول مبين يدعوهم بدعاية الله سبحانه وتعالى . يشير الى ذلك قوله تعالى : " وان من أمة الا خلا فيها نذير " (١)

وقوله تعالى : " ولكل قوم هاد " (٢)

من هنا كثر الأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كثرة هائلة، غير أننا لا نعرف رسولا من هؤلاء الرسل ، ولا عصرا لرسول ، الا من قصّ الله علينا قصصهم وسمّاهم في قرآنه ، وهم قليلون ! وان هناك أعدادا كثيرة لانعرفها .

وقد صرح القرآن الكريم بذلك في أكثر من موضع ، كقوله تعالى :

" ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (٣)

وقوله تعالى :

" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " (٤)

وعلى هذا فلا نستطيع أن نقف موقف السلب من دعوى بعض الباحثين أن رسلا بعثوا في الهند ، أو في الصين ، أو في أفريقيا ، غير أننا لا نثبت النبوة أو الرسالة لأحد معين الا بدليل يقين من الكتاب

---

(١) فاطر ٢٤ (٢) الرعد ٧

(٣) النساء ١٦٤ (٤) غافر ٧٨

والسنة . وليس لدينا خبر يقيني برسول معين بعث فيهم ، ودعوى ذلك لا يخلو من الحدس والتخمين " وان الظن لا يغني من الحق شيئا "(١)

ج) قضية الألوهية عند البوذيين بعد بوذا

إن إهمال بوذا الكلام عن الإله قد ترتّبت عليه آثار ونتائج سيئة في تاريخ ديانته، وذلك لأن الايمان بالاله أمر فطري فطر الله الناس عليه ، واتجه اليه عقل الانسان بطبيعته من غير تلقين أو تعليم ؛ ومن أجل هذا نجد أن أتباع بوذا من بعده يفكّرون في الاله ، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه ، ولمّا كان بوذا ترك هذا المجال فارغا ، أسرع أتباعه ، وعمدوا إلى بوذا نفسه، فجعلوه إلها معبودا كآلهة الهندوس ،وقد اختلفوا فيما بينهم حول شخصية بوذا ، وانقسموا الى مذهبين كبيرين :

المذهب الأول :

اتجه هذا المذهب الى الاعتقاد بأن بوذا ليس انسانا محضا ، بل ان روح الاله قد تجسّد فيه ، فأصبح كائنا إلهيّا (٢) . وهذا المذهب هو المعروف في البوذية بمهايان (Mahayan) (٣) أو المذهب الجديد، لأنه بعيد عن تعاليم بوذا الأصلية ، وقريب الصلة بالهندوسية.

---

(١) مقتبس من آية ٢٨ سورة النجم

(٢) انظر بوذية مهايان ٣٨ ، ٣٩ وقارن بما في أديان الهند الكبرى ١٦٨

(٣) وهذا المذهب هو الذي انتشر قبل الاسلام في فارس وبلاد آسيا الوسطى ، مما أدى الى انتقال هذه العقيدة : أي الحلول الى الفرق المختلفة في الاسلام ، ومنهم الصوفية . وسيأتي بحثه مفصلا ان شاء الله .

فمن عقيدة الهندوس مايسمونه " أوتار " (Avatar) ومعناه : النـــزول أي نزول الاله الى الأرض.وتجسّده في الانســان أو الحيوان (١).وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول عند المسيحية . ويعتقد الهندوس أن الاله " فشنو "(Vishnu) إحدى الأقانيم الثلاثة كان يتّخذ مختلـــف الأشكال والصور،فكان يظهر على الأرض كلما دعت الحاجة الى انقاذ البشرية من الهلاك ، ففي إحدى المرات تجسّد فشنو في "كرشـــنا" (Grishna)،وفي راما (Rama) ، كلاهما من الأبطال الأسطوريـــة في الملاحم الهندية ، كما تجسّد أيضا في صورة بوذا لانقاذ البشرية من الآلام . (٢)

ولقد تأثر المذهب الجديد بالهندوسية في هذه العقيدة نتيجة مـــن اختلاطه بها ،فجعل بوذا إلها في صورة إنسان ، وأطلق على هذا الإله اسم " براهمات ساتجا " (Brahmat Satja)،ووصفه بأنه الإله الخالق والمدبّر للكون ، وانه أراد أن يخلّص الانسان والحيوان مـــن آلام الدنيا ،فنزل الى الأرض ، وتجسّد في شخص بوذا وغيره حســب ما اقتضته الحاجة . (٣)

ولقد انتشرت هذه العقيدة باسم بوذية " مهايان " (Mahayan) في نطاق واسع منذ بداية القرن الأول الميلادي ، الأمر الذي جعـــل

==========

(١) مجموعة المصطلحات البوذية ٦٩٠

(٢) انظر الهند القديمة حضاراتها وديانتها للدكتور محمد اسماعيل الندوي ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٥٣ .

(٣) انظر بوذية مهايان ٢١٥ والفلسفة الهندية ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

أهل الرومان متأثرين بها ، فصوّروا المسيح عليه السلام إلهاً مجسّداً كما صوّر البوذيون بوذا (١).

المذهب الثاني : -

وهذا المذهب هو المعروف في البوذية بمذهب " هينايان " (Hinayan) وأطلق عليه أيضاً بالمذهب القديم ؛ لأنه قريب الصلة بتعاليم بوذا، ولقد اتجه البوذيون في هذا المذهب الى الاعتقاد ببشرية بوذا، وأنه انسان مقدس ارتقى الى مرتبة أسمى من مرتبة الانسان والملائكة والآلهة ، فألّهوه بهذا الاعتبار (٢).

أما الإله الخالق كما في سائر الأديان فإنهم لا يعترفون به ؛ بل يعتقدون أنه خرافة ، كما هو ظاهر في أقوال مؤسّس دينهم بوذا التي أسلفناها . وسنناقشهم في هذا الموقف فيما بعد ان شاء الله. والبوذيون عامة يعتقدون ان المرتبة التي توصّل الانسان الى درجة الآلهة أو ما فوقها على حدّ زعمهم هي مرتبة " بودها " أي التنوير وذكرت الكتب البوذية أن هذه المرتبة اشتملت على صفات منها :

١ - إنه تحرّر من شوائب أدران المادة المدنّسة ، وتغلب على جميع رغباته وشهواته البشرية ، كالحب ، والرضا ، والغضب ، والطمع ، والغرور ، وما أشبه ذلك .

٢ - انه تخلّص من ربقة "كارما " التي سيأتي تفصيلها ان شاء الله.

---

(١) سيأتي بعض تفاصيله في : المذاهب البوذية .

(٢) انظر أصول البوذية ٨٣ ، ٨٤ .

٣ ـ إنه تمكّن من التذكّر لأدوار حياته السابقة قبل هذه الحياة .

٤ ـ إنه عرف أسرار الحياة من بدايتها الى نهايتها .

٥ ـ إنه عرف طريق الخلاص من آلام الحياة . (١)

فمن حصل على هذه المرتبة فانه يستحق التقديس والعبادة (٢)

وبهذه المرتبة المزعومة ألّه البوذيون بوذا ، ونحتوا تمثاله للعبادة ، كما ألّهوا جميع القدّيسين الحاملين على هذه الرتبة في زعمهم .

ويحدّثنا التاريخ في تطور البوذية أن تمثال بوذا نشأ في البوذية في القرن الأول قبل الميلاد ، أي بعد وفاة بوذا بأربعة قرون . وقد أقاموا التماثيل والصور لبوذا بهيئة رزينة ، متحفّظة ، وجامدة (٣) .

ويذكر التاريخ ان تمثال بوذا كان بَدَا وحيدا في أول الأمر ، ثم اختلط بالتدرج بالآلهة البرهمية ، وبمرور الزمن ذاب تمثال بوذا بين هذه الآلهة الكثيرة ، وذاب اتباع البوذية في الهند بين الهندوس . (٤)

ومن هنا خرجت البوذية من الهند ، وانتشرت خارجها من بلاد شرق

---

(١) انظر : ترى بيتاكا (سوتان) ٤٨٧

(٢) انظر : بودها دهارما ٥٩ ، ٦٠

(٣) يقول المؤرخون البوذيون : إن ظهور تمثال بوذا متأثّر الى حد كبير بالفنّ اليوناني المشهور في ذلك الوقت ، لأن اليونانيين كانوا يولعون نحت التماثيل ، وكانوا موجودين بكثرة في الهند في ذلك الوقت . وأوّل تمثال بوذا نحته اليونانيون للبوذيين في مدينة " قندرهار " (Kandhar) وهي المعروفة اليوم بأفغانستان . انظر : تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٤٣٤ .

(٤) المذاهب البوذية ١٦٢ وقارن أديان الهند الكبرى ١٦٩ .

آسيا ، وخضعت لأهواء الشعوب التي اعتنقتها ، وانهزمت أمام عاداتها وتقاليدها ، فبعض الشعوب أدخلوا فيها عبادة الملوك ، و بعض الآخرين أدخلوا فيها عبادة الفيلة ، معتقدين بأن بوذا قد تلمّست روحه في أجسادها مرّات عديدة ، والكثير منهم أدخلوا فيها عبادة أرواح الموتى .

وهكذا انحدرت البوذية إلى عبادة الأوثان نتيجة لانكارها الاله . إنها ككلّ عقيدة خلت من الاعتقاد بالاله ، حيث بادر أتباعها بمرور الزمن ، فابتكروا الإله على النحو الذي يتّفق مع ثقافتهم ومستواهم العقلي والعلمي ، فبدلا من أن يعبد البوذيون خالق البشر ، عبدوا ميّتا من البشر ؛ بل عبدوا كلّ شيء زعموا فيه القداسة ، سواء كان من الجنّ ، أو الانس ، أو الحيوان ، أو الجماد ، أو الشجر ، أو ماشابه ذلك. والبوذيون الأوّلون عندما نحتوا تمثال بوذا ، وجعلوه إلها ، يعتقدون أنه مجرّد علامة أو رمز للخير ، والنبالة ، والزهد ، والحكمة ، والفناء والكمال الأسمى " نرفانا " ؛ إنهم لا يسألونه أن يحوّل الجبال ذهبا أو يجعل البحار لبنا وعسلا ، أو يغيّر سير الأفلاك ، أو يرزقهم الخلود في الدنيا ، فضلا عن أن يظنّوا أنه خلق نفسه ، أو خلق السموات والأرض ، أو أنه يمسك بنظامهما ، ولكنّ البوذيين المتأخرين بالغوا في التقديس ، فزعموا أن في تمثال بوذا قوة عجيبة على فعل الخوارق ، وقدرة روحية في اصلاح معاشهم وقضاء حاجاتهم ، فيسألونه أن يدفع عنهم البلاء والمرض ، وان يشير عليهم بالوقت

المناسب للعمل ، ويلتمسون منه أن يأتيهم بالمطر لزرعهم ، وما الى ذلك . من أجل ذلك يقدّمون له القرابين والهدايا ، ويطوفون حوله، ويستلمسون في حضرته بالأزلام،ويطلبون منه حاجاتهم كما هو الحال في كثير من الدول البوذية وخاصة في تايلاند .

د ـ مناقشة البوذيين في قضية الألوهية

ذكرت سابقا أن البوذيين عامة باستثناء أصحاب المذهب الجديد لا يؤلّهون بوذا كالله خالق ، وإنما يؤلّهونه كانسان مقدس لايتّصف بالخلق والتدبير .

لذلك لم يتمكّنوا من سد الثغرة الواسعة في نحلتهم ؛ فلا يستطيعون أن يفسروا وجود الكون والحياة والانسان تفسيرا مرشدا كما فسّر به المسلمون وغيرهم من أصحاب الأديان السماوية ؛ إنهم عجزوا عن أن يقيموا دليلا واحدا على عدم وجود الاله الخالق المتصرّف في هذا الكون . وعلى هذا فلم يجدوا بدّا من أن يلجأوا الى منطقهم الفاسد ، وهو القول بأن وجود الله ليس أمرا ضروريا في الحياة البشرية ، وأن البحث فيه لا يفيد الانسان في حلّ مشكلاته اذ لاتزول به آلام الحياة (١). وهذا المنطق هو معنى قول بوذا حينما سئل عن أبدية العالم ونهايته ، حيث قال: إن البحث في هذه الأمور لايعنينا ، إني لم أجيء إلى هذه الحياة لأبين لكم هذه الأمور ، وإنما جئت لأمرّنكم وسيلة الخلاص من ألم هذه الحياة ، إذن

(١) المبادىء الهامة في البوذية ٢٤ .

فأنا اعتبر هذا السؤال غير مفيد" (١). يقول الراهب البوذي الكبير " بانيا ناندا بيهكشو" (Panya nandha Bhikshu) (٢) في إحدى المحاضرات التي ألقاها في " رابطة العالم البوذي " فرع : كولا لمبور ماليزيا ، في ١٥/ ابريل / ١٩٧٨ م (٣) :

" لا يهمّنا وجود الله أو عدمه ، اذ لا علاقة له بقضية " الخلاص" " Liberation " التي ننشدها ...

" إن وجود الاله الخالق الذي يؤمن به المتديّنون ليس ضرورة عقلية لتفسير ما في الكون ، إذ يمكن أن يردّ كل مافي الكون الى الطبيعة" ويقصد بالطبيعة النواميس والقوانين التي تحكم الكون ، أو مايسمى في البوذية " ناموس العلة والمعلول"(٤) " Low of cause and Effect " أو ناموس الطبيعة " Low of Natuer ".ويفسّر الراهب هذا الناموس فيقول : " إن هذا الناموس هو الذي يوجد الأشياء ويحدثها ، وهو الذي يسيطر على كل شيء ، وإنه ليس بخالق لذات قدسيّ يتصرّف فيه كيف يشاء ، بل ذلك الناموس مستقلّ بذاته ، نافذ بنفسه لا يتأثّر بمؤثّر بشري أو إلهي أبدا " ثم يفسّر الكون بما فسّر به أستاذه بوذا من أنه وحدة متّصلة متماسكة ، ومجموعة مركبة ، لا انفصام

---

(١) انظر ترى بيتاكا سوتتان ٣٠٨ وأيضا ٤٨٦ .

(٢) تقدم تعريفه في المقدمة صفحة ٣٩ .

(٣) هذه المحاضرة مطبوعة في كتابه المسمى " النظر من الداخل" أنظر صفحة ١٢ ، ١٣٠ ، ٢٠ – ٢٣ .

(٤) انظر ترى بيتاكا (سوتتان) ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٤٨٦ ، ٧٣١

بين أجزائها ، وهو مركّب من مجموعة هائلة من العناصر المختلفة لا تزيد ولا تنقص ، بل يعاد توزيعها باستمرار ، ويعاد ترتيبها ووضعها بحكم الناموس: أي ناموس العلة والمعلول ، وكل مجموعة جديدة ان هي الا نتيجة عن المجموعة التي تقدّمتها ، فالحياة الحاضرة ماهي الا سبب لحدوث الحياة القادمة ، ونتيجة من الحياة السابقة وفقا لقانون " كارما " ، ومثّل الراهب ذلك بالشجرة التي هي سبب لحدوث الشجرة الثانية بواسطة بذورها ، وهكذا الشجرة الثالثة ، والرابعة ، ولم يذكر الراهب شيئا عن " العلة الأولى " أو " السبب الأول " الذي يحدث أوّل حياة أوأول شجرة ، والذي يدبر دقّة هذا الكون كلّه ، لأنه محال ان يستقر له قول صحيح في ذلك حتى يؤمن هو ومن معه من البوذيين بخالق الوجود ، وموجد العلل والمعلولات ، وقد زعم البوذيون أنهم بهذه العقيدة متحرّرون ومتميّزون عن سائر الأديان وهم ـ في الحقيقة ـ كما وصفهم الله في كتابه العزيز :

" ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير "(١)

أمّا ردّنا على هذه المزاعم والأضاليل فنقول و بالله التوفيق :

(١) ان زعمهم بأن وجود الله ليس أمرا ضروريا للحياة زعم باطل لأنه مخالف للعقل والفطرة ، فان العقل السليم بأدنى تأمّل وتفكّر مجرّد عن الهوى والتقليد والعصبية ينتهي حتما الى نتيجة قاطعة هي وجود الله عز وجل ، وكذلك الفطرة السليمة إذا تركت نفسها

---

(١) الحج ٨ . وهذه الآية أيضا جزء من الآية ٢٠ من سورة لقمان .

بدون مؤثر اهتدت الى وجود الله .

فالعقيدة بوجوده تعالى لازمة من لوازم المعنى الانساني ، وضرورة عقلية للانسان في تفسير وجود هذا العالم ، إذ بدون العقيدة يظلّ هذه

هذا السؤال الذي أثاره القرآن حائرا قلقا بغير جواب :

" أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والارض ؟ بل لا يوقنون " (١)

والبوذيون - بداهة - لم يخلقوا من غير شيء ، وهم أيضا لم يخلقوا أنفسهم ، فمن الخالق اذن ؟

إنهم لا يجدون جوابا ولا يعرفون تفسيرا ، ماداموا يفرّون من الجواب الحتمي الذي لا جواب غيره ، والتفسير الذي لا تفسير سواه ، وهو وجود الله سبحانه وتعالى .

يقول الدكتور عبد الله دراز في كتابه " الدين " (٢) :

" إن وجود هذه الحقيقة الأولى والأخيرة (أي وجود الله) ضرورة عقلية لا مناص من التسليم بها ، ولا مجال لأحد أن يكابر فيها متى فكّر قليلا في الوضع الذي يؤول اليه إنكارها ، اللهمّ إلا إذا فرضناه كائنا أخرق ، لايذعن لقواعد المنطق والحساب ، ولا يبالي أن يبطل كل شيء في الأذهان " .

هذا وقد أثبت مؤرخو الأديان وجود عقيدة الإله الأعلى عند

---

(١) الطور ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) صفحة ١٠٥ - ١٠٦ .

القبائل البدائية في استراليا ، وافريقيا ، وأمريكا . واتفقوا على أن أشد الشعوب همجيّة ووثنيّة لم ينفكّ عن الاعتقاد بالله خالق هو ربّ الأرباب (١)

٢ - إن قضية الايمان بالله ليست قضيّة على هامش الوجود، يجوز للانسان أن يغفلها أو يستخفّ منها ؛ لأنها قضية تتعلق بوجود الانسان ومصيره ؛ بها تحلّ لغز الوجود ، وبها تفسّر للانسان سرّ الحياة والموت ، وتجيب عن أسئلته الخالدة :

من أين ؟ والى أين ؟ ولِمَ ؟

ثم بها تحقق سعادته الحقيقيّة في هذه الحياة ، وما بعدها .

من هنا بطل قول البوذيين بأن الايمان بالله لا تزول به مشكلة الحياة ، ولايفيد الانسان في إعدام الآلام والتخلّص منها ، وهو قول في غاية الضعف والانهيار .

كيف يتحدّث الانسان في آلام الحياة والتخلّص منها ؛ وهو ينكر النعم التي تتمتّع بها حياته اليومية منذ نشأته ؟

فالأرض ، والماء ، والهواء ، والشمس ، والقمر ، وغير ذلك من النعم التي يتمتع بها الانسان بدون مقابل ، كيف لا يفكر فيها ، وفيما وراءها فيعترف بجميل صاحبها ؟

وكيف يتفكّر الانسان فقط في التخلّص من الآلام والشقاوة ، وهو لايعرف حقيقة نفسه ، ولايعرف أسرار وجوده في هذا الكون

---

(١) قارن : مقارنة الأديان : للدكتور عوض الله حجازي ٢٠ ، ٢٢ .

ولا يعرف ما وراء هذه الآلام المزعومة ، ومن قدّرها ؟

٣ ـ أما قول البوذيين بأن " ناموس الطبيعة " هو الخالق والمحدث للأشياء فهو قول فاسد لا يستند على أساس علمي ولا يقوم على برهان عقلي ؛ وقد قامت الدلائل والبراهين القواطع لا تعد ولا تحصى على خلاف هذا القول ، كما صنّف لرده كثير من العلماء والباحثين فلا نحتاج هنا الى ايراد الحجج والبراهين الكثيرة لإبطاله ، ان تصوّره تصورا صحيحا يكفي لبطلانه .

اذ كيف يعطون للناموس صفة الخلق والايجاد ، وهو آلة مجفة ، لاشعور له بما يصدر منه من أفعال ؟

كيف يعطونه صفة الخلق والايجاد ، وهو لايتّصف بعقل ، ولا تدبير ، ولاقدرة ، ولا إرادة ، ولا غيرها من الأوصاف ؟

وكيف يصدر من هذا الناموس الأفعال العظيمة التي في غاية الإبداع والإتقان ، وفي غاية الارتباط والوثيق ، من دون مدبر لها ، ولا خالق ولا فاعل ؟

إن من تصوّر هذا القول حقّ تصوّره عرف أنه قول باطل مخالف للقواطع العقلية ، وما فطر الله عليه الخلق من الاعتراف بوحدانيته وتفرّده بكل كمال ، فأي عمل للناموس يوجب هذه الآثار الكونية العظيمة ؟

وأي أثر جعله يعمل هذه الأعمال ؟ وأي عقل وفكر هداه الى هذه الأمور ؟

إن هذا لاشـــك فيه تقدير العزيز العليم ، وهذا صنع الله الذي أتقـن كل شيء ، بديع السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

يقول الدكتور " ادوين فاست " عالم الطبيعة في حقيقة هذا النامـوس :

" إن جميع هذه القوانين الطبيعية التي نصفها ونستخدمها ليســـت الا مجرّد وصف لما يحدث أو مـا يشاهد ، فهي بذلك ليست تدبيرا أو إلزاما ، فليس الوصف في ذاته سببا لحدوث ظاهرة من الظواهر أو توضيحا لأسباب حدوثها " (١)

أي هناك سبب حقيقي لحدوث الظواهر ، وهو قدرة الله سبحانه وتعالى وإرادته . فقد أثبت العلماء أن هذا الناموس بالنسبة للمخلوقـــات ليس سوى صفاتها وخصائصها التي تجري عليها ، ومن المسلّم به عقليّا ان صفات الشيء لا توجده ، وأن خصائص الموجودات لا تخلقهـا. ونوضح ذلك بمثال :

" نحن نعلم أن السيارة لايمكن ان تمشي بدون محركها الآلـــي والوقود ، فإن تحرّك أجزاء المحرك ، واحتراق الوقود ، والقوة الدافعـة في مستودع الانفجار ، كل هذه الأمور خصائص وقابليات وطبائـع لتحرك السيارة وانطلاقها .

فهل يصدق عاقل ان قابلية الاحتراق ، وخاصية الانفجار ، وقوانين الميكانيك ، هي التي خلقت المحرك وأبدعت السيارة ؟ (٢)

==========

(١) الله يتجلى في عصر العلم : لجماعة من علماء الطبيعة والفلـــك والعلوم ٩٣ .

(٢) من كتاب " الوجود الحق " للدكتور حسن هويدي ٦٠ – ٦١

فلولا العقل الذي صمّم المحرّك ، والأيدي العاملة التي صنعته ، لما وجدت السيارة ، ولما ظهرت حقيقتها للناس ... ؟

وكما أن صفات الشيء لا توجده ، كذلك يرفض العقل الانساني التسليم بأن الشيء يوجده ، أو يخلق شيئا أرقى منه .

فكيف يخلق " الناموس " إنسانا سميعا عليما بصيرا ، وهو لايملك عقلا ولاسمعا ولا بصرا ؟ وكيف يعطي الشيء فاقده ؟

من هنا يتبيّن لكل ذي عقل أن ناموس الطبيعة الذي اعتمد عليه البوذيون وأمثالهم في خلق الشيء وإيجاده ما هو في الحقيقة إلا وهم ظاهر وسراب خادع .

إنهم لم يفهموا هذا الناموس على كماله ، لأن هذا الناموس متى فهم على كماله ، انتهى الى أسمى العقائد الدينية وهي عقيدة التوحيد .

وبيان ذلك نقول :

من المعروف ان العقل الفطري في الانسان يؤمن بالسببية في حدوث الاشياء إيمانا أوليا لايحتاج الى تعليم أو تلقين ، ولا يؤمن بالمحتبط لها ، إنه يوقن أن لكل شيء في الوجود سببا ، وأن لكل معلول علة ، وأن شيئا لا يصدر من غير سبب .

وهذا ما يعترف به بوذا وأتباعه كما أسلفناه ، وهو المعروف عندهم بناموس العلة والمعلول ، وأطلق عليه بعض العلماء المسلمين اسم قانون السببية .

ومفهوم هذا القانون كما يقول الدكتور عبد الله دراز هو :

" ان شيئا من الممكنات " لايحدث بنفسه من غير شيء " لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده " ولا يستقلّ باحداث شيء" لأنه لايستطيع ان يمنح غيره شيئا لا يملكه هو ،كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد إيجابي فلابد له من وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي ،وهذا السبب الخارجي ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره ، فلا مفرّ من الانتهاء الى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب " (١)

انه لامفرّ من إثبات السبب الحقيقي الأول الذي ليس قبله شيء،والذي يتصف بانه الخالق والمدبّر للأشياء ،وأنه العليم الحكيم المريد المختار القادر على كل شيء ، وهو الله سبحانه وتعالى . إن كلّ خصائص الكائنات وجميع سنن الكون ونواميسه وقوانينه ليست الا مخلوقة مقدّرة ،والله مسيطر عليها وليس جزءا منها ، وليس هو سبب من جملة الأسباب أو علة من العلل ،فالأسباب والعلل والقوانين والنواميس كلها مخلوقة خاضعة ، فهي من خلقه وتقديره .

" وخلق كل شيء فقدره تقديرا " (٢)

هـ ـ تأليه الناموس.التفسير الجديد في البوذية .

تراجع كثير من البوذيين المثقّفين في هذا العصر عن موقفهم من قضية الألوهية ، لأنهم وجدوا ان التدليل بعدم وجود الاله الخالق أصعب من التدليل بايمانه ، إذ إنه لم يثبت من ناحية العقل،ولا من

==========

(١) الدين ١٠٤ ،١٠٥ (٢) الفرقان ٢

ناحية العلم أي دليل يمكن الاستناد اليه في نفي وجود الاله الخالق، فبعضهم يميلون صراحة الى الاعتراف بوجود الاله ، وبعضهم يعترفون به ؛ ولكنهم أوّلوه الى معنى آخر يوافق مع تعاليم دينهم .

وقد حاول بعض العلماء البوذيين المعاصرين في تايلاند وغيرهـــا أن يقرروا عقيدة الألوهية ليوفّقوا بين ديانتهم البوذية وبين الديانـات الأخرى ،وخاصّة النصرانية ،في هذه العقيدة .

ومن هؤلاء على سبيل المثال: الراهب الكبير " راجاوارا مونـــــي " (Rajavara muni) (١) حيث قال :

" من المعروف أن كلّ شيء في الكون له سبب لحدوثه ؛ فلا يعقـــل ان يحدث شيء من غير سبب ولا علّة . ان البوذية ـ في الحقيقة ـ تؤمن بمسبّب الأسباب ،وهو الخالق والحافظ والمسيطر على الكون ؛ ولكـــن البوذية لاتسمّيه إلها كما تسمّيه النصرانية والأديان الأخرى ؛ بـــل تسمّيه " دهارما " (Dharma) هوبمنزلة الإله في النصرانية (٢)

---

(١) من الشخصيات البوذية المعروفة في تايلاند له عدة مؤلفـــات في البوذية والأديان . منها " بين البوذية والنصرانية في رأينا " وهو الكتاب الذي اعتمدت عليه في هذا البحث . وقد حـــاول المؤلف في هذا الكتاب التقريب والتوفيق بين البوذية والنصرانية في كثير من المبادىء والتعاليم ، واكتسب به شهرة كبيـــرة بين أوساط البوذيين وعلمائهم في تايلاند وغيرها من الدول المجاورة .

(٢) بين البوذية والنصرانية في رأينا ٤٢
وقد وافقه كثير من العلماء البارزين في البوذية أمثـــال القديس" ناندا بيهكشو" في كتابه "مشكلة الالوهية بين البوذيـة والنصرانية" ورادها كرشنن : من علماء الهند في بعض بحوثـــه =

ويقصد الراهب بالاله في النصرانية " الكلمة " " The word "

أو " كلمة الله " التي نصّ عليها انجيل يوحنا (١) في قوله :

" في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عندالله ، كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان "

من هذا النص استنتج الراهب ان الاله في النصرانية له نوعان: الاله كبشر يتّصف بصفاته ، والاله كناموس لايتّصف بأي صفة ، وهو الكلمة التي نصّ عليها الانجيل المحرّف ، وعلى هذا يقول الراهب في مكان آخر :

" لايبعد أن نقول بأن " دهارما " (Dharma) في البوذية هي " الكلمة " التي نص عليها انجيل يوحنا في أوله ، وهي إحدى الأقانيم الثلاثة في النصرانية ، بها وجد كل شيء (٢)

ولا أريد البحث والتحليق في هذا الموضوع فليس هنا مجاله ، الا أنني أقول إن هذه المحاولة وأمثالها في التوفيق بين هاتين النحلتين قد نجحت الى حدّ بعيد ، لوجود التشابه بينهما في كثير من المبادىء والعقائد .

ثم يقول الراهب في موضع آخر مقرّرا قضية الألوهية في البوذية :

= و" مهاموني " من علماء البوذية في برما وغيرهم .

(١) انظر الاصحاح الأول فقرة ١ – ٣

(٢) بين البوذية والنصرانية في رأينا ٤٥ .

" إن قضيّة الألوهية قضيّة أسمى للانسان ، فكلّ إنسان من حيث يشعر أو لا يشعر يعترف بوجود الإله ، غير أن الإله الذي نؤمن به هو الإله غير المشخّص"Impersonal god" لا يتّصف بصفات البشر،وهو " دهارما " (Dharma) التي تدبر هذا الكون ، وهذا الإله هو الذي اعترف به بوذا ، وكان يقدّسه ويعدّه شيئا أسمى في الكون ،وكان مما روي عنه في آخر حياته :

" يا اخوتي بيهكشو . أطيعوا دهارما (Dharma) الذي ظهر بينكم اتّبعوه بيقظة وانتباه ، واسلكوا الطريق الذي عبدها لكم " (١)

ثم فسّر المؤلف كلمة " دهارما " (Dharma) الإله المزعوم فيقول:

" ان كلمة " دهارما " (Dharma) لها معنى أوسع مما يعرف في البوذية ؛ وهي تشمل المعاني الآتية :

١ ـ نفس الطبيعة كلّها .

٢ ـ نواميس الطبيعة كلّها .

٣ ـ واجبات الانسان نحو النواميس .

٤ ـ النتائج والثمرات من هذه الواجبات .

ويمكننا القول بأن " دهارما " (Dharma) الذي نؤمن به كإله يتصف بالخلق والايجاد هو " دهارما " (Dharma) بمعناه الثاني ، انه قوة عظمى التي تسيطرنا وتسيطر العالم"(٢)

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٦٤٠

(٢) بين البوذية والنصرانية في رأينا ٧٩ ، ٨١ .

وهذا الرأي في الواقع هو نفس الرأي العام للبوذيين الذي سبق ذكره ، غير أنه صرّح هنا بالوهية الناموس " دهارما "(Dharma) وانه هو الاله الذي آمن به بوذا ، وقد تقدّم رأينا في ذلك فلا نعيده ؛ غير أنني أقول :

إن هذا التفسير على فرض صحّتها عند البوذية،فان إله بوذا غير بعيد عن إله بعض فلاسفة اليونانيين ، أمثال أرسطو (Aristotle) (٣٨٤ – ٣٢٢ ق م) وغيره ، حيث كان الإله في نظرهم هو المحرّك الذي لا يتحرك ، وهو أقرب الى " العقل " منه الى " الشخص " (١)

وعلى أي حال فإن هذا التفسير يدلّ على حقيقة عظمى التي أودعها الله في الانسان : وهي " الاعتراف بالربوبية " هذه الحقيقة التي اعترف بها المشركون ،وجبلت على الاقرار بها جميع الفطر ، كما سجّل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

" ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله " (٢)

" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله " (٣)

إن هذه الحقيقة مهما حاول الإنسان أن يطردها من عقوله ، فإنها لابد أن تعود إليه بصورة من الصور ، لأنها هي الفطرة السّليمة التي فطر الإنسان عليها .

ومن المعروف لدى الباحثين في الأديان أن مذهب البوذية من المذاهب

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٦٥ وما بعدها ، وأيضا " الله ذاتا وموضوعا " لعبد الكريم الخطيب ٣٣٧ ،٣٣٨ .

(٢) لقمان ٢٥ (٣) الزخرف ٨٧ .

الالحادية التي حاولت كل المحاولة في إبعاد فكرة الألوهية عن تعاليمها ، واعتمدت فقط على الإنسان دون اللجوء إلى ما وراءه من القوة الإلهية ، ولكنّ ما لبث أن تبيّن من علماء البوذيّين ،وإن كانوا قليلين أن مذهب البوذية لم يتمكّن من الاستمرار على موقفه القديم من الألوهية ، وأن البوذيين بدأوا يراجعون موقفهم منها ،ويلفتون نظرهم إلى التفسير الجديد لمذهبهم ، ليوافقوا مع جمهور الناس في العالم .

وقد بدأ كثير من البوذيين يتحيّرون من دينهم ، غير مقتنعين به وأخذوا يتردّدون في وجود الله واليوم الآخر .

وكان كثير منهم يصرخون وينادون الله في أحاديثهم وكتاباتهم عندما تراكمت عليهم الهموم والأحزان والمصائب .

كقول بعضهم المضطرّين ، يا إلهي ! لو أن وجودك حقّ فاعفني ...

أو كقول بعضهم : يا أيتها القوة المهيمنة على الكون إعفيني !

إنها صرخة الاستغاثة والنجدة تنطلق من قلوب الملحدين الى الله تعالى .

وهذا يؤكّد قولنا بأن الإنسان مفطور على الايمان بالاله الخالق المتصرّف في هذا الكون ، غير أن الإنسان قد تحيط به مؤثرات كثيرة تجعله ينحرف عندما يتجه الى المعبود الحق .

يقول تعالى في الحديث القدسي :

" اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " (١)

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢١٩٧ (رقم ٢٨٦٥) كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ورواه أيضا أحمد في مسنده ١٦٢/٤ عن عياض بن حماد المجاشعي .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" مامن مولود الا يولد على الفطرة (١) فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه ... (٢)

كما أن الانسان اختلفت مداركه في تصوّرات ذات الإله ، وتحديد صفاته ، أو صلته بالبشر ؛ ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن ترسل الرّسل والأنبياء تترى لتصحيح عقيدة الناس في الإله وتصحيح الإيمان به .

ونعود الى تصور البوذيين في ذات الاله فنقول :

إن تصوّرهم في الاله المجرّد من الذات والصفات تصوّر باطل لقياسهم الربّ العظيم بالمخلوق الناقص ،انهم لا يدركون أن وجود الله الخالق سبحانه وتعالى ليس الوجود المطلق كما يزعمون ؛ لأن الله له ذات تليق بجلاله وعظمته لاتشبه ذوات المخلوقين ، كما أن له صفات تليق بكماله وجلاله لا تشبه صفات المخلوقين .

ولقد علم بالاضطرار أن الوجود لابد له من موجد واجب بذاته ، غني عما سواه ، قديم أزلي متصف بصفات الكمال ، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم ، فلو وصف هذا الاله الموجد بأنه معنى مجرد من الذات والصفة ، فلا يكون هذا الاله الا في الذهن لا في الخارج من الموجودات.

==========

(١) والمراد بالفطرة : هو التوحيد ، هو الاسلام ، والانقياد ، والطاعة للخالق الأعظم . ولقد أجمع السلف في قوله تعالى " فطرة الله التي فطر الناس عليها " انها دين الاسلام . انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨/ ١٧٩ .

(٢) رواه البخاري ٣/ ١٧٣ كتاب تفسيرا لقرآن :سورةا لروم ؛
وروا ءمسلم ٤/٢٠٤٧ كتاب ا لقدر ،باب معنى كلّ مولوديولدعلى ا لفطرة (رقم ٢٦٥٨)

ولاشك أن هذا باطل لا يقبله العقل ، لأن العقل لايفهم إلها بغير ذات ، ولايفهم ذاتا بغير صفة ، وكلّ منهما لائق بكماله وجلاله .

و ـ عقيدة الثالوث في البوذية

هناك عقيدة الثالوث في البوذية ، ويسمونها بالبالية " راتنا تري " (Ratna tri) ومعناه : الجواهر الثلاثة (١)

ويتكوّن هذا الثالوث من العناصر الآتية :

١ ـ بوذا (The Buddha) : مؤسس البوذية .

٢ ـ دهارما (The Dharma) : أي تعاليم بوذا وشرائعه .

٣ ـ سانغها (The sangkha) : أي أصحاب بوذا والقديسين (٢).

ويقولون : إن هذه الثلاثة تختلف في الأسماء ، وهي في الحقيقة شيء واحد ، كل شخصية من هذه الشخصيات الثلاث متساوية لأختيها بكلّ شيء ، بالعظمة والقداسة والكرامة (٣).

إن هذا الثالوث هو المعبود المقدس عند البوذيين عامة ، أي لافرق بين المذهب القديم والمذهب الجديد في هذا الثالوث (٤)

ويعتقد البوذيون أن في هذا الثالوث قوة خارقة تعينهم على الخير وتدفع عنهم البلاء ، فيدعونه عند حاجاتهم ، ويذكرونه في تراتيلهم

---

(١) مجموعة المصطلحات البوذية ٥٢٣

(٢) انظر : ترى بيتاكا (سوتان) ٢١٤

(٣) انظر : المبادىء الهامة في البوذية ٣٦٨ ، وأصول البوذية ١٢٤ ، وبودهادهارما ٥٣ .

(٤) انظر : المذاهب البوذية ١٦٠ .

وصلواتهم . ويحسن بي أن أشير هنا إلى أن عقيدة الثالوث ليست من خصائص البوذية ، وإنما ترجع هذه العقيدة إلى قرون بعيدة قبل مولد بوذا .

فقد ذكر مؤرخو الأديان أن البابليين هم أوّل من قال بالثالـــوث وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد ، حيث قسّموا الآلهة الى ثـــلاث مجموعات ، فكانت المجموعة الأولى : تتكوّن من إله السماء ، واله الأرض ، وإله البحر . والمجموعة الثانية : إله القمر ، وإله الشمس ، وإله الرياح . أما المجموعة الثالثة : فإله العاصفة ، واله الرعد ، واله البرق (١) ثم يقول به الهندوس كما تقدم (٢) ، ثم البوذيون ، ثم أخيرا يقول بـــه النصارى ، وان اختلفت هذه الأمم في تفسير ثالوثهم .

وهكذا توالت سلسلة عقيدة الثالوث الوثنية كنتيجة من جهـــــود الانحراف في الأديان في تصوّر الألوهية .

ز - تصوّر الألوهية في الاسلام

لقد جاء الاسلام بما يعدّ تصحيحا لجميع أنواع الاختلاف والاضطراب التي وقعت في الديانات المنحرفة ، والفلسفات المضطربة ، وما يعدّ ردّا على كل النظريات التي تحاول أن تصوّر " الله " في صور مضطربة بعيدة من الحق ، جاء الاسلام - وسط هذا الاضطراب - بعقيدة التوحيد الخالص التي أنكرت جميع أنواع الشرك والتعدد في الله ، وحرّرت العقل البشري من الوثنية ، ومن عبادة عدد من الآلهة ، ومن عبادة الفرد ، ومن

(١) انظر : تاريخ الأديان ٧٢ (بالتايلاندية) . وانظر بالعربية تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم مدكور ٦ .

(٢) انظر صفحة ٧٨ .

تقديس الأبطال ، ومن كل سلطان الا سلطان الله سبحانه وتعالى . وعلى هذا فان عقيدة الألوهية في الاسلام تختلف كلّ الاختلاف عن عقائد الهندوسية ، واليهودية ، والبوذية ، والنصرانية ، وما أشبهها .

فالإله في الاسلام ليس كاله البوذية الذي هو الشالوث أو الناموس " دهارما " (Dharma)،وليس كاله فلاسفة اليونان الذي هو عقل محض، وليس كاله اليهودية الذي هو اله قومي محلي مقصور على اليهود الشعب المختار على حدّ تعبيرهم . وقد وصفوه بنقائص البشر (١)، وكذلك ليس إله الاسلام كإله الهندوسية الذي يتكوّن من الأقانيم الثلاثة ، وليس كإله النصرانية الذي هو الشالوث (الأب ، والابن ، والروح القدس) .

ليس الإله في الاسلام كتلك الآلهة المذكورة ؛ بل الإله في الاسلام هو الله ربّ العالمين ، واحد أحد ، لا شريك له ، ولاند ، ولا شبيه ،ولا مثيل ولا صاحبة . إنه صمد،لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد(٢) . فهو لا يلابس البشرية ، ولا شيئا من الخلائق ،لا في ذاته وأفعاله ، ولا في أسمائه وصفاته . وكذلك ان البشرية لا تلابسه ، لا في وحدة ، ولا حلول، ولا اتحاد ، ولا فيض ،ولا انبثاق ، ولا بأي صور من الصور ، لا في الواقع ولا في التصور ، إن الاله في الاسلام هو خالق كل شيء ، ورازق كل حي، ومدبّر كل أمر ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كلّ شيء عددا ، ووسع

---

(١) انظر : اليهودية : للدكتور أحمد شلبي ٢٧٥ .

(٢) مقتبس من آية ٢ ـ ٤ سورة الاخلاص .

كلّ شيء رحمة ، خلق فسوّى ، وقدّر فهدى ، يسمع ، ويرى ، ويعلم السرّ والنجوى

قال تعالى :

" ذلكم الله ربّكم ، لا إله إلا هو ، خالق كلّ شيء فاعبدوه ، وهو على كلّ شيء وكيل . لا تدركه الأبصار . وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير" (١)

هذه هي عقيدة الاسلام في الألوهية ، وهي العقيدة الصحيحة التي سلمت من الخرافة ، والوهم ، والأسطورة . وسلمت من الأباطيل ، والضلالات التي وجدت في سائر الأديان والفلسفات ، وقد جاء بها الاسلام واضحة تامّة كاملة في أسمى ما يمكن أن يكون عليه السمو ، وعرضها عرضا يليق بالرسالة التي اقتضت حكمة الله أن تكون خاتمة الرسالة الإلهية ، وان تكون غاية للبشر الى قيام الساعة .

---

(١) الأنعام ١٠٢ - ١٠٣ .

المبحث الثاني : قانون " كارما " أو قانون الجزاء

عرفنا مما مضى أن البوذية استبعدت فكرة الألوهية من تعاليمها، واعتبرتها غير ضرورية لحياة الانسان ، وكانت أهمّ مبادئها : أن الخير يجب أن يأتي بالخير ، وأن الشرّ يجب أن يأتي بالشر والانسان ملجأ لنفسه ، وهو صانع مصيره .

من هنا تأتي المشكلة ، وهي : كيف يأتي الخير بالخير ؟ ، وكيف يأتي الشرّ بالشرّ ؟ ، أي كيف يكون جزاء الانسان ؟ ، ومن يتولّى هذا الأمر؟ ومتى يكون ذلك ؟

حاولت البوذية حلّ هذه المشكلة ، والاجابة عن هذه التساؤلات ، وذلك باعتمادها على ما سبقتها اليه الديانات الهندية ،وهو مايسمى بقانون " كارما "

١) تعريف قانون " كارما "

إن " كارما " كلمة سنسكريتية ، ومعناها : " العمل "

ويشترط في " كارما " ثلاثة شروط وهي :

١) وجود الدافع ، وهو الرغبة والشهوة .

٢) وجود القصد والنية .

٣) وجود الفعل أو الحركة .

فحقيقة " كارما " هي كل عمل يعمله الانسان ، سواء كان فعلا ، أو قولا ، أو فكرا .

ويمكن القول بأن " كارما " هي حياة الانسان كلّها (١)

(١) المبادىء الهامة في البوذية ٣٧٥ – ٣٧٦،وأيضا أصول البوذية ١٩٠ .

إن "كارما" هذه لها سبب ولها نتيجة ؛ فكارما الطيبة تأتي بنتيجة طيبة ، وكارما السيئة تأتي بثمرة سيئة ، وهناك عدالة تجازي الاحسان والاساءة ، وتتحكّم في مصير جميع الكائنات المسئولة ، ويطلق على هذه العدالة اسم " قانون كارما " . فمن عمل عملا يجز به ، ان خيرا فخير ،وان شرّا فشرّ ، وما من أحد يستطيع أن يفلت من يدي هذه العدالة ، مامن مكان جبلا كان ، أو سماء ، أو بحرا ، أو برا ،أو جنة يستطيع فيه أحد أن يتخلص من حسنات أعماله أو سيئاتها (١).

يقول صاحب كتاب " قانون كارما " (٢) :

" من أصول عقيدتنا البوذية أن يعتقد الانسان أنه لابد من الجزاء على أعمال الخير والشر ، وأن جميع البشر يجازون بأعمالهم ، خيرا أو شرا طبقا لقانون العدل الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس الا أحصاها .... إن كل حركة ، أو عمل ، أو كلام ، أو خاطرة ، لا يذهب سدى ، بل يسجّل ،ويحفظ ، وتترتب النتائج عليه في المستقبل.. نحن لا نشك في أن الافعال التي يقوم بها الانسان بإرادته فتحسن الى الآخرين ، أو تسيء ، لابد أن يكافأ عليها ذات يوم أو يعاقب وفقا لقانون عادل دقيق وهو قانون " كارما " .

وقد وصف هذا المؤلف البوذي هذا القانون : بأنه هو المسيطر على كل حياة في الكون ،والعادل الذي لا يرحم الانسان بعمله ، ان شرّا

---

(١) أصول البوذية ١٩١

(٢) ص ٤ – ٥ .

شرّ" وان خيرا فخير . هو نفسه يكتب بيده شقاءه أو سعادته، وهو القدر بدون مقدّر، لأنه يعمل عفويا من تلقاء نفسه. ثم يقول: "وقد يصعب علينا فهمه فهما دقيقا، لأنه فوق حدود عقول البشر" . وسنعود الى هذا التفكير بالرد عليه فيما بعد ان شاء الله .

٢) الاعتقاد بكارما من أصول الاعتقاد في البوذية .

في " سوتان بيتاكا " (١) إحدى الأسفار البوذية تنصّ على أن الايمان بكارما من المبادىء الاساسية التي يجب على كل بوذي أن يؤمن بها .

وهي أربعة : ـ

١ ـ الايمان باستنارة بوذا .

٢ ـ الايمان بقانون " كارما " .

٣ ـ الايمان بثمرة " كارما " خيرها وشرها .

٤ ـ الايمان بأن ثمرة " كارما " في حياة الانسان الراهنة، بعضها نتيجة عمله في هذه الحياة وبعضها الآخر نتيجة من عمله في الحياة السابقة فالعمل الذي يعمله الانسان هو عمله، وليس لغيره تدخّل فيه، وانه مسئول عن عمله مهما كان .

٣ ـ عقيدة " كارما " في الديانات الهندية

إن : " كارما " التي قال بها بوذا واتباعه قد سبقته اليها ديانات الهند وفلسفاتها كالبرهمية ، والجينية ، وغيرهما من فرق الهند

---

(١) انظر : ترى بيتاكا ٤٥٩ .

الدينية .

فكل هذه الفرق تتّفق على الاعتقاد بكارما ، وهي ان الخير يأتي بالخير ، وان الشرّ يأتي بالشرّ ، وان الناس مجزيّون بأعمالهم في البعوث القادمة ؛ تتناسخ فيها أرواحهم ، سواء في أجساد انسانية أو حيوانية ، حسب صلاح أعمالهم وفسادها ، أي على حسب " كارما ".

ففي الديانة البرهمية نجد في شريعة " منو " (١) تفصيلا واضحا لمذهب " كارما " الذي يرى أن عمل الانسان في هذه الحياة الدنيا ما هو إلا ثمرة من عمله في الحياة الماضية ، وأن عمله سيعيّن الحال الذي يولد بها مرة أخرى ، وفيما يلي بعض نصوص الكتاب :

" إن الأعمال التي تنبعث من القلب ، ومن اللسان ، ومن الجسم ، إما أن تكون نتائجها صالحة ، أو تكون سيئة ، وإن طبقات الناس من رفيع ، ومتوسّط ، ووضيع ، ان هي الا نتائج الأعمال " (٢)

" يغدو المرء جزاء أعماله السيئة التي ارتكبها بجسم في خلقته الثانية جمادا ، والتي ارتكبها بلسانه طيرا ، أو حيوانا ، وينحط الى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله " (٣)

ومن الجدير بالملاحظة في هذين النصّين ان المؤلف وضعهما بدلالة وتفكير عميق ، لتكون عقيدة " كارما " أساسا لنظام الطبقات

---

(١) تقدم تعريفها في صفحة ٧١ .

(٢) كتاب منو سمرتي فقرة ٣ من الباب الثاني عشر ص ٦٧٩

(٣) ص ٦٨٠ (فقرة ٩) من الباب الثاني عشر .

فبيّن أن كل طبقة من طبقات الهندوس ظهرت جـــزاء لأعمـــــال أهلها في الحياة الأولى ونتيجة لها ، وعلى هذا الأساس فلا سبيـــل لأهل الطبقات السافلة من الشودر والمنبوذين أن يحسدوا أهل الطبقات العليا من الآريين ، أو يحقدوا عليهم ؛ بل عليهم أن يقتنعـــوا بالوضع الراهن ، وأنه حدث من جزاء أعمالهم الفاسدة كما نصّ علـــى ذلك كتاب " منـو " ، وعليهم أن يحاولوا تدارك الاخطاء السابقـة ، والتسابق في خدمة الطبقات المفضّلة عليهم ، ومناصرتها ، وطاعتها ، لكي يصبحوا أمثالهم في البعوث القادمة .

وهكذا أصبحت عقيدة " كارما " عند البرهمية مصدرا لخضوع الهنـدوس على اختلافهم في الطبقات لنظامها المرهوب ، وأصبحت وسيلة لالتزامهم بالحالة التي كانوا عليها .

أما نقطة الخلاف بين البوذية والبرهمية في هذه العقيدة ، فهي أن البرهمية بجانب اعتقادها بكارما تعتقد أيضا بالاله " براهما " وتعتقد بقضائه وقدره ، أي أن كل شيء في الكون يسير تبعا لقضاء " براهما " وقدره ، أما البوذية فلا تعتقد بالاله ، وتعتقد بكارما وحدها ، وأنها هي التي تقضي وتقدر ، وتكتب بيدها شقاء الانسان أو سعادته ، خيره أو شره .

ومن أقوال بوذا في ذلك : " كل كائن حي في العالم يسير وفقـــا لعمله " كارما " (١)

---

(١) ترى بيتاكا سوتان ٤٥٦ .

ويقول القدّيس البوذي بودهي ناندا (Bodhi Nandha) :

" إن هناك قوى كونية ترتّب أفعالنا ، وتخضعنا في ظروف نلقى فيها ما نستحقه من ثواب أو عقاب ، فيها هو قانون " كارما " ، انه ليس إلها ، ولكنّه يتحكّم في الآلهة ، وفي الناس ، وفي غيرهم ، فكل شيء في الوجود تحت حكم هذا القانون . (١)

ويبدو ان بوذا في هذا الاتجاه كان رد فعل أيضا لسوء نظام الطبقات الهندوسية الذي صنعته طبقة الكهنوت من البراهمة ، لأن الانسان في اعتقادهم على حسب نسبه وولادته ، وان الانتساب الى طبقة من الطبقات يكون عن طريق الولادة وحده لاغير، وطالما ان المرء يمتثل قواعد السلوك الاساسية التي تفرضها عليه طبقته ، فهو يستمرّ في الانتساب اليها الى الموت (٢)

فهاجم بوذا هذا النظام المظلم ، وأعلن أن الناس سواسية ، لا يفضل إنسان إنسانا بشرف مولده ، أو طبقته ، أو بجاهه في قومه ، وإنما الفضل يكون في عمل الانسان وقوّته المعنوية التي تعتمد على النية والمجهود الشخصي . ثم أدت مهاجمته هذه الى انكار القضاء والقدر من اله الهندوس ، ودعا الناس الى اللجوء الى أنفسهم دون غيرهم. ولا شك ان في دعوة بوذا الى المساواة بين الناس نصيبا من الخير، غير أنه لم ينجح في هذه الدعوة عند تطبيقه العملي بوجود التقسيم

---

(١) لبّ البوذية ٢١

(٢) قارن : الهند عقائدها وأساطيرها ٢٦ .

والتفرقة في نحلته بين طبقة الرهبان والقدّيسين وبين طبقة المدنيّين. أما دعوته الى اللجوء الى النفس دون الغير فهو باطل من أساسه لأنه مخالف لفطرة الانسان الذي لا يستغنى اطلاقا من خالقه ومعبوده الحق سبحانه وتعالى . وقد بينت فيما سبق ان هذا الاتجاه يتناقض مع كثير من تعاليمه ، كما يتناقض مع واقع هذه النحلة فالبوذية التي زعم العلماء والباحثون انها نحلة خالية من المعبودات وانها مجرد نظام الاخلاق والسلوك ، هي في الحقيقة من أكثر الديانات معبودا في العالم .

أما عقيدة كارما عند الجينية (١) فهي كالبوذية ، لأنهما تشتركان في عدم الاعتراف بالاله ، غير أن هناك بعض الفروق بينهما ، وهو أن الجينية تقول بأن الحياة الحالية كلّها ثمرة من كارما في الحياة السابقة ، ولا سبيل للانسان أن يغيرها ، أما البوذية فتقول بأن للانسان سبيلا في تغييرها . يوضح ذلك ما روي في كتاب ترى بيتاكا (٢) من حوار طويل جرى بين بوذا وبين الرهبان الجينيين وخلاصة هذا الحوار : أن الجينيين يعتقدون أنه لا سبيل لتغيير سير حياتهم الراهنة ، لأن كل ما حدث في حياتهم هو نتائج أعمالهم في الحياة الماضية ، ولا سبيل لتحرير الروح من هذه الربقة " كارما " الا بطريق الرياضة الشاقة والحرمان من الملذّات ، وقد يجوز للفرد

---

(١) تقدم تعريفها في صفحة ٨٢ .

(٢) سوتان ٤٦٠ .

منهم أن يتخلّص من حياته بالانتحار عند بلوغه درجة القداسة .

فردّ عليهم بوذا ، وبيّن أن وسيلتهم وسيلة غير مجدية للتخلص من الآلام ، ومن الكارما ، والتناسخ ، بل هي زيادة فيها ، ثم بيّن طريقه : وهو ان للانسان أن يبذل الجهد في الجد والعمل ، لكي يغيّر حياته الراهنة والمقبلة ، فالجد والعمل هما يؤثران في تغيير ناموس الكارما .

ولست أدري كيف يؤثر العمل والجدّ في تغيير القانون الذي زعم أنه العادل والصارم ، والذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ؟

ولست أدري ما مدى الحريّة التي تمنح الانسان للعمل والجدّ ، مع أنه مجبور بجزاء أعماله (كارما) الكثيرة والمتراكمة في الحياة السابقة التي لا يعرف حدها ولا عددها ؟ ولا يمكن ان يعرف لانه مجرد أوهام وخيالات .

وقد يفهم البعض من قول بوذا السابق أن طريقه هو أقرب طريق الى العقل ، وهو فهم غير بعيد ، لولم يقل بوذا بالكارما والتناسخ ، ويؤمن بالله وبقضائه وقدره ، لأن هذه الأمور هي الأساس كما أنّها هي الهدف ، فاذا فسد الاساس والهدف فسد كل ما ينبني عليهما .

٤ ـ عقيدة " كارما " سبب لعقيدة التناسخ

وقد ترتب على الاعتقاد بكارما الاعتقاد بالتناسخ أو العودة الى الحياة (١)

(١) سيأتي تفصيله في بحث مستقل ان شاء الله .

وكما يقول البوذيون : (يستحيل فهم " كارما " من غير الاعتقاد بالتناسخ) . (١)

والسبب في ذلك أنهم لاحظوا من واقع حياة الانسان ان الجزاء قد لا يقع في حياته الراهنة ، فالظالم قد يموت قبل أن يؤخذ على ظلمه ، والمحسن قد يموت دون أن يجزى له ، ولذلك لجأوا الى الاعتقاد بتناسخ الأرواح بعد الموت ، أي لابد أن يكون هناك حياة كثيرة بعد هذه الحياة ، ليقع الجزاء فيها اذا لم يتمّ في الحياة الحاضرة (٢)

فالكارما تتطلب حالات جديدة من التقمّص للروح ، لكي تتاح لها أن تكفّر عما ارتكبت من شرور في حياتها الماضية .

وقد شرح بوذا هذه العقيدة الخرافية لأتباعه عندما يحكي حكاية طويلة عمّا حدث له حين حصوله على الاستنارة المزعومة قال :

" ..... وركزت عقلي في حالة من نقاء وصفاء ، ركزته في فناء الكائنات وعودتها الى الحياة ، في ولادة جديدة ، وبنظرة للسببية مطهّرة ، رأيت الكائنات الحية تمضي ثم تعود ، فتولد دنيّة أو سنيّة ، خيّرة أو شريرة ، سعيدة أو شقية ، حسب ما يكون لها من "كارما" وفق ذلك القانون الشامل الذي بمقتضاه سيلتقي كل فعل خيّر ثوابه ، وكل فعل شرير عقابه ، في هذه الحياة ، أو في حياة تالية

---

(١) المبادىء الهامة في البوذية ٣٧٧

(٢) انظر المصدر السابق ٣٧٦ وقارن : أديان الهند الكبرى ٦٢

تتقمّص فيها الروح جسدا آخر ... (١)

إن رؤية بوذا لهذا التعاقب السخيف بين الموت والولادة هي التي جعلته يحتقر ويزدري الحياة البشرية ، ويرى أن الولادة أم الشرور .

٥) قبسات من أقوال بوذا في"كارما" (Karma)

ومما يروى عن بوذا أيضا في هذه العقيدة ما سجلته الأسفار البوذية في مواضع متفرقة نذكر منها مايلى :

" بسبب كارما (Karma) تختلف الحيوانات في أشكالها وطبائعها. و" كارما " الطيبة يجب أن تأتي بثمرة طيبة ، و، كارما ، السيئة يجب أن تأتي بثمرة سيئة ، كالزارع يحصد ما زرعه ، (٢)

" أيها الزهاد ..... ألا إن ما يزرعه الانسان اياه يحصد . وهذا هو قانون " كارما " . وهو يسير في دقة لاحد له في ارتباطه بقانون التناسخ ..... فالانسان دواما يعمل أعمالا ويخلق ديونا جديدة تزيد في ذمته ، وهي ديون " كارما " . وليس هناك مفرّ من سدادها " (٣)

" إن الانسان لا يجني الثمار في الحياة القادمة الا وفق البذور التي بذرها في الحياة الراهنة ،ولا يمكن أبدا أن يزرع الانسان القمح ويحصد الرز ، وحينما يبعث من جديد ، لا مانع من أن يتحوّل الى ملائكة ، أو انسان عظيم ، أو خادم ، أو غني ،أو فقير ،أو كلب،

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٢٢ وأيضا ٣٩٦

(٢) المصدر السابق ٤٦٠

(٣) المصدر السابق ٥١٤ .

أو منبوذ ، على حسب عمله (كارما) " (١)

٦ ـ قانون العلة والمعلول

من المزاعم التي يشيرها مذهب بوذا في اثبات عقيدة " كارمـــا" استدلاله بدليل عقلي : وهو قانون العلة والمعلول .

" Low of spiritual cause and effect "

ومن الملاحظ ان هذا القانون أصبح محورا أساسيّا يدور عليه جميع الفلسفات البوذية ، وتعاليمها ، وعقائدها .

وقد استنبط هذا القانون من أقوال بوذا في عدة مواقع ، كقولـــه : " ..... أيها الرهبان ألا تعلموا أن كلّ شيء في الكون يحـــدث ويتغير ، ثم يفنى وينتهي ، تبعا لعوامله ، وأسبابه ، ومقوماته ، فلا يحدث شيء من طريق صدفة ... " (٢)

وقوله في موضع آخر :

" .... كلّ شيء في الكون يحدث وينتهي ، يحدث بحدوث السبـــب ، وينتهي بانتهاء السبب . كالنار تشمل بوجود السبب والعامل . فاذا انتهى السبب والعامل طفأت النار . فكارما (Karma) للانســـان توجد بوجود السبب ، فاذا انتهى السبب انتهت كارما .... " (٣)

ولتوضيح هذه الفكرة نستمع الى قول أحد العلماء في البوذية : هو

---

(١) المصدر السابق ٥١٦ وأيضا ٧١٠ ، ٧١٤ .

(٢) المصدر السابق ٣٣٠

(٣) المصدر السابق ٤٨٦ .

صاحب كتاب " الحياة بعد الموت " (١) اذ يقول فيه (٢) :

" إن قانون " كارما " في الواقع هو قانون العلة والمعلول . أو السبب والنتيجة . أي حصاد مازرعناه أو بذرناه . لأنه من الواضح أن الأفعال بدون استثناء لها نتائج ، وأن تلك الأفعال بدون استثناء كذلك لها أسباب سابقة ، وليس هناك أي شيء يحدث من طريق الصدفة ، فكل ما يواجهنا أو يصادفنا إنما هو نتيجة أفكارنا أو أفعالنا في الماضي ، واذا كان الأمر كذلك ، فان حياة الانسان الحالية لابد أن يكون لها سبب ، وهذا السبب هو " كارما " لاغير.. إن عمل (كارما) المرء في حياته السابقة هي سبب أو عامل لوجود هذه الحياة الراهنة ، وإن ما يصيبه من خير أو شر ماهو الا نتيجة من الخير أو الشر الذي عمله من قبل، فليس هناك أحد وراء هذا السبب وهذه النتيجة " .

هذا نموذج من أقوالهم . وهناك أقوال كثيرة من علماء البوذية كلّها متقارب، ومتفق على الايمان بكارما ، وبتكرار المواليد ، وعلى إنكار القضاء والقدر ، وانكار الاله الخالق الذي لا تحصى أدلة وجوده سبحانه وتعالى ، ولو تصدّينا لكل الأقوال لاحتجنا الى مطولات فنكتفي بهذا .

==========

(١) تقدم تعريفه في المقدمة ، صفحة ٤٠ .

(٢) انظر صفحة ٢٥٢ – ٢٥٤ .

٧ ـ أساطير بوذية في عقيدة " كارما "

هناك أساطير بوذية في عقيدة " كارما "، تفصّل تفصيلا دقيقا من الأجزية والعقوبات لكل عمل يعمله الانسان، أذكر منها مايلي :

١ ـ المحب والمستمر في ايذاء الحيوانات وقتلها اذا مات يبعث حيوانا، واذا انتهت كارما يبعث انسانا قصير العمر .

٢ ـ والسارق يبعث عفريتا، أو حيوانا، واذا انتهت كارما يبعث انسانا مفلسا .

٣ ـ والزاني يبعث عفريتا، أو حيوانا، واذا انتهت كارما يبعث انسانا مظلوما .

٤ ـ والكاذب اذا مات يبعث عفريتا، أو حيوانا، ثم بعد انتهاء كارما يبعث انسانا مكذّبا ومشهودا عليه بالزور .

٥ ـ وكذلك شارب الخمر يبعث عفريتا، أو حيوانا، وبعد انتهاء كارما يبعث انسانا مجنونا .

أما الأجزية التي تجزي لمن ترك الشرور الخمسة فهي كما يلي :

١ ـ الذي يمتنع عن اساءة الحيوانات وقتلها سوف يبعث انسانا سويّا، طويل العمر، ومحبوبا عند الناس .

٢ ـ والذي يمتنع عن السرقة يبعث انسانا غنيّا ناجيا من البلايا .

٣ ـ والذي يمتنع عن الزنى يبعث انسانا سعيدا محبوبا عند الناس .

٤ ـ والذي يمتنع عن الكذب يبعث انسانا طيّب الكلام، ومصدوقا عند الناس .

٥ ـ والذي يمتنع من شرب الخمر يبعث انسانا زكيّا سليم العقل محترما عند الناس . (١)

وهكذا أسطورة الجزاء والعقاب في البوذية ، ويلاحظ ان الجزاء يكون من جنس العمل . واذا سألناهم : كيف تتمّ هذه البعوث وهذه الأجزية والعقوبات ؟ فليس لهم جواب معقول الا أن لجأوا الى القول بأنها تتمّ بقدرة " كارما " . ليس لهم جواب مرشد يقتنع به الانسان العاقل ؛ لذلك نجد أن هذه العقيدة قد انحطت كثيرا بين المثقفين البوذيين المعاصرين كما سنبيّن ذلك ان شاء الله .

والآن نستمع الى بوذا وقد سئل عن السبب الذي جعل الناس يختلفون في الفقر ، والغنى ، والخير ، والشر ، وحسن المنظر ، وقبحه ، وطول العمر ، وقصره ....

فأجاب بوذا : بأن السبب هو " كارما " .. بها تختلف الحيوانات في أشكالها وطبائعها ..... ثم يقول :

" إن كلّ صيرورة يمرّ بها المرء هي نتيجة محتومة وثمرة ضرورية لأحد أعماله في حياة سابقة . وفي هذا يسوق بوذا أسطورتين تروي إحداهما : ـ

أن راهبا (بيهكشو) جلس تحت شجرة ، وأطال التأمل ، والنظر في عالم الملكوت ، ولما انتهى من تأمّله ، همّ بالقيام ، فصدمه غصن الشجرة

---

(١) قانون " كارما " ٤٢ ـ ٤٩ وفي ترى بيتاكا " سوتان " بعض الاشارات الى هذه الأجزية والعقوبات انظر صفحة ٤٢٠ .

في رأسه ، فتألّم ، ثم حمله الألم على قطع الغصن ، ولكنه لم يكد ينتهي من قطعه حتى فارق حياته ، وتقمّصت روحه في الحال جسم ثعبان .وكانت صيرورته هذه ثمرة لعمله السيء الذي هو الخضوع للغضب .

أما الأسطورة الثانية فتروي ان زاهدا طلب الى أحد زملائه أن يعيره معطاة يعفي بها المياه ، فلما رفض زميله ، فضّل أن يموت عطشا على أن يشرب الماء بما فيه من حشرات فيقتلها في بطنه ، وظل فمآن حتى فارق الحياة مدفوعا باشفاقه على تلك الحشرات . فانتقل في الحال الى جوار الملائكة " ديفادها(Dhewadhá).

وقد علق بوذا نفسه على هاتين الحادثتين بقوله :

" اذا كان خضوع أحد الزهاد لغضبه وحمله اياه على قطع غصن شجرة قد قاده الى التناسخ في ثعبان ، وإشفاقه الآخر على الحشرات قد أنتج انتقاله الى جوار الملائكة ، فان أثر الأعمال على مصيرنا يكون شيئا غير قابل للنقاش،لأن كل انسان يولد من جديد على حسب ما فعل ، وان " كارما " هي ثمرة الحياة السابقة .. (١)

ونقول لبوذا : نعم انه غير قابل للنقاش،وغير صالح له ، لأنه أسطورة خرافية ، لا أصل لها ولا وجود لها في عالم الحق .

إن أمثال هاتين الأسطورتين مليئة في أسفار البوذية وكتبهم ، وهي ليست سوى حكاية خرافية ، تناقلوها عن آبائهم ،وتوارثوها خلفا

---

(١) ترى بيتاكا سوتان ٤٤٩

عن سلف .

٨ ـ أسباب كارما وإخمادها

في سفر سوتان بيتاكا (١) تفاصيل عن أسباب كارما واخمادها. وفيما يلي أورد شيئا منها :

" سئل بوذا عن كارما ، وأسبابها ، وثمارها ، وكيفية إخمادها ، فقال : يا إخوتي بيهكشو ، إن "كارما " هي عمل الانسان بقصده قولا أو فعلا أو فكرا ، وأسبابها هي التماس بين أعضاء الانسان والأشياء الخارجية ، التماس بين العين والمنظر ، وبين الأذن والصوت ، وبين الأنف والرائحة .....

وقال": إن أسباب "كارما " تنحصر في ثلاثة وهي :

١ ـ الطمع والرغبة .

٢ ـ البغض والضغينة .

٣ ـ الغرور .

إن هذه الأسباب الثلاثة هي الرغبات البشرية التي تحدث " كارما" ثم تحدث " كارما " النتيجة التي تجعل الروح تتجوّل وتتكرّر في المواليد مرة بعد مرة الى أن تنتهي قوة " كارما " .

ومثّل بوذا ذلك بالشجرة التي غرست مرة واحدة ، ولكنّها تثمر مرات عديدة حتى النهاية .

ومن ثمرة " كارما " يقول بوذا :

---

(١) المصدر السابق ٥١٤ ـ ٥١٦

" إن ثمرة " كارما " لا تكون الا في إحدى الحالات الثلاث ، إمّا أن تؤثّر في الحياة الحالية ، أو في الحياة اللاحقة ، أو فيما بعد اللاحقة من الحياة .

وقد تؤثّر كارما في عالم الإنسان ، أو في عالم الحيوان ، أو في عالم الملائكة ، ثم أخذ بوذا يبيّن أن " كارما " التي تتولّد من الأسباب الثلاثة السالفة الذكر هي التي تؤثر في الحال أو المستقبل ومثّل ذلك بالبذور السليمة التي تنبت وتنمو ، اذا زرعت في الأرض الخصبة المعدة لها ، أما " كارما " التي تجرّدت من الأسباب الثلاثة فليس لها تاثير ، لأنه من كارما القدّيس ، ومثّل بوذا ذلك بالبذور المكسّرة أو المحرقة التي لاسبيل لزرعها وإنباتها .

وعن كيفية إخماد " كارما " يقول بوذا :

" إن إخماد كارما يتوقف على إخماد الألم ، إخماد الرغبات والشهوات ، والطريق الى ذلك هو اتّباع الشعب الثماني التي سبق ذكرها . (١)

٩ ـ تفنيد عقيدة " كارما " وبيان رأي الاسلام فيها .

ولتفنيد عقيدة " كارما " نقول وبالله التوفيق :

إن هذه العقيدة فاسدة ومنلوفة من أساسها للأمور الآتية :

أولا : ـ إنها قائمة على أساس الإلحاد ، وإنكار وجود الخالق الأعلى سبحانه وتعالى . وقد بيّنّا فيما سبق أن وجود الله أو العقيدة في الله تبارك وتعالى من الأمور البديهية التي لا تحتاج الى اقامة دليل ، لأنه أوّل الحقائق وأكبرها وأظهرها ، دلّت على ذلك

---

(١) انظر صفحة ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

الفطر والعقول والبصائر ، وهدى اليه العلم والوحي والتاريخ ، ولأن الأدلة على صدق وجود الله وعظمته واضحة بيّنة في كل صفحة من صفحات هذا الكون ومظهر من مظاهر هذا الوجود ، غير أن البوذيين وأمثالهم انحرفت فطرتهم ، ومرضت قلوبهم ، فضلّوا من السبيل.

لقد بطل التفكير البوذي حينما اعتمد على قانون العلة والمعلول في تفسير حياة الانسان ، وجعل الأسباب قوى عاقلة تعمل في وعي وبصيرة ، وذلك حين رآها تعطي نتائجها دون أن تنحرف أو تفشل ، وكان من هذا أن آمن البوذيون بالطبيعة ، وعدّوها كائنا عاقلا يحمل في كيانه مقوّمات وجوده ، مستغنيا من مدبّر يدبّر أمره ويقوم عليه .

وقد أبطلنا هذا التفكير بالتفصيل عند كلامنا عن قضية الألوهية ونريد هنا أن نزيد الأمر إيضاحا فنقول :

إن الأسباب التي أودعها الله في الأشياء ليست مكتفية بنفسها بل بفاعل من خارج وهو الله . والله هو الذي خلق الأسباب والمسبّبات ، وقدّرهما ، ويقوم عليهما ، كما يقوم على كل مخلوق من مخلوقاته .

إن الله قد أقام الوجود على نظام ، وأجراه على سنن أودعها فيه كما يقول تعالى : " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون " (١)

---

(١) يس ٤٠

وقال تعالى :

" الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " (١).

ففي كل شيء أسباب مودّعة فيه ، والأسباب تنتج مسبباتها عادة عند تحريكها بأسباب أخرى مناسبة لها .

فالنار مثلا سبب الضوء والدفء والاحراق ، فاذا أوقدت النار أخرجت ضوءا ، وأعطت دفئا ، وأحرقت ما يتّصل بها من الأشياء القابلة للاحتراق ، غير أن هذه الأسباب القائمة في الأشياء ليست مستقلة باحداث شيء من الحوادث ، بل هي تتبع لارادة الله ، تعمل في هذه الارادة ، وتتحرك في المجال الذي يريده الله لها في كل حال .

لهذا نجد في المثال السابق أن النار لم تؤثر شيئا في سيّدنا ابراهيم عليه السلام حينما ألقي فيها ، لأن قوة الاحراق قد سلبت منها بارادة من ربّه . قال تعالى :

" قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم " (٢)

فلا يلزم أن يكون هناك التلازم بين الأسباب والمسبّبات ، فقد يوجد السبب بدون المسبّب كالمثال السابق ، وقد يكون بالعكس كولادة عيسى عليه السلام من غير أب .

قال تعالى عن العذراء مريم أمّ عيسى عليه السلام :

" والتي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين " (٣)

---

(١) طه ٥٠ (٢) الانبياء ٦٩ (٣) الانبياء ٩١

يقول الأستاذ أبو زهرة في كتابه "محاضرات في النصرانية " (١) :

" إن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأنه الفاعل المختار المريد ، وأنه سبحانه لا يتقيّد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسبّبات التي نرى العالم يسير عليها في نظامه الذي أبدعه الله والذي خلقه ، فالأسباب الجارية لا تقيّد ارادة الله ، لأنه خالقها ، وهو مبدعها ومريدها ، فان الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته ، كما يصدر الشيء عن علته ، والمسبب عن سببه ، من غير أن يكون للعلة ارادة في معلولها ، بل كانت بفعله سبحانه وبارادته التي لا يقيّدها شيء مهما يكن شأنه .....فكان عيسى آية على أنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية وأن العالم كله بارادته "

وعلى هذا نقول إن التلازم أو غير التلازم بين الأسباب والمسبّبات هو ـ في الواقع ـ على حسب ماقضته حكمته تعالى ، وشاءته مشيئته وعلمه ، ولا يلزم على الله أن يفعل شيئا لوجود سبب سابق " إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٢)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبّب ،فان المطر اذا نزل ، وبذر الحب ، لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات ، بل لابد من ريح مربية باذن الله ، ولابد من صرف الانتفاء عنه ، فلابد من تمام الشروط وزوال

---

(١) ١٧ (٢) من آية ٨٢ سورة يس

الموانع ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، وكذلك الولد لايولد بمجرد انزال الماء في الفرج ؛ بل كم من انزال ولم يولد له ؛ بل لابد من أن الله شاء خلقه ، فتحمل المرأة ، وتربّيه في الرحم ، وسائر ما يتم خلقه من الشروط وزوال الموانع " (١)

" ومعلوم أنه ليس في المخلوقات شيء وحده علة تامة ، وسبب تام للحوادث ، بمعنى أن وجوده مستلزم لوجود الحوادث ؛ بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن "(٢).

ومن هنا بطلت البوذية في عقيدتها بأن الحياة الحالية نتيجة من الحياة السابقة ، ومسبّبة للحياة المستقبلة .

إذ لو فرضنا ان الحياة الحالية لا توجد الا بوجود الحياة السابقة، والحياة السابقة لا توجد الا بوجود الحياة السابقة لها ، وهكذا .... لينتهي بنا الأمر حتما الى القول بالتسلسل غيرا لنهائي وهوبا طل لما يترتب عليه من التناقض والتهافت .

والعقل البشري السليم يرفض التسليم بهذا التسلسل ؛ لأنه يقتضي ألا يكون هناك الحياة الأولى في هذه الدنيا ، أو كارما الأولى على حدّ تعبير البوذية ، وذلك لتوقف وجود حياة المرء على التي قبلها ،والتي قبلها على التي قبلها .... الى مالانهاية ؛ فيلزم من هذا التسلسل غير النهائي أن لا حياة في هذا الكون ، وهذا مستحيل ، للظواهر الكونية التي

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/ ٧٠

(٢) المصدر السابق ٨/ ١٣٣ .

تدلّ على وجود الحياة . ولا شك أن وجود الحياة يدلّ على وجـــود الخالق الذي خلقها ، والذي هو موجود بذاته ، غير محتاج الى من يوجده ، وهو الله سبحانه وتعالى ، إنه هو المسبّب للأسباب والمسببات ، أي خالقهما جميعا .

إن وجود الحياة في التفكير البوذي يدلّ بلا ريب على وجود " كارمـــا " ولكن ما هي " كارما " الأولى التي حدثت في هذا الكون ؟ ومن أين حدثت ؟ ومن أحدثها وأعطاها القدرة على اخراج ما فيها من مسبّبات ، علـــى حـــد زعمهم ؟

ليس للتفكير البوذي جواب معقول لهذه التساؤلات ، أما قانون كارمـــا المزعوم ، فما هو الا قانون وهمي خيالي لا وجود له ولا حقيقة .

اذ كيف يفهم العقل ان هذا القانون المزعوم الذي لا عقل له ولا ارادة هو الذي يقوم بتسجيل عمل الانسان العاقل وحركته وكلامه وخاطرته ، ثم يحفظه ، ويجازيه في الحال ، أو في المســتقبل كما يزعمون ؟

ثانيا : إن عقيدة " كارما " تنكر اليوم الآخر ، وما يستتبعه مـــن البعث ، والحســاب ، ودخول الجنة والنار .

ليس في البوذية ما يسمى باليوم الآخر ، لأنها تؤمن بالبعوث المستمرة للحياة ، فما لعالم في تصوّر البوذية ما هو الا عجلة تدور معها الولادة والوفاة حتى أبدالآبدين ، وما الولادة والوفاة في عالم الدنيا إلا جزاء للناس الذين لايزالون يسبحون في بحر " كارما " ، بحر الشهـــــوات والرغبات ، ولم يصلوا بعد الى ساحل الفناء النهائي " نرفانا " .

والبوذية تبيّن لنا أن الحياة تتوالد ، وتتعاقب باستمرار ، في عالم الدنيا المادي الى مالانهاية ، ولكن لم تبيّن لنا ما مصير هذا الكون أو هذه الدنيا ؟

ويبدولي أن موقف البوذية من هذا العالم يتناقض مع إنكارها الخلود والأبدية للأشياء ، وانها تسير دائما الى الفناء .

وقد أدّى هذا التناقض الى رجوع بعض البوذيين المثقّفين من عقيدة التناسخ ، وايمانهم بنهاية العالم ، وفسّروا الولادة الجديدة في عقيدتهم بولادة الرغبات ، والشهوات ، والانانية ، لا الولادة الحقيقية من بطن الأم .

وسيأتي التفاصيل عند الكلام عن عقيدة التناسخ .

ونعود الى عقيدة " كارما " فنقول إنها أسطورة وفكرة وهمية لا يكاد العقل يقبلها .

إن العقل يقرّ بأنه لابد من جزاء لما يرتكبه الانسان من أخطاء ، ولكن العقل لا يقرّ بأن الجزاء يتم بوساطة التناسخ من حياة الى حياة ، ومن انسان الى حيوان ، بلا راحة ولا انقطاع .

لقد اتخذ الاسلام طريقا رائعا تجاه هذا الموضوع ، فجعل الجزاء يتمّ أحيانا في الدنيا ، وأحيانا في الآخرة . وإن الانسان يحيا حياة أرضية واحدة فقط ، ثم يكون بعدها حياة البرزخ التي تمارسها الروح عقب الموت ، ثم البعث والحساب الذي يترتب عليه دخول الانسان الجنة أو النار بحسب عمله في الدنيا ، فلا تكرر حياته الدنيوية بعد موته على أية صورة من صور التجسّد ، خلافا لما زعمه البوذيون وغيرهم

وقد جعل الله للانسان ثلاثة دور أو عوالم :

الأولى : عالم الدنيا الفاني الذي هو دار الابتلاء والامتحان، كما أشار الى ذلك قوله تعالى :

"وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور " (١)

وقوله تعالى :

" الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا " (٢)

الثانية : عالم البرزخ ، أي الفترة التي بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى ، وبين البعث الذي تبتدىء فيه الحياة الثانية .

كما أشار الى ذلك قوله تعالى :

" حتى إذا جاء أحدهم الموت، قال رب ارجعون ، لعلّي أعمل صالحا فيما تركت، كلاّ إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " (٣)

الثالثة : عالم الآخرة الخالد ، الذي هو دار الجزاء ، كما أشار الى ذلك قوله تعالى :

" لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون " (٤)

وقوله تعالى :

" واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " (٥)

---

(١) آل عمران ١٨٥ (٢) الملك ٢

(٣) المؤمنون ٩٩ – ١٠٠ (٤) فصلت ٢٨

(٥) البقرة ٢٨١ .

فليس هناك حياة قبل هذه الحياة ، كما ليس هناك عالم غير هـــذه العوالم الثلاثة .

إن جميع الأعمال التي يعملها الانسان ، سواء كانت فعلية ، أو قولية، أو إرادية ، كلها تكون في هذه الحياة الراهنة ، وكلها مخلوقة للـه سبحانه وتعالى : " والله خلقكم وما تعملون " (١)

غير أن هذه الأعمال البشرية ، قد يكون بعضها سببا لبعض، جزاء لـه في هذه الدنيا ، فما يصيب الانسان في حياته من خير أو شر قد يكون ثمرة أو نتيجة من بعض عمله السابق جزاء له ، لأن اللـه سبحانه وتعالى جعل من الجزاء ما هو معجّل في الدار الدنيا ، وجعل منه ماهو مؤجّل للدار الآخرة .

فالمعجّل من الجزاء بالثواب في الدنيا أنواع كثيرة لاتحصى ، مـــن الرغبات المادية والمعنوية ، كالنصر ، والتأييد ، وكالشعور بالســـعادة وطمأنينة القلب ، وكالبركة في المال والأهل ، والتوفيق في الأمور قال تعالى : " للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخـــرة خير ، ولنعم دار المتقين " (٢)

والمعجّل من الجزاء بالعقاب في الدنيا أنواع كثيرة أيضا ، مادّيـــة ومعنوية ، كأصناف العذاب التي يجزي بها الله المسيئين ، وكالفشـــل، والقلق ، والألم ، وضيق الصدر ، و كالمصائب والبلايا في النفس ،والمـال

---

(١) الصافات ٩٦

(٢) النحل : ٣٠

والأهل ، وكتنفيذ العقوبات المقرّرة في الشريعة على بعض الكبائر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجزاء في مثل قوله تعالى :

" لهم عذاب في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشقّ ،ومالهم من الله من واق " (١)

وقوله تعالى :

" وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " (٢)

والنعم في التفكير الاسلامي ليست كلها من قبيل الجزاء بالمثوبة وكذلك المصائب ليست كلها من قبيل الجزاء بالعقوبة ، خلافا للتفكير البوذي الفاسد .

فلكل من النعم والمصائب في الدنيا أبواب أخرى غير باب الجزاء فالنعم التي تمتّع بها الانسان ، إما أن تكون نعم جزاء ، كما أشرت اليه من قبل . أو نعم ابتلاء ، وهي التي يفيضها الله على عباده ليبتليهم بها ، ويمتحن شكرهم وطاعتهم . كما قال تعالى :

" وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون " (٣)

أو نعم الاستدراج ، وهي التي يولّيها الله للكافرين والعصاة استدراجا لهم ، كما قال تعالى :

" والذين كذّبوا بآياتنا . سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم إن كيدي متين " (٤)

---

(١) الرعد ٢٤ (٢) الشورى ٣٠

(٣) الأعراف ١٦٨ (٤) الأعراف ١٨٢ – ١٨٣

وكذلك المصائب التي تمسّ الانسان ، إمّا أن تكون مصائب جزاء ، كما أشرت اليه من قبل ، أو تكون مصائب ابتلاء ، وهي التي يتعرّض لها أهل الطاعة ، ليبتلي الله صبرهم ، فيرفع درجاتهم ، كما قال تعالى : " ولنبلونّكم بشيء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال ، والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين " (١)

أما المؤجّل من الجزاء بالثواب أو العقاب ، فيكون على ثلاث مراحل : إما أن يكون في فترة البرزخ ، أو يكون في يوم الحساب ، أو يكون في المرحلة الأخيرة التي يتمّ فيها الجزاء الأكبر ، بدخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار .

وهكذا الجزاء في الاسلام ، فقد جاء به في صورة دقيقة واضحة جلية غير مبهمة ، خلاف ما اتجه اليه الفكر البوذي وامثاله ، في عقيدة جزاء " كارما " التي لا يمكن التدليل عليها ولا فهمها . وبخاصة بعد أن اضطرّ الفكر البوذي وأمثاله الى تقرير أن الروح في الحياة الجديدة مقطوعة تماما عنها في حياتها السابقة ، فلا تعرف عنها شيئا . ومعنى هذا أن الروح تنعم أو تشقى دون أن تعرف أسباب النعيم أو الشقاء . (٢) واذا كان الانسان لم يعرف أسباب النعيم والشقاء ، ولم يتذكّر ما فعله في حياته السابقة ، فما أثر مثوبة أو عقوبة لا يتذكّر المرأ سببها ؟ .

---

(١) البقرة ١٥٥

(٢) قارن : أديان الهند الكبرى ١٩٦ .

لقد أنكر الاسلام الحياة السابقة ، والبعوث غير المتناهية ، وقرّر أن الحياة الدنيوية حياة واحدة ، وأن الدار داران ، دار الدنيا للابتلاء ودار الآخرة للجزاء ، والفترة بينهما هي البرزخ ، وأن الانسان بعد موته سيبعث مرة أخرى ، ثمّ يحاسب بين يدي الله على كل عمل من خير أو شرّ .

والأصل في الجزاء أن يكون في الدار الآخرة ، لا في الدنيا ، ولكن مقتضيات الحياة ، وضرورة استقرار المجتمع ، كل ذلك دعا الى أن يكون مع الجزاء الأخروي جزاء دنيوي كما أسلفنا .

وقد ترتبت على الجزاء الأخروي في الاسلام ، خضوع المسلم لأحكام الشريعة خضوعا تاما في السرّ والعلن ، خوفا من عقاب الله ، وحتّى لو استطاع الفرار من عقاب الدنيا ، لأن العقاب الأخروي ينتظره ، ولا يستطيع الفرار منه .

أما " كارما " في تصوّر البوذيين ، وان كان لها سلطان في زعمهم إلا أنه سلطان وهمي لا وجود له ، فلا تنزجر النفوس عن مخالفته ولا يعطيهم الا زيادة في الغرور والضلال .

ثالثا : إن عقيدة "كارما " البوذية تنفي الايمان بالقضاء والقدر الذي هو عنصر هام في العقيدة الاسلامية ، وتبطل حريّة الانسان ومسئوليته في هذه الأرض .

فقد اتّجهت البوذية اتّجاها غريبا بعيدا عن العقل والمنطق ، حينما جعلت " كارما " هي التي تقضي ، وتقدر حياة الانسان من تلقاء نفسها

دون حاجة الى مدبّر يدبّر أمرها ويقوم عليها ؛ مع أن " كارما" في تعريفهم هي مجرّد عمل الانسان ، وهو مخلوق كسائر المخلوقات، فكيف يكون له قدرة ذاتية قائمة بنفسها ، ويتحكّم في الأشياء ؟ هل من المعقول أن يكون للخير أو الشر قوى عاقلة مستقلّة ،فيجزي صاحبه بنفسه ؟

نعم إن الخير يجب أن يأتي بالخير ، وإن الشرّ يجب أن يأتي بالشرّ . هذا مبدأ عام يشترك فيه جميع الأديان ، ولا جدال فيه. وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المبدأ في مثل قوله تعالى : " من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها " (١)

غير أن الاسلام يبيّن للانسان ما هو الخير المقبول عند الله الذي يستحقّ الجزاء ، وماهو الشرّ المنهي عنه عند الله الذي يستحق العقاب ، كما يفرّق الاسلام بين الجزاء وهو المخلوق ، وبين المُجزي وهو الخالق ، فليس من المعقول أن يكون الجزاء المخلوق (أي الخير والشر) يتصرّف بنفسه ، ويؤثّر بنفسه ، اذ لو كان الأمر كذلك لأمكن للانسان أن يقدّر سير حياته بنفسه حيث يشاء ، ولكن الواقع المشاهد خلاف ذلك ،لأن الانسان لا يستطيع أن يقدّر حياته بنفسه وهذا دليل صريح على أنه ليس شيء من المخلوقات مؤثّرا بنفسه بل الله وحده خالق كل شيء ، لاشريك له ، هو المؤثر ، وهو المجزي والمتصرف في الكون مايشاء ، ولا يلزم عليه شيء من المخلوقات، فما

---

(١) فصلت ٤٦

شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن. قال تعالى :

" ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ." (١)

ومن المآخذ على عقيدة " كارما "، أنها تبطل حرية الانسان واستقلاله الشخصي في هذه الأرض ،وان لم يعترف بذلك البوذيون .

لأن حياة الانسان الحالية . ـ في نظرهم ـ ليست سوى نتيجة من حياته السابقة ، وكلّ ما يصيبه من خير أو شر ، إنما هو عمله (كارما) القديم لا غير . ومعنى ذلك أن الانسان مجبور على عمله، ليست له اختيار ولا حرية في العمل والاجتهاد ، لأن كارما تدفعه الى الخير أو الشر ، والى السعادة أو الشقاوة ، دفعا جبريا ، إنها تسيّر حياته كأنّها ريشة في مهبة الريح ، تسوقها الى حيث تشاء.

ومن هنا يمكن القول بأن البوذية ـ في عقيدتها "كارما"ـ شبيهة بالقدرية والجبرية معا ، شبيهة بالقدرية من حيث نفي القدر ، وبالجبرية من حيث ابطال حرّية الانسان في هذه الأرض .

وقد ترتّب على الاعتقاد بكارما ، التواكل والتكاسل في العمل والاجتهاد لأن الانسان حينما يعتقد ان مايصيبه من المصائب ، كالفقر أو المرض مثلا ثمرة من عمله (كارما) القديم ، يلقى في قلبه الحزن ،واليأس والقنوط من كل شيء ، فلم يفكّر في العمل والاجتهاد لترتقي حياته ومعيشته ، ولم يفكّر في التداوي والعلاج ليشفى مرضه ، لأن الفقر

---

(١) فاطر ٢

أو المرض في زعمه عقاب له من " كارما " السيئة التي ارتكبها في الحياة السابقة ، فما عليه الا أن يستسلم ، ويترك كارما تسيطر عليه ،وتسوقه الى حيث تشاء .(١) وقل مثل هذا في كل مصيبة تصيب الانسان .

ومن ناحية أخرى إن عقيدة " كارما " قد تؤدّي الانسان الى البطر والتكبّر فيما يناله من النعم ، كالمال ، والجاه ، والمنصب ، وغير ذلك لاعتقاده أن تلك النعم ثمرة من عمله السابق ، ومكافأة لعمله (كارما) القديم ، فيفتخر به افتخارا يوقعه في البطر والتكبّر . أما الانسان المؤمن بقضاء الله وقدره ، فإنه بريء من هذه المساوىء ، لأن عقيدة القضاء والقدر في الاسلام حصن حصين للانسان من حزن مبئس ، وفرح مبطر ، وإعجاب يوقع في الاحتقار. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

" ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم ، إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ،

---

(١) تروي الحكاية البوذية في صدد اشباه عقيدة " كارما " أن شيخا كبيرا ، مرض بمرض في الحنجرة ، لا يستطيع الأكل أو الشرب الا بعد صعوبة شديدة ، وقد رفض الذهاب الى الطبيب للعلاج مهما أغراه أبناؤه بذلك ، ولمّا سألوه عن السبب ، قال : لا فائدة للعلاج ، لأن هذا المرض مرض " كارما " ، ففي الحياة السابقة تذكرت أنني مولع بايذاء الحيوان في حنجرته حتى يموت ، والآن قد أتى دور الجزاء : " فظلّ الشيخ ينام على سريره شهورا ، وهو يعاني من المرض ، حتى فارق الحياة . وقد اكتشف الطبيب بعد موته أنه مريض بمرض السرطان في الحنجرة . (من كتاب : المبادىء الهامة في البوذية ٤٩٢ – ٤٩٣) .

ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لايحبّ كل مختال فخور " (١)

أي إن مايصيب الانسان من خير أو شرّ ،في أنفسكم أو فيما يتّصل بكم ، أو غير ذلك ،ثابت في علم الله من قبل وجوده ووجود مصابه، فالانسان عندما اعتقد أن جميع الأحداث ،خيرها ، وشرّها ، حسيّة كانت أو معنوية ، ماديّة ، أو روحية ، تقدير العزيز العليم ، عندما اعتقد الانسان ذلك ،لا يحزن على ما لم يدركه من الخير ، حزنا يوقعه في اليأس ،والقنوط من رحمة الله ، كما لا يفرح بما أدركه ، فرحا يوقعه في البطر ، والتكبّر ، والإعجاب بالنفس ،والفخر بالمال على غيره ،لايحدث منه ذلك ،لاعتقاده أن كل ما جرت به المقادير ،من منع أو منح إنما هو لحكمة سامية ، ورحمة الله عظيمة ، فالمنع لمصلحته ،والمنح كذلك لمصلحته ، فهو في حالتي المنع والمنح في رضا بما حدث. ان المؤمن بالقضاء والقدر يعلم علما يقينيا ، أن مايصيبه لم يكن ليخطئه ، وما يخطئه لم يكن ليصيبه ، ويعلم أن ما أصابه من مصيبة فباذن الله ، وأن الانس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه ، الا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوه بشيء لم يضروه ، الا بشيء قد كتبه الله عليه ، قال تعالى: " قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون " (٢)

---

(١) الحديد ٢٢،٢٣

(٢) التوبة ٥١

والمؤمن بالقضاء والقدر يؤثر دائما الفضيلة على الرذيلة ،فيتخذ في معركة الحياة السبيل الأمثل ، والخلق الأفضل .

فما دام الغنى والفقر بقدر الله ، والبخل والجود لا يؤثران فيهما بذاتهما وجودا وعدما ،لا يكون المؤمن القوي الايمان الا كريما .

وما دامت الأعمار محدودة ، لا يطيلها جبن ، ولا تقصرها شجاعة ، لا يكون المؤمن القوي الايمان الا شجاعا ، وقل مثل ذلك في سائر الصفات والأفعال .

ولا يقتضي الايمان بالقضاء والقدر في الاسلام الاتكال وترك الأعمال بل يقتضي الاجتهاد والحرص (١)

قال تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (٢)

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن المرء قبل أن يولد يقدّر عمله ،ورزقه ، وأجله ،وسعادته ، أو شقاوته ، وأن تلك السعادة أو الشقاوة منوطة بذلك العمل الذي قدّر له ، فمن كتبت له السعادة هيئت له أسبابها ، ويسّرت له الأعمال التي توّهله لها . ومن قدرت له الشقاوة ،هيئت له وسائلها ، فقبحت أعماله ، وساء حاله ومآله . ففي الحديث المتفق عليه (٣) عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) انظر بالتفصيل كتاب شفاء العليل لابن القيم ٢٤ – ٢٦

(٢) التوبة ١٠٥

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٤٤ (كتاب القدر باب:وكان أمر الله قدرا مقدورا) وروا ه مسلم ٤/٢٠٣٩، ٢٠٤٠كتاب القدر باب:كيفية الخلق الآدمي (رقم ٢٦٤٧)

" مامنكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ،ومقعده من الجنة. قالوا يارسول الله ، أفلا نتّكل على كتابنا ، فقال:" اعملوا فكل ميسّر لما خلق له ", فأما من أعطى ، واتقى ، وصدّق بالحسنى ، فسنيسّره لليسرى ، وأما من بخل ، واستغنى ، وكذّب بالحسنى ، فسنيسّره للعسرى "(١). يقول الامام ابن القيم رحمه الله بعد سرده عددا من أحاديث القدر :

" اتفقت هذه الاحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال:" ما كنت أشدّ اجتهادا مني الآن ".وهذا مما يدلّ على جلالة فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم . فان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق ، وجريانه على الخليقة بالأسباب ، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ،ومكّن منه ، وهيّء له ، فاذا أتى بالسبب ، أوصله الى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب ، كان حصول المقدور أدنى اليه ....

فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر الى أمرين ، هما سببا السعادة ، الايمان بالاقدار ؛ فإنه نظام التوحيد ، والإتيان بالاسباب التي توصّل الى خيره ، وتحجز عن شرّه " أ هـ (٢)

---

(١) الليل ٥ ــ ١٠

(٢) شفاء العليل ٢٥ ، ٢٦ .

وليس في معنى القدر اجبار وقهر للعبد على العمل كما يتوهم بعض الناس . والآيات التي استشهد بها الرسول صلى الله عليه وسلم تدل دلالة واضحة على ذلك .

فان القدر هو علم الله بما سيكون من أفعال العباد في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة أرادها (١)

فالذي خلق الانسان من أمشاج ،وكوّنه من مزاج ، وطبائع ذات أثر في العقائد ، والميول ، والأخلاق ، والأعمال ، لا غرابة في أن يعلم كل ما سيأتي به الانسان من حركة ، أو سكون ، أو فعل ، أو ترك .

" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (٢)

وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" كتب الله مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . قال : وعرشه على الماء " (٣)

وعلم الله سبحانه وتعالى بما سيقع ، ووقوعه على حسب العلم . لا تأثير له في ارادة العبد ؛ فان العلم صفة تكشف ،وليس صفة تؤثر وترغم . والانسان من تلقاء نفسه يتوجّه الى ما يريد من أهداف ، وهو يشعر من نفسه بأنه يمارس أعماله الارادية بمحض إرادته واختياره ، فهو يفعل منها ما يشاء ، ويدع منها ما يشاء .

---

(١) انظر العقائد الاسلامية : للسيد سابق ٩٥ ، ٩٦

(٢) الملك ١٤

(٣) رواه الامام مسلم ٤/ ٢٠٤٤ (رقم ٢٦٥٣) كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

ولكنه لا يشاء شيئا ، الا اذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته. فمشيئة الانسان ليست مستقلة عن مشيئة الله ،قال تعالى :

" لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " (١)

والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين ، طريق الهداية أو طريق الضلالة ، فاذا اختار الطريق الأول ،ففي نطاق المشيئة الالهية ، واذا اختار الطريق الثاني، ففي نطاقها أيضا ، وليست الهداية والضلال الا نتائج لمقدمات ،ومسبّبات الأسباب ،كما دلت على ذلك الآيات التي استشهد بها الرسول صلى الله عليه وسلم.فإن من تعلّق بأسباب الخير - من عطاء ، وتقوى ، وتصديق - أكمل الله غايته ويسّره للحسنى ، ومن تعلق بأسباب الشر - من بخل ، وفجور،وتكذيب - أتمّ له قصده ، وأملى له في غيه ، ويسّره للعسرى (٢)

وعلى هذا فان القدر في الاسلام ليس فيه إجبار ،أو إكراه ، لأنه هو الخطة التي قدّرها الله للمخلوقات قبل خلقها ، ثمّ قضى بتنفيذها على المخلوقات ،وفق صفة علم الله ، وإرادته ، وقدرته .

رابعا : من ضلالة عقيدة " كارما " البوذية أنها تنفي التوبة وتكفير الذنوب ، لأن قانون " كارما " في مذهب بوذا يسجّل كل مايرتكبه الانسان ،من صغيرة وكبيرة ، ثم يجاز به حتما في

---

(١) التكوير ٢٨ ، ٢٩

(٢) انظر بالتفصيل شرح العقيدة الطحاوية ٣٠٢ - ٣٠٥ ، ٤٩٣ - ٥٠٧ .

المستقبل ، فليس هناك المغفرة والصفح الديني ، وليس هناك التوبة أو تكفير الذنوب .

وقد روي عن بوذا أنه لا يقول إن التوبة تكفّر الذنوب ، لأنه يرى أن التوبة مقصودة أو غير مقصودة لا تستطيع أن تمنع صدور المعلول من العلة ، ولا العمل من النتائج . (١)

ولا شك أن هذا التفكير الغريب نتيجة من انكار الإله ، لأن التوبة لا تكون الا من وجود المتوب اليه ، فإنكار المتوب اليه معناه إنكار التوبة ، وما أشبهها من العبادات ، كالدعاء ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل والاستغاثة ، وغير ذلك .

وقد أشرنا قبل هذا الى أن هذه الأمور مما لا تتخلّى عنه فطرة الانسان ، لأنه مفطور عليها ، ولهذا فقد أصبح إنكار هذه الأمور مبدأ نظريا ، يدرس في مدارسهم ، ويقرأ في كتبهم ، دون أن يكون له أثر في تطبيقهم العملي ، ولا سيما بعد أن صار بوذا إلها معبودا كإله الهندوس .

وقد وجدنا كثيرا من علماء البوذية المعاصرين يفتخرون في كتبهم (٢) بهذه العقيدة ، أي إنكار التوبة ، ويباهون الهندوسية ، والاسلام ، والديانات السماوية كلها ، وخاصّة النصرانية التي تقول بصلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر (٣)

---

(١) قانون " كارما " ١٠٢ - ١٠٣

(٢) منهم : صاحب كتاب : مقارنة الأديان ١/٨٤ ، وصاحب كتاب : أديان الحيّة في العالم ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٣) من أصول عقيدة النصرانية الفاسدة أنّ الانسان يولد مذنبا =

وبصكوك الغفران (١)، وكرسيّ الاعتراف (٢)، والتعميد (٣).

لذلك يجدر بنا أن ننبّه هنا الى حقيقتين هامتين :

==========

= خاطئا حاملا لما يسمّى بخطيئة آدم، وأن صلب المسيح انما وقع للتكفير عن خطيئة البشر، وان الله كان عليه أن يعاقب ذرية آدم بسبب هذه الخطيئة، لولا توسّط ابن الله ووحيده، وقبوله أن يظهر في شكل انسان، ثم يصلب ليكفّر عن خطيئة البشر. راجع: المسيحية للدكتور أحمد شلبي من صفحة ١٥٤ – ١٦٤

(١) من البدع العجيبة في النصرانية، امتلاك الكنيسة ورجالها حقّ الغفران للمسيء في الدنيا، وقد أنشأوا لذلك صكوكا، تباع وتشترى كأسهم الشركات، وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه، والعجيب ان هذه الصكوك تمحو الآثام، وتغفر ذنوب العاصي ماتقدّم منها، وما تأخر، دون حاجة الى توبة أو ردّ ظلامة، وقد بذل العصاة في سبيلها المال، وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ماشاءوا من الموبقات، مادام ذلك يفتدي بثمن من المال(راجع: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ١٧١ – ١٧٣، والمسيحية للدكتور أحمد شلبي ٢٥٤ – ٢٥٥)

(٢) أن يعترف المذنب بذنبه في خلوة مع قسّيسه، ليستطيع هذا القسّيس أن يغفر له ذنبه. وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعرّ لها الوجدان، من اعتداء القسّيس على المعترفات. راجع المسيحية للدكتور أحمد شلبي ٢٥٥.

(٣) التعميد هو السرّ الذي قصدبه الى إزالة الخطيئة الأولى، ونهج الولادة الروحية الثانية، وتذهب التفسيرات المسيحية الى أن الطفل شرير بطبعه، وأنه يولد محملا بكثير من الشرور والآثام. وطريقة التعميد هي: رش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ولابد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعمّد الانسان باسم الأب والأبن وروح القدس. والغالب أن يتمّ التعميد في الطفولة حتى ينشأ الانسان – كما يقولون – طاهرا مبرّأ من الذنوب.

(انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ١١٤ – ١١٥، وأيضا: المسيحية للدكتور أحمد شلبي ١٦٨ – ١٦٩.)

الحقيقة الأولى :

إن من حقائق التربية النفسية أن الانسان خطّاء ، وأن الغلط مركوز في عروقه مع الدماء . إن الله خلق الانسان وغرز في نفسه حبّ متاع الدنيا ، والرغبة في جمع المال ،والغضب ، والبطش ، والانتقام وقد سلط عليه الشيطان يزيّن له الفواحش ، ويحبّب اليه المعاصي ووضع فيه نفسا أمّارة بالسوء ، مشتهية للحرام ، فكان من نتائج ذلك أنه يأتي بالمعاصي ، ويرتكب الذنوب ، إلا من عصمه الله من ذلك من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم .

فماذا يصنع الانسان لينجو من عقاب المعصية ، وتبعات الذنوب ؟

من هذا الأساس فقد فتح الله سبحانه وتعالى من رحمته باب التوبة أمام المذنبين العاصين الغافلين ، مهما تعاظمت الذنوب ، وتكاثرت المعاصي ؛ فلا قنوط من رحمة الله ، ولابعد من الله. قال تعالى في كتابه العزيز : " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة اللّه . إن اللّه يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم " (١)

وقال تعالى بعد ذكره جملة من المعاصي :

" ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب ،وآمن ، وعمل عملا صالحا ،فأولئك يبدّل اللّه سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما " (٢)

(١) الزمر ٥٣

(٢) الفرقان ٦٨ ، ٧٠ .

وقال في آية أخرى يبيّن أن المغفرة ما هي الا رحمة منه سبحانه وتعالى : " كتب ربّكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده ، وأصلح ، فانه غفور رحيم " (١)

فالتوبة نعمة عظمى ، ومنّة كبرى من الله تعالى على عباده ، ولولا أن الله وفّق إليها عباده ، وأنعم بقبولها ، لوقع العباد في حرج شديد.

والواقع أن نفس الإنسان كجسمه كلاهما يحتاج الى تطهير دائم ، فالجسم يتعرّض للأدناس والاقذار ، فكان لابدّ لعافية الجسد من إزالة هذه الأدناس والأقذار كلها .

والنفس الانسانية كذلك ، تتعرّض للأخطاء ، والذنوب ، والسيئات ، وتنزع الى الشرور ، وهي بحاجة الى توبة متجددة متكررة ، تمسح عنها هذه الذنوب والسيئات ، مثلما يحتاج الجسد الى أنواع الغسل وضروب المطهرات (٢) .

فمن الغريب أن نجد هنا نحلة قاسية . كالبوذية التي أنكرت التوبة وجعلت ذنوب الانسان المتراكمة . يكفّرها التناسخ ، وتكرار الموالد .

ونحن نتساءل كيف يحقّق هذا التكفير ، مع أن الانسان في كل حياته - كما يقولون - لا يخلو عن ارتكاب الذنوب ؟

الحقيقة الثانية

إن الاسلام ليس كغيره من الديانات ، فلا تصحّ إطلاقا التسوية بين الاسلام وغيره في الحكم .

إن الاسلام هو الدين الوحيد الذي شرعه الله لكل البشر ، وفي كل

==========

(١) الأنعام ٥٤ . (٢) أنظر : عقيدة المسلم لمحمد الغزالي ١٥٤، ١٥٥

الأزمان ، وقد تكفّل بحفظ كتابه ، ودستوره الأساسي وهو القرآن، فقال :

" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (١)

فسلم مصدره عن تدخّل البشر ، وتحريف البشر ، هذا بخلاف غيره من الديانات السماوية التي شرعها الله لمرحلة محدودة ، ولقوم معيّنين، ولم يردها رسالة عامة خالدة لكل البشر وفي كل الأزمان ، كما أن الله لم يتكفّل بحفظها وبقائها .

وعلى هذا امتدت اليها يد التحريف والتغيير ، والديانة النصرانية مثال بارز لما نقول ، فقد أصابها الغلو أو التحريف والتزييف ، بما بدّل جوهرها ، وأخرجها من رسالتها . ولسنا بصدد الكلام عن هذا الموضوع ، فليس هنا موضعه غير أننا نحب أن نشير الى أن الاسلام مختلف تماما عن سائر الديانات .

فقد أنكر الاسلام الوساطة الكهنوتية بين الله والانسان ، كوساطة الكهنوت في الهندوسية والنصرانية . وجعل الاسلام العلاقة بين الانسان وبين ربه علاقة مباشرة بدون وساطة . وكان من دلائل تكريم الله للانسان في نظر الاسلام ، أن فتح الله باب التقرب اليه سبحانه وتعالى أنّى شاء ، ومتى شاء ، لا يحتاج الى وسطاء يصل من طريقهم الى الله .

قال الله تعالى مخاطبا لرسوله الكريم :

" واذا سألك عبادي عني فاني قريب " (٢)

---

(١) الحجر ٩ (٢) البقرة ١٨٦

وعلى هذا فقد أبطل الاسلام ما يسمى بصكوك الغفران ، وكرسي الاعتراف والتعميد ، وغير ذلك من الخرافات التي ابتدعتها الكنيسة النصرانية. وقرّر الاسلام أن المغفرة لا يملكها الا الله ، لاملك مقرّب ، ولا نبي مرسل ، فضلا عن رجال الكهنوت ، لأن باب الله في الاسلام مفتوح على مصراعيه لكل من دعاه ، ورجاه ، وتاب اليه ، وان اقترفت قبل ذلك كبائر الإثم ، وفواحش الذنوب . قال تعالى :

" والذين إذا فعلوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون " . (١)

والتوبة في الاسلام لها شروط معروفة ، وإن التوبة النصوح هي الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والاقلاع عن الذنب ، و العزم على عدم العودة اليه ، وردّ الحقوق والمظالم الى أصحابها .

قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار " (٢)

هذا وقد أنكر الاسلام عقيدة النصرانية التي اعتبرت الانسان ملوّثا بالخطيئة من يوم يولد ، وهي مايسمى بالخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم عليه السلام ، وورثها عنه البشر ، وأعلن أن الأصل في الانسان الخير ، وان كل مولود يولد على الفطرة السليمة ، غير ملوّث بأية

---

(١) آل عمران ١٣٥ (٢) التحريم ٨

خطيئة ، وقرّر مسئولية الانسان بنفسه ، فليس الانسان مسئولا من خطيئة أحد ، وليس هناك خطيئة موروثة في الانسان يحتاج الى التوبة عنها، الى كفارة من غيره ، لأن أعمال الآباء لايؤخذ بجريرتها الأبناء ، وأن كل امرئ بما كسب رهين . قال تعالى :

" ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى " (١)

على أن القرآن الكريم قد أشار الى أن الله قد قبل توبة آدم ثم اجتباه ، فتاب عليه ، وهدى ، وهو قوله تعالى :

" وعصى آدم ربّه فغوى ، ثم اجتباه ربه ، فتاب عليه وهدى"(٢)

فكانت توبة آدم ماحية لمعصيته في الدنيا والآخرة ، ولا تستتبع عقوبة باقية .

إن عقيدة " الخطيئة الموروثة " من المفاهيم المزيفة التي ليست من أصول الدين الحق ، وإنماهي من أوهام البشرية التي حملها بعض الدعاة ، وإنها تتعارض مع الفطرة والعقل .

خامسا :

إن لهذه العقيدة " كارما " أثرها في فساد المجتمعات البوذية في كثير من البلاد ، فإنها تعلّم الناس الكسل ، والتواكل ، والرضا بالظلم ، والصبر على الضيم ، وتخدعهم من حقهم في الحياة بما تطبعهم عليه من الضعف والاستسلام .

ولا شك أن فساد العقيدة والتفكير ، له أثر كبير في فساد السلوك

---

(١) الأنعام ١٦٤ (٢) طه ١٢١ ، ١٢٢

والتصرفات ، ثم فساد المجتمع الذي سادت فيه تلك السلوك والتصرفات.

ان البوذيين أكثرهم ليسوا سعداء ، إنهم قلقون ، وإن القلق يأكل حياتهم . وهم مستغرقون ، إما في الحياة الروحية المتطرّفة في المعابد وإما في الحياة المادّية المنحرفة غاية الانحراف خارج المعابد .

إن الذين يشعرون بأنهم معاقبون بالكارما في هذه الحياة ، يشعرون بحاجتهم الى الهرب . الهرب من أنفسهم ، ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة ، فيهرب كثير منهم ، إما بالانتحار أو بالجنون ، أو بالشذوذ .

إن اعتقادهم بالكارما . عاجز عن زجرهم عن الشرّ ، وعن ردّهم عن الجريمة والفساد ، فضلا عن دفعهم الى الخير ، أو بعثهم على الحق. لذلك انتشرت المفاسد في مجتمعهم انتشارا واسعا.

لقد عشت في هذه الأوضاع الاجتماعية المؤذية في " تايلاند ": أكبر دولة بوذية في جنوب شرق آسيا ، وشاهدت الحقائق المؤسفة في واقع الحياة البشرية هناك .

إن كثرة الجرائم ، والأمراض النفسية والعصبية ، والشذوذ ، ثم الانتحار ، هذه الظواهر الفاسدة المنتشرة في المجتمع البوذي ، ليس وراءها الا سبب واحد ، وهو فساد العقيدة ، وفساد التصوّر في الحياة. فمن الأخبار العادية التي نشرتها الجرائد،والتي استمعتها يوميّا من الاذاعة خبر الإنتحار . وكان أكثر المنتحرين من المصابين بمصائب الحياة ؛ كالفقر ، والمرض ، والفشل في الحبّ ، أو في الزواج ، أو في

العمل ،أو ما أشبه ذلك ،فليس لهم مخرج من هذه المصائب الا الانتحار ، للتخلص من قسوة " كارما " كما يقولون ، ومن أخبار الانتحار المكرّرة ، انتحار الشاب أو الشابة الذي لم يوفّق كل منهما في الزواج لسبب مّا ، فلم يجد مخرجا إلا أن قتل نفسه ، بعد أن كتب رسالة بيّن فيها : أنه لم يكن له نصيب من كارما الطيبة في الحياة السابقة ، حتى يتمّ بها الزواج مع حبيبته ، فلا فائدة له في بقاء الحياة : .

وقد يقتلها معه ،أو يتّفقان معا على الفرار من الحياة ، زاعمين أن حياتهما مليئة بكارما ، وأن الانتحار هو الطريق الوحيد للتخلص منها .

هذا مثال من مئات الأمثلة التي نشرت بها الصحف يوميا .

فنسبة المنتحرين من البوذيين نسبة هائلة ، لأن حياتهم فاقدة الأمن والطمأنينة .

إن حياتهم فارغة من تصوّر كريم ، فامتلأت بالخوف ، والاضطراب ،والرعب.

وقد صدق الله اذ قال :

" سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا " (١)

---

(١) آل عمران ١٥١ .

المبحث الثاني : تناسخ الأرواح (سمسارا Samsara)

ذكرت في المبحث الماضي أن عقيدة " كارما " سبب القول بالتناسخ لأن جزاء "كارما " قد لا يتمّ في حياة الانسان الواحدة ، بل لابد له من حياة متكرّرة متعاقبة على الأرض،ليتمّ الجزاء فيها ، ومن هنا لجأ الفكر البوذي الى القول بالتناسخ .

١ - كلمة "تناسخ الأرواح " (١)

إن كلمة " تناسخ الأرواح " مترجمة من كلمة السنسكريتية وهي " آواكامان " (Awakaman) ويقال في البالية " سمسارا "(Samsara) أي تناسخ الأرواح وتجوالها من جسم الى جسم ، كما يقال أيضا "سمسارا واتا"(Samsara Watta) أي تناسخ الروح وتجوالها في دورات الولادة والموت الى مالا نهاية . لأن كلمة " واتا " في البالية تعني حلقة الولادة والموت "Circle of birth and death" (٢)

٢ - المعنى العام لتناسخ الأرواح

يطلق بعض الباحثين على هذه العقيدة تعبيرات اصطلاحية أخرى

---

(١) إن كلمة " التناسخ " عند العرب تعني التتابع والتداول.وكانوا يقولون بتناسخ الازمنة والقرون ، لتتابعها وتداولها . قال في اللسان (٣/ ٦١) والأشياء تناسخ أي تداول ، فيكون بعضها مكان بعض، كالدول والملك . وفي المصباح المنير (٦٠٣)" وتناسخ الأزمنة والقرون تتابعها وتداولها ". ولما كانت الروح في نظرية التناسخ هو محور التتابع والتداول . فقد جاءت تسميتهم لهذه الظاهرة " تناسخ الأرواح " .

(٢) مجموعة المصطلحات البوذية ٦٠٢ ، ٥٦٠

كالعودة للتجسّد ، وتجوال الروح ، وتكرار الموالد ، وقد يطلق عليها التناسخ فقط ، ومعناه العام هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم الى العالم الأرضي في جسم آخر (١)

إن المعتقدين بالتناسخ عموما يقولون : إن الذي يولد من الأبوين هو البدن المادي الأرضي ، أما مايدبّر شئونه ، ويوجّهه ، فكائن آخر مركّب من جسم لطيف ، يشمل الحواس والعقل والقوى الآلية ، وإن هذا الكائن هو مايسمّى بالروح .

ويقولون أيضا : إنه إذا حدثت ظاهرة الموت للانسان ، انفصل هذا الكائن (الروح) عن البدن الأرضي الكثيف ، وانطلق الى عالم آخر ، يبقى فيه ، ثم يعود هذا الكائن مسوقا بالميول الذاتية والأعمال السابقة (كارما) الى الحياة الدنيا ، فيتقمّص جسدا جديدا لمولود جديد ، ويبدأ دورة جديدة من دورات الحياة ، في انسان أو حيوان ، فيسعد أو يشقى بحسب ماقدّم من عمل في حياته السابقة . (٢)

فالتناسخ - في زعمهم - هو الوسيلة الوحيدة للجزاء على ماقدّم الانسان من خير أو شرّ ، وليس هناك من وسيلة أخرى لديهم لمحاسبة الفرد عما يعمل في حياته ، سوى تكرار مودته لهذه الحياة في دورات تناسخية متتالية . ومعنى ذلك أنهم لا يؤمنون بحياة أرضية واحدة ، يعيشها الانسان ، ثم يكون بعدها البعث والحساب ، ودخول

---

(١) قارن : أديان الهند الكبرى ٦٣

(٢) الحياة بعد الموت ١٢٣ - ١٢٤

الجنة والنار بحسب عمله في الدنيا ، وبالصورة التي تنادي بها الأديان السماوية .

٣ - عقيدة التناسخ في الأديان الهندية قبل البوذية

إن الذي يطالع فلسفة الهند ، ويطّلع على ديناتها ومذاهبها فيما بعد الحياة ، يستطيع أن يجد أن الجانب الأكبر من تفكير الهند ، ومن عباداتها ، ورياضاتها الروحية والجسدية ، هذا الجانب الأكبر منصرف الى معالجة هذه القضية : قضية ما بعد الحياة ، ويجد أن عقيدة " تناسخ الأرواح " من أهمّ وأقدم العقائد في الهندوسية على مدى التاريخ . (١)

(١) وبالبحث والتحقيق في هذا الموضوع ، نجد أن عقيدة تناسخ الأرواح قد وجدت أيضا عند الأمم الأخرى منذ أقدم العصور ، كالمصريين القدماء ، وفلاسفة اليونانيين ، والفارسيين من معتنقي المانوية . ولكن في ضوء الأدلة ، ليس من البعيد أبدا أن نقول : إنها هندية قدما وأصالة ، فقد انتقلت هذه العقيدة من الهند الى الأمم المجاورة ، من طريق قوافل التجارة ، والبعثات التبشيرية التي اهتمّ بها الملك "أشوكا " (Ashoka) أحد ملوك الهند في القرن الثالث قبل الميلاد ، وكذلك بالهجرة - عندما تغلّب الهندوس في صراعهم مع البوذيين - الى شرق آسيا ، وجنوب شرقيها . حيث انطلق البوذيون ومعهم عقيدة التناسخ التي هي من مقوّمات فلسفتهم ، والتي وجدت مجالا واسعا في هذه البلاد ، حيث يدين بها الآن مئات الملايين من أهل الشرق الأقصى ، وكذلك قد انتحلتها بعض الفرق الاسلامية الضالة في العصر العباسي ، حين التقت الثقافتان الهندية والعربية كما سنشير الى ذلك في ختام هذا المبحث ان شاء الله .
(راجع : تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ٣١ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٣ ، والملل والنحل للشهرستاني ٢/١١٢ ، وأيضا قصة الحضارة ٣/١١٥٦ .)

يحكي صاحب كتاب " الفلسفة الهندية " (١) من تاريخ هذه العقيدة فيقول : " إن " التناسخ " عقيدة علّقت في أذهان الهندوسيين منذ أقدم العصور ، والهند هي الأرض الأصيلة لها .....

وقد نشأت هذه العقيدة في الهند ، عندما أستقر الغزو الآري لهذه البلاد ، فيما بين القرن الخامس عشر والعاشر قبل الميلاد ، حيث أراد الآريون حينذاك المحافظة على أصالة أنسابهم ، ووقاية دمائهم من الذوبان في الأغلبية الغالبة ، وكذلك أنهم أرادوا بقاء سيادتهم وسلطانهم على أهل البلاد ، فبدهائتهم الفائقة ، وتفكيرهم العميق قسّموا المجتمع في الهند الى طبقات ، كما وضّحته من قبل ، وجعلوا أهل البلاد داخلين في ضمن طبقات سافلة ، غير أنهم لم يجعلوا هذا التقسيم جامدا أمام الشعب ، وإنما فتحوا لهم المجال أمام كلّ فرد من أي طبقة للانتقال الى الطبقة الأعلى ، عندما تعود الروح الى التجسد الجديد ، في دورة حياة تالية .

فاذا أراد الخدم ، أو العبيد ، أن يرتقوا الى الطبقة الأعلى ، فعليهم بالأعمال الصالحة ، وعلى رأسها خدمة الطبقة الأعلى " البراهمة " . أما اذا انحرفوا من الأعمال الصالحة ، فان أرواحهم مازالت تنتقل الى إحدى الطبقات السافلة المنحطة ، أو الى بعض الحيوان والحشرة .

وقد جعلوا لهذه النظرية ضابطا يحكمها ، ويسيطر عليها ، هو قانون " كارما " أي الجزاء ، وبذلك ضمن الآريون لعنصرهم ولسيادتهم البقاء

---

(١) من ص ٩٥ – ١٠٠

فما زال الهندوس في الطبقة الدنيئة اليوم يخدمون البراهمة ، رجاء الأرتقاء في حياتهم القادمة .

وهكذا نشأت عقيدة التناسخ في الهندوسية ، كوسيلة سياسيّة لمصلحة طبقة معينة من الآريين دون غيرهم .

ثم تطور مفهوم هذه النظرية في القرن السابع قبل الميلاد ، حينما اعتقد الهندوس ان الروح لابد لها أن تتطهّر من أدران العالم المادي وتصفي قبل أن تنضمّ الى الروح الأعلى " براماتما " الذي انبثقت منه كافة الأرواح ، وعلى هذا فان الروح تنتقل من كائن الى آخر وفي كلّ مرة ترقى أو تهبط حسب أعمال صاحبها . اهـ

نقول إن التناسخ ، أو تكرار الموالد على هذا المفهوم عند الهندوس ليس سوى عقاب لمن لم يستطع الاندماج في الاله " براماتما "، وهو أقصى درجات السعادة عند الهندوس . ويطلقون على هذه الدرجة " موكشا " أي الخلاص النهائي ، والانطلاق من دورات التناسخ المتوالية، والاندماج في الاله " براماتما " (١)

فما يزال الانسان تتكرّر وفاته ، فولادته ، الى أبد الآبدين ، اذا لم يستطع أن تتجرّد روحه من الشهوات والرغبات تجرّدا تامّا .

فاذا استطاعت الروح التخلص من الشهوات والرغبات ، فانها ستندمج في " برماتما " لتنعم بالاتحاد به ، وبهذا الاتحاد تنجو الروح من

---

(١) عن موضوع " موكشا " عند الهندوس اقرأ بالعربية كتاب البيروني في تحقيق ما للهند ٥١ ـ ٥٢ .

العذاب الذي يتجلى في الولادة الجديدة المتكررة .

أما الجينية ، فإنها تؤمن كما تؤمن الهندوسية في " تناسخ الأرواح " غير أنها لم تؤمن بوجود الاله كما تؤمن به الهندوسية . ولهذا فلم تؤمن بعقيدة الحلول : أي حلول روح الاله في الأجساد ، كما لم تؤمن بعقيدة الاتحاد : أي اتحاد الروح بالاله ، ولكنها تؤمن بوجود الروح وجودا ذاتيا مستقلا ، وانها شائعة في كل الكائنات ، سواء كانت انسانا ، أو حيوانا ، أو نباتا ، أو جمادا ، كما تعتقد أن دورات الروح التناسخية تنتهي بها من عالم المادة الزائل الى عالم الخلود الباقي ، حيث تقيم في نعيم الحياة الأبدية المستقرة ، وذلك باتباع نظام صارم من الزهد ، والتقشف ، والحرمان من طيبات العيش ، والامساك عن ايذاء أي كائن حي ، فاذا وصل الانسان الى درجة التطهر ، وزالت من نفسه رغباته وشهواته ، وانعدمت مطامعه وأهدافه ، وتجرّد من كل ما يدفعه الى عمل الخير والشر ، فان روحه في هذه الحالة ، تتحرّر من التقمّص في جسد آخر ، وتكون بذلك قد وصل الى مايسمّونه بدرجة النجاة ، وحينئذ يكون من حقّه الانتحار ، لكي يتخلص من قيود الحياة ، والانتحار بالجوع عند هذه النحلة منزلة سامية جدا ، تدل على أن الجيني المنتحر وصل الى أكمل درجات الزهد والتقشف مما يحول تكرار رجعة الروح (١)

---

(١) الفلسفة الهندية ١٤٠ – ١٤٤ ، وانظر : قصة الحضارة ٣/ ٦٠ – ٦٢ ، والهند عقائدها وأساطيرها ١٤٣ – ١٤٨ ، وأديان الهند الكبرى ١١٤– ١١٩ .

وهكذا نجد أن عقيدة التناسخ الهندوسية عقيدة أساسية ، أخذت منها جميع الديانات الهندية قبل البوذية وبعدها ، وقد صدق البيروني (١) اذ يقول :

" كما أن الشهادة بكلمة الاخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والاسبات (٢) علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم يعتقده لم يكن منها ، ولم يعدّ من جملتها " (٣)

٤ - عقيدة التناسخ في الأسفار الهندوسية

ليزيد الموضوع إيضاحا نورد مانصّ في كتاب الهندوس " قوانين منو " (٤)

(١) هو محمد بن احمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي فيلسوف رياضي مؤرّخ . أقام في الهند بضع سنين ، اطلّع على فلسفة اليونانيين والهنود ، وعلت شهرته ، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره ، وصنف كتبا كثيرة جدّا منها " الآثار الباقية عن القرون الخالية " و " تاريخ الأمم الشرقية " و " تاريخ الهند " وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة " توفي سنة ٤٤٠ هـ (الاعلام ٥/ ٣١٤)

(٢) والمراد : هو احترام اليهود يوم السبت ، لأنه من الأيام المقدّسة عندهم التي تجب مراعاتها مراعاة تامة ، فلا يجوز لليهودي الاشتغال فيه . ومما ورد في العهد القديم عن يوم السبت هذا النص التالي " فتحفظون السبت لأنه مقدّس لكم ، من دنّسه يقتل قتلا . ان كلّ من صنع فيه عملا ، تقطع تلك النفس من بين شعبها . ستّة أيام يصنع عمل ، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدّس للرب ... (انظر سفر الخروج الاصحاح ٣١ فقرة ١٤ - ١٥ .)

(٣) كتاب البيروني في تحقيق ماللهند ٣٨

(٤) انظر بالتفصيل كتاب " منو سمرتي " الباب الثاني عشر فقرة ١ - ١٨ صفحة ٦٧٩ - ٦٩٤ .

حيث وجدنا فيه تفصيلا دقيقا لمذهب التناسخ الذي هو أساس لجميع مذاهب الهند الدينية ومنها البوذية التي نحن بصدد الكلام عنها .

فقد شرح هذا الكتاب نظرية التناسخ بصورة عملية ، كما ذكرت بعضها عند الكلام عن عقيدة " كارما " ، وسأورد هنا بعض الفقرات منه :

يقول " منو " عن الحالات التناسخية :

(فقرة ٤٠)

" من كان متمتّعا بصفة الملاح يصل الى درجة الآلهة ، ومن كان متمتّعا بصفة الهمّة يصل الى درجة الانسانية ، ومن كانت صفة الظلمة غالبة عليه يبقى حيوانا "

(فقرة ٤١)

" اعلموا أن هذه الحالات التناسخية الثلاث التي ترتكز على الصفات الثلاث ، فتجعل الانسان وضيعا ، أو وسطا ، أو رفيعا ، إنما تكون انعكاسا لنتائج أعمال المرء وعلومه "

(فقرة ٤٢)

" إن أحطّ درجات الظلمة تجعل من المخلوقات جمادات ، وحشرات مغيرة وكبيرة ، وسمكا ، وحيات ، وسلاحف ، وحيوانات أهلية ، وأخرى ضارية "

(فقرة ٤٣)

" والدرجة المتوسطة من درجات الظلمة ، تجعل من المخلوقات فيلة ، أو خيلا ، أو أناسا من طبقة الشودر ، أو من طبقة الأسافل ، أو أسودا أو نمرا ، أو خنازير "

(فقرة ٤٤)

" والدرجة العالية من درجات الظلمة ، تجعل من المخلوقات أناسا من فرقة جرن (١)، أو تجعلهم سبرن (١) ، أو راكشش ، أو بشاج " (١)

ويقول عن النساء الفاسقة :

(فقرة ٦٨) " إن النساء اللواتي يرتكبن السيئات مثل الرجال يخلقن إناثا للحيوانات عقابا لهن "

كما يقول عن مصير السفهاء والحمقى :

(فقرة ٥٢) " يصل السفهاء والأدنياء من الناس الى الولادات المنحطة نتيجة اتباعهم أهواءهم النفسية ، وتركهم الفرائض الدينية " .

(فقرة ٧٤) " إن الحمقى الذين يكرّرون ارتكاب الآثام يقاسون أنواع العذاب في خلق متعددة "

(فقرة ٧٧) " ويخلقون في أرحام محتقرة ، تسبب لهم التعاسة الدائمة ، والتأثر بالقُرّ والحر ، ويصابون بأنواع المخاوف " .

(فقرة ٧٨) " ويقاسون العذاب بدخولهم أرحاما عديدة ، وخلقا منحطة مقيّدين بأغلال لا تطاق ، ويقاسون تعاسة العبودية ، وشقاء الرق "

(فقرة ٨١) إن الانسان لينال جزاء أعماله في الحياة الثانية بحسب النية التي ارتكب بها عمله في هذه الحياة ، وبجسم له صفات جسمه " .

٥ – عقيدة التناسخ عند البوذية

ذكرت سابقا ان عقيدة كارما من أهمّ العقائد البوذية التي يجب

(١) هذه الاسماء للفرق من طبقة السفلى في الهندوسية

أن يؤمن بها كلّ بوذي ، فكذلك عقيدة " تناسخ الأرواح "، فالقول في " كارما "هو القول في تناسخ الأرواح ، لأنه لا ينفصل أحدهما عن الآخر. وكما يقولون : لا تفهم كارما الا بتناسخ الأرواح ، ولا يفهم تناسخ الأرواح الا بكارما .

يقول القديس البوذي " بودهي ناندا " في كتابه " لبّ البوذية " (١) " إن الانسان يحصد ما يزرعه ، وهذا هو قانون " كارما" ، وهو يسير في دقة ، لا حدّ لبه في ارتباطه بقانون التناسخ ، أو العودة الى الحياة، والتي بدونها تصبح الحياة ناقصة .

فالانسان دواما يعمل أعمالا ، ويخلق ديونا جديدة ، تزيد في أعناقه وليس هناك مفرّ من سدادها ، والديون التي يخلقها في حياة ما، قد يتعذّر سدادها في نفس تلك الحياة الواحدة .

فمن أهم العقائد في البوذية الاعتقاد بتعدد دورات حياة الروح على الأرض ، وانتقالها من جسد الى جسد ، لتلاقي في دورة حياة تالية جزاء ما عملت في دورة حياة سابقة . وهكذا دواليك، الى أن تتطهّر الروح من كارما. إن الأرواح كلها ، سواء كانت في الانسان ، أو في الحيوان ، تمشي في طريقها الى الفناء ، ذلك هدفها الأسمى،فمادامت الأرواح مشحونة بالرغبة ، ومشحونة بكارما ، فانها تتكرّر في العودة الى الحياة ، ومعنى ذلك انها لم تصل الى هدفها المنشود، انها تتكرّر ، ويستمرّ تكرارها ، حتى ينتهي دورانها يوما من الأيام " .

---

(١) صفحة ٥١ – ٥٣ .

والواقع أن مفهوم التناسخ عند البوذية ، كما بيّنه هذا القديس ، لا يختلف كثيرا عن مفهومه عند الهندوسية ، الا في مسألة واحدة وهي فناء الروح وخلودها .

فقد ذهبت الهندوسية الى أن الأرواح الكامنة في أجسام كل كائن حيّ انبثقت كلها من أصل إلهي وهو " براماتما " (Barmatma) إنه المصدر الأول للأرواح ، والروح الأعظم الذي انفصلت عنه سائر الأرواح ، انفصلت عنه الى أجل لتعود اليه مرة أخرى عن طريق التناسخ (١)

وعلى هذا فان الروح عند الهندوسية أبدية خالدة ، لا يعتورها الفناء . أما البوذية فلا تؤمن بخلود الروح ، لأن مفهوم الروح عندها هو تراكم " كارما " (٢) للأعمال الحسنة والسيئة التي تربط الرغبات بعضها ببعض .

ومن الفلسفات المعروفة في الفكر البوذي :

" كل شيء بدون استثناء يحدث ، ويمضي ، ثم يفنى ، على حسب السبب والعامل . (٣)

ومما يروى عن بوذا قوله في إحدى خطبه :

" ألا يا اخوتي بيهكشو ... تفكّروا ... إن الروح لا تحدث الا بحدوث سببها ، ولا تفنى الا بفناء سببها ، إنها ليست شيئا خالدا ، وإنما تحدث ، وتفنى ، تبعا للعوامل ، والأسباب .

==========

(١) الحياة بعد الموت ٨٥

(٢) لبّ البوذية ٤١

(٣) الفلسفة الهندية ٢٢١ .

ثم أخذ بوذا يشرح عن حلقة وهمية من سلسلة الوجود فيقول: " إن الجهل (١) سبب لوجود الجسد ، والجسد سبب لوجود الروح، والروح سبب لوجود الشخص المتألف من العنصرين الاسم والصورة ، وهذا الشخص سبب لوجود الحواس (٢) ، والحواس ينتج التماس بين الأعضاء الستة وبين الأشياء الخارجية ، والتماس ينتج الاحساس ، وهو سبب لوجود الرغبات ،وأن الرغبات سبب لوجود الآلام : آلام الولادة ، والشيخوخة ، والمرض والموت ، وان الموت ينتج الحياة بواسطة الروح المشحونة بالرغبة و كارما ....

ثم يقول : اذا كانت الروح نتيجة من هذه الأسباب المتغيرة والفانية فكيف تكون ثابتة خالدة ؟ (٣) .

إن ماذهب اليه بوذا من هذه النظرية المعقّدة ، يدل على أن الانسان في رأيه ليس الا مجموعة من عناصر مختلفة ، واتحاد بعضها ببعض إنها تحدث بحدوث العوامل ، وهي " كارما " ، وتنتهي بانتهائها ، وإن وجود هذه العناصر سبب لوجود الرغبة ، وهي سبب لوجود الألم . وقد ترتب على اختلاف البوذية والهندوسية في قضية الروح ، اختلافهما في تفسير الغاية من التناسخ ، التي هي الطهارة التامة والسعادة الدائمة. فقالت البرهمية هي " موكشا " (Moksha) أي الخلاص من جاذبية الحياة الدنيا، وعودة الروح الى مصدرها الأول" براماتما " ، والاندماج به كما تندمج

---

(١) المراد بالجهل عنده هو الجهل بالحقائق الأربع المزعومة التي سبق ذكرها ويسمي هذا الجهل " أفيديا " (Avidya)

(٢) المراد بالأعضاء الستة عنده هو العين والأذن والأنف واللسان واللمس والعقل

(٣) ترى بيتاكا ٩٨ – ٩٩ وانظر أيضا ١١٣ ، ٢١٤ (فينايا)

قطرة من ماء بالمحيط العظيم .

وقالت البوذية هي " نرفانا "(Nirvana) أي الفناء النهائي للروح وخمودها الدائم .

وهكذا نجد أن كلا من الهندوسية والبوذية ، لا تعطي شيئا من الحق بل تعطي مزيدا من الضلال ، فالأولى تنادي بفكرة وحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق (١) ، و هي فكرة تتنافى مع الصفات الالهية العليا ، لما فيها من تجزئة للذات الالهية في أجساد المخلوقات ، وفيها من الامتزاج بين المخلوق والخالق.

أما الثانية فإنها تنادي بالالحاد ، لأنها جعلت الأشياء في الكون تدبر نفسها ، وأصبح وجود الحياة في الكون دائرة تسلسلية لا يكاد العقل يفهمها .

٦ - عقيدة التناسخ كما وردت في الأسفار البوذية

ورد في الأسفار البوذية " ترى بيتاكا " نصوص كثيرة تبيّن عقيدة التناسخ التي تنادي برجعة الروح بعد الموت الى دورات حياة جديدة . وفيما يلي نذكر فقرات منها حسب العناوين الآتية :-

(١) إن هذه الأفكار الهندوسية ، قد أخذ بها جماعة من صوفية المسلمين ، وعلى رأسهم الصوفي المشهور : محيّ الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) ، وابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) ، وابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ) ، وجلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ) ، وعبد الكريم الجيلي (ت ٧٦٧ هـ). ومن على شاكلتهم .

١) التناسخ عقاب للنفس الشريرة

تحدث بوذا عن هذا الموضوع فيقول :

" يا اخوتي " بيهكشو .... اعلموا أن كل كائن حي يولد من جديد على حسب ما فعل ، وأن " كارما " هي ميراث الحياة السابقة ....

" إن الحياة كلّها ألم ، إما ألم واقعي ، وإما سرور حائل متغير ينتهي حتما الى ألم محقّق ، فالخير للخير ، والخير للتخلص من الحياة من تكرار الولادة .

ألا إن الولادة مهما كانت حالتها فهي عقوبة أو قصاص .... " (١)

سئل بوذا عما يحدث للمجرم فقال : ان القاتل يعاقب في الدنيا بأن يعود ويعود للحياة .... إن حياة الفرد طويلة ، وكما أن جسمه فان فإن الروح بحاجة لعدة أجسام ، كي تتحرّر من التناسخ ، من عالم مملوء بالآلام والآثام ، وما الجسد الا وعاء سريع الفناء ، يحمل الروح مدة من السنين (٢)

وفي موضع آخر يقول :

" يا اخوتي بيهكشو ، من ينقذنا من سيطرة الذات ؟ من يخلّصنا من التعاسة ؟ ومن ينجينا من بحر "كارما " ، من عالم التناسخ المليء بالبلاء والآلام ؟ وأرفع من هذا كلّه وأعلاه قداسة الحقيقة التي تعطي السلام للذى يتغلب على الغلال ، ويطفىء لهيب الشهوات ،ويقود

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٤٧٧

(٢) المصدر السابق ٤٧٨

الى "نرفانا " (١)

ويعلق القديس " واص انتاسارا " على هذا النص فقال :

" إن التناسخ عندنا ما هو الا عقاب ، أو قصاص ، للنفس الشريرة التي لم تتمكن من العبود الى درجة " نرفانا " . وإن عقوبتها أن تعود للولادة من جديد ، لتعاقب بالألم والشقاء ، حتى تتخلّص من الشر والعقوبة ، فتمضي في " نرفانا ". (٢)

٢) الرغبة سبب للتناسخ

يقول بوذا " ألا يا إخوتي بيهكشو ! إن كلّ كائن حيّ له حاجز من الجهل يحجزه عن الحق ، وله رابط من الشهوة يربطه بالذات ....

إن الحيوانات التي لها حاجز الجهل ورابط الشهوة ، تمضي ، وتتجوّل وتنتقل ، إما الى غير هذا العالم ، وإما الى هذا العالم من غيره .

تفكّروا يا اخوتي بيهكشو ، إن هذا التناسخ ليس له نهاية لكل حيوان ذي حاجز من الجهل ورابط من الشهوة ، إنه يجري ، ويتجوّل بلا ملالة ولا سآمة ". (٣)

وفي موضع آخر :

سئل بوذا عن سبب الولادة فقال :" هو الرغبة في الحياة ." (٤)

أي من له رغبة في الحياة تتكرّر ولادته ، لإشباع رغبته في الحياة .

==========

(١) المصدر السابق ٤٦٠

(٢) المبادىء الهامة للبوذية ٣٨٤

(٣) ترى بيتاكا ابيدارما ٦٦١

(٤) المصدر السابق فينايا ٢١١ .

ومن سئم منها ، فانفى على رغبته فيها ، تتوقف ولادته " (١)

ومما روي عن بوذا أيضا قوله :

". إن الانسان يتجوّل في حياة بعد حياة ، وولادة بعد ولادة ، وعالم بعد عالم ، نتيجة من جهله وعدم تبصّره في الحقائق الأربع التي تهدي الانسان الى عالم نهائي ، وإن الرغبات تسوق صاحبها دائما الى عالم غير نهائي ، إنها جذور شريرة في نفس الانسان ، اذا نزعت نزعت الآلام وتوقفت الرجعة الى الحياة . " (٢)

وقوله أيضا :

" إن انتقال الروح من جسم الى جسم ، مثل انتقال النار من شمعة مشتعلة الى شمعة أخرى ، الى ثالثة ، ورابعة ، وهكذا. فالشمعة نفسها لا تنتقل الى شمعة ، وانما تنتقل نارها .

إن الحياة الداخلية للشخص ليست الا سلسلة من الخيالات ، والرغبات، والعواطف ، من الحياة السابقة له ، فيسعد الشخص ، أو يشقى ، حسبما تهيأ له من السلوك السابق .

إن حياة الانسان راجعة الى تجمّع عناصر تكوينية الذهنية والبدنية ، واتحاد بعضها ببعض ، والعناصر التي تشكّل شخصا جديدا لا تزال في تبدّل مستمر ، لكنها لا تتلاشى كلية حتى تفنى " كارما " ، أي قوة الرغبة التي تتمسّك بها ، وتدفعها الى الميلاد الجديد .

ومادام الانسان له رغبة في الوجود ، وله شهوة في التصرفات ، فلا

---

(١) المبادىء الهامة للبوذية ٤٩٦ – ٤٩٧ .
(٢) ترى بيتاكا (سوتان) ٤٨٧ .

يخلو أن يكون عمله خيرا أو شرا ، فالعمل (كارما) الطيب يجب أن يأتي بنتيجة طيبة ، والعمل (كارما) الرديء يجب أن يأتي بنتيجة رديئة " (١)

٣ ـ هل يبعث الانسان حيوانا ؟

أجاب بوذا عن هذا السؤال فيقول :

" إن الأرواح بعد الموت تتجوّل ، فتستمرّ من جسد لجسد آخر ، فالذي يعاقب على ذنبه ، تنتقل روحه لجسد حيوان خسيس ، وإذا ماتمّ عقابها بقدر ذنبها طهرت ، وانتقلت من جسم ذلك الحيوان " ... (٢)

وفي موضع آخر يقول :

" ألا يا اخوتي بيهكشو ! هناك إنسان شرهان ، يتمتّع في الدنيا بشراهة ، إنه يبعث بعد الموت حيوانا له طعام من العشب ، كالبقر والحمار ، والغنم .....

والانسان الشرير يبعث حيوانا له طعام من البراز كالخنزير والكلب ، أو حيوانا يعيش ويموت في الظلام كدودة الأرض ، أو حيوانا يعيش ويموت في الماء كالسمك ، أو حيوانا يعيش ويموت في الأقذار كالديدان" (٣)

" إن الروح التي تتقمّص في أجسام الحيوانات هي من أنواع الروح السافلة الدنيئة ، لأن الانسان إذا كثرت ذنوبه فان روحه انحطّت

---

(١) المصدر السابق ٥٠١ ، ٥٠٢

(٢) المصدر السابق ٤٨٥

(٣) المصدر السابق ٤٩١ ـ ٤٩٢ .

وذلّت الى درجة الحيوان، فاذا مات يبعث حيوانا ".(١)

وعلى هذا فان العقاب والثواب عند بوذا، ليسا جنة، ولا نارا، وإنما هما في الجسد الذي تنتقل اليه الروح، بعد مفارقتها الجسد الذي كانت تلبسه، فان كانت أعمالها رديئة في الجسد الذي فارقته، لبست جسدا لحيوان خسيس، واذا تمّ عقابها بقدر جرمها طهرت، وانتقلت من جسم ذلك الحيوان الى حيوان أرقى، وهكذا، تتقلّب في دورات لا تنتهي، متى بلي جسد لبست جسدا.

إن هذه الأفكار الخرافية عند بوذا هي التي جعلته ينظر الى الحياة نظرة شؤمة، وانها سجن عوقب الانسان والحيوان به، وأدّته هذه النظرة الفاسدة الى القول بتحريم ايذاء الحيوانات بجميع أنواعها وسيأتي مزيد هذا الكلام قريبا ان شاء الله.

٤) تذكّر بوذا دورات حياته السابقة

من المزاعم الباطلة التي يحتجّ بها البوذيون على صحة عقيدة التناسخ ما ورد في أسفارهم " ترى بيتاكا " من تذكّر بوذا دورات حياته الماضية، وأنه كان يتقمّص روحه أجساما عديدة في تلك الدورات حتى في دورته الأخيرة، حيث تخلّص من التناسخ، ودخل " نرفانا ".

روي أن بوذا قصّ على أتباعه أنه رأى عند حصوله على المعرفة - كما يزعم - سلسلة طويلة من ولادته ووفاته، وأنه كان حيوانا على مختلف الأنواع والأشكال، كما كان إنسانا على مختلف

(١) المصدر السابق ٤٦٣.

الحالات، دنيئة وسنيّة ، رذيلة وفضيلة ، حتى انتهت ولادته الأخيرة في جسم الأمير " سيدهاتا " . ثم يقول :

" إنني تجوّلت في حياة عديدة ، وان تكرار الحياة ألم (١)

وقد ادّعى بوذا أنه ما تمكّن من تذكّر الحياة السابقة الا بعلمه الحادّ الكاشف الذي حصل عليه ، و سمّاه" يانا "(Yana) ،وبمجاهدته الروحية الشاقّة .

(٢)

ويقول : " فمن مارس هذه المجاهدة الروحية حصل على العلم والمعرفة "

ومن هذا الادّعاء الخرافي جاء بعد بوذا كثير ممّن ادّعى تذكّر الحياة السابقة من البوذيين وغيرهم .

فمن هؤلاء المدّعين البوذيين صاحب كتاب " كيف يبعث الموتى ؟ "(٣) حيث ادّعى في هذا الكتاب ، أنه تمكّن من تذكّر الحياة الماضية ، وأنه سبق له عشر دورات من الحياة ، غير التي يحيا بها الآن ، وتحدث عن المجاهدة الروحية التي توصله الى هذا التذكّر ، ثم أورد ماثبت لديه من حكايات المدّعين الآخرين في الهند ، وسيلان ، واستراليا ،وفي

==========

(١) من كتاب ترى بيتاكا (سوتان) ٢٩٦

(٢) المصدر السابق

(٣) صفحة ٢٤ ـ ٣٠ والمؤلف هو الراهب بون مي ميتاكول(Bonmi Matakol) من كبار الرهبان في تايلاند له مؤلفات في الرياضة الروحية ومازال حيا الى الآن .

أوربا ، والولايات المتحدة (١) وكان معظمهم من الصبيان .

يقول في إحدى الحكايات :

إن في سيلان طفلة في الثانية والنصف من عمرها ، تؤكّد أنها عاشت قبل ذلك في مدينة تبعد مئات الأميال عن بلدتها الحالية ، وقد أعطت أسمها السابق ، وصفات حياتها الماضية ، وتحقق والدها من أن روحها كانت تحيا من قبل في جسد فتاة اسمها " بيبا (Beba) ماتت عام ١٩٣٩ م ،أي قبل ولادة ابنته بتسعة أعوام ، وقد تعرفت على جميع أفراد أسرتها السابقة ، وقدّمت الدليل على صدقها . والغريب أنها كانت تتحدّث بلغة لم تتعلّمها بطريقة عادية ، ولم تكن معروفة لأي فرد من أفراد أسرته ، ولكنها نفس لغة الفتاة السابقة التي تدّعي أنها كانت تحيا في جسدها .

نقول إن مثل هذه الحكاية الغريبة ، لا تتجاوز من أنّها خيالات ، وتلاعب الشياطين ، والجنّ ، بعقول البشر ، وعواطفهم . إذ لو كانت

---

(١) انظر بالعربية أبحاث الدكتور ستيفنسون (D.r Stevenson) في مجال تذكّر الحياة السابقة في كتاب " العودة للتجسّد في المفهوم العلمي الحديث " لعالم نفساني عبد العزيز جادو.صفحة ١٨٥ – ٢٠٨ والجدير بالذكر، ان هذا المجال له أشياع كثيرة،من البحاثين الغربيين في أوربا وأمريكا ، حيث يقومون بدراسته دراسة واسعة،وألفوا لنشره وتاييده عدة مؤلفات، منها (Twenty cases suggestive of rein-carnation by D.r Stewenson.)
" عشرون حالة توحي بالتجسد "للدكتور ستيفنسون "
ولاشك أن طغيان الفكر المادي ، وشقاء الانسان بسبب بعده عن الايمان ، هو السبب في ظهور مثل هذه المبادىء الروحانية الضالة التي يعتنقها الكثيرون من الأوربيين وغيرهم ، ولا يعرفون حقيقتها .

هذه هي الحقيقة لكان للجميع أن يتذكّروا حياتهم ، لا واحد ،أو بعض الأشخاص من الناس..ولأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :

" والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا " (١)

أي ليست هناك علوم لدى الشخص سابقة على ميلاده ، فهو يولد خلوا من أي لون من ألوان المعرفة ، وأي نوع من تجارب الحياة الدنيا ، فليست هناك إذن دورات حياة للروح سابقة .وقد شاهدت كثيرا من هؤلاء المدّعين في تايلاند ، ولكن أكثرهم من الرهبان. والذي لاحظته أنهم مايدعون ذلك الا لكسب الشهرة والصيت بين الناس ومحاولة ايهامهم ، والتأثير فيهم ، لكي يأتوا اليهم بالأموال والمنافع المادية .

٧) تفنيد عقيدة " تناسخ الأرواح "

تعتبر عقيدة " تناسخ الأرواح " عقيدة خطيرة تمسّ عقيدة المسلمين ، وتوصل صاحبها الى الكفر والالحاد .

ولتفنيد هذه العقيدة أقول وبالله التوفيق :

أولا

إن عقيدة التناسخ عقيدة باطلة لانكارها اليوم الآخر ، ومايترتب عليه من البعث الشخصي ، والحساب ، والجنة ، والنار ، على الصورة المعروفة في الديانات السماوية ، فالديانات السماوية أوجبت على معتنقيها الايمان باليوم الآخر ، حتى يطمئنّ المؤمن الى أن هناك يوما للحساب

(١) النحل ٧٨ .

على أعماله ، ان خيرا فخير ، وان شرّا فشرّ ، وأن هناك اصنافا من النفس الشريرة تلقى العقوبة ، والنفس المطمئنة ترجع الى ربها راضية مرضية . ولكنْ لا وجود ليوم الحساب في البوذية ، ولا في غيرها من ديانات الهند القديمة ، فالعقاب والثواب عند هذه الديانات ليسا جنة ولا نارا ، كما ذكرناه ، وإنما هما في الجسد الذي تنتقل اليه الروح بعد مفارقتها الجسد الذي كانت تلبسه ، وقد يكون الجسد الذي تنتقل اليه الروح كلبا ، أو خنزيرا ، أو حشرة من الحشرات ، أو غير ذلك من الحيوانات ، فيصبح روح الانسان روحا للحيوان .

وهذا تصور باطل للأمور الآتية :

١) إن فكرة التناسخ تقوم على قياس زمني خاطىء ، لأنها تقول إن الفرصة التي تعطى للانسان في حياته الأولى فرصة ضيّقة جدّا ، اذا قسناها بالزمن غير النهائي التي ستعيش فيها بعد ذلك . من أجل ذلك ، فلابد من إطالة هذه الفرصة للروح ، في دورات تناسخية ، وفي فترات متعاقبة ، لكي تكون متناسبة مع الزمن غير النهائي التي ستعيش فيها الروح بعد مفارقتها جسدها الأول .(١)

إن هذه الفكرة قائمة على وهم خاطىء ، إذ مهما أطلت في المدة السابقة على فناء الروح فناءها الأخير ، ومهما تراكمت في ذلك السنون ، وتعاقبت الأدوار ، فإن هذا كله لن يكون شيئا بالقياس الى الأبدية التي تكون فيها الروح بعد الموت .

إذن أليس من الأولى أن نجعل لتلك الروح حياة واحدة من أن نجعل لها حياة عديدة متعاقبة ، ودورات تناسخية ، تقاسي في كل منهـا الأهوال والآلام على حدّ زعمهم ؟

٢) مما يؤخذ على عقيدة " تناسخ الأرواح " أن الانسان لم يتذكّر شيئا من أحداث دورات حياته السابقة ، أي أن هناك انقطاعا تاما بين الدورتين للروح ، ومعنى ذلك أن الروح تعاقب على ذنب

---

(١) قانون الكارما ٨ والمبادىء الهامة للبوذية ٥١٢ ـ ٥١٣ .

لاتعرف سببه ، ولا تذكره . وقد علّل بعض العلماء في البوذية هذه السلبية بأن الروح بعدما فارقت جسدها الميت ، لا تزال في عالم الروح ، ولم تبعث الا بعد فترة طويلة ، فالروح تنسى من خلال هذه الفترة حصيلتها من الخبرات ، والتجارب السابقة . أما بعض الناس الذين تمكّنوا من تذكّر الحياة السابقة ، فان روحهم بعد ما خرجت من جسدهم الأول ، لم تمكث فترة طويلة في عالم الروح ، وانما تتناسخ مباشرة في جسد جديد ، فالروح في هذه الحالة تستطيع أن تتذكّر خبراتها ومعلوماتها في الجسد السابق.(١)

نقول إن هذا التعليل فاسد ، لأن الروح إذا كانت تنسى ما ارتكبته في حياتها السابقة ، فما فائدة الحياة الجديدة التي لا تعرف سببها. انها تعاقب ، وتثاب ، ولم تعرف سبب العقاب ، وسبب المثوبة ، فما أثر مثوبة أو عقوبة لا يتذكّر المرء سببها.؟

وطالما أن الانسان لا يتذكّر شيئا من أحداث مزعومة لحياة سابقة ، فهذا دليل على أن الروح لم تتناسخ ، ولم تلق لها بالتالي دورة حياة سابقة .

أما ادّعاء بعض الناس تذكّرا لحياة السابقة فهو ادّعاء كاذب ، وباطل ، يراد من ورائه الاحتيال ، والخداع ، ومحاولة ايهام الناس والتأثير فيهم وكسب أموالهم بالباطل ، كما أسلفناه .

---

(١) المبادىء الهامة للبوذية ٥١٧ .

٣) إن عقيدة التناسخ تعارض المسئولية الفردية التي تناط بكل انسان بحسب عمله في الدنيا ، فكيف بالروح التي تتداولها أجسام كثيرة ؟

كيف يمكن تحديد جزاء كل انسان منهم ؟ فاذا كانت الأرواح تنتقل الى حيوان أيضا ، فان الأمر يصبح أكثر اضطرابا .

والتناسخ كما قاله الدكتور أحمد شلبي يعارض كل الدراسات العلمية وعلم الأجناس،حيث تقرر أن الولد بعض أبويه واستمرار لهما .

وهذا موافق لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال :

" إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه " (١)

فالولد غالبا يماثل أبويه جسما ويماثلهما روحا ومواهب ، فهو يرث منهما لون الجسم والعيون والشعر ، ويرث القامة ، والصحة والمرض ، ويرث المواهب والأخلاق غالبا .

ولذلك فالتناسخ شذوذ عن الفكر العلمي والطبيعي .

واذا كان التناسخ للجزاء فماذا يقولون عن الطفل الذي يموت مباشرة عقب الولادة ؟ إن الروح به لم تستمتع ولم تعاقب،فليست ولادته اذا وبعث روح شخص آخر به الا عبثا .

والتناسخ لا يفسر لنا الزيادة المطردة في التعداد ، والهبوط الواسع أحيانا في أثناء الحروب أو الأوبئة ، والكوارث العامة التي تحل بالبلدان ، فتحصد أرواح سكانها بالآلاف والملايين .

==========

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ١٠٨ والنسائي ٢/ ٢١١ وأحمد ٦/ ٤١ والترمذي ٢/ ٢٨٧ وحسنه .

من أين الأرواح الجديدة ؟ والى أين تذهب أرواح القتلى في الحروب، وكذلك الأرواح التي ازهقت في الأوبئة والكوارث حيث يكون المواليد أقل من الموتى ؟ (١)

لم نعثر عند أصحاب التناسخ على اجابة لهذه الأسئلة.

ثانيا :

إن هناك تناقضين في عقيدة التناسخ عند الهندوس :

أحدهما أن انبثاق الأرواح من ذات الاله وجوهره على الصورة التي ذكرناها لدى الهندوس يتنافى مع فكرة التناسخ التي تهدف الى تطهيرها وتصفيتها من أدران الجسد ، لأن هذه الأرواح بحكم طبيعتها الالهية وكيانها المقدس بعيدة عن الشرور الدنيوية والاهواء المادية، وأقوى من أن تضعف من مقاومة مطالب الجسد الأرضية ، فاذا سلمنا جدلا بأنها خضعت لميول الجسد ونزعاته دون أن تستطيع لهذه الميول دفعا . كانت اذن مسئولة عن هذا الضعف الذي أدى الى الانحراف، وهي بحكم الهيتها منزهة من المسئولية ،فالله يحاسب البشر ، ولا يحاسب نفسه ، وليس من المعقول أن يعاقب الله هذه الأرواح وهي جزء منه. واذن ينتفي تناسخها (٢).

والثاني : إن التناسخ يتناقض مع نظام الطبقات الهندوسية .لأن نظام الطبقات يحافظ على العرق،والدم.،وسيادة الجنس.ويربطه نصوص مقدسة لا يصح ازالتها ولا تغييرها ،أما التناسخ فينقل الروح من طبقة الى طبقة،بل من انسان الى

---

(١) انظر : أديان الهند الكبرى ١٩٧ .

(٢) انظر : تناسخ الأرواح لمصطفى الكيك ١٣٤ .

حيوان أحيانا ، ولذلك اضطر بعضهم الى القول بأن التناسخ يتم في حدود الصفة التي عليها الانسان ، أي إن الأرواح انما تنتقل الى نوع أجسامها التي فارقت ، فأرواح البراهمة تنتقل الى براهمة ، وأرواح العبيد تنتقل الى عبيد ، وهكذا ، وهذا القول لايمنع الاعتراض لأن التناسخ على هذا المفهوم يفقد قيمته ، فالمقصود من التناسخ هو تحقيق الجزاء على ما ارتكبه الروح في الحياة السابقة ، ولا يتم ذلك مادام العبد سيبقى عبدا والسيد سيبقى سيدا.(١)

ثالثا : من النصوص البوذية التي أوردتها سابقا مايدل أن السبب للتناسخ هو رغبة الانسان في الحياة "Desire". إن هذه الرغبة هي الجوهر الأساسي الذي يدفع صاحبها الى العودة الى الحياة .

يقول "يوجي راما شاراكا " :

" ليس أحد من الانسان مجبورا على البعث الجديد ، وانما يبعث لرغبته فيه .(٢)

ونقول لهم اذا كان الأمر كما تزعمون ، فكيف تفسرون الانسان الذي يبعث فقيرا ودنيئا ، بل يبعث حيوانا كما تزعمون ؟ هل يوجد أحد من الانسان يرغب في هذه البعوث الذليلة ؟

إن هذا تناقض لا يقبله العقل اطلاقا .

رابعا :

إن نظرية التناسخ فضلا عما ذكرته قد ترتبت على الاعتقاد بها

---

(١) انظر أديان الهند الكبرى ١٩٦

(٢) الحياة بعد الموت ٢٥٣ .

كثيرة من المفاسد منها :

١ ـ القول بتحريم قتل الحيوانات وايذائها ، ولو كانا لقصد صحيح ، كأكلها أو دفع ضررها . وذلك لاعتبارها إخوة وأصدقاء للانسان في هذه الدورات التناسخية . فالأرواح التي تتلبّس بالحيوانات هي في زعم بوذا أرواح الانسان . لأنها بما ارتكبته في الحياة السابقة صارت حيوانا في هذه الحياة . (١)

وهو قول باطل اذ لو كانت روح الحيوان متناسخة عن الانسان لكان الحيوان قادرا على تعديل أنماط حياته كما يفعل الانسان ، ولكان قادرا أيضا على إنشاء حضارة ، وعلى ابتكار ما يكفل له تحسين حياته ورفع مستواه ، كما فعل الانسان .

وقد تقدم ردنا على هذا القول عند حديثنا عن الأخلاق البوذية .

٢ ـ عادة الهندوس والبوذيين في حرق جثمان الموتى ، لاعتقادهم أن الروح تتقمص جسما جديدا أفضل من جسمه الأول ، فما الموت عندهم الا أن تستبدل الروح ثوبها ، وتلبس ثوبا جديدا . (٢)

لذلك لا يحترمون الميت كما نحترمه نحن المسلمين ، بل يعاملونه معاملة سيئة ، فيها مهانة وقسوة . (٣) تتنافى

---

(١) الأخلاق البوذية الخمسة ٧ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) قانون الكارما ٩٢

(٣) للبوذيين احتفال كبير لاحراق جثة الميت ، وقد شاهدت كثيرا من هذا الاحتفال في تايلاند . ورأيت ماتقشعر الجلود وتشمأز النفوس من احراقهم جثة الميت علانية أمام الناس ، وغالبا يكون الاحتفال بعد أسبوع من الموت ، وقد يكون بعد الموت مباشرة =

مـــــــــع كرامة الانسـان التي منحها الله سبحانه وتعالى ابـــناه اذ يقول : " ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (١)

وقد كانت الطريقة المألوفة في أيام بوذا هي تعريض الجثة للسباع والطير ، الا ان كان الميت من الأعلام البارزين ، فعندئذ تحرق جثته بعد موته على كومة من الحطب ، ثم يدفن رماده في ضريح يحفظ ذكـــراه. لكن هذه الطريقة في احراق الجثة عمت الناس جميعا فيما بعد.(٢)

٣ ـ من مفاسد الاعتقاد بالتناسخ انه تفكيك للأسرة وتصوير لهـا على أنها أشتات من الناس لا روابط بينها ، فكل فرد من أفرادها منحدر من فرد لا نعرفه . وعلى ما في هذا من الارتباك الاجتماعي ، فهـو أيضا يخالف الملاحظ غالبا من تقارب أفراد الأسرة الواحدة ممّا يدل على صلاتها الأسريّة لا على أنها أشتات كما يرى مبدأ التناسخ .(٣)

٤ ـ ومنها أيضا أن عقيدة التناسخ تزيد المنحرف انحرافا والمفسد فسادا ، لأنها تفتح أمام الناس فرصا عديدة للاصلاح في دورات حياة مستقبلة لا عدد لها ، وترتيبا على ذلك لا يرى الفرد بأسا عليـه

==========

= وفي هذه الحالة يكون الاحراق أشد بشاعة ومهانة . ومن الجدير بالذكر أن كثيرا من البوذيين في تايلاند أسلموا حينمـــا رأوا مافي الاسلام من تكريمه للميت ورأوا فيه من آداب الجنائز وأحكامها مالا يرون اطلاقا في ديانته الباطلة .

(١) الاسراء ٧٠

(٢) تاريخ الديانة البوذية ٣١٠ وأيضا قصة الحضارة ٣/ ١٩٣

(٣) أديان الهند الكبرى ١٩٧

من الانطلاق مع رغبات نفسه فيحققها ، سواء كانت هذه الرغبات متفقة أم كانت غير متفقة مع المبادىء والقيم الأخلاقية في المجتمع، على أن يطهّر نفسه بعد ذلك في أية حياة تالية وأية دورة جديدة، ويرى أنه لن يخسر بذلك كثيرا سوى التأخر دورة أو دورتين من دورات حياته الطويلة ، وربما الطويلة جدا عن الوصول الى نرفانا أو الاتحاد بالروح الأعظم حسب زعمهم .

إن عقيدة التناسخ على هذه الصورة لا تمنع فسادا ؛ بل تزيد المنحرف انحرافا ، وتوجد بذلك ثغرة واسعة في التناسخ لا سبيل الى انكارها. ومن أجل ذلك فانني وجدت كثيرا من العقول البوذية المتحررة (١) حاولت أن تنكر عقيدة التناسخ على المفهوم المعروف في البوذية. وفسرت الولادة الجديدة في التناسخ بولادة الأنانية والأثرة ، أي كلما تولدت الرغبة في الحياة تولدت الأثرة والأنانية ، لا الولادة الحقيقية من بطن الأم . (٢)

ونرى أن هذا التفسير الجديد للتناسخ يتنافى مع كثير من النصوص البوذية التي أوردناها من قبل ، وما يقصد أصحاب هذا التفسير الجديد الا التحرر من تعاليم الهندوسية ، ومن التأثر بها في هذه

---

(١) من أصحاب هذه العقول : القديس البوذي " بوذتبات بيهكشو " في كتابه " الفراغ " و " التفسير الجديد لعقيدة التناسخ " وأيضا "كيفية اعدام الالم " كلها باللغة التايلاندية .

(٢) التفسير الجديد لعقيدة التناسخ ١٨ ، ١٩ .

العقيدة الباطلة .

٨) موقف الاسلام من عقيدة التناسخ

رفض الاسلام فكرة تناسخ الأرواح ، وذهب الى أن الانسان يحيا حياة أرضية واحدة ، ثم يكون بعدها البعث والحساب الذي يترتب عليه دخول الشخص الجنة أو النار ، على حسب عمله في الدنيا ، فلا تكرر حياة الانسان الدنيوية على أية صورة من صور التجسد .

إن الاسلام لا يقر بأن الأرواح تستأنف عملها بعد الموت،لأن الدنيا في نظر الاسلام هي دار العمل ، والآخرة هي دار الجزاء .

وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات الى حياة دنيوية واحدة يعقبها الحساب ، ولعل أوضح دليل أذكره هنا قوله تعالى :

" حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ، لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، كلاّ إنها كلمة هو قائلها ، ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون " (١)

وقوله تعالى :

" وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مردّ من سبيل "(٢) .

وكذلك قوله تعالى :

" ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ماكانوا يخفون من

---

(١) المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠

(٢) الشورى ٤٤ .

قبل ، ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه . وإنهم لكاذبون " (١)

ففي هذه الآيات الكريمة دليل واضح على أن الانسان يحيا حياة أرضية واحدة ، وأنه لا يستطيع الرجعة اليها مرة أخرى بعد موته ، لأن الله سبحانه وتعالى ردّ في هذه الآيات على هؤلاء الكافرين الذين يتمنون العودة الى الدنيا عند الاحتضار ، وحين يعرضون على العذاب ، فيسألون الرجعة اليها ، ليصلحوا ما فات عنهم من الايمان بالله والعمل الصالح ، فردّ عليهم بأنهم لا سبيل لهم الى العودة اليها من جديد ، وأنهم كاذبون في دعواهم ، لأنهم ان عادوا اليها - على سبيل الفرض - فلن يؤمنوا بالله شيئا (٢)

ومن أمثال هذه الآيات الكريمة أيضا قوله تعالى :

" ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون " (٣)

فهاتان الآيتان أوضح دلالة على أن الموتى ليست لهم رجعة الى الحياة الدنيا ، على أية صورة من صور التجسد ، وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها .

ومن عقيدة الاسلام الايمان ببقاء الأرواح بعد الموت ، وانها في

---

(١) الأنعام ٢٧ ، ٢٨

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥/ ٤٨٧ ط الشعب ، وفي ظلال القرآن ٢/ ١٠٦٨

(٣) يس ٣١ ، ٣٢ .

مستقرها ، غير أن العلماء اختلفوا فيه اختلافا واسعا ، وخلاصة ما يميل اليه ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه " الروح " (١) أن الأرواح متفاوتة في مستقرها ، بحسب منزلتها ودرجتها ، فهي إما في نعيم أو في جحيم الى يوم قيام الساعة ، فإما الى الجنة وإما الى النار .

ولا شك ان ماذهب اليه الاسلام من حياة دنيوية واحدة يعقبها البعث والحساب في اليوم الآخر هو أظهر منطق للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي ، وأبلغ دافع للانسان الى الخير والاصلاح في حياته ، وهذا يشبه الطالب الذي يجتهد في الدراسة والتحصيل حينما يعتقد أن الامتحان أمامه مرة واحدة لا ثاني له ، بخلاف ما ذهبت اليه البوذية وأمثالها من إتاحة الفرص الكثيرة للانسان في الاصلاح ، وفتح أبواب الركود والتكاسل له ، الأمر الذي يترتب عليه زيادة المنحرف انحرافه والمفسد فساده ، وهذا يشبه الطالب الذي يهمل في التحصيل والدراسة اعتمادا على امتحانات كثيرة أمامه .

٩) عقيدة التناسخ عند الفرق الضالة في الاسلام

تسرّبت عقيدة " تناسخ الأرواح " بدرجات متفاوتة ، وبمفاهيم مختلفة، الى كثير من الفرق الضالة المتوسمة باسم الاسلام .(٢)

==========

(١) ص ١٥٧ ـ ١٥٨

(٢) وقد تأثر بها قبل الاسلام كثير من الفرق الوثنية في اليونان وفارس وغيرهما . غير أن مؤرخي الفرق الاسلامية لم يحصروا الجهة التي اشتقت منها الفرق فكرة التناسخ بجهة واحدة ،لأن المعروف ان اللاحق يأخذ من السابق كما هو شأن كل عقيدة =

وقد أحصاها الشيخ عبد القاهر البغدادي في كتابه : " الفرق بين الفرق"(١) وجمعها في صنفين ، أحدهما من جملة القدرية المعتزلة عن الحـــــق، والآخر من جملة الرافضة الغالية .

أما أهل التناسخ من القدرية ، فجماعة منهم أحمد بن حايط (٢) ولعله أول من نادى بهذه العقيدة بين المسلمين ، كما جاء في مراجع كثيرة

==========

= وضعية التي تقوم على الأهواء والظنون ، وقد تأثر بها أيضا في العصر الحديث كثير من البحاثين الغربيين في أوربا والولايات المتحدة ، ففي الولايات المتحدة قد أعدّ لها مشروع بحث جادّ في ست جامعات رئيسة ، اعتبرتها موضوعا من موضوعات الدراسة الجامعية التي تختار كحقل اختصاص ، وخصصت له حدا أعلى من ساعات التدريس.(انظر : العودة للتجسد في المفهوم العلمي الحديث " صفحة ١٨)

(١) انظر بالتفصيل من صفحة ٢٥٣ – ٢٥٨
وانظر أيضا الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٩٠ – ٩٤ ، وأيضا الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٩١ – ٩٢

(٢) متكلم يسلك في زمرة المعتزلة ، كان تلميذ النظام وزاد عليه في ضلالته في التناسخ . توفي ٢٣٢ هـ ، ومن أتباعه أحمد بن أيوب بن يانوش، وكان تلميذ أحمد بن حايط في التناســـخ، ومنهم أيضا أبو مسلم الخراساني ، ومحمد بن زكريـــا الرازي الطبيب ، حيث صرح بذلك في كتابه في العلم الالهي. (انظر الفرق بين الفرق ٢٥٥ والفصل لابن حزم ١ / ٩٠ والملـــل والنحل للشهرستاني ١ / ٧٦ .)

فكان يقول بمبدأ " الكرور " أي تناسخ الأرواح التي ابتدعتها النفس الكلية في صور تزداد حسنا أو قبحا بمقدار الفضائل التي اكتسبتها في تجسدها الأول ، وكان يزعم ان الحيوان الذي من الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة مادامت طاعاته مشوبة بذنوبه ، وعلى قدر طاعته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الانسانية والبهيمية (١)

إن هذا المفهوم من التناسخ ، هو ماذهبت اليه الهندوسية والبوذية وغيرها من ديانات الهند الوثنية .

أما أهل التناسخ من الروافض الحلولية . فكلها قالت بالحلول ، وتناسخ روح الاله دون أرواح الناس . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقول الشيخ عبد القاهر البغدادي :

" إن أهل التناسخ من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الاله في الأئمة بزعمهم ، وأوّل من قال بهذه الضلالة السبابية (٢) من الرافضة ، لدعواهم أن عليا صار إلها حين حلّ روح الاله فيه

==========

(١) الفرق بين الفرق ٢٥٧

(٢) السبابية : أصحاب عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم انه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم انه اله ، فنفاه الى سباط المدائن ، وكان يهوديا اعتنق الاسلام للنيل منه والكيد له ، وهو أول من أظهر القول بامامة علي ، وان فيه الجزء الالهي ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة . وقد أظهر هذه البدعة في زمان علي رضي الله عنه ، فقال بعضهم لعلي " أنت الاله " فأحرق على قوما منهم . إن هذه الفرقة ليست من فرق أمة الاسلام ، لتسميتهم عليا إلها . انظر الفرق بين الفرق ١٥ ، ٢٢٣ ==

وزعمت البيانية (١) منهم أن روح الاله دارت في الأنبياء، ثم في الائمة الى أن صارت في بيان بن سمعان. وادعت الجناحية (٢) منهم مثل ذلك في عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وكذلك دعوى الخطابية (٢) في ابن الخطاب" (٣)

وهناك فرق الباطنية أخرى كانت تؤمن بمذهب التناسخ على الاختلاف في مفهومه كالنصيرية، والدروز (٤) في القديم. وكالقاديانية

==========

= ٢٢٤ والملل والنحل للشهرستاني ٢/ ١١ .

(١) البيانية: هم اتباع بيان بن سمعان التميمي، وهو من الغلاة القائلين بإلهية علي رضي الله عنه، وذكر هؤلاء ان بيانا قال لهم إن روح الاله دارت في الانبياء والأئمة حتى انتهت الى علي، ثم دارت الى محمد بن الحنفية، ثم انتقلت اليه منه. انظر الفرق بين الفرق ٢٢٧ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) الجناحية: هم اتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. كانوا يدعون ان روح الاله دارت في علي وأولاده، ثم صارت الى عبد الله بن معاوية .

والخطابية: هم الذين يدعون حلول روح الاله في جعفر الصادق، وبعده في أبي الخطاب الأسدي. هذه الفرق كلها كافرة بدعواها حلول روح الاله في زعيمها. انظر الفرق بين الفرق ٢٤١، ٢٤٢ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٥٥ .

(٤) النصيرية: هي طائفة من طوائف الباطنية الغالية، يقيم غالبيتها في سوريا، وهم في الأصل ينتسبون الى رجل يقال له محمد بن نصير، وهو فارسي الأصل، تظاهر بالاسلام، وكان من الملتفين حول الحسن العسكري الامام الحادي عشر عند الامامية الاثنى عشرية، وكان يزعم انه هو باب المهدي المنتظر، وقد أسس فرقة النصيرية مستمدا أصولها من السبئية وغيرها، وزعم لهم ان اله السموات والأرض هو علي بن أبي طالب، ومن عقيدتهم في التناسخ ان الأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم، والشريرة تحل في=

(الأحمدية) في الحديث (١)

كما ظهر مذهب التناسخ عند بعض فرق الشيعة (٢) في صورة " الرجعة "

= أجسام الحيوانات النجسة في نظرهم ، كالخنزير والقرود . (انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد صفحة ٨٦ وتاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها لجماعة من المؤلفين الازهريين الطبعة الأولى صفحة ٦٦) . أما الدروز : فهم ينسبون الى أحد دعاة الباطنيين ، يقال له درزي ، من أصل فارسي مجوسي ، واسمه محمد بن اسماعيل ، وكان أول من أعلن ألوهية الحاكم العبيدي ، ولقد أعلن هذا المبدأ الهدام في مصر ، فأحدث فجة بين الناس ، وأرادوا قتله ، فهرب من مصر ، ولجأ الى لبنان ، حيث أخذ ينشر هذا المذهب حتى هلك عام ٤١٠ هـ . (انظر الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة ٨٥ .)

(١) والقاديانية : فرقة حديثة العهد ، تنتسب الى رجل يقال له غلام أحمد القادياني ، نسبة الى قاديان احدى قرى البنجاب الهندية ، ولد عام ١٨٣٩ م في أسرة عميلة للاستعمار الانجليزي ، وقد ادعى الرجل انه هو المهدي ، ثم ادعى انه نبي مرسل ، ودعا الى إسقاط الجهاد في سبيل الله ، ووجوب الطاعة للسلطة الانجليزية الحاكمة في البلاد . ونقل الشيخ أبو الحسن الندوي من كتاب المرزا غلام أنه يعتقد أن أرواح الانبياء كانت تتناسخ وتتقمص روح بعضهم وحقيقتهم جسد بعضهم ، وتظهر في مظهر الآخر .
(انظر : القادياني والقاديانية دراسة وتحليل : لأبي الحسن علي الندوي ٧٤ ، ٧٥ ، وأيضا : العقيدة الاسلامية وأسسها : لعبد الرحمن جنبكة الميداني الطبعة الثالثة صفحة ٧١٤ .)

(٢) الشيعة : طائفة معروفة توجد الآن في ايران والبلاد المجاورة لها ، وهم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، وفضّلوه على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم ، وقالوا بامامته وخلافته نصّا ووصاية إما جليا وإما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، ولذلك كفّر بعضهم أبا بكر=

أي رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة (١) ، وقد قال بعض الامامية برجعة علي بن أبي طالب .(٢) وقال بعضهم بعودة الامام الثاني عشر وسموه " المهدي المنتظر "،(٣) غير ان الرجعة عندهم هي رجعة الشخص نفسه جسما وروحا ، بخلاف التناسخ على المفهوم الذي ذكرته .

وقد احتجت هذه الفرق الضالة كلها بالآيات القرآنية لتأييد عقيدتهم في التناسخ ، والحلول ، والرجعة . وحاولوا أن يتأولوها بأهوائهم ، تحللا من قيود الدين ، إلا أنهم غير موفّقين في تحقيق أغراضهم ، سواء كان ذلك لتدعيم آرائهم الفاسدة ،أم كان للنيل من الدين الاسلامي الحنيف، ويكفي من الردّ عليهم إجماع جميع أهل الاسلام على تكفير من قال بهذا القول والبراءة منه ، وإن المسلمين مجمعون على أن الجزاء لا يقع الا بالجنة أو النار في المعاد ، وأن قولهم هذا يقدم بين يدي الله ورسوله فيما لم يأذن به الله (٤)

إن عقيدة التناسخ ، ومثله الحلول والرجعة ، من العناصر الوافدة التي دخلت الى الفكر الاسلامي ، وحاولت أن تؤثر في المفاهيم الاسلامية

==========

= الصديق وعمر وعثمان،وجميع الصحابة الذين رضوا بخلافة غير أهل البيت . هذا وقد انقسمت الشيعة الى فرق كثيرة كالسبئية،والكيسانية والزيدية ، والرافضة ، وغير ذلك . (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٥ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ١٤٦ .)

(١) انظر الفرق بين الفرق ٣٩

(٢) المصدر السابق ٢٢٤

(٣) المصدر السابق ٤٧

(٤) الأصول والفروع لابن حزم ١٤٦

القرآنية الأساسية ، والاسلام لايقر بهذه العقيدة ، ولم يتشيّع لهـا، لا من قريب ، أو من بعيد .

١٠) خلاصة الكلام عن التطورات في مفهوم التناسخ

قد تبين من خلال هذا البحث أن عقيدة " تناسخ الأرواح " قد تطوّر مفهومها عند الفرق المختلفة ، ويمكن أن ألخّص هذا التطور في النقـاط الآتية : -

١ - مفهوم التناسخ لدى الهندوس ، وهو انتقال الأرواح من أجسـام الى أجسام أخرى ، سواء كانت انسانا أو حيوانا ، وذلك لتطهّـر الروح من رغبات العالم المادي ، وتعود الى مصدرها الأول والروح الأعظم " برماتما " على حد زعمهم .

وكان التناسخ في أول ما نشأ وسيلة لبقاء سيادة الآريين فـي البلاد ، وللحفاظ على أصالة أنسابهم . وبناء على ذلك فقد تغيّر هذا المفهوم عند بعضهم ، حيث قالوا بأن التناسخ يتمّ في حدود العلة التي عليها الانسان ، أي انتقال الأرواح الى نوع أجسادها . فأرواح البراهمة تنتقل الى البراهمة ، وأرواح العبيد تنتقل الى عبيد .(١)

(١) وقد أفادني المشرف المطلع على الهندوس ، بأن بعض الهندوس في الأوان الأخيرة قد تراجعوا من عقيدتهم التناسخ ، واعترفـوا بعقيدة المعاد واليوم الآخر ، وحاولوا اثباتها في كتبهم المقدسة " الفيدات " (Vedas) . منهم الكاتب " دوركا شانكار شاطراتـي " في مقاله في جريدة " كانتي " الهندية عام ٨ يوليو ١٩٦٩ م صفحة ١٣ .

٢ ـ ثم جاءت البوذية ، وكان مفهوم التناسخ عندها هو مفهومه عند الهندوس ، غير أن هذا المفهوم قد تطوّر بعد ذلك عند بعض علماء البوذية ، حيث أوّلوه وفسّروه بأن المراد بالولادة الجديدة في عقيدة التناسخ هو ولادة الأثرة والأنانية ، واشارتهما في النفس ، فكلّما ارتبط الانسان بالشهوات تكررت ولادة الانانية في نفسه ، وليس المراد الولادة المعروفة من بطن الأم .

٣ ـ ثم تطور مفهوم التناسخ عند بعض الفرق الضالة المنتسبة للاسلام الى معنى الحلول ، والرجعة ، وتناسخ روح الاله في الأئمة دون روح الناس ، كما أسلفنا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

المبحث الرابع " نرفانا " (Nirvana)

غلبت على الفلسفة البوذية بصفة خاصة ، وعلى غيرها من الفلسفات الهندية بصفة عامة ، نزعة التشاؤم بالحياة ، حيث تعتبرها مصدر الآلام والأحزان . وأن تكرارها عقاب ومضاعفة في العذاب .

من أجل ذلك ، فقد وقف بوذا ازاء هذه القضية ، يريد أن يجد سبيلا الى الموت بلا رجعة ، أو الموت الأبدي ، يتخلّص به الانسان من آلام الحياة وتكرارها ، ويصعد الى السعادة العليا . ففكّر بوذا في هذا طويلا ، وتجرّب عدة تجارب ، ثم زعم أخيرا أنه اكتشف الموت الأبدي والسبيل اليه ، وهو ما يسميه بنرفانا . تلك الهدف الأسمى الذي لابد أن يسعى اليه كل بوذي .

١) كلمة " نرفانا "

إن كلمة "نرفانا " كلمة سنسكريتية ، ويقال أيضا في البالية " نرفانا " أو " نيبانا " ، وهي مركبة من كلمتين " نر " (Nir) ومعناها : الانتهاء أو الانعدام ، و " فانا " (Vana) : أي الشهوة[1] وقيل : النبل ، والمراد به الشهوة ، لأنه يطعن الانسان كما تطعنه الشهوة . فمعنى " نرفانا " : هو انتهاء الشهوة أو انعدامها . وقيل : إن معناها

---

(١) ان الشهوة في اصطلاح البوذية تعني الكارثة أو الاثم (Evil) وهي على ثلاثة أقسام : الطمع ، والبغض ، والغواية . ولكل قسم منهما أقسام ثلاثة : الخشنة ، والمتوسطة ، والدقيقة . ويطلقون على أصحاب هذه الشهوة : الانسان العادي "Ordinary person" أما المتخلّصون منها فيطلقون عليهم : القديسين (Arhat) (من كتاب مجموعة المصطلحات البوذية صفحة ٣٧ ، ٣٨ .)

الخمود "Extinction" أي خمود الشهوات (١).

٢) معاني " نرفانا "

إن كلمة " نرفانا " في اصطلاح البوذية ، لها عدة معان ، ذكرها علماء البوذية في كتبهم ، فقد ذكر القديس " بوذنات بيهكشو "(BuddhatBhikshu) في كتابه " نرفانا " (Nirvana) (٢) ثلاثة معان :

المعنى الأول : الخمود والبرودة .

وفسّر القديس هذا المعنى فيقول :

" إن الحياة شيء حارّ. فالعين ، والأذن ، والأنف ، واللسان ، والجسم ، وتماس هذه الأعضاء بالأشياء الخارجية ، من الصورة ، والصوت ، والرائحة والذوق ، واللمس .كل هذه الاحساسات التي تتكوّن منها الحياة فيها حرارة : حرارة من نار الرغبة ، (٣)ونار البغض والكراهية ، ونار الغواية ، ومن أجل هذا فان " نرفانا " هي خمود الحياة ، وبرودتها بعد حرارتها " .

ومما روي عن بوذا في ذلك قوله : " الحياة ألم ، والألم كالنار التي تلتهب الحطب .ا طفأوها وتخلّصوا منها ، اعدموا الألم فتكسبوا الخلاص .... ليس هناك نار تشبه النفس ، وليس هناك مرض يشبه البغض ، وعلى

---

(١) مجموعة المصطلحات البوذية ٢٤٦ ، وأيضا الفلسفة الهندية ٣١٨ .

(٢) من صفحة ٥ – ٧ .

(٣) " الرغبة " "Desire" في اصطلاح البوذية تعني الاحساس بالحب والفرح بالصورة ، والذوق ، والرائحة ، والصوت ، واللمس. (مجموعة المصطلحات البوذية ٥٢٤ .)

هذا فليس هناك شيئ أسمى من سعادة الطمأنينة . وذلك عن طريق الوصول الى " نرفانا " (١)

والمعنى الثاني : التجرد من أغلال الحياة وقيودها .

والمراد بالاغلال والقيود : هو الشهوات النفسية . كالطمع ، والحبّ ، والكراهية والحسد ، والحقد ، والخوف ، وماشابه ذلك . إن هذه الشهوات تعتبر قيود النفس وروابطها، فاذا تجرّدت النفس عن هذه القيود والروابط . فانها مستعدة للوصول الى " نرفانا ".

والمعنى الثالث : التجرد من الطعنات ومن فكرة " الذات " .

والمراد بالطعنات : أي طعنات الحياة التي تسبّبت من نبال الشهوات والرغبات ، وهذا المعنى موافق لمعنى " فانا " الذي هو النبل .

والمراد بفكرة الذات : أي الاعتماد عليها . أو الأثرة والأنانية .

إن هذه المعاني الثلاثة لا تفيد الا مغزى واحدا . وهو التخلّص أو التحرّر من جميع الشهوات والآلام . و " نرفانا " على هذا المفهوم هي الحالة التي خمدت فيها جميع الشهوات والرغبات خمودا نهائيا . فالانسان في هذه الحالة يفقد وعيه وشعوره بالحياة كلية ، لأن نفسه تتخلّص في أثنائها من الاحساس بالألم الذي يسبّبه ارتباط النفس بالاجسام. إنها حالة التشبّع الروحي بالانصراف عن الدنيا المادية كلها (٢)

==========

(١) ترى بيتاكا (ابيدارما) ٦٩٣

(٢) انظر: الفلسفة الهندية ٣٢٠ .

ومن معاني " نرفانا " ما أوضح صاحب كتاب " تاريخ الديانة البوذية " (١) حيث يقول : " إن " نرفانا " شيء وراء الحسّ " ميتا فيزيقي "" (Mytaphysical) فلا يمكن تعريفها تعريفا مفهوما بلغة الانسان . ثم ذكر عدة معان للنرفانا منها : ـ

أ ـ هي انتهاء كل شيء: انتهاء الرغبات والشهوات، وانتهاء "كارما"، وانتهاء دورات التناسخية .

ب ـ هي العالم الآخر . غير عالم التناسخ الذي تتجوّل فيه الأرواح الدنيئة .

جـ ـ هي الفناء التام للروح والجسد معا .

د ـ هي الحالة الهادئة التي ليس لها بداية ولانهاية . ولا تتغير مع الأزمان .

هـ ـ هي حالة الهمود البارد . التي خمدت فيها جميع الشهوات والآلام " أما الأسفار البوذية " ترى بيتاكا " فتستعملها بمعان كثيرة منها : الخمود ، والسكون ، والانتعاش ، والراحة ، والهمود البارد ، والفناء المطلق والانعتاق من التناسخ . أو التوقف عن الولادة والوفاة ، والتخلص من آلام الحياة ، وانعدام شعور الفرد بفرديته ، وبعبارة أخرى : التحرر من كلمة " أنا "، ومنها أيضا : اتحاد الفرد بالفراغ ، والسعادة الأبدية بعد الموت . (٢)

---

(١) صفحة ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٢) مجموعة المصطلحات البوذية ٢٤٦ وأيضا " نرفانا " ٤٦ ـ ٤٧ .

ويمكن أن أستخلص من هذه المعاني الكثيرة فأقول :

إن " نرفانا " هي أعلى درجات الصفاء الروحاني التي يبلغها البوذي بعد مصارعاته ، وجهوده النفسية ، من طريق تجريد النفس ، وقمع جميع الشهوات والرغبات ، وممارسة الضغط على الذاتية والأنانية . واذا وصل البوذي الى هذه الدرجة ، زالت من نفسه رغباته ، وانعدمت مطامعه وأهدافه . على زعمهم ؛ فلا يحسّ بأية مشاعر تدفعه لفعل خير أو لارتكاب شر ، مما يستلزم تناسخا جديدا مختلفا بالنسبة لدورة التناسخ ، ويصل الى أعلى درجة من الصفاء ، ثم تنطلق قواه الحيوية بعد الموت الى حالة " نرفانا " ، حيث الخمود المطلق ، والفناء النهائي الذي لا يعود بعده الى عالم الارض على أي وجه من الوجوه .

٣) " نرفانا " هدف الأسمى لكل بوذي

تعتبر " نرفانا " هدفا أسمى لكل بوذي أراد التخلص من آلام الحياة المزعومة ، إنها كجنة موعودة للبوذيين الذين جاهدوا أنفسهم وقهروا شهواتهم ، ولم يركنوا الى هذه الحياة ، أو يقفوا على مورد من مواردها .

غير أن هذه الجنة المزعومة ، لا حياة فيها ، ولا عدم ، وكما عبّر عنها بوذا بأنها الفناء المطلق ، والهمود البارد ، والفراغ الدائم (١)

إن هذا الهدف البوذي اذا لم يصل اليه أحد في هذه الحياة ، فانه

---

(١) انظر ترى بيتاكا (أبيدارما) ٦٩٠ ، ٦٩٢ وأيضا (سوتنان) ٣٢٤ .

سوف يصل اليه حتما يوما من الأيام ، لأن كلّ انسان ـ كما توهّمه بوذا ـ يولد فيموت ، ثم يولد في حياة جديدة ، ليمنتهي الى الموت من جديد ، وهكذا حتى يتخلّص من الحياة ، فيصعد الى " نرفانا " .

قال بوذا وهو يلقّن تلميذه على أتباعه :

" كنت تائها في بحر التناسخات ،وعبثا بحثت عن شاطئها ..... يالله من الم أن تتناسخ روحنا باستمرار : أن نولد ، ثم نموت ، ثم نولد ثم نموت . وهكذا ..... أخيرا اكتشفت عندما تخلّصت نفسي من البدن الفاني والدنيا الزائلة ، بلغت نهاية المطاف وهي " نرفانا ".(١)

فكلّ انسان له نهاية في دورته التناسخية ، ولابد أن تنتهي رحلته في حياته الأخيرة بنرفانا ، سواء قربت أم بعدت على حسب مجاهدة كل انسان.(٢)

يقول القديس " فانيا ناندا " :

" إن التخلص من " كارما " ، ومنع تكرار الرجعة الى الحياة . من أسمى ما تتطلع اليه النحلة البوذية ، وهذه هي " نرفانا " . إنها نواة التعاليم البوذية وخلاصتها ، لأنها ثمرة من جهود بوذا الطويلة وتجاربه الشاقة . ولقد جعلها بوذا هدفا أسمى لكل من تبعه ، لما يترتّب عليها من الثمرة العظمى ، وهي التوقف عن الولادة والموت ، والفراغ النفسي من الإحساس بالألم والسعادة ، لخمود أسبابهما خمودا نهائيا "(٣)

---

(١) المصدر السابق (سوتنان) ٣٢٨

(٢) انظر المبادىء الهامة في البوذية ٩٣

(٣) " قانون كارما " ١١٨ .

وسأعود الى هذا التفكير بالرد عليه في آخر المبحث ان شاء الله .

٤) " نرفانا " كما وردت في الأسفار البوذية

أ ـ اكتشاف " نرفانا "

في الأسفار البوذية " ترى بيتاكا " نصوص وحكايات متعددة (١) من " نرفانا " تبيّن هذه النصوص والحكايات أن " نرفانا " ليست سوى ثمرة من تأملات بوذا الطويلة ، ومجاهداته الشاقة ، قبل حصوله على الاشراقة (٢)

فقد ادّعى بوذا أنه اكتشف نرفانا بعد تأملاته العميقة في حياة الانسان ، وقد سأل نفسه : ماذا وراء مايعانيه الانسان من أحزان وآلام ، وشيخوخة ، وموت.؟

إن الانسان منذ ولادته واقع تحت سلطان العجز ، لا يقدر أن يدفع عن نفسه آلام المرض والشيخوخة والموت ، ولا أن يطفىء جمرات الأحزان والمآسي التي يراها تحلّ به ، إن نفسه مغطّاة بغطاء كثيف من الرغبات ، وهي كالوقود الذي يجعل نار الحياة تشتعل دائما بلا نهاية .

ثم يقول :

" ولما وجدتني ممّن تجوز عليهم الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ،والموت ورأيت مافي طبيعة الولادة من ألم ، جعلت أبحث عن توقّف الولادة

---

(١) وجدت نصوص " نرفانا " متفرقة في كل سفر من الأسفار الثلاثة وتكثر هذه النصوص في أبيدارما ، وفي سوتان،وخاصة في القسم " ماشيم نيكايا (Majjim Nikaya)و" انكوتارا نيكايا (Angkutra Nikaya)

(٢) مرّ تفصيل هذا الموضوع في " استنارة بوذا " .

وانتهائها ، أبحث عن خمود الحياة وسكينتها . فوجدت أنها " نرفانا "

ثم تخيّل بوذا في نفسه فيقول :

" إنني تغلّبت على كلّ الأشياء ، وأنا أعلم كلّ الأحوال الدنيوية هذه ، إنني حرّ طليق من العيوب ، لقد طلقت كلّ هذا ، وذلك عن افناء النفس ... إنما صرت حرّا عندما فهمت نفسي ،وانني في طمأنينة من اضطرابات الحياة ، وإنني فوق كلّ تغيّر ، فوق الولادة ،والموت.(١) من هذه الخيالات الفاسدة ، والنظرة التشاؤمية الى الحياة ، كانت فلسفة بوذا " نرفانا " التي أصبحت عقيدة يدين بها ملايين من البشر.

ب) غموض " نرفانا " في كلام بوذا

في الأسفار البوذية " ترى بيتاكا " قرأت النصوص التالية :

" أيها المريدون .... إن هناك حالة ليس لها حدوث ولا بداية ، وليس لها خالق ولا عامل ، إنها موجودة بدون صفة معينة ، إنها هي " نرفانا ".(٢)

والنص الآخر :

" إن "نرفانا" ليست أرضا . أو ماء . أو نارا .أو هواء ، وليست هذا العالم . أو غير هذا العالم ، ليس فيها شمس ولا قمر ، وليست بإتيان أو ذهاب ،وليست هي البقاء أو الحدوث ،أو لها موقع أو حواس.

(١) ترى بيتاكا (أبيدارما) ٦٩١ ٦٩٣.
ان مثل هذا الغلوّ الفاسد مليء في أقوال بوذا وهو الذي جعل أتباعه من بعده ألهوه وعبدوه من دون الله .

(٢) سوتان ٣٤١ .

ولكنها موجودة ، تلك نهاية الألـــم ." (١)

وقد سئل عنها مرة فأجاب قائلا :

" لا تسأل ان كانت فناء أو استمرارا في العيش ، والا لكنت كالمصاب بسهم مسموم يودّ معرفة طبقة من رماه ، أهو برهمي ، أم شـــودرا عوضا عن البدء بالتداوي ." (٢)

وفي نص آخر قال :

" يا "شانا" . (Shanna) (٣) احفظ دائما ، أن من سيطرت عليه شهوة فانه يضطرب ، أما الذي لا تسيطر عليه الشهوة فانه يطمئن، واذا يطمئن لا يفرح ، ولا يعرف الاتيان والذهاب ، والبداية والنهايـة، و لايعرف هذا العالم وغير هذا العالم ، وهذا هو نهاية الحـــزن ومكان " نرفانا ". (٤)

إن مثل هذا التصوّر الغامض في حقيقة " نرفانا " كثير في أقوال بوذا ، إنه من العسير أن أجد تصوّرا واضحا لهذه العقيدة مـــن خلال كلامه ، فقد ترك هذا الموضوع غامضا لكي يأتي أتباعه فيفسّروه بكل ما يستطيع أن يقع تحت الشمس من ضروب التفسير ، وهكذا فـي

---

(١) المصدر السابق ٣٣٨ وذكر الدكتور أحمد شلبي معنى هذا النص نقـلا عن " فلسفة الهند القديمة ١٣٤ (انظر أديان الهند الكبرى ١٦٠)

(٢) أبيدارما ٦٥١ .

(٣) هو الرجل الذي صاحب بوذا قبل خروجه للترهب ، وساق عربته عند خروجه للتنزه في المدينة حتى رأى ما رأى .

(٤) المصدر السابق .

كل تعاليم بوذا .

وقد اعترف العلماء في البوذية بهذا الغموض ، فها هو صاحب الكتاب " المبادىء الهامة في البوذية " حيث يقول مبررا لذلك :

" إن " نرفانا " طبيعة دقيقة ، إنها غير مرئية للتحليل والمعرفة ، لأنها فوق عقول البشر ومداركهم ، ولذلك عندما سئل بوذا عن مصير هؤلاء القديسين الذين ماتوا بعدما حصلوا على النرفانا ، هل هم في البقاء أو في الفناء ؟ رفض عن الاجابة ، ولم يبد شيأ من رأيه . (١)

ويقول " رادهاكرشنن " :

" إن بوذا رفض أن يشرح " نرفانا " ، وعلى هذا لايجدي نفعا أن نحاول فهمها ، بل ربما كانت البشرية لا تستطيع شرح " نرفانا " (٢) . ومهما يكن من الأمر ، فان عقيدة " نرفانا " قد أوضحها المفسّرون المتأخّرون من علماء البوذية ، مما يمكن أن أعتمد عليه في هذه الدراسة .

جـ) التناقض بين الخلود والفناء

من المعروف في فلسفة بوذا أنها تنكر خلود الأشياء كلها بدون الاستثناء ، وقد وضّحت ذلك في غير موضع بالنصوص من أقواله ، غير أنني وجدت في بعض أقواله عن " نرفانا " ما يتناقض مع

(١) المبادىء الهامة في البوذية ١٠٦ ، وأيضا الفلسفة الهندية ٣٣٢ .

(٢) أديان الهند الكبرى ١٦١ نقلا عن بحث بثقافة الهند (ديسمبر سنة ١٩٥٢) صفحة ١٨ .

هذه الفلسفة ، وفيما يلي أذكر منها :

" ... الفكر الحسن ينتج أعمالا حسنة ، والفكر السيء يجيء بكل منكر ، إن عدم الاهتمام بالعالم هو سبيل الخلود ، وأما الجهل فطريق الموت ، والولادة ، والألم .

الذين لا يهتمّون بما للعالم يخلدون براحتهم الأبدية ، أما الراغبون في العالم فآلاما يجنون .....

" إن " نرفانا " وحدها تكافيء من يعرفها ، ويبذل في سبيلها . لأن عمل الذات يذهب هباء منثورا ، كفقاقيع الصابون تضمحلّ في الهواء أما " نرفانا " فتعود الى حياة الخلود الأبدي."(١)

ومنها أيضا :

" إن تتافتا (بوذا) كان يتألم لمرض الحياة ، فوجد أن كل ما في العالم باطل ، فشرع يبحث عن الخلاص في النفس التي لا تفنى ولا تضمحل ، بل تبقى الى الأبد ." (٢)

ومنها أيضا :

" .... لقد أفهمتكم معنى الهجرة البعيدة (٣) ، وها أنكم وصلتم الى الهدف ، وأممتم كل أنانية فيكم ، وأقبلتم الحقيقة ، والحياة الخالدة أبدا ." (٤)

==========

(١) ترى بيتاكا (أبيدارما) ٦٤٩

(٢) المصدر السابق ٦٣٤

(٣) والمراد الطريق الموصل الى نرفانا .

(٤) سوتان ٣٣٠ .

إن مثل هذا التناقض وغيره لا يدل الا على النقص والخلل في عقل الانسان ، وعلى عدم صلاحه لأن يكون مصدرا لهداية البشر الى الحق. بخلاف الوحي الالهي المعصوم ، لأنه من الله ربّ الناس ، وربّ السموات والأرض ، وهو المتّصف بصفات الكمالات ، وقد صدق الله عز وجل إذ يقول : " أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (١)

د) الألم والسعادة عند بوذا

نظر بوذا الى هذا العالم ، والى هذه الحياة نظرة تشاؤمية ، فقد تصوّر أن الحياة معرض أحزان ، ومورد كوارث وآلام ، وتعاسة وشقاء ، وأن هذا الوجود خادع وباطل ، لا يستحق أن يعاش فيه. ومثّل بوذا هذه الحياة بشعلة النار التي تشعل دائما اذا كان وقودها : أي الشهوات باقيا .

إن هذا التصور الغريب واضح في كثير من أقواله التي ترويها الأسفار البوذية " ترى بيتاكا " منها قوله لصاحبه " آننـذا " (Anandha) (٢) :

يا " آننذا " تعهد نفسك ، وامعن النظر في الحياة ، تجد أن كل شيء زائل ، وما من باق على الأرض ، حيث الولادة ، والموت ، والنمو ، والانحلال

---

(١) النساء ٨٢

(٢) هو ابن عم بوذا وأحد مريديه الذي لازمه منذ أول دعوته الى آخر حياته ، وتروي الأسطورة البوذية أنه من القديسين الذين حصلوا على " نرفانا " قبل موته (مجموعة المصطلحات البوذية ٧٠٢)

والتركيب ، والتفريق ، وحيثما تلفتّ ، تجد ازدحاما وتدافعا في تطلّب اللذات ....

يا " آننذا" إن الحياة ألم ، وكل جمال باطل ، وكل مافي العالم يتغيّر ويتحوّل .... أيمكن أن تطفأ هذه اللذات المتعددة ؟ (١)

فالحياة في تفكير بوذا ألم ، ومصدره هو الشهوة التي حدثت من الارتباط بين الحواس والأشياء الخارجية ، كما أشرت اليه من قبل في عدة مواقع .

وفي ذلك يقول :

" من الرغبة ، والهوى ، والشهوة ، يخرج الحزن ، والألم ، والشكوك والأوهام .... إن الالتصاق بالاشياء طمع ، والاحساس وراثة من وجوده السابق ، وهذه كلّها سبب التعاسة في هذا العالم." (٢)

وفي موقع آخر يقول :

" .... لا تقترب يابيهكشو ، من كل ما يجعلك تتلذذ ، أو مما يجعلك لا تتلّذذ ، اذا نظرت الى ما يجعلك تتلذذ فانه يخفي عليك شقاوة تماما ، مثلما اذا لم تنظر اليه ، ولهذا السبب ، احذر ، ولا تتّبع أسباب اللذة ، لأنها شقاوة ، يتخلّص من هذه القيود كل من يشعر بانه لا يحزن ، ولا يحب ."

ثم يقول :

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٣١٢

(٢) المصدر السابق (سوتان) ٣٤١

" من الشعور بالحب ، والطمع ، والبغض ، والغواية ، يبدو منه الحزن والألم ، أما الشخص الذي تحرّر من هذا الشعور. فليس بواجد حزنا ولا ألما" (١)

فالألم عند بوذا ليس مقصورا على الألم المعروف في عضو من أعضاء الجسد عند المريض أو المصاب أو غيرهما ، وإنما يشمل جميع تصرفات الانسان المزينة بالرغبات والاعتداد بالذات ، والألم عند بوذا صفة من صفات الثلاث للجسم، وهي : التغير ، والألم ، وعدم الذات. وهو على قسمين :

١) ألم الجسدي . وهو : الولادة ، والشيخوخة ، والمرض ، والموت .

٢) ألم النفسي . كالحزن ، والكراهية ، والطمع ، وماشابه ذلك.(٢)

أما السعادة في تصوّر بوذا ، فهي التجرّد من كل الأماني ، ومن كل الشهوات والرغبات ؛ حيث اذا تخلّص الانسان من قيود رغباته وشهواته في تصرفاته وأعماله ، فانه حينئذ يكون في سعادة . أما اذا لم يتخلّص من هذه القيود ، وكانت تصرفاته وأعماله ، إما رغبة أو رهبة ، فلا يكون في سعادة ، ولا يكون في درجة مطلوبة ، وهي درجة " نرفانا "(٣) وقد مثّلها بخمود النار عند انتهاء وقودها . وزعم بوذا أن هذه السعادة هي أعلى درجة يمكن أن يبلغها البوذي في حياته ، لكن

---

(١) المصدر السابق ٢٩٨ ، ٢٩٩

(٢) مجموعة المصطلحات البوذية ١٩١

(٣) يوجد هذا التفكير عند بعض المتصوفة من المسلمين حيث يعتقدون أن العمل الصالح لابد أن يتجرّد من الطمع ، والخوف . (أي الطمع في الجنة ، والخوف من النار) لانهما من الأهواء النفسية الدنيئة =

لا يرجع بعد موته الى هذه الحياة مرة أخرى .

ومن أجل هذا اعتنى بوذا في جميع تعاليمه بموضوع واحد ، وهـــو إعدام الألم . فكان تفكيره كله يـــدور حول هذا الموضوع ،وحول سبيل الفرار من هذه الحياة ،كيف يمكن للانسان أن يحقّق لنفسه " نرفانا " في هذه الحياة الدنيا ، والفناء التام في الحياة القادمة؟ فموضوع إعدام الألم هو المحور الذي يدور حوله تعاليم هذا المذهب كلها .

يقول بوذا في احدى خطبه :

"إعلموا أيها المجتمعون هنا ، أن تتخلّصوا من نفوسكم مثلما يقلع الشخص شجرته الكبيرة لكي يتوصّل الى جذورها ، وذلك حتى لا تأتي الأخطار تحطّم مرات ومرات ، إن المثل يقول : اذا الشجرة قطعت ،فان جذورها تعود ، فتنبت . اذا كانت جذورها مازالت باقية فانها تزداد قوة ولا تفسد .....

هكذا النفس اذا لصقت بالانسان ، ولم يقض عليها نهائيا ، فان متاعبه وآلامه ستعود اليه مرارا وتكرارا .... (١)

ويقول أيضا :

ألا يا اخوتي بيهكشو ، إن اخماد الألم في الحياة هو اخماد الشهوة ، حتى لايبقى منها شيء ، ثم اخماد الولادة ، والشيخوخة ، والمرض،والموت .

==========

=== وغايتهم في ذلك هو القول بالفناء في الرب ، وسيأتي مزيـــد هذا الكلام في حينه ان شاء الله

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٥١٤ .

إن الشخص اذا توصل الى مقام " نرفانا " فـــانّه لايعرف الخـــوف، ولايعـرف الرغبة ، إنه في الفراغ ، لأنه قد قطع شوك أغصان الدنيـــا. والجسد الذي يحيا به هو الجسد الأخير." (١)

٥) الطريق الى " نرفانا " في البوذية

إن الطريق الى نرفانا في البوذية يتمثل في قتل الرغبات والشهوات، وتحرير النفس من جميع القيود ، كما أشرت اليه . غير أن هذا الطريق له تفاصيل ، وله مراحل ، سأذكرها فيما يلي :

أ ـ الطريق ذو الشعب الثماني

ذكر كتاب " ترى بيتاكا " الطريق العملي لازالة أسباب الألـــــم والشقاء ، ولتحقيق " نرفانا " كما يزعمون . وهو الطريق ذو الشعـــب الثماني (٢) الذي يتكوّن من الأمور الآتية :

(١) النظرة السليمة . والمراد : هو النظرة الى الحقائق الأربع المزعومة. وهي الألم ، ومصدر الألم ، واعدام الألم ، والطريق الى اعدام الألم .

٢) النية السليمة . والمراد : أي القرار على البعد من جميع الايذاء، والمقابلة بالسيء.

٣) القول السليم . والمراد : أي البعد عن الكذب وما شابهه .

٤) العمل الطيب . والمراد : البعد عن قتل الحيوانات كلها ، وعن السرقة والزنا .

(١) المصدر السابق ٤٢٩ ، ٤٣٠

(٢) تقدم ملخصه في مبحث : الحقائق السامية الأربع . صفحة ١٣٤، ١٣٥ .

٥) العيش السليم . أي بمقومات الحياة الأربع : الطعام ، واللباس ، والسكن ، والدواء .

٦) الجهد الطيب . والمراد : أي الجهد في سبيل إماتة الشهوات والقضاء عليها .

٧) الفكر السليم . أي بالتأمل الذاتي "Meditation" في حقيقة الجسد ، والحواس ، والنفس ، والكون .

٨) التركيز السليم . أي بالرياضة النفسية "Contemplation" على طريق خاص عندهم . (١)

ب ـ المراحل الثلاث للطريق إلى " نرفانا "

قسم العلماء في البوذية هذه الشعب الثماني المذكورة الى ثلاث مراحل (٢) :

١) المرحلة الأولى : مرحلة الالتزام بالاخلاق البوذية . وتسمى عندهم مرحلة " سيلا " (Sila) (٣) . وتتضمن المنطق السليم ، والعمل الطيب . والعيش الحلال .

٢) المرحلة الثانية : مرحلة الرياضة النفسية ، بالتأمل الذاتي وغيره .

---

(١) ترى بيتاكا سوتان ٤٠٥ ـ ٤٠٦ وتفسير هذا النص في كتاب " لبّ البوذية " ٤٠٥ ـ ٤٠٧ .

(٢) الذي تأمل في هذه المراحل الثلاث البوذية يجد التشابه بينها وبين المراحل الثلاث عند المذاهب الصوفية وهي :
(١) الشريعة أي عمل أهل البداية .
(٢) الطريقة أي عمل أهل الوسط .
(٣) الحقيقة أي عمل أهل النهاية .

(٣) في اللغة البالية تعني قاعدة السلوك .

وتسمى عندهم مرحلة " سمادي " (Smadhi) (١) وتتضمن الجهد الطيب ، والفكر السليم ، والتركيز السليم .

٣) المرحلة الثالثة : مرحلة التنوّر ،والمعرفة ، والكشف . وتسمّى عندهم مرحلة " بانيا " (Panya) (٢) وتشمل النظرة السليمة ، والقرار السليم .

ويقولون إن هذه المراحل الثلاث تشبه درجات السلّم التي يصعد بها البوذي الى " نرفانا " . فلا تغني الدرجة منها عن الأخرى ، بل عليه أن يصعد بها درجة درجة . (٣)

فالمرحلة الأولى : مرحلة المبتدئين للعوام المدنيين (غير الراهبين) وغيرهم .

والمرحلة الثانية : أشقّ من الأولى ، ولم يمارسها الا الخواص وخاصة الرهبان منهم ، والرياضة النفسية في هذه المرحلة لها طرق كثيرة عند البوذية ، وأشهرها ثلاث طرق ، أذكرها باختصار (٤) وهي :

١) استعمال الصوت بتلفّظ كلمة معيّنة مثل " بوذا " ،أو غيره، وترديدها مرة بعد مرة ، مع استحضار الذهن ، واستجماع الفكر، وتفريغ المشاعر ، دون أن يكون هناك اتصال بأشياء خارجية ،حتى ينتهي الى حالة لا يشعرفيها بما يجري حوله من أمور .

---

(١) في اللغة البالية تعني المراقبة التامة ، أو التركيز والتأمل .

(٢) في اللغة البالية تعني المعرفة ، أو الحكمة ، أو العقل .

(٣) أصول البوذية ٤٠٦ ،٤٤٩

(٤) سأعود الى هذا الموضوع ببعض التفاصيل عند الكلام عن الرياضة النفسية ان شاء الله .

٢) استعمال التنفّس المنتظم العميق ، بطريق الشهيق والزفير ، مع ضبط العقل ، وحضور القلب ، وتفريغه من شواغل الدنيا ، وقطع الهمة عن العالم كله .

٣) استعمال المنظر المعين ، باستجماع الفكر والتأمل ، وتركيزه على نقطة معينة من المنظر ، مع استحضار الذهن ، وتفريغه عن العالم ، حتى ينتهي الى حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمه .(١)

إن هذه الطرق الثلاث للرياضة لايمارسونها الا في الخلوة ، أو في مكان مظلم ، وفي جو هادىء ، وعلى شكل منظّم . ويزعمون أن ممارسة هذه الرياضات ، وتمرينها ، تضغط النفس ، وتقتل الرغبات والشهوات ، وتطفىء جمرات الآلام كلها .

أما المرحلة الثالثة ، أي مرحلة التنوّر والكشف والمعرفة . فهي ثمرة من المرحلتين السابقتين . ويزعمون أن من وصل الى هذه المرحلة ينال " نرفانا " ، حيث يتنوّر عقله ، وتنكشف له المعرفة ، وهي مايسمونه " يانا " (Yana) تشبه الكشف "Perception" عند الصوفية .

==========

(١) صفحات متفرقة من كتاب " بودها دهارما " للقديس بانيانانداً . وهنا يحسن التنبيه الى أن مثل هذه الرياضة النفسية قد انتشرت الآن في أوربا ، وفي كثير من بلدان آسيا وأفريقيا . وذلك باسم تجارب أو تدريبات " يوجا "(Yoga) . وهي عبارة عن تجربة عملية لتهذيب النفس وتدريب جسماني ، لتصل الروح الى السمو والارتفاع كما أسلفناه . وقد انشئت لها جمعيّات ومكاتب في هذه البلاد ، وألفت لها كتب ومؤلفات . ومن خطورتها انها لاتنتمي الى أي دين أو مذهب . كما لم تتقيّد بأنواع محددة من ===

إن هذه المعرفة المزعومة " يانا " لا يدركها عن طريق الاكتساب، وانما يدركها عن طريق الكشف والذوق ، بدون استخدام الحواس، فهي اذن معرفة خاصة ، ومعرفة فردية ، ونشاط روحي خاص بكل بوذي .

ولقد ذكر كتاب " ترى بيتاكا "[1] هذه المزاعم الخرافية في عدةمواضع. تبين أن الرياضة النفسية لها ثمرة في انكشاف " يانا " ، أي المعرفة ، وأنها على مراحل كثيرة ، أهمها هي :

١) المعرفة بالأمور الماضية والمستقبلة .

٢) المعرفة بالحقائق الأربع المذكورة .

٣) المعرفة بالعوالم العلوية والسفلية ، والمعرفة الخاصة بسلسلة الحياة السابقة المزعومة .

وسأعود الى هذا الموضوع مرة أخرى بالتفصيل عند الكلام عن الرهبنة البوذية .

٦) حالتان للفناء " نرفانا "

قسّم البوذية " نرفانا " الى حالتين :

(١) الفناء شبه التام ، وهو فناء المقدّس (Arhat) في خلال حياته . ففي هذه الحالة يعتبر فناؤه غير تام ، لأن جسمه

= التدريبات : ولقد تبنّت الماسونية هذه الفكرة ، وروّجت لها في الأوان الأخيرة لافساد العقائد الدينية ولمحاولة ابهام الناس وتضليلهم .

(١) انظر (فيتايا) ١١٩ - ١٢٠ وأيضا ١٤٠ - ١٤٣

لم يزل حيّا ، يحتاج الى مايحتاج اليه سائر الجسم ، من المقومات الأربع "Four Requisites" .(١) أما نفسه فلا تحتاج الى شيء ، لانها فانية ومنطفأة ، لا تتعلق بالحياة الدنيا .

(٢) الفناء التام أو فناء الفناء . وهو موت القدّيس بعد أن نال " نرفانا " المزعومة ، لأنه في هذه الحالة لايبقى منه شيء ، سواء كان جسما أو روحا ، على حد زعمهم ، ويسمّون هذه الحالة " باريينيرفانا " (Pari Nirvana) (٢)

٧) تفنيد عقيدة " نرفانا " ومناقشتها

ولتفنيد هذه العقيدة أقول وبالله التوفيق :

١) إن " نرفانا " بعد الموت كما تصوّره بوذا وأتباعه ، عقيدة يحيط بها الغموض ، وعلى رغم محاولة العلماء في البوذية في تفسيرها وتعديلها ، فانها لاتزال غامضة مبهمة ، اذ لايخفى أن تصوّر هذه النرفانا بعد الموت أمر صعب ، لايستطيع العقل أن يتخيّله ، فهي ليست مكانا ينتهي اليه الانسان كالجنة والنار في الأديان السماوية ، ولا كائنا تندمج فيه الروح بعد الموت كما هو الحال مع " براماتما " في الهندوسية ، وإنما هي حالة من العدم والفناء ، حالة سلبية لا حياة فيها ولاموت ، ولابعث ولا نشور ، ولا ثواب ولا عقاب ، من العسير أن نتصورها بعد الموت .

(١) والمراد بها عند البوذيين : هو الطعام ، واللباس ، والسكن ، والدواء .
(٢) المبادىء الهامة في البوذية ٢١٤ – ٢١٦

إن هذا التعقيد الغامض مَرَّ على عامة البوذيين فهمه ، إنهم رضوا أن يكون جزاؤهم- بعد البلاء العظيم ، وبعد الحرمان المتصل في الفناء على الشهوات والرغبات - هو الدخول في الفناء الغامض ، والخمود البارد المبهم .

أهذا ثمن هذا الجهاد العنيف الذي قطع فيه الانسان عمره ؟

إنه لا شيء .....

أهذا هو السعادة العليا التي تنتهي اليها الأرواح ، بعد تخلصها من آلام الحياة ، على حد زعمهم .؟

إنه لا شيء .....

إن العقل لايمكن أن يتصوّر السعادة في العدم والفناء ، السعادة من غير الشعور والاحساس ، لأنها سعادة خيالية ، لاحقيقة لها ، ولاوجود ، فالنرفانا في البوذية عالم يشبه الأحلام ، وأسطورة من الأساطير التي ليست حقيقة من حقائق العقيدة الدينية .

٢) أما نرفانا قبل الموت ، أي التخلص من الرغبات والشهوات ، فهي عقيدة باطلة ، ليس لها أساس من الحق ، للأمور الآتية :

أ - إنها تتعارض مع فطرة النفس البشرية التي فطر الناس عليها ، فمن المعلوم بالبداهة والضرورة ، أن الانسان مفطور على الرغبات ، والشهوات ، والميول ، والعواطف ، وما أشبه ذلك من النوازع الفطرية في النفس .

فالحب ، والرضى ، والغضب ، والكراهية ، والحزن ، والطمع ، كل ذلك ماهو

الا صفات من صفات النفس البشرية التي لا يتخلى عنها أحد من البشر. ومن أجل هذا.فان دعوة بوذا الى تجريدها وقمعها دعوة غريبة على الانسان ،لأنها انكار لواقعه ، ومعارضة لفطرته . (١)

فقد غفل بوذا هذا الواقع في الانسان ،وتخيّل أن الانسان ملاك، أو شبه ملاك ،فوضع من القيم والآداب مالا يحتمله ، ولايمكن له أن يقوم بها .

ب ـ إنها مستحيلة في التطبيق ،وان ادّعى من ادّعى من البوذيين خلاف ذلك .لما ذكرته آنفا من تعارضها للفطرة البشرية وواقعيتها ، وعلى سبيل الافتراض ،لو استطاعت بعض النفوس في تطبيقها ، فان الغالبية العظمى من النفوس تقع إزاءها في عجز وعمى .

ومعنى هذا أن أغلبية العظمى من البشر سيظلّون في ظلام ، وتخبّط، وحرمان . وهذا ما اعترفه بوذا نفسه ،وكذلك أتباعه من بعده .

فممّا روي عن بوذا في ذلك قوله :

" ..... وهكذا إن معظم البشرية لا تنتفع بالنرفانا ، مع وجودها في كل مكان وزمان . إنها مستعدة للقاء جميع النفوس البشرية، ولكن النفوس البشرية غير مستعدة للقائها ، لأنها مغطاة بالرغبات." (٢)

وكما قرّر كثير من العلماء في البوذية ، أن قليلين جدا من البشر هم

==========

(١) مر تفصيل هذا الكلام عند الحديث عن الحقائق السامية الأربع في البوذية ، وأعود هنا الى بيان شيء منه للمناسبة .

(٢) ترى بيتاكا (سوتان) ٣٨٤ .

الذين بلغوا " نرفانا " .

واذا كان الأمر كذلك فما فائدة نرفانا التي لا يحققها الا القليل من الناس ؟

وكيف يصلح مثل هذا لأن يكون منهجا لعامتهم ، مع عجزهم عن تحقيقه، بل من فهمه .؟

وعلى كل فان ادّعاء الوصول الى " نرفانا " ادّعاء كاذب ، لأن العقل لايتصوّره ، فما من إنسان الا أن يكون لديه المشاعر النفسية ، من الرغبات والشهوات ، وحتى بوذا نفسه ، لأنه لو وصل الى حالة " نرفانا" - على سبيل الافتراض - لما استطاع أن يعيش بين قومه ويختلط معهم . ولما استطاع أن يعلّمهم هذه الأوهام والتخيلات ، لأن الانسان في هذه الحالة المزعومة ، فارغ من كل المشاعر النفسية ، ومن كل الروابط والقيود التي تربطه بالأشياء . فكيف نتصوّر هذه الحالة في بوذا الذي كان يعيش بين الناس ويعلّمهم .؟ إنه ما عاش بينهم، وما علّمهم مذهبه ، إلا لطمعه وحرصه على طاعتهم ، ورغبته في استمالتهم له .

فالنرفانا إذن فكرة خيالية ، لاحقيقة لها في الوجود . إنها لم تتحقق من قبل ، ولن تتحقق من بعد ، مادام الانسان هو الانسان الذي يتكوّن من الروح والجسد ، حيث لايقبل طغيان أحدهما على الآخر .

جـ - إنها تعارض التقدّم الانساني في كل المجالات .

وقد شهد شاهد من أهل البوذية أنفسهم على هذا ، ذلك هو

الدكتور البوذي " فراموت " (Pramote) (١) إذ يقول :

" إن عقيدة " نرفانا " أو الفناء " Extinction " عقيدة تخالف التقدم والتنمية والنهضة التي تسعى اليها الدولة ، إنها لاتصلح الا لطبقة خاصة من البوذيين ، الذين لايريدون شيأ في حياتهم الا الخمود . أما نحن المدنيين ، فلا تصلح لنا " نرفانا " ، بل إنها من أعظم العقبات التي تقوم ضد النهضة للدولة ".

وهاجم هذا الدكتور البوذي بعض الرهبان البوذيين الذين قاموا بتعليم " نرفانا" وتحفيز الناس على تطبيقها . ثم قال :

" إن الشخص الذي تجرّد من الرغبات المادية ، وتجرد من الميول الذاتية ، لايصلح هذا الشخص أن يعيش في مجتمع الناس ، ولايمكن أن يدبّر شئونه ، لأنه في هذه الحالة ، تتحطّم علائق الجسم وأطماعه بالحياة الأرضية ، إنه لايرى حوله الا مايوجب الابعاد عنه ، إن مثل هذا الشخص ، يصلح له الاعتزال من الناس وعن مجتمعهم ." (٢)

أقول إن مثل هذا الاعتراض من البوذيين أنفسهم خير شهادة على بطلان عقيدة نرفانا ، وعدم صلاحيتها للبشر في أي وجه من الوجوه . لأنها لاتوافق الواقعية في حياة الناس التي خلقت في هذه الأرض لتعميرها و بنائها ، لا للفرار منها .

كيف يصير المجتمع ، بل كيف تصير الدولة اذا كان أفرادها مشغولين

---

(١) عالم سياسي معاصر ، كان يتولى نائبا لرئيس الوزراء في تايلاند ، له عدة مؤلفات ومقالات ، في الأديان ، والسياسة ، والقانون ، والاجتماع .

(٢) من كتابه " ماهو الصواب وما هو الخطأ في تعاليم البوذية ؟ ١ - ٨ .

بنرفانا ، مشغولين بالمجاهدة النفسية . ؟ متى ترتقي حياتهم .؟ وأنى لها أن تصل الى المشاعر ، والأفكار ، والمخترعات التي تعود بالخير على البشرية .؟

٣) وقد ترتبت على اعتقادهم بنرفانا مفاسد كثيرة منها :

أ ـ عبادة الرهبان والقديسين الذين زعموا أنهم بلغوا نرفانا ، فإنهم بمقام الاله عند البوذيين كما أسلفنا .

ب ـ كثرة المدّعين بعلم الغيب في مجتمعهم ، للتضليل ، والخداع ، وكسب أموال الناس بالباطل .

جـ ـ كثرة الفساد والانحراف الأخلاقي في مجتمعهم ، لاعتقادهم بأن النرفانا ستأتي اليهم يوما من الأيام ، وأن كل انسان لابدّ له من نهاية في دورات التناسخ ، فأخّروا الاصلاح ، واهملوا الالتزام بالقيم والمثل الاخلاقية .

د ـ إنها تدعو الى الرهبانية ، بايجاد طائفة معينة ، تتقيّد بالآداب والسلوك دون غيرهم ، وذلك لأن تعاليم " نرفانا " لم تطبّق في واقع حياتهم ، الا في أفراد قلائل ، هم الذين ترهبنوا ، واعتزلوا الحياة كلها . إن هذه هي الطريقة الوحيدة في نظرهم التي يستطيعون بها تنفيذ هذه التعاليم على الوجه الأكمل المطلوب كما يزعمون .

وسيأتي بحثه مفصلا في الفصل الآتي ان شاء الله .

هـ) امتحان الجسد بالرياضات المختلفة ، كوسيلة لا وسيلة فيرها للارتفاع بالروح ، على حدّ زعمهم .

وقد تأثر بفلسفة " نرفانا " كثير من الهنود ، وسرت الى الشرق والغرب قديما وحديثا ، فتأثر بها في القدم فلاسفة اليونان ، وبعض فلاسفة المسلمين من الصوفيين وغيرهم (١) كما سيأتي بحثه مفصلا ان شاء الله

٨) الاسلام دين الفطرة لايقرّ بالنرفانا

إن الاسلام دين الفطرة ، لايخالف في توجيهاته الفكرية ، وفي تعليماته الاخلاقية ، واقع الانسان ، وواقع الكون ، وواقع الحياة ، ومن أجل هذا فلا يقرّ الاسلام بعقيدة " نرفانا " أو الفناء التي تدعو الى تجريد النفس عن الرغبات ، وكبت نوازعها ، حتى تتعطّل ارادتها وتموت . والاسلام قد عرف طبيعة الانسان حق معرفتها ، لأن الاسلام كلمة الله ، والانسان خلق الله ، وخالق الشيء لا يجهل طبيعته وكنهه. ومن هنا يتميّز الاسلام عن البوذية ، بل عن الأديان كلها ، بنظرته الشاملة المحيطة لحقيقة الانسان وطبيعته .

فقد اعترف الاسلام بالدوافع الفطرية في نفس الانسان ، من الرغبات والشهوات ، وقد أشار الى ذلك كثير من الآيات القرآنية .

فعن حبّ الشهوات قوله تعالى :

" زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة

(١) قارن قصة الحضارة ٣/ ٦٣

من الذهب ، والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ، والحرث ... الآية " (١)

ومن الحرص والميل قوله تعالى :

"ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل .... " الآية (٢)

ومن الحزن والفرح قوله تعالى :

" لكيلا تأسوا على مافاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لايحب كل مختال فخور " (٣)

ومن الغضب قوله تعالى :

" واذا ما غضبوا هم يغفرون " (٤)

ومن الحسد قوله تعالى :

" أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله " (٥)

ومن الطمع قوله تعالى :

" وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ." (٦)

وغير ذلك من الآيات ، كما أشار الى ذلك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

---

(١) آل عمران ١٤

(٢) النساء ١٢٩

(٣) الحديد ٢٣

(٤) الشورى ٣٧

(٥) النساء ٥٤

(٦) المدثر ١٢ – ١٦ .

" لو كان لابن آدم واديان من مال ، لابتغى واديا ثالثا ، ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب ." (١)

هذا الحديث يدلّ على أن الاسلام اعترف بطبيعة البشرية ، من الطمع والحرص على الدنيا ، وحب المكاثرة بها ، والرغبة فيها . وكذلك الآيات الكريمة تدلّ على اعتراف الاسلام بالدوافع الفطرية في الانسان، وأنه لم يحرّمها تحريما مطلقا ، ولكنه يدعو الى تنظيمها ،ويدعو الى ممارستها وتهذيبها في إطار الضوابط التي رسمها الله لحماية الطبيعة البشرية من الانهيار والتدمير ، ومن الاباحية والفساد ، إن هذه الضوابط تقوم على أساس الاعتدال ، والتوازن بين قوى الانسان الجامع بين الروح والجسد ، والتوازن بين الاشواق العليا ورغبات الحس، حيث يتحقّق مطالبهما جميعا ، دون طغيان أحدهما على الآخر. جاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس، فسأل عنه ، فقالوا : ، يارسول الله ، إنه نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يقعد ، ولايستظل ، ولايتكلم ، ويصوم . فقال عليه الصلاة والسلام : " مره فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتمّ صومه " (٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١١٩/٤ ،كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال ،ورواه مسلم ٧٢٥/٢ في كتاب الزكاة برقم (١٠٤٨) ، ورواه أحمد في مسنده ٣٤١/٣ .
ومعنى : لايملأ جوفه الا التراب : أي أنه لايزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره . والحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : " ويتوب الله على من تاب " وهو متعلق بما قبله ، ومعناه : ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات (صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٣٩ ، ١٤٠)

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٩ ـ ١٦٠كتاب الأيمان والنذور،باب النذرفيما لا يملك وفي معصية .

وعلى هذا الأساس أنكر الاسلام طريقين لتحرير الانسان، هما التقشف والاباحة ، وجاء الاسلام بعبادة واقعية ، تراعي واقع الحياة ،وظروفها المختلفة ، فجعل العبادة عملا ، والعمل عبادة ، بل جعل الاتصال الجنسي بطريقة مشروعة من العبادة . ففي الحديث الشريف " وفي بضع أحدكم صدقة " (١)

إن الاسلام وضع طرائق لتزكية النفوس، وتهذيب الأخلاق ، وتقوية الصلة بين الانسان وبين ربه .

وتتمثل هذه الطرائق في العبادات المختلفة ، كالصلاة ، والزكاة ، والحج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك ، إن هذه العبادات تصل الانسان بربه ، ولاتقطعه عن مجتمعه ، يعمّر بها آخرته ، ولا تخرب من وراثها دنياه ، إنها تقوم على الايمان بالله ، واليوم الآخر ، الذي هو المصدر الوحيد لسكينة النفس وطمأنينتها .

قال تعالى : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب " (٢)

إن ذكر الله الذي يتمثّل في العبادات كلها ، هو الوسيلة الوحيدة لازالة الألم في النفس، وللارتفاع بها ، وسكينتها ، وليست الرياضات أو التأملات الشاقة التي ليست سوى أوهام ، لايقبلها العقل ،ولاتستجيب لها الفطرة السليمة .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٩٧ (رقم ١٠٠٦) كتاب الزكاة ،باب بيان أنّ اسم الصدقة يقع على كلّ نوع من المعروف،ورواه أيضا أحمد في مسنده ١٦٧/٥ .

(٢) الرعد ٢٨ .

الفصل الرابع : الرهبنة فى البوذية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الاول : التعريف بالرهبنة البوذية ونشأتها

المبحث الثانى : الموازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة النصرانية

المبحث الثالث : نماذج من التقاليد والخصائص والنظم والآداب فى الرهبنة البوذية

المبحث الرابع : القديسون وعبادتهم

المبحث الخامس : بيان ما فى الرهبنة البوذية من الفساد

المبحث السادس : موقف الإسلام من الرهبنة

الفصل الرابع : الرهبنـــة في البوذية

تمهيد :

عرفنا من خلال المباحث السابقة ، أن تعاليم البوذية كلّها ، تدور على شيء واحد ، وهو إفناء الرغبات والشهوات والدخول في " نرفانا ".ولا يخفى أن تحقيق ذلك ليس بأمر هيّن ، إذ يحتاج من يسلك طريقه الى مجاهدات خاصة ، وعلى هذا الأساس ظهر نظام الرهبنة في البوذية. وقد خصّ هذا النظام طائفة معينة من البوذيين دون الجمهور ، واختصت هذه الطائفة بتلاميذ بوذا وأتباعه الذين كرّسوا أنفسهم علـــى الرهبنة ، وأطلق عليهم اسم " بيهكشو "(Bhikshu) أي الراهـــب المتسوّل . أما بقية البوذيين الأحرار ، فأطلق عليهم اسم " كاروات " (Karawat) أي ساكنو البيوت ، لأن مهمّتهم لا تعدو إعالـة جماعة الرهبان الذين يبتغون الوصول الى سموّ الروحاني حتى ينالوها.

المبحث الأول : تعريف الرهبنة البوذية ونشأتها

أ ـ التعريف بالرهبنة البوذية وبيانها

يطلق على الرهبنة البوذية في اللغة البالية (Pali) اسم " بارباشا" (Barphasha)وهي مركّبة من كلمتين " بار" أي الزهد ، أو الاعتزال. و " باشا " أي المطلق ، أو التام ، فيكون المعنى : الزهد المطلـــق أو الاعتزال التام ، والمراد به هو الاعتزال عن البيوت والمساكن والاعتزال عن أسلوب حياة أهلها الى أسلوب رهباني ، وهو التنسك والتبتل. (١)

---

(١) مجموعة المصطلحات البوذية ٢٦٠ ، ٢٧١

وقد عرّفها بعض العلماء في البوذية بأنها هي الامتناع عن جميع الرزائل ، والاعتزال التام عن الحياة المدنية ، أو بتعبير آخر الاعتزال من العالم كله ، ويعني بذلك الاعتزال عن النهج الذي يعيش فيه أهل العالم . (١)

وهذا المعنى هو المنصوص في كتاب " ترى بيتاكا " (٢) في جميع استعماله لهذه الكلمة .

وقد فسر القديس " بوذتات فيكشو " هذا المعنى فيقول :

" إن المراد بالرهبنة البوذية هو الاعتزال الكلي عن جميع شئون الحياة المدنيّة . (٣) ولخّصها في سبعة أشياء :

١) الاعتزال من الحياة المدنية في تملّك الأموال والثروة . فالراهب البوذي لايملك شيئا ، لأنه يعيش على مدّ اليد للتسوّل والاستجداء . وليس له حق في التملّك ، بل عليه القناعة والرضى بما قدّم له

= أما الرهبنة في اللغة العربية فتعني طريقة الرهبان في الزهد والعزلة . قال ابن الاثير في النهاية (٢/ ٢٨٠ – ٢٨١) الرهبانية منسوبة الى الرهبنة بزيادة الألف ..... وهي من رهبنة النصارى ، وأصلها من الرهبة : الخوف . كانوا يترهّبون بالتخلي من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعمّد مشاقها ، حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه ، وغير ذلك من أنواع التعذيب . فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم ونهى المسلمين عنها " . قال في اللسان (١/ ٤٣٧ – ٤٣٨) والرهبانية مصدر الراهب ، والرهبنة فعلنة منه أو فعللة على تقدير أصلية النون وزيادتها .

(١) قاموس المصطلحات البوذية ١٣٢

(٢) وقد خص هذا الكتاب موضوع الرهبنة في قسم خاص يسمى " فينايا بيتاكا " (Vinaya Pitaka) يتضمن كل مايتعلق بالرهبنة من نظامها ، وأدبها ، وطقوسها ، وما أشبه ذلك .

(٣) والمراد أي شئون البوذيين المدنيين الساكني البيوت ، لأن =

المدنيون من الطعام ، واللباس ،والسكن ، والدواء . ويعتبر ذلك من حقوقه المشروعة له .

٢) الاعتزال من الحياة المدنية ، في الترابط ، والاتصال بالأقارب، مما يسبب الهموم ، والتعلق ، والتورط .

فليس هناك علاقة أبوية ، أو بنوية ، أوغيرهما ، بين الراهب البوذي وغيره من المدنيين ،لهذا فلا غرابة أن نجد بين البوذيين من يسجد لابنه المترهّب كسجوده للآلهة ، وتحكي القصة البوذية أن معظم الرهبان البوذيين في عصر بوذا لم يزوروا بيوتهم ، ولم يزوروا أهاليهم وأقاربهم طوال حياتهم الرهبانية .

٣) الاعتزال عن العادة المدنية في اللباس .

فلا يلبس الرهبان لباس المدنيين ، واكتفوا بلباسهم الخاص ،وهو عبارة عن الازار والرداء الأصفرين ، ولايجوز لهم قصد الجمال أو التنعّم باللباس ،لأن ذلك من عادات المدنيين لا الرهبانيين .

٤) الاعتزال عن العادة المدنية في الأكل .

فلا ياكل الرهبان أكثر من مرة واحدة في اليوم ، ولايجوز لهم الأكل بالليل كما لايجوز لهم الأكل بالتلذذ والتشهي ،لأن ذلك من صفات المدنيين .

ومما روي عن بوذا في ذلك قوله :

" أيها الرهبان كلوا من الطعام كما ياكل الوالد لحم ولده الميت في حالة الاضطرار حفظا لحياته "

=== البوذية تقسّم أهلها الى طائفتين،المدنيين،وهم ساكنوا المنازل والبيوت. والرهبان،وهم المتنازلون عن البيوت والأموال، وعن الشهوات واللذّات، لممارسة الحياة الرهبانيّة .

٥) الاعتزال من الأدوات التي يستعملها المدنيّون . من الأدوات الثمينة والفاخرة . كالذهب ، والفضة . وماشابه ذلك .

٦ ، ٧) الاعتزال من الكلام الذي يتكلم به المدنيون ، وعن تصرفاتهم، وأفكارهم (١) ، التي تتولد دائما عن الرغبات والشهوات من غير مراقبة .

فالرهبنة البوذية على هذا التعريف والبيان ، لاتعني الامتناع عن شيء معين كالزواج فحسب ، ولكنها تقتضي الاعتزال التام . والزهد المطلق في المال ،والملبس ، والطعام ، وفي كل شئون المدنيين ، وعاداتهم ، وشعورهم . ومن المعروف ان هذا النمط من الرهبنة البوذية هو الذي تدين به الكنيسة النصرانية بعدها ، وان اختلفت بينهما في بعض النظم والتقاليد ، إلا أن منهجهما منهج واحد .

فالمطلع والباحث في مقارنة الأديان ، يجد أن الرهبان النصرانيين في آدابهم ، وتصرفاتهم ، اتبعوا المنهج البوذي دون تحريف ،فالترهب والتبتل ، وقمع الشهوات . وكبتها ، هي سياسة البوذية ، وكذلك الهندوسية قبلها .(٢)

وسيأتي الكلام عن اللقاء بين المسيحية والبوذية في الرهبنة قريبا ان شاء الله .

ب) الغرض من الرهبنة في البوذية

إن الغرض الحقيقي للرهبنة في البوذية، هو إعدام الألم ، والتسامي

(١) من كتاب تعاليم الرهبان : للقديس بودتات بيهكشو من ٥ -- ٨ وأيضا ٢٨ – ٢٩ .

(٢) انظر المسيحية ٢٤٤ – ٢٤٦

بالروح ، أو الوصول الى " نرفانا " في هذه الحياة ، فقد اعتقد البوذيون فيما زعموا أن الوصول الى " نرفانا " في أسرع وقت ممكن لايتم، الا بانخراطهم في سلك الرهبنة ، وذلك لأن الحياة المدنية أو المنزلية على حدّ تعبيرهم ، لها عقبات ، ولها موانع كثيرة ،قد تحول دون الوصول الى "نرفانا " في هذه الحياة (١) أما الرهبانية فانها تتيح لهم فرصة أكثر للوصول الى " نرفانا " ، لأنها تحررت من جميع القيود والعقبات ، وتحررت من الشهوات ، واللذات ،ومن نعيم الدنيا ، وزخارفها .

وقد ذهب بوذا الى أن الرهبانية أسلوب جليل من أساليب الحياة، لما فيها من تضحية شاقة ، لايصلح لها كل انسان ، ولايقدر عليها كل انسان ، ولا يصل الى غايتها كل من سلك سبيلها ، كما زعم أنها أسمى وظيفة البشر ، وأن أصحابها هم في أسمى مراتب الناس.(٢) فقد أكّد بوذا في كثير من كلامه خطورة الحياة المدنية ، فمثّلها مرة بالبحر الواسع المخيف ، ومرة أخرى بالغابة المليئة بالحيوان المفترس (٣)

ولا يخفى أن بوذا قصد من هذا التمثيل تخويف أتباعه من الحياة

---

(١) تعاليم للرهبان ٢٧ ،٢٨

(٢) انظر ترى بيتاكا (فينايا) ١٣٨
وسأعود فيما بعد بالنقد لهذا التفكير البوذي الذي يجر على العالم الخراب والدمار في مبحث مستقل ان شاء الله .

(٣) من نص طويل لم أجد في ذكره بالتفصيل فائدة ولذلك اختصرته .
ترى بيتاكا (فينايا) ٢٠٩

المدنية ليلتحقوا معه بالرهبانية ، وليبلغوا الهدف المزعوم " نرفانا" في حياتهم الراهنة ، ومن أجل هذا تنادي البوذية بالرهبانية ، وتفرض لجميع الرجال البوذيين أن يدخلوا فيها مرة في حياتهم ، أمـــــا نساؤهم فرهبانيتهن على سبيل الاختيار ، لاعلى سبيل الالزام . (١)

جـ) نشأة الرهبنة في البوذية وتطورها

يرجع تاريخ نشأة الرهبنة في البوذية الى العصر البوذي الأول أي في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد ، عندما انتشرت في ذلك العصر مظاهر الرهبانية ، وذلك بظهور عدد من النساك والرهبان من البراهمة ، والجينيين ، واليوجيين ، وغيرهم ، كان هؤلاء ينقطعـــون الى الغابات والكهوف ، متنسّكين ، مترهبين ، مبتعدين عن العالم ، وعن نعيم الدنيا وزخارفها ،

فبعضهم يستغرقون في التأمل والتفكير في أسرار الحياة وفـــكّ طلاسمها ، وبعض الآخرين يتدرّبون جميع أنواع التعب والمشقة ، زاعمين أن ذلك تنقية للروح ، وتحرير لها من القيود الجسمانية ومعوقاتها. (٢)

وكان كثير منهم ينتقلون من قرية الى قرية لاستجداء الطعـــــام ، ويتجولون في القرى والأرياف ، لنشر مبادئهم وأفكارهم ، وكانـــــت الطبيعة والأجواء قد أملت عليهم ظاهرة التحمل والصبر على المتاعب

---

(١) انظر تعاليم للرهبان ١٤ ، ١٥

(٢) Introduction to indian philosophy P.P 520,52I.

والمشاق . (١)

وكان من بين هؤلاء النساك الأمير " سيدهارتا " مؤسّس البوذية، فقد اتخذ الرهبانية شريعة له في الحياة ، منذ خروجه من القصر حتى آخر حياته .

تروي القصة البوذية أن بوذا قد اتخذ حياة الزهد ، والتقشف ،والنسك منذ مغادرته القصر، ولم يخرج منها حتى نالته الوفاة. (٢)

وعلى رغم من إعلانه أخيرا أن خير مايوصله الى غايته هو العقل، وليس الزهد والتقشف ، الا انه لم يستطع التخلي من تفكيره القديم تخليا تاما ، ولهذا نجد أن قصة حياته كلها قدوة لأتباعه في الحياة الرهبانية لاغير .

فقد روى كتاب " ترى بيتاكا " أن بوذا عاش حياة التنقّل والتجوّل، ومارسها طوال حياته ، دون راحة أو سكون ، ودون قرار أو مستقر، لم يتخذ له مسكنا رغم أنه ابنا للملك ،وان له كثيرا من المال والثروة ، كان يلبس كساء اليوجيين والرهبان طول حياته ، وهو عبارة عن الازار الأصفر المصبوغ بالزعفران ، وكان يحلق رأسه ، ويمشي حافيا في الطريق ، واذا حل في أي قرية لنشر دعوته ، كان يوفّر له أهلها المسكن والمأوى ، والأكل والشراب ،له ولحواريه ، ولم تنشأ الأديرة التي تنتشر اليوم طول حياته (٣)

---

(١) الفلسفة البوذية ٣٣ (٢) قصة بوذا ١/ ٤٨

(٣) انظر ترى بيتاكا (فيتايا) ١٥٣ ،١٥٤

إن قصة رهبانية بوذا – في واقع أمرها – لاتخرج من نمط هؤلاء النساك الذين عاصرهم ، غير أن بوذا قد ادّعى ما ادّعى من حصوله على الحكمة والاستنارة .

وادّعى أنه كرّس حياته كلها على انقاذ البشرية من ويلات الآلام ، والأحزان ، والمشكلات ، بالطريقة السلمية الايجابية ، فأعجب به كثيرون من الشبان والكهول ، من الرجال والنساء ، ولازمه هؤلاء على الدوام ، ثم حاولوا اقتفاء أثره في كل شيء ، في الملبس ، والمأكل ، والمشرب ، والمسكن ، والمأوى .

إن معظم تلاميذه قد ترهبوا ، وتنازلوا من بيوتهم وأهاليهم ، ومن أموالهم ومناصبهم ، ليتبعوا بوذا ، ويزاولوا معه تدريبات روحية بالامتناع عن جميع الشهوات واللذات الكلية ، فلا يكون همّهم ورغبتهم الا التحرير من القيود الجسمانية ، للوصول الى البغية المنشودة ، وهي " نرفانا " على حد زعمهم .

وقد روى كتاب " ترى بيتاكا " حكايات كثيرة من رهبانية بوذا وتلاميذه ، وعن النظم والتقاليد التي رسمها بوذا لهم ، مما يؤكد أن الرهبنة في البوذية نظام يستهوي نفوس البوذيين في الهند منذ الجيل الأول للتاريخ البوذي .

وقد مرت الرهبنة في البوذية بمراحل ، فكانت بالمرحلة الأولى هروبا من الحياة المدنية ، وبعدا عن المدن والقرى ، وعن متاع الدنيا وانطلاقا في الغابة ، بقصد محاربة الجسد ، وكبح الغريزة الجنسية ، والاكثار

من عبادة التركيز والتأمل ، مع المحافظة على الوحدة ، والتفـــــرد والعزلة .

ولما طال الزمن ، كثر عدد البوذيين الراغبين في الترهب ، ومال هؤلاء الى نوع من الاجتماع والمعاشرة ، فكوّنوا جماعات منظّمة ، تتألف من أصحاب الميول الواحدة رجالا ونساء ، لهم قوانين وآداب خاصة بهم ، واتخذوا لأنفسهم اسم " بيهكشو سانغا " (Bhikshu Sangka) أي جماعة الرهبان المتسولين ، تعبيرا عن زهدهم في الدنيا ، وبنوا لهم أكواخا أو صوامع متجاورة ، يطلق عليها في البالية والسنسكريتية اسم " أشرام " (Ashram) (١)

ثم انتهى بهم الأمر بعد مرور الزمن ، الى إنشاء المعابد الفاخرة ، وإنشاء الأديرة (٢) للرهبان ، وانتشرت هنا وهناك في ربوع الهند .(٣)

---

(١) قوانين الرهبنة ١/ ١٥

(٢) والأديرة البوذية كما شاهدتها في تايلاند ، وماليزيا ، وبرما ، وفي بعض البلاد المتجاورة ، عبارة عن البيوت أو المباني التي تبنى حول المعابد البوذية ، ليسكن فيها الراهبون ، وكذلك الراهبات. وكانت الأديرة في القديم بيوتا صغيرة تقام في الغابة بعيدة عن الناس ، ثم تطوّرت بعد ذلك الى المباني الكبيرة تبنى حول معبد في المدن والقرى ، وتسمى في البالية " كوتي "(Kuti) أي مسكن الرهبان Priest's cell (من كتاب مجموعة المصطلحات البوذية ٣٤)

(٣) انظر تاريخ الديانة البوذية ١٣٠ . وعلى مرور الزمن انحطت البوذية في الهند ، وخرجت منها الى أنحاء شرق آسيا ، فلم يبق فيها اليوم الا الآثار ، وبعض النشاطات الدينية التي يقوم بها عدد قليل من البوذيين في الهند .

ومن هنا يمكن القول ، بأن الزهد والعزلة هما من الدعائم الأولى للحياة الديرية في البوذية ، لأنهما مهّدا في أول الأمر لنوع من حيـــــاة الرهبانية الانفرادية ، يُمثّل ذلك في رهبانية بوذا وحواريه ، ثـــم تحوّلت بعد ذلك الى حياة ديرية اجتماعية بعد انتشار المعابـد والأديرة .

يقول الدكتور غوستاف لوبون الذي عاش فترة في الهند ودرس ما فيها من الديانات :

" والزهد أحسن وسيلة لنيل حال " بوذا " ، ومن هنا جاء النظـام الرهباني الذي لم يعتم أن ملأ الهند بالأديار ، وأقوى طريقة يتّخذها الانسان ليكون بوذا ، هو أن يقتل في نفسه الرغبة التي هي علـة الحياة والألم ، وهذا ما تهدي اليه الحقائق الكبرى الأربع التي هـي أساس الشريعة البوذية ، والتي تخاطب رجال الرهبان لا الجمهور " (١)

كما تحدث الدكتور محمد اسماعيل الندوي ، في كتابه " الهند القديمة " (٢) مبيّنا تطوّرات مدرسة بوذا الرهبانية فيقول :

" ومن النظم التربوية السائدة في مدرسة بوذا الروحية المتنقلـة ، أن حواريه كانوا يعقدون الاجتماعات فيما بينهم ، ويقومون برحلات روحية للتدريب على تعاليمه ، وتنقية الروح من الأوثان ، ويعلنون على مسمع من الناس ومرأى منهم ذنوبهم التي ارتكبوها حتى لا يعـودوا

==========

(١) حضارات الهند ٣٦٠ – ٣٦١

(٢) صفحة ١٥١

اليها مرة أخرى .

فلما كثر عدد أتباعه في كل قرية ، اتبع هؤلاء نظام المجالس القروية الموجودة في كل قرية منذ القدم ، أي منذ قدوم الآريين الى الهند ، وحاولوا عرض الأمور الدينية والدنيوية التي تعترضهم بين حين وآخر في هذه المجالس لحلها عن طريق المناقشة الحرة ،وكانت القرارات تتخذ بالاجماع ، ثم تنفذ ، وكان ينتخب أعضاء المجلس من بين الرهبان أنفسهم ، وبهذا قامت الأديار رويدا رويدا،وتلتها التنظيمات السياسية ، والطرق التبشيرية في البوذية."

أما القوانين ،والنظم ، والتقاليد في الرهبنة ، فانها تمت وتوطدت تدريجيا على أيدي الرهبان البوذيين أنفسهم ، ولم يقع بوذا في حياته صورة أو شكلا معينا للنظام البوذي كما هو معروف اليوم، بل تم ذلك بعد وفاته على أيدي الرهبان الأوائل ،ثم الذين بعدهم ، حيث أدخلوا عليها تعديلات واضافات كثيرة ، حسب أهوائهم ومصالحهم ، كما هو شأن سائر القوانين والنظم الوضعية .

وبعد مرور الزمن وكثرة التعديلات دونت النظم الرهبانية في البوذية وأصبحت قانونا رهبانيا يحكم به الرهبان البوذيون فيما بينهم .

المبحث الثاني

الموازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة النصرانية (١)

لايخفى على كل باحث في الأديان ،أن هناك صلة وثيقة بين البوذية والنصرانية في النظام الرهباني ،وذلك لوجود ملامح متشابهة بين الرهبانيتين مما يؤكد أن النصرانية قد اقتبست رهبانيتها من البوذية التي سبقتها بما يقرب من ستة قرون .

ومن الأدلة التي تؤيد هذا القول :

١) من الأدلة التاريخية التي أثبتها المؤرخون والباحثون في الأديان أن الرهبنة النصرانية نشأت أول مانشأت في مصر ، وذلك في خلال القرن الثالث الميلادي .(٢) ثم نقلها الرهبان الاقباط الى ايطاليا وفرنسا وغيرهما من الدول .(٣) كما أن أولى الأديرة التي عرفتها المسيحية كانت في مصر .(٤)

ولقد أثبت المؤرخون أن هناك لقاء بين النصرانية والبوذية في مصر ،

==========

(١) ان الكلام عن الرهبنة في النصرانية يحتاج الى بحث طويل، ولست بصدده ، وانما أريد في هذا البحث الموجز إثبات وجود الصلة بين الديانتين في الرهبنة .

(٢) انظر : سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والاسلام :للدكتور محمد جلال شرف والدكتور عبدالرحمن محمد عيسوى ٣٣٦ والاسلام والفلسفات القديمة لأنورجندى ٢١٢

(٣) انظر : المسيحية ٢٤٦ نقلا عن : تاريخ الأقباط : للاستاذ زكي شنودة ٢١٤ ، وأنظر : أيضا تاريخ أوربا في العصور الوسطى ١٣٠

(٤) تاريخ أوربا في العصور الوسطى للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ١٢٩ نقلا عن Cam med hist vol I p. 524

وخاصة في الاسكندرية في خلال القرنين الثاني والثالث الميلاد يين(١) حيث كانت الاسكندرية في ذلك الوقت مركز الحضارة الرومانية ، وقد بلغت× في الحضارة والتقدم ، وصارت من الناحية التجارية المركز الأول قرة في العالم .(٢)

وقد كثر توافد تجّار الهند وسفرائها على الاسكندرية من المناطق المختلفة ، وتردّد عليها كثير من البوذيين والجينيين ، وهم في طريقهم الى الروم . وهناك وثائق عديدة تشير الى مثل هذه الزيارات.(٣) ومن هنا يعتقد المؤرخ " راوليسون " (Rawlison) أن الاسكندرية كانت على علم تام ومعرفة كاملة بأديان الهند ، وفرقها ، ونحلها. وأن النصارى في الاسكندرية قد اتخذوا منها معظم خصائصها وملامحها البارزة مثل السبحة ، واتخذوها رمز التقديس والمهابة ، وبالغوا في الرياضات البدنية ، والرهبانية ، والعزلة (٤).

---

(١) انظر الهند القديمة حضاراتها وديانـاتها ٢١٨ – ٢٢٢

(٢) المصدر السابق ٢٠٧ ، ٢٢٢

(٣) انظر المصدر السابق ٢١٨

يقول المؤرخ " راوليسون " (Rawlison) إن بولس الرسول ت٦٧ م نال ترحابا حارا في المدرسة الاسكندرية ، كما نال الراهب البوذي " باريغازا " (Barigaza) نفس التقدير والترحاب ، كما روي أيضا أنه اتصل بالتصوف الهندي والبوذي العالم المسيحي الشهير " اوريجين " (Origen) المتوفى سنة ٢٥٤ م ذلك الذي عرف الكنيسة المسيحية بصورة منظمة ومنسّقة لأول مرة.

انظر الهند القديمة ٢١٨ ٢١٩ ، ٢٢٠

(٤) انظر المصدر السابق ٢١٨ ، ٢٢٠

ويقول الباحث البوذي الدكتور " فراموت " (Pramote) في كتابه "الأديان الحية في العالم " (١) :

" من المحتمل جدا أن تكون النصرانية في الامبراطورية الرومانية قد تأثرت رهبانيتها الى حد بعيد من الديانة البوذية التي خرجت من موطنها الأصلي الهند في ذلك الوقت، وانتشر معتنقوها في العالم الروماني عن طريق القوافل التجارية وغيرها."

٢) اتفقت النصرانية مع البوذية في كثير من المبادىء والتعاليم، وقد أشرت الى ذلك في غير موضع . أما في الرهبانية فقد اتفقت معها أيضا الى حد بعيد، لأن ظهور الكنائس النصرانية وسلطانها ونظمها في البداية شبيهة بالبوذية الى درجة كبيرة جدا، ولعل انتشار الأديرة البوذية في أنحاء العالم بعد بوذا بقرون ، وفي الشرق الأوسط بالذات أيام الاغريق، أعطى المسيحية فكرة انشاء الكنائس على منوالها (٢)

ومن الشواهد التي يمكن الاستشهاد بها على ذلك ما سجلته بعثة فرنسية من الإرساليات التي قامت برحلة تبشيرية في عام ١٨٤٢ م الى " لهاسا " (Lhasa) عاصمة التبت (Tibet) الواقعة على رأس الهملايا (Himaliya)،حيث اندهشت البعثة الى أقصى الحدود حينما

==========

(١) صفحة ٢٠٣

(٢) انظر الهند القديمة ٢٢١

وجدت تشابها كبيرا في المراسيم البوذية وطقوسها وبين المسيحية الكاثوليكية (١) ، لأنها شاهدت في الأديرة البوذية في " لهاسا " صولجان (٢) الأسقف ، وتاجه ، ورداء الكاهن على نفس الطريق الكاثوليكية ، كذلك وجدت صورة مماثلة في جوقتين (٣) للمنشدين

---

(١) نسبة الى الكنيسة الكاثوليكية (Catholicism) ومعنى الكاثوليكية : العامة ، وانما سميت بذلك لادعائهم أنها أمّ الكنائس ، وأنها وحدها التي تنشر النصرانية في العالم ، وتسمى كذلك الكنيسة الغربية أو اللاتينية ، لانها غلبت على الغرب اللاتين خاصة ، فصارت لها السيطرة في ايطاليا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، واسبانيا ، والبرتغال . وقد تشمل غيرها من البلدان. والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية هو بابا روما ، ويعاونه الكرادلة ، وله الحق في التحليل والتحريم كما شاء وكيف شاء. ومن أهم ماتميز به الكاثوليك في العقائد انهم اعتقدوا أن روح القدس نشأ من الله الأب ومن الله الابن معا ، كما انهم يعتقدون بالمساواة الكاملة بين الله الأب والله الابن، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، كما يعتقدون أيضا أن المغفرة من حق الكنيسة ، تمنحها لمن شاء ، وتمنعها عمن تشاء . (من كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٥٥ .)

(٢) صولجان : فارسي ومعناه العود المعوج أو معا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (اللسان ٢/ ٣١٠) والاسقف : كلمة يونانية معناها راهب نصراني في درجة الاسقف وهي فوق القسيس ودون المطران ، والجمع أساقفة أو أساقف (الرائد . ١/ ١٣٤ .)

(٣) جوقة : الجماعة من الناس قال ابن سيده : وأحسبه دخيلا (اللسان ١٠ / ٣٧ .)

في المكان المقدس ، وفي الأناشيد ، والتعاويذ ، والمبخرة المربوطة بخمس سلاسل ، ومنح البركة للمصلين على جبينهم باليد اليمنى للكاهن. وكذلك كانت السبحة ' (١) . وعزوبة الكليروس ،(٢) مماثلة للكاثوليكية وناهيك بالتشابه الكامل في الرهبانية ، والعزلة عن الدنيا ،والاعتكاف، والصيام ، والمواكب الدينية ، والابتهالات ،ورش الماء المقدس .

ومن المعروف أنّ التبت(Tibet) لم تكن على صلة مباشرة بالشرق الأوسط ، بل عاشت في عزلة تامة عن الدنيا ماعدا الهند ، لقد انتشرت البوذية فيها قديما من طريق الهند ،وهذا الأمر يؤكد أصالة البوذية في هذه الأمور الطقوسية كلها ، تلك التي كانت منتشرة ومعروفة في أنحاء العالم البوذي في ذلك الحين ،وبصفة خاصة في العالم الروماني ، ومن هنا دخلت بحذافيرها الى المسيحية في الاسكندرية في العهد الروماني. (٣)

٣) من الأوجه المتشابهة بين الديانتين في الرهبنة ، وجود المفاسد والانحرافات في كل من الأديرة البوذية والنصرانية ، وهو أمر معروف لدى الباحثين في تاريخ الأديان ، لأن الكبت العنيف الذي تفرضه الرهبانية لا يمكن تنفيذه ، ويؤدي في النهاية الى نتيجة عكسية

==========

(١) السبحة بضم السين هي الخرازات التي يعد المسبح بها تسبيحه وهي كلمة مولدة (اللسان ٢/ ٤٧٣)

(٢) هي الكهنة عند النصارى كالقسوس والاساقفة . الواحد الاكليريكي وهي نصرانية دخيلة .

(٣) الهند القديمة ٢٢٠ ، ٢٢١

من الانحرافات (١)

ومن الأوجه المتشابهة أيضا عبادة الرهبان والقديسين ، فالبوذيون يعبدون بوذا ، ويعبدون جميع الرهبان والقديسين ، ويعتبرونهم واحدا من الثالوث المقدس . (٢)

كذلك النصارى غلوا في نبيهم عيسى عليه السلام ، فجعلوه شريك الخالق سبحانه وتعالى ، وجزءا منه ، وإلها آخر معه ، وغلوا في قديسيهم وصالحيهم ، فيعبدونهم من دون الله . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى :

" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم " (٣)

٤) علاوة على ماذكرناه اذا قمنا بالموازنة بين الأقوال المنسوبة الى المسيح في الأناجيل المحرّفة ، وبين أقوال بوذا ، نجد بينهما تشابها كبيرا

وفيما يلي أذكر بعض النصوص الواردة في كلّ من " ترى بيتاكا " والأناجيل الأربعة للموازنة بينهما :

أ) في ترى بيتاكا (٤)

أوصى بوذا اتباعه بأن يطرحوا الدنيا جانبا ، ويتنازلوا عن

---

(١) عن الديرية النصرانية وانحرافاتها انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى ١٢٧ – ١٤٦ ، وأيضا : المسيحية ٢٤٦ – ٢٥١ أما الديرية البوذية فسيأتي الكلام عنها ان شاء الله .

(٢) سبق بيانه في صفحة ١٩٨ .

(٣) التوبة ٣١

(٤) سوتان ٦١٣

بيوتهم ، وأموالهم ، وأهاليهم ، ويؤثروا الفقر،والعيش على التسوّل ، وكان يقول لشاب ثري يدعى " ياشاش " الذي جاء ليكون واحدا من تلاميذه :

" إن أردت أن تكون طاهرا صافيا ،وتعيش في بهجة خالدة ،فتنازل من العالم ، عن الحياة المدنية ، واتبعني تعش في بهجة خالدة."

وفي انجيل متى (١) اشترط المسيح على من يريد دخول الدعوة أن يتنازل عن أملاكه ، ويؤثر الفقر ،ليدخل في ملكوت الله . فقال للشاب الغني لما سأله عن العمل الصالح الذي به الحياة الأبدية :

" إن أردت أن تكون كاملا فاذهب ،وبع أملاكك ،واعط الفقراء ، فيكون لك كنز السماء ، وتعال اتبعني."

وفي انجيل مرقس (٢) :

" يقول بطرس أحد حواريه ، ها نحن قد تركنا كل شيء ، وتبعناك.فأجاب يسوع : الحق أقول لكم مامن أحد ترك لأجلي ،ولأجل الانجيل ،بيتا ، أو إخوة ، أو اخوات ، أو أمّا ، أو أبا ، أو أولادا ، أو حقولا ، الا وينال مائة ضعف الآن ،في هذا الزمان ، وفي الزمان الآتي : الحياة الأبدية "

ب) في ترى بيتاكا " (٣) أقرأ هذا النص :

==========

(١) انظر : الاصحاح ١٩ فقرة ١٦ – ٢٢ وأيضا : انجيل لوقا الاصحاح ١٨ فقرة ١٨ – ٢٢

(٢) الاصحاح ١٠ فقرة ٢٨ – ٣٠

(٣) ابيدارما ٦٥٨ وسوتان ٦٢٦

" الفكر الحسن ينتج أعمالا حسنة ، والفكر السيء يجيء بكل منكـــــر.

إن عدم الاهتمام بالعالم سبيل الخلود ، لأن الذين لايهتمون بما للعالـــم يخلدون براحتهم الأبدية ، أما الراغبون في العالم فيغرقون في الآلام "

وأيضـا :

" إن الذين يعيشون لمسراتهم ، ويهتمّون بما يأكلون وما يشربـــون قد قيّدهم " مارا " (١) بقيوده ، يتلاعب بهم تلاعب الريح بالشجـرة الضعيفة التي لاتصمد فتسقط ، إن الذين لايهتمون بما للجسد من أكـــل وشـرب ، فهم كصخرة ثابتة في الجبل ، لاتستطيع الرياح على زعزعتها "

وأقرأ في انجيل متى (٢) :

" لاتهتمّوا لحياتكم بما تأكلون ، وماتشربون ، ولا لأجسادكم بمـــا تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس "

وفي انجيل لوقا (٣) :

" ياقليلي الايمان ، لاتطلبوا أنتم ما تأكلون وماتشربون ،ولاتقلقوا، فان هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون الى هذه ، بل أطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزاد لكم"

ج) في " ترى بيتاكا " (٤) روي عن بوذا قوله من سلوك الزهـاد نحو النســاء :

---

(١) في اللغة " البالية " تعني الشيـطان

(٢) الاصحاح ٦ فقرة ٢٥

(٣) الاصحاح ١٢ فقرة ٢٨ – ٣١

(٤) فينايا ١١٩ وأيضـا ١٦٦

" أيها الزهاد احذروا أن تنظروا الى امرأة ، فاذا رأيتم امرأة فكونوا كأنكم لم تروا شيئا ، ولاتحادثوها ألبتة ، واذا أجبرتم على محادثتها ، فليكن ذلك بقلب طاهر . واعلموا انكم تعيشون في هذا العالم الخاطىء كورقة لوتس تنمو وسط الأوحال ...

إن قوة الشهوة عظيمة في الرجل ، ومخيفة أيضا ، فاحرصوا على أنفسكم ، وخيركم أن تسمل أعينكم بحديد ، ويصبح كل منكم بدون عينين ، من أن تسقطوا في فكر الخطيئة ، أو تنظروا الى امرأة لتشتهوها ، إنه لخير لكم ان تقعوا بين أنياب نمر مفترس، أو تحت ضربة سيف قاطع ، يفصل رأسكم عن جسدكم ، من أن تساكنوا امرأة ، فأبعدوا عنكم شهوة الفكر بكل قواكم ،ولاتعثروا"

في انجيل متى (١) روي عن المسيح قوله :

" ..... وأما أنا فاقول لكم : ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها ، والقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله في جهنم "

و) في ترى بيتاكا (٢) يروى عن بوذا قوله :

" إن البغض ينتج البغض والعداوة ، فقابلوا أعداءكم بالمحبة ،وقابلوا السيئة بالحسنة ، والاساءة بالرحمة ، والكذب بالصدق ، واعلموا أيها الزهاد ، أن البغض لا يزول بالبغض ،ولكنه يزول بالمحبة ، قل الصدق ،ولايمل

---

(١) الاصحاح ٥ فقرة ٢٨ – ٣٠

(٢) سوتنان ٣٣٩

قلبك الى الغضب ، ومن سألك فاعطه ولو كان عدوّا "

وفي انجيل متى (١) النص الآتي :

" لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا "

وأيضا :

" سمعتم أنه قيل : تحب قريبك ، وتبغض عدوّك ، وأما أنا فاقول لكم : أحبّوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، وصلّوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . "

ولايخفى أن هذه الحكمة البوذية الانجيلية حكمة غير معقولة ، لايقرها عرف ، ولايدعو اليها قانون ، فضلا عن أنها غير ممكنة القبول والتطبيق . وقد استندت الكنيسة النصرانية الى مثل هذه الأقوال في الأناجيل والتي كثر ورودها على لسان المسيح عليه السلام ، ردا على المادية المتطرفة التي كانت شائعة في بني اسرائيل ، وفي العالم الروماني كله ، ولكن الكنيسة قد بالغت في الاستناد الى هذه الأقوال متأثرة بالعناصر الخارجية كالبوذية وأمثالها حتى وصلت بها الى الرهبانية التي تنعزل من الحياة ، وتظهر النوازع الفطرية في الانسان ، تلك

---

(١) الاصحاح ٥ فقرة ٣٩ - ٤٠ وأيضا ٤٣ - ٤٤

الرهبانية التي يقول عنها القرآن الكريم :

" ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ،فما رعوها حق رعايتها "" (١)

فاثبت القرآن في هذه الآية حقيقتين :

١) إن هذه الرهبانية لم يكتبها الله عليهم ابتداء ، وانما ابتدعوها من قبل انفسهم . وهذا لاينكر قولنا بأنهم تأثروا من البوذية لأن معنى ابتدعوها أي في دينهم ، وقد وجدت في غيره من الأديان وتأثروا منها .

٢) إنهم مارعوها حقّ رعايتها ، فلا يصبرون على تكاليفها ،ولا يحافظون على مقتضياتها ،وأصبحت طقوسا وشعائر خالية من الروح .

==========

(١) الحديد ٢٧

المبحث الثالث: نماذج من التقاليد ، والخصائص ،والنظم ، والآداب في

الرهبنة البوذية

١) عادة البوذيين للدخول في سلك الرهبنة

جرت عادة البوذيين أن يدخلوا الأديرة لممارسة الرهبانية التي فرضت عليهم ، وهي على النوعين :

الرهبنة الاجبارية ، والرهبنة الاختيارية .

أما الرهبنة الاجبارية فهي التي أوجبتها البوذية على كل رجال من البوذيين مرة في العمر ، وهي لاتقلّ من ثلاثة أشهر .(١)

وقد اعتقد البوذيون في تايلاند وغيرها من الدول البوذية ، أن اعتراف الشخص بجميل والديه وبره لهما لايتمّان الا بدخوله في الرهبنة مرة في الحياة ، فالترهب من الابن - في زعمهم - دليل على احسانه لوالديه ، واعترافه بمعروفهما . (٢)

وعلى هذا فقد جرت عادتهم أن يترهب أبناؤهم ثلاثة أشهر على الأقل قبل شروعهم في الزواج ، وهي في اعتقادي عادة قريبة ،اذ كيف يمكن المترهب في خلال هذه المدة القليلة ، أن يجتاز المراحل العسيرة ، وينال " الخلاص " الذي هو الغاية في الرهبنة ، والهدف الأسمى في زعمهم ؟ وكيف يكفيه هذا الخلاص المزعوم - لو فرض نيله - وهو قد خرج من الرهبنة وعاش كما يعيش أهل العالم ؟ ثم كيف

(١) تعاليم للرهبان ٢٩

(٢) المصدر السابق

تكون الرهبنة برًا للوالدين واحسانا لهما ، مع أن الرهبنة في جانب وبرّ الوالدين في جانب آخر، ولاعلاقة بينهما اطلاقا ؛ فبرّ الوالدين لايتمّ الا بخدمتهما ، والانفاق عليهما ، والرفق بهما في القول والعمل ، وماشابه ذلك . وهذا لا ينطبق مع الرهبنة التي تقوم على أساس الاعتزال عن جميع الناس .

وأما الاختيارية فهي التي يتطوع لها البوذيون بأنفسهم لممارسة الحياة الرهبانية على مدى الحياة ، والرهبان على هذا الصنف هم الذين يمثّلون الاغلبية في المعابد والأديرة ، ويكون أغلبهم من كبار السن ، أما الشباب فلا يوجد منهم الا عدد قليل (١)

وللدخول في الرهبنة طقوس دينية خاصة لاتختلف كثيرا بين الدول البوذية الا في الشكل (٢)

==========

(١) أفدت هذه المعلومات من مقدمة كتاب : قوانين الرهبنة ؛ لجماعة من علماء البوذية ، وكذلك مما شاهدته في المعابد والأديرة في تايلاند ، وبرما ، وماليزيا .

(٢) في دولتي تايلاند وبرما ، اعتنى البوذيون فيهما اعتناء كبيرا بهذه الطقوس ، حيث يقيمون لها حفلة كبيرة ، يجتمع فيها كثير من الناس ، ومن أبرز هذه الطقوس انهم يحملون المريد المترهب على محفّة ، ويسيرون في موكب فخم الى المعبد ، وتصحبه الموسيقى مع رقصات دينية منتظمة من الرجال والنساء ، ولما يصل الموكب الى المعبد ، يطوف حوله سبع مرات ، ثم يتقدم مجموعة من كبار الرهبان ليباركوا على المريد المترهب ، ويتقدم الحلّاق ، فيحلق رأسه ، وحاجبيه ، وجميع الأشعار في وجهه ، والناس يصبّون عليه الماء ، ويباركوا له ، وبعد ذلك يتقدّم شيخ المعبد أي رئيسه فيلبسه لباس المعبد وهو عبارة عن إزار ورداء ==

ورد في كتاب " ترى بيتاكا " (١) حكايات عن ترهب البوذيين الأوائل، مفادها أن الدخول في الرهبنة في العصر الأول للتاريخ البوذي، كان يتمّ بواسطة بوذا وموافقته عليه ، أو بواسطة حواريه وتلاميذه الذين أرسلوا الى المدن والقرى للدعوة البوذية . ثم بعد انضمام عدد كبير من الرهبان الى الجماعة البوذية تقرّر الأمر بأن الدخول في الرهبنة يتمّ بواسطة عشرة على الأقل من كبار الرهبان، منهم رئيس المعبد .

وذكرت بعض المصادر البوذية أن السبب في ذلك هو الحفاظ على وجود الرهبان الصالحين . والتوقي من رهبان السوء في هذه الديانة.(٢)

٢) نماذج من خصائص الرهبان وتقاليدهم

للرهبان البوذيين خصائص كثيرة يخصّون بها دون غيرهم من المدنيين . وتعتبر هذه الخصائص من أهم الشروط في الرهبانية. وفيما يلي أورد بعض المظاهر منها :

أ ـ لبس اللباس الأصفر

من أبرز خصائص الرهبان البوذيين لبس اللباس الأصفر، وهو عبارة عن قطعتين من القماش المصبوغ بالأصفر . يتخذون إحديهما إزارا والأخرى رداء على شكل لباس الإحرام ، ويضعون فوقهما بعض الرقعة ، دلالة

= مرقّعين و مصبوغين باللون الأصفر ، ويأخذ منه العهد في الالتزام بالنظام . ثم يستأنف الموكب سيره ليقدّم المريد الى الدير .

(١) فيتايا ١٣٢ ، ١٣٤

(٢) تاريخ الديانة البوذية ١١٢

على الزهد ، والفقر ، والمهانة ، ولايلبسون غير هذا اللباس طوال مدة رهبانيتهم . (١)

والبوذيون يقدّسون هذا اللباس الى حد بعيد ، ويعتبرونه شعارا مقدسا في ديانتهم .

"جاء في كتاب " بودادهارما " (Buddha Dharma) (٢) أن اللباس الأصفر رمز مقدّس لرهبانية بوذا ، فلا يلبسه الا الرهبان ، لأنهم ممثّلون شخص بوذا "

وكان هذا اللباس في القديم عبارة عن الخرق الملتقطة من المزابل أو أكفان الموتى .

فقد جاء في كتاب " ترى بيتاكا " (٣) أن رجلا يدّعى " جيفاكا " وكان طبيبا للملك " بمبيسارا " (Phimpisara) قصد الى بوذا ليهدي اليه الثوب المصبوغ من أجود الصوف ، فرفض بوذا قائلا :

" إن بوذا " غوتاما " لايلبس الا رداء منسوجا من الخرق الملتقطة من المزابل ، أو من بقايا أكفان الموتى ، وهو ما يجب أن يرتديه الاخوة الرهبان والزهاد ."

ومن هنا وردت حكايات كثيرة عن الرهبان في القديم الذين يرفضون الهدايا من الثوب ، ويفضّلون لبس الخرق التي يلتقطونها من المزابل

==========

(١) وقد أفادني بعض الرهبان ان السرّ في لباس الأصفر هو أنه لون الشمس ، وهي مصدر النور التي يستضيء بها الانسان وعلى هذا يزخرفون معابدهم وأصنامهم بهذا اللون .

(٢) صفحة ٤٨ (٣) فينايا ١٥٢

ومن أكفان الموتى . فيرقّعونها ، ويصبغونها بالأصفر . (١)

ويحكى عن بعض الرهبان انهم يكتفون بخرقة واحدة ، فلا يلبسون غيرها طيلة حياتهم . وفي ذات فترة لجأ البوذيون في مدينة " راجاغرها "(Rajakareha) الى أخذ الخرق الجديدة وتركها عند المزابل وأغصان الشجر ، ليلتقطها الرهبان ، (٢) وهي عادة متّبعة عند بعض البوذيين الى اليوم .

ويروى عن بوذا أنه كان يلبس هذه الخرقة الصفراء تلاميذه الأوائل الذين اندمجوا في جماعة الرهبان (سانغا) . (٣)

وعلى هذا فقد جرت عادتهم الى الآن أن شيخ المعبد أو مثله هو الذي يلبس اللباس الأصفر المرقع للرهبان المبتدئين . (٤)

ب) حلق الرأس والحفاء (٥) .

ومن أبرز خصائصهم أيضا أنهم يحلقون رؤوسهم ويحلقون كل شعورهم في الوجه . كالحاجبين ، والشارب ، واللحية ، وما شابه ذلك ،وأنهم

---

(١) المصدر السابق ١٥٥ (٢) المصدر السابق ١٤٧ ،١٤٨

(٣) قوانين الرهبنة ٢ / ٢٤٧

(٤) واذا قارنا بما في الصوفية نجد أن هذه الخرقة البوذية تشبه الى حد بعيد الخرقة عند الصوفية التي يلبسها الشيخ لمريده ، وقد جرت عادة بعض المتصوفين أن يلبسوا أتباعهم الخرقة ، وهي من شاراتهم ، يلبسها الشيخ بيده للمريد في مقدّمة الطريق ، وسيأتي تفصيله عند الكلام عن الصوفية ان شاء الله

(٥) الحفاء بالالف الممدود أو الحفا بالالف المقصور هو المشي بلا خف ولا نعل . (اللسان ١٤ / ١٨٦ ، ١٨٧)

لايمشون منتعلين، بل يمشون حفاة . إقتفاء ببوذا الذي كان يتجوّل في المدن والقرى بدون نعل ، وذكرت بعض المصادر البوذية أن بوذا أجاز الانتعال فيما بعد لبعض تلاميذه المرضى ،لأنه حدث أن أصابهم أمراض بسبب الحفاء (١)

ج) التسوّل وترك العمل.

ومن أهمّ خصائص الرهبان البوذيين . أنهم يعيشون على التسوّل لأنه الطريق الوحيد في حصولهم على الطعام اليومي ، فكل صباح يخرجون من أديرتهم حاملين " الكشكولة " (٢) " Arms bowl " ويتجوّلون في صمت وسكينة ، من بيت الى بيت ،ليجمعوا قوت يومهم من أيدي الناس .

والتسول عادة قديمة للرهبان في الهند ، وقد اتخذه بوذا طريقا لمعيشته طيلة حياته الرهبانية ، وكان يعاني من ذلك شرّ عناء فطالما أهانه بعض الناس وردّوه دون عطاء ، كما كان يعاني أحيانا بسوء الغذاء الذي قدّمه اليه الناس .

وتروي الروايات البوذية أن بوذا عندما قدم لزيارة والده في مدينة " كابيلافاستو " وذلك بعد أن فارقها سبع سنوات ،في طلب مازعم بالحق والمعرفة ، أخذ كشكولته السوداء ،وذهب يستعطي

(١) قوانين الرهبنة ١/ ١٢

(٢) سبق تعريفه في صفحة ١٠٣

طعامه ، وشاع في المدينة أن الأمير " سيدهارتا " (Siddhartha) يتجول في أنحاء المدينة من بيت الى آخر يستجدي طعاما ، بعد أن كان يسير في عربته محفوفا بأعوانه ، وأصبح يرتدي ثوبا أصفر ، بعد أن كان يلبس الحرير ، ويزدان بالجواهر ....

وقد اغتاظ أبوه الملك " سودودهانا " (Suddhodhana) عندما عرف هذا فأسرع اليه وقال له :

" لم تحتقرني هكذا ياولدي ؟ ألا تعلم أني قادر على إطعامك وإطعام تلاميذك ؟

فأجابه بوذا : " هذه عادتنا في الحياة .

فقال له الملك " كيف يكون هذا وأنت أصل ملوكي " الكشتريا " (Kshatriyas) (١) وما حكي عن أحد من سلالتك أنه استجدى طعامه ؟

أجابه بوذا قائلا : " إنك تقدر أن تعلن أنك أنت وعائلتك من سلالة ملوكية ، أما أنا وأتباعي ، فاننا من بوذا القديم ،ولاشريح عيشنا الا استجداء " (٢)

وهناك حكاية أخرى تروي أن بوذا أشاد مرة في بساتين يقال لها " ايسبتانا " (Essipattana) مدينة دينية مكوّنة من دير

---

(١) الطبقة الثانية من طبقات الهندوس

(٢) ترى بيتاكا (فينايا) ١٩٠ وذكر الدكتور أحمد شلبي مثل هذه القصة في كتابه أديان الهند الكبرى صفحة ٢٠٠

وغرف للاجتماعات ، وفي سبيل ذلك جمع التبرعات من المحسنين ،وسمعت بالخبر احدى امرأة مؤمنة ببوذا ، فجائت الى حيث الاحتفال ،وكانت تاكل تفاحة بقي نصفها في يدها ، ولما رأت أنها لاتملك سوى نصف التفاحة ، قدّمتها لبوذا ، فتناولها بوذا شاكرا . وهو يقول: " نحن نعيش من الصدقات ، أعطوا ماتملكون ، فأبواب " نرفانا " مشروعة أمام الذين بذروا الفضيلة ، فأولئك يجنون المحبة " ... (١) وعلى هذا فقد اعتقد البوذيون اعتقادا راسخا . بأن تقديم الطعام والصدقات لهؤلاء الرهبان من أحسن الأعمال ، ومن أقصى مايطمع فيه المدني من جزاء ، وما يصبو اليه من شرف . كيف وقد حثّهم الرهبان على ذلك ، ووعدوهم بما يرغب فيه نفوسهم . كقولهم بأن تقديم الحسنات للرهبان يوميا له ثواب عظيم يجعل صاحبه في حياته القادمة سعيدا وغنيا بالأموال والثروة ، أما مغلول اليد من هذا الاحسان . ففي حياته القادمة يبعث معسرا ومضيقا في العيش (٢)

هذا وقد روي أن بوذا وتلاميذه اذا أرادوا الاستنكار على الناس لأي سبب من الأسباب ، يرفضون قبول صدقاتهم ،وذلك بأن يقلبوا كشكولتهم الى أسفل ، وهذا يعتبر الجزاء الرادع الوحيد الذي يرهب منه البوذي المدني ويتحاشى عنه . (٣)

=x==========

(١) المصدر السابق ١٣٥

(٢) The way to happiness : Maha sisadaya bhikshu P.25

(٣) انظر ترى بيتاكا (فينايا) ١٧٤ وأيضا ٢٦٣

وعلى هذا . فلا نستغرب أن نجد البوذيين في أغلب المناطق البوذية، يعفّون كل صباح عند الشوارع والطرق . ليقدموا الطعام لجماعة الرهبان المتجولين ".

ولايخفى أن عادة التسول في البوذية عادة فاسدة تشجّع الناس على الكسل ، والبطالة ، وترك العمل ، والتمسك بالفقر . فماذا يحدث لمجتمع الناس لو اتخذ كلهم الرهبنة شريعة لهم ؟

وقد دعت هذه العادة في البوذية الى وجود طائفة الكسالى من الناس يستغلون الرهبانية طريقة لمعيشتهم .

ففي ترى بيتاكا (١) يروى أن جماعة من البراهمة في عصر بوذا تصنّعوا بالايمان به وبطريقته ، فترهبوا وانخرطوا في جماعة بوذا (سانغا) ، وذلك لما رأوا في هذه الرهبنة وسيلة طيبة لكسب الطعام بدون كدّ ولاتعب ، ثم بمرور الزمن تبين أمر هؤلاء فأخرجوهم منها .

يقول القديس البوذي " بوذتشات بيهكشو " في كتابه " تعاليم للرهبان " (٢) :

" إن من شروط الرهبانية الفقر . أي ترك العمل والاكتساب ، لأنهما من شئون المدنيين ، لايصلح لنا الرهبان القيام بهما ، وعلينا جماعة الرهبان الرضى والقناعة بما حصلنا من صدقات المدنيين المحسنين ....

---

(١) فينايا ٢١٢

(٢) صفحة ٢٥

إن الكسب عندنا أداة من أدوات الهموم ، يؤدي دائما الى التملّك ، وهو قيد من الأقياد التي تشغل الانسان دون الوصول الى الكمال والسعادة ." أ هـ

أقول إن هذه التعاليم الرهبانية في ترك العمل والكسب ، تشبه ما دعا اليه الصوفية من الفقر والزهد في الدنيا ، لأن المال في زعمهم يشغل السالك والمريد عن الله سبحانه وتعالى ، فلا يؤمنون بضرورة العمل لكسب الرزق ، بل يفضّلون التسول والاستجداء ، ويفضّلون القعود في البيوت ، وانتظار من يدفع اليهم الصدقات . كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلا ان شاء الله .

د ـ الصوم الدائم

ويعتبر من خصائصهم أيضا أنهم يصومون دائما ، والصوم عندهم هو الاقتصار في اليوم والليلة على أكلة واحدة في وقت الضحى ، وهذا نظام عام لجميع الرهبان في المعابد والأديرة ، سواء كانوا من الشيوخ أو المبتدئين . (١) وهو كحدّ أدنى للصوم عندهم . أما الرهبان السائحون في الغابات والأرياف . فلهم اختيار أسلوب مناسب لصومهم ، لأن الغرض من هذا الصوم هو مجرد الجوع ، والجوع نوع من أنواع المجاهدة على زعمهم . (٢)

جاء في كتاب " ترى بيتاكا " (٣) حكايات كثيرة عن الرهبان

(١) قوانين الرهبنة ٢/ ١٦ (٢) انظر المصدر السابق

(٣) انظر سوتان بيتاكا ٢٨٩ ، ٢٩٠

المتقدمين في الهند ، وقد أضعفوا أجسامهم بالجوع ، وامتنعوا من الطعام ، وصبروا عليه ، فمنهم من كان يقتات ورق الأشجار مدة سنوات ، ومنهم من كان يأكل مرة واحدة في كل شهر ، ومنهم من كان يمتنع عن اللحوم والطيبات من الطعام ، ويكتفي بالطعام الردي ، وما الى ذلك .

هـ) الصمت الدائم

ومن أهم خصائص الرهبان ، لزومهم الصمت في جميع تصرفاتهم ، فلا يتكلّمون الا عند الضرورة ، وهو ركن هام من أركانهم ، ففي كتاب " ترى بيتاكا " نجد إشارة بوذا الى الصمت في عدة مواضع ، منها قوله في إحدى خطبه الطويلة :

" أيها الرهبان المريدون أتعلمون ما آفة الكلام ؟ إنه وسيلة لاظهار صفات المدح ، ووسيلة لجلب العطايا ، والمال ، والمنصب ، والجاه والثناء ، أتعلمون ما فضيلة الصمت ؟ . إنه رمز للسكينة ، ونور من أنوار " النرفانا " ، ولايتحلّاه الا جماعتنا " سانغا " (١)

وفي موضع آخر قال :

"يجب على أهل " شارمانا " (٢) أن يتغلّبوا على خواطرهم بالسكوت ، وأن يجعلوه رفيقا لهم في طريقهم ، والحق أقول لكم . إن

---

(١) المصدر السابق ٢٤٢

(٢) والمراد هو الرهبان وسيأتي تعريف هذه الكلمة عند الكلام عن " السمنية "

أفضل رفيق لمن يسير الى " نرفانا " الصمت والسكينة " (١)

و) التبتل

ومن خصائص الرهبان البوذيين التبتل ، أي الانقطاع عن الزواج، وهو من أهم شروط الرهبنة بعد شرط التجرد الكامل عن الدنيا وشرط المجاهدة المتواصلة ، وشرط الرياضة للنفس والبدن ، وذلك لأن الزواج في زعمهم ملذة من ملذات الدنيا الدنيئة التي يجب عليهم الابتعاد عنها ، وغل من الأغلال التي تشغلهم عن مواصلة المجاهدة والرياضة . (٢) وقد عدّه بوذا سببا للهموم والآلام إذ يقول :

" إن الذي عنده الزوج ينصرف الى زوجه ، والذي عنده أولاد ينصرف الى أولاده ، والذي يملك أبقارا ينصرف الى أبقاره ، كل ما نملكه يسبب لنا الهموم ، ولكن الذي لا يملك شيئا ليس لديه هم " (٣)

كما روي عنه أنه سمى مولوده بـ " راهولا " (Rahula) (٤)
ومعناها : القيد . لزعمه انه قيد يقيده ويمنعه عن الوصول الى الكمال .

ومما روي عنه أيضا قوله :

"Liberation"
" لاينال الزاهد المريد الخلاص إلا بطهارة النفس ، وتزكيـــة

==========

(١) المصدر السابق ٢٤٩ (٢) تعاليم للرهبان ١٩
هذا كما يعتبر أكثر الصوفة الزواج غلا من الاغلال التي تشغلهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، ويصفونه بأنه ملذة دنيوية تناقض ما هم عليه من محاربة الهوى وقمع اللذات والشهوات . وسيأتي تفصيله ان شاء الله .

(٣) ترى بيتاكا (سوتان) ٥٤١

(٤) قصة بوذا ٢/ ٦٧ .

القلب ، وقطع العلائق بينه وبين البدن ، وحسم لذّات الدنيا ، من الجاه والمال ، والمنصب ، والثناء ، والخلطة بالجنس ، والاقبال على النرفانا كلية ." (١)

وقد أوردت بعض أقواله العنيفة عن سلوك الرهبان نحو النساء (٢) والتي تفيد كراهية النساء ، والأمر بالابتعاد عنهن ، ومن مساكنتهن كلية . (٣)

ومن المعروف في نظام الرهبنة ، سواء في البوذية أو النصرانية ، أنه كان يقوم على أساس الوحدة ، والإبتعاد عن الناس ، وكبح الغرائز الجنسية ، لأنهم زعموا أن هذه الأفعال ستوصلهم الى مرتبة البروج

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٥١٨

(٢) راجع : الموازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة النصرانية . صفحة ٣٣٧ .

(٣) بهذا الاتجاه السلبي نحو النساء تردّد بوذا كثيرا عندما طلبت منه خالته التي تدعى " مها باشاوادي" (Mahapashawadi) للدخول في النظام الرهباني ، ولم يوافق على إدخالها في الجماعة الا بعد الحاح من " آنندا " (Anandha) أحد حواريه ، ويبدو أنه لم يرض من صميم نفسه على هذا القرار ، ولذا قال لتلميذه آنندا : " إن الشريعة " دهارما " (Dharma) لن تدوم طويلا إذا أذن للنساء بالانضمام الينا ((من القصة الطويلة في فينايا بيتاكا ٧٧ ، ٧٨)) ويعلّق " ول ديورانت " (قصة الحضارة ٣/ ٨٨) على هذا النص فيقول " وكان في ذلك على صواب ، فعلى الرغم من أن الطائفة العظيمة قد لبثت حتى مهدنا هذا ، الا انها قد أفسدت تعاليم الاستاذ (بوذا) منذ زمن طويل ، بما أدخلته عليها من سحر ، وتعدد للآلهة ، وخرافات لاتقع تحت الحصر "هذا بالاضافة الى الانحراف ، والفساد ===

النقية الخالصة ، وعلى هذا فقد بالغ بعض الرهبان ، وأخـــــتصوا ليظهروا أمام الناس بمزيد من الزهد ، والتبتل ، والانقطاع .(١)

والحق أن هذا العمل غاية في الحماقة ، لأن الله سبحانه وتعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة ،وخلقها لتكون سببا للتناسل ، هـذا مع أن خصاءهم لايزيل شهوة النكاح من النفس ،بل قد تزيد،ويؤدي الى الكبت والاضطراب النفســـي ، فكيف يتحقّق لهم مقصودهـــــم ؟ ومن الغريب أن نجد البوذيين اغترّوا بمثل هؤلاء ، فرفعوهم في مقام القديسين ، وعبدوهم ، واتخذوهم أربابا من دون الله .

ز) سكنى الدير والخضوع لشيخه

ومن خصائص الرهبان البوذيين أيضا ، أنهم لايسكنون المنازل ،ولايبيتون بها ، ولكنهم يلازمون السكنى بأديرتهم ، والأديرة الحديثة كمـــا شاهدتها في تايلاند وغيرها تكون في الغالب أكواخا صغيرة ،موزّعة بصورة منتظمة ، تشكّل في مجموعها قرية صغيرة ، وتبنى غالبا في داخل السور المشترك ،حيث يضم فيه معبد ،ومطعم ، وقاعـــة الاجتماع ، وحديقة للممارسات ، ومحرقة الموتى ، وغير ذلك من المرافق الضرورية .

والراهب في هذا الدير يوجب على نفسه الفقر ، فلا يملك شيئا الا مايستر عورته من الازار الأصفر ، ومايتسوّل به من الكشكولة ،ويستغني

==========

== والفجور التي وقعت بين الرهبان أنفسهم والراهبات ،بسبب عـدم استطاعتهم تنفيذ التعاليم المتشدّدة والمخالفة لطبيعة الأحيـاء وواقعيتهم .

(١) يوجد مثل هؤلاء في بعض المعابد في تايلاند ، كما روي في بعض الاقاصيص البوذية أن جماعة من الرهبان في سيلان ،ونيبال =

من كل مايربطه بغيره من علاقات ، وعليه أن يخضع خضوعا كاملا لأوامر " شيخ المعبد " بأن ينفّذ أوامره وتعاليمه بدقّة بالغة، وأن يتولّى خدمته ، ويلازمه ملازمة تامة ، شانه كشأن المريد مع شيخه عند الطرق الصوفية المبتدعة في الاسلام (١)

وقد اعتبر هذا الخضوع الكامل المبدأ الأعلى ، والفضيلة الأولى للرهبان ، كما أنه شرط من شروط الطريق للرهبان المبتدئين • (٢)

وذلك لأن رئيس المعبد هو الذي به يتمّ الدخول في الرهبنة،والذي يأخذ على الراهب المبتدئ العهد ، ويعلّمه الرياضة ، والمجاهدة ، والمكابدة ، ويساعده على تحطيم العقبات ، والترقّي في المراحل والأحوال ، الى أن يصل الى الكمال والقداسة •

وقد كان بوذا في القديم يمثّل شيخ الرهبان ، يوجه الطريق لأصحابه المريدين .(٣) ثم لما تزايد عددهم ، أذن أن يكون لكل جماعة منهم شيخ أو رئيس من القديسين يوجّههم ، ويرشدهم الطريق السليم في الرهبنة (٤) ، وهكذا جرت عادة الرهبان الى الآن أن يكون لهم شيخ معين يرتبطون به حيا وميّتا •

= وليتنام ، قد جبّوا أنفسهم تقرّبا من نيل الخلاص ، وقد أفادني الاستاذ المشرف بأن هذه المظاهر توجد بكثرة في الهند عند الهندوسيين والبوذيين على حد سواء •

(١) سيأتي تفصيله ان شاء الله عند الكلام عن الصوفية •

(٢) تعاليم للرهبان ٣١

(٣) ويسمون طريقهم طريق الخلاص .

(٤) انظر قوانين الرهبنة ٤٢/١ وأيضا قصّة بوذا ٩٨/٢ •

وهناك بعض الأعمال الديرية التي يتدرب عليها الرهبان يوميا، بالاضافة الى القوانين والآداب في الرهبنة ، كلها منصوصة في كتابهم " ترى بيتاكا " قسم فينايا (Vinaya) ، وقد بلغت أكثر من مائتي فقرة .

٣) نماذج من الآداب والنظم في الرهبنة البوذية

للرهبنة البوذية آداب ونظم يلتزم بها الرهبان في حياتهم ، ويعرف مدى زهدهم وتنسكهم بقدر ما يحافظون عليها ويتبعونها .

وقد نسبت بعضها الى بوذا نفسه (١) ، والأخرى الى أتباعه من بعده الذين أدخلوا عليها اضافات وتعديلات كثيرة ، حتى بلغت مجموعة هذه الآداب والنظم مائتين وسبعا وعشرين فقرة .

وفيما يلي عرض موجز لأهم النظم والآداب في الرهبنة وفقا لما ذكره الكتاب المقدس للبوذية " ترى بيتاكا " :

١) عليهم المحافظة بدقة على الوصايا البوذية العشر (٢) وخلاصتها : الكف عن القتل ، والكف عن الزنى ، والكف عن السرقة ،والكف

==========

(١) جاء في " ترى بيتاكا " مايفيد أن بوذا إنما وضع هذه النظم والآداب على حسب الحوادث التي حدثت بين تلاميذه في عصره ، فكان يرى أن يميّز طائفة " سانغا " (Sangkha) من الرهبان بآداب خاصة متميزة عن عامة الناس،ولذلك كلما وجد أنهم اقترفوا شيئا غير لائق بهم أصدر القرار بمنعه منهم وأرشدهم الى الشيء المناسب،وهكذا . وبهذا فقد كوّن بوذا طبقة جديدة من أتباعه لاتقلّ خطرا عن طبقة البراهمة التي حاربها ونادى بالقضاء عليها .

(٢) سبق تفصيلها في : الأخلاق البوذية . صفحة ١٤٧،١٤٨ .

من الكذب ، والكف عن شرب الخمر (١) والكف عن الطعام في الليل ، والكف عن الغناء والرقص ، والكف عن الزينة بجميع أنواعها ، والكف عن اتخاذ الفراش والمقعد المرتفعين والمحشوين بالقطن أو نحوه ،والكف عن قبول الهدايا النقدية من الذهب والفضة .

٢) عليهم الالتزام بالنظم والآداب الأخرى للرهبنة أهمها :

(١) عدم الزواج ، والابتعاد عن مشاهدة النساء ، أو مساكنتهن، أو لمسهن ، ولو كنّ من المحارم ، والابتعاد عن الخلوة بالراهبات، وكذلك الابتعاد عن التوسّط بين الرجل والنساء ، أو بين الزوج والزوجة . ومن آداب الرهبان المبتدئين ، أن لايخطر ببالهم خواطر النساء والشهوة ، واذا توالت عليهم هذه الخواطر، فعليهم اللجوء الى اكثار الخلوة ، وعدم مخالطة الناس،مع دوام المراقبة" سمادهي"

(٢) التجرّد التام من التملّك أو من تخزين الأشياء ، والتجرّد من الاحتراف بأي حرفة كانت .

(٣) الانفراد ، والعزلة ، والسكون ، والصمت ، وعقّة اللسان وعدم المزاح والهزل ،أو ماشابه ذلك .

(٤) اظهار الفقر ، والتواضع ، وعدم الافتخار والتكبّر،والابتعاد عن المنصب ، والجاه ، والثناء ،ومن حبّ الرئاسة ، أو حبّ الظهور .

---

(١) هذه هي المعروفة عندهم بالوصايا الخمس التي تخصّ المدنيين منهم أما الذى يتطلع منهم الى سلك الرهبنة فعليه فوق ذلك اتباع جميع الوصايا وجميع القيود المفروضة على النظام .

(٥) إظهار التسامح ، ومسالمة الجميع ، ومحبة الغرباء ، والكف عن القذف والنميمة ، ومن السعي في سبيل التفرقة بين الرهبان .

(٦) تعليم الناس السلام والمحبة ، وانشاء المشافي، والملاجيء للفقراء والمسافرين . والجد في منع الحروب ، والتسامح تجاه جميع الأديان في العالم ، باعتبارها أوجها ناقصة للحقيقة الواحدة (١) متمثلا قول بوذا لتلاميذه الرهبان :

==========

(١) وقد أثنى على هذا التسامح في البوذية كثير من الباحثين وخاصة المستشرقين ، منهم الدكتور غوستاف لوبون حيث يقول : " والبوذية أتت العالم الآسيوي الهرم بروح المحبة ، وبما لم يعرفه هذا العالم من الأدب العالي ..... فلا تجد بالحقيقة ديانة أنقى من البوذية أدبا ولا أعذب منها قولا ولا أكثر منها رحما" (حضارات الهند ٣٦٢ ، ٣٦٣) ومن الباحثين المسلمين الدكتور أحمد شلبي حيث اعتبر هذا التسامح ميزة كبيرة تنسب للبوذية (أديان الهند الكبرى ٢٠٣). وعلى أي حال فاني أرى أن التسامح أو المحبة . والانفتاح على البشرية كافة ، كل هذا من المبادىء العامة التي يشترك فيها معظم الأديان في العالم ، سواء كانت سماوية أو أرضية ، وسواء كانت وثنية أو موحدة ، أو مشركة ، لأن الانسانية حصة مشتركة بين الجميع ، وانما تصل البوذية في تسامحها الى حد كبير كما يقول الباحثون أو الى عدم المحدود بتعبير أصح ، لأن البوذية ليست لها عقيدة ثابتة تعتمد عليها ، وإنما تعتمد فقط على الخلاص والتحرر من الدنيا ، ومايترتب عليه من عدم العودة الى الحياة. فان مهمة الانسان عند البوذية هي بلوغ حياة الكمال لتتخلص روحه من الأرض ، ولايلزم ان يتقيد بدين ، أو مذهب معين ، ولهذا يقول بعض علماء البوذيين المعاصرين : كل من بلغ حياة الكمال وتخلصت روحه من الأرض فهو بوذا : أي بلغ مرتبة بوذا. ومن الجدير بالملاحظة ان التسامح تجاه الأديان لدى البوذية=

" نزهوا قلوبكم من كل خصام في الأديان والمذاهب ، ولاتتركوا المحبة ، بل أحبوا الخلق كلهم ، وليكن قصدكم الوحيد دعوة الناس الى " نرفانا "، فمن آمن ، وصدق ، وسلك سبيل الخلاص ، شعر أنه قد نجا من كل حزن وألم ".

٧) الابتعاد عن الأماكن التي فيها مظنة لتهمة الناس ،وهذه الأماكن هي:(١) بيت البغايا (٢) بيت الأراملة والشيّبات

(٣) دير الراهبات (٤) محلات الخمر

(٥) أماكن القمار (٦) أماكن الرقص والغناء

٨) السياحة مرة على الأقل خلال فترة الترهب ، وهي عبارة عن الخروج الى البراري أو الأرياف أو الغابات بعيدا عن مجتمع

= يشبه بعض الشبه مذاهب اليه بعض الغلاة الصوفية ، كابن عربي وابن الفارض وأشباههما من فكرة وحدة الأديان ، وهي فكرة ناتجة من فكرة وحدة الوجود ، ومعناها أنه لا فرق عندهم بين دين ودين ، لأن الله عام للجميع ، وان كل معبود من المعبودات وجه من وجوه الله الحق ، فيصحّ عندهم الايمان بكل المعبودات. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وقد افتخروا بهذه الفكرة الباطلة ، واعتبروها سموّا عن التعصب الديني ، وسموّا في التسامح والمحبة . وفي ذلك يقول محي الدين ابن عربي :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة xxx فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف xxx وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت xxx ركائبه فالحب ديني وايماني

(في التصوف الاسلامي وتاريخه: للمستشرق نيكلسون ٩٤ نقلا : من ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق لابن عربي ٣٩ – ٤٠)

الناس ،ولايستصحبون معهم في هذه الحالة زادا ، ولاطعاما ، ولاماء .(١) ومن هنا يدعون كثيرا من الخوارق .

وللسياحة عندهم حالتان : عامة ، وخاصة . فالسياحة العامة هي الأنفسة الذكر . أما السياحة الخاصة فهي سياحة بعض الرهبان الذين يختارون التجوّل في الأرض طوال مدة رهبانيتهم ، فيسيحون من قرية الى قرية ، ومن مدينة الى مدينة ، معتمدين على كرم الناس من أهلها ، ولايتوقّفون عن سياحتهم الا في فصل الأمطار .

٩) الكف عن الخروج والتجول في فصل الأمطار ، وهو ثلاثة أشهر معروفة عندهم،فلا يخرجون من الأديرة والمعابد الا في حالة الاضطرار (٢)

١٠) الخروج للتسوّل كل صباح ،لأن فيه نشر المحبة والرحمة لسائر الحيوانات على حد زعمهم .

وللتسوّل عندهم آداب كثيرة منها : -

أن لايأخذ المتسوّل الا مايعطى ، وأن لايطمع في استكثاره ، وأن لايتكلم عند التسوّل ، وأن لاينظر الى المعطي ولكن ينظر الى كشكولته عند قبول الطعام ، وأن لايتسوّل بطلب ،أو الحاح ، أو اغراء ، وأن لايتكبّر في رهبانيته ، بأن يظهر للناس أنه متزمّت ، ومتشدّد في

---

(١) وعند الصوفية بعض الحالات من هذه السياحة سيأتي الحديث عنها ان شاء الله .

(٢) جرت عادة البوذيين في كثير من الدول أن يقيموا في هذا الفصل حفلة التكريس للدخول في الرهبنة، حيث يدخل في هذا الفصل كثير من أبنائهم البالغين من العمر عشرين سنة في الأديرة لممارسة الرهبانية ، ويخرجون منها بعد انتهاء الفصل، لممارسة الحياة العادية .

الرهبنة ، ليخصّوه بالعطاء .(١)

١١) ومن آدابهم في الطعام :

أن لايأكلوا أكثر من مرة واحدة في اليوم ، امتثالا لقول بوذا المشهور " اجلسوا للطعام جلسة واحدة " . وأن لايقصدوا من الطعام التلذذ ، أو تقوية الجسد ، أو تجميله ، أو ماشابه ذلك ، لما في ذلك من إثارة للشهوات (٢) وأن لا يأكلوا الطعام من لحم الانسان، أو الفيل ، أو الخيل ، أو الحية ، أو الكلب ، أو الأسد ، أو الدبّ أو النمر " ويأكل غير ذلك من اللحوم والأسماك.(٤)

١٢) الالتزام بمبدأ " أهنسا "(Ahinsa)أي عدم الاساءة والايذاء لأي كائن ، واحترام كل شيء حيّ ، وذلك باظهار المحبة والشفقة بالناس وبالحيوان جميعا . فلا يسبّب مضرة لأحد ما ، ولالحشرة من الحشرات ، ولالنملة فما دونها ،وحتى الأشجار والنباتات .

فمن فقرات هذا المبدأ : الكف عن تحطيم الأشجار والنباتات .ومن

---

(١) وعند الصوفية بعض الآداب في التسوّل شبيهة بهذا ، وسيأتي بحثه ان شاء الله .

(٢) روى القديس البوذي " بودنات بيهكشو " ان الرهبان في القديم كانوا يصبّون الماء على طعامهم قبل تناوله ،وذلك لازالة طعمه ولذته .(تعاليم للرهبان ٤١)

(٣) من الحكايات الغريبة التي يرويها كتاب " ترى بيتاكا " ان احدى امرأة في عصر بوذا طبخت لحمها وصنعت منه طعاما وقدّمه للرهبان رأفة بهم في أيام المجاعة ، فلمّا أخبر بوذا بذلك ، نهاهم عن قبول الطعام من لحم الانسان .(فيناياا ١٨٩)

(٤) هذه الأصناف الثمانية من الحيوانات محظورة فقط على الرهبان، أما المدنيون الساكنو البيوت فيباح لهم كل الحيوانات بلا استثناء.

شرب الماء الذي فيه ذوات الروح ، أو سقي الاشجار به ، وكذلك الكف عن حرث الأرض أو حفرها أو ماشابه ذلك ، لعدم الأمن من قتل المخلوقات الحيّة أو ايذائها ، تلك المخلوقات التي تكون مجتمعا واحدا مع البشرية في الدورة التناسخية على حد زعمهم . (١)

١٣) ومن آداب الرهبان الهامة أيضا ، أنهم لايحيّون المدنيين بأي تحية ، مهما كانت مرتبتهم ، ولو كانوا من الأقرباء ، بل على المدنيين أن يحيوهم بتحية تقديسية ، وصفتها : ضمّ الأصابع العشرة على الصدر أو الوجه ، مع انحناء الرأس أو السجود ، وهي تحيّة معروفة لدى البوذيين ، يقدمونها لرهبانهم كلما قابلوهم ، ولو كانوا صغارا أو أبناء لهم ، كما أنهم لا يحيون من دونهم في عمر الرهبانية من جماعة الرهبان ولا يجلسون في مكان أسفل من المدنيين مهما كان (٢)

وهناك آداب أخرى كالكف عن تغطية الرأس ، وعن استعمال المظلة الشمسية ، وعن لبس الحرير ، وعن استعمال الأدوات المصنوعة من العظام ، أو الأصواف ، أو ما شابه ذلك .

١٤) التوبة الرهبانية "Breach of discipline" وهي عبارة عن إعتراف الراهب وإقراره علنا أمام شيخ المعبد وأعضائه من الرهبان،

---

(١) وهذا تناقض صريح في هذه التعاليم مع الواقع ، اذ كيف يحققون هذا المبدأ ولا يمنع الراهب منهم من قبول الصدقات والطعام من اللحوم والأسماك ،وكذلك المنتجات الزراعية ... ؟

(٢) ولعل هذه العادات الفاسدة قد تأثرت من البراهمة الذين فضلوا أنفسهم على غيرهم من الطبقات .

بما ارتكبه من مخالفة النظام ، وشيخ المعبد هو الذي يتولّى العقاب عليه .

وهذا النظام هو مايسمى عندهم " آبات " (Abat) وتعني في اللغة البالية مخالفة الرهبان لنظامهم ، فاذا خالف الراهب أي نظام من النظم ، يذهب الى الشيخ الريئس ،ويعترف عنده بما ارتكبه ، ثم ينظر الشيخ في تأديبه وجزائه ، وهو مختلف باختلاف نوع المخالفة ، فقد يكون بالفصل من الرهبنة ، كمخالفته إحدى الوصايا العشر ، أو بالإمتناع عنه ، وهجره في الكلام والمجالسة مدة معينة ، أو ماشابه ذلك ، ولابد من أن يعقد له اجتماع لاعلانه بالذنب أمام مجلس الرهبان من أعضاء الأديرة . (١)

٤) الرياضة الروحية "To train one's mind" أو ممارسة "سمادهي " (Smadhi)

هذا بالاضافة الى النظام في المجاهدة الشاقة "Purgation" التي تتمثل في الرياضة النفسية " سمادهي " (Smadhi) وممارستها يوميا ، وهي جزء مهم في العمل الرهباني ،اذ بها تتم الغاية المنشودة على حد زعمهم .

والمجاهدة عندهم تنقسم الى قسمين :

١) المجاهدة في مخالفة الهوى ، ومحاربة الشهوات ، وانكار الذات ،

---

(١) لخصت هذه المعلومات كلها من صفحات متفرقة لكتاب " تسرى بيتاكا " قسم " فينايا " وكتاب قوانين الرهبنة الجزء الأول والثاني .

وتهدف هذه المجاهدة . الى إضعاف الجسم ، وتقوية الروح ، وترويض الغرائز. وتتمثّل في الالتزام بالآداب والنظم التي بلغت ٢٢٧ فقرة .

٢) المجاهدة في الرياضة النفسية ، ومواصلة تمرينها ، وتتمثل هذه المجاهدة في ممارسة مايسمى عندهم " سمادهي أوبا سانا " (Smadhi upasana).وهي في اللغة البالية مركبة من كلمتين " سمادهي " (Smadhi) وتعني سكون النفس أو الاستغراق "Concentretion" و " أوبا سانا " (Upasana) وتعني التأمل والمراقبة " Meditation " وقد أطلق على هذه النظرية غالبا " بسمادهي " (Smadhi) أو التأمل الذاتي (١) وتهدف هذه الممارسة " سمادهي " الى الوصول الى الفناء . أو الفراغ. (Void) وهو نهاية مطاف البوذيين ، وآخر مرحلة من مراحل الطريق ، والهدف الأسمى للعمل الرياضي " سمادهي " (٢)

ويروى عن بوذا أحاديث كثيرة عن ممارسة " سمادهي " أذكر منها : " كل من يشعر بالبهجة ، وهو يؤدي شعائر " سمادهي " : التفكير المركز ، هو الذي لايقلق بأي شيء على الاطلاق ، وهو الذي يعيش

==========

(١) مجموعة المصطلحات البوذية ٥٧٨ -- ٥٧٩ ، ٦١٠

(٢) كما أن الفناء عند الصوفية ، هي نهاية مطاف الصوفيين ، وآخر مرحلة من مراحل طريقهم ، إن هذه النظرية " سمادهي " قد أخذها أبو يزيد البسطامي (١٨٨ -- ٢٦١ هـ) أحد كبار الصوفيين من جذورها ، ثم نسخ منها نظريته وعقيدته في الفناء ، على أساس من فكرة " سمادهي " البوذية ، وسيأتي الكلام عنه مفصلا ان شاء الله .

منعزلا راضيا بأي شيء يكون موجودا عنده ، إن من يكون هذا هو الذي يستحق اسم " بيهكشو " (Bhikshu) (١)

" يا اخوتي بهيكشو" مارسوا " سمادهي " لأن صاحب " سمادهي " يدرك ببصره كل شيء على حقيقته ، إنه يعرف أن العين ، والأذن ،والأنف واللسان ، والجسم ، والنفس، كل ذلك متغير ، و يعرف أن الصورة ،والصوت والرائحة ، والذوق ، واللمس ، والتفكير، كل هذا متغير ، وأن كل متغير لاحقيقة له ولاجوهر." (٢)

" يا اخوتي بهيكشو ركّز فكرك ، ولاتضعف ، ولاتترك فكرك يعشق كيفما تشاء ، إنه لايمكن الحصول على العمق في التفكير لمن لم يكن حكيما ، والحكيم هو الذي يمارس " سمادهي " والتركيز في التأمل " أوباسانا " ،كلّ من يعوّد نفسه على ممارسة " سمادهي " والتأمل فقد قرب من " نرفانا " (Nirvana) (٣)

وواضح من هذا أن الوصول الى " نرفانا " عند بوذا لايكفي مجرد القضاء على الرغبات ، أو رفض متاع الدنيا ؛ بل لابد مع ذلك من رياضة النفس، بتمرين " سمادهي " ، واستمرار التأمل والتفكير في جميع الحركات والأعمال اليومية .

ولهذا التمرين " سمادهي " ثلاثة مراحل يجب أن يقوم المريد

---

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٤٧٢

(٢) المصدر السابق ٤٩٥

(٣) المصدر السابق (أبيدارما) ٦٤٨

باجتيازها للوصول الى الفناء والتحرر من الدنيا ، تدرّجا من الأبطأ الى الأصعب ، ومن الأغلظ الى الأدق ، ولايتمّ الانتقال الا بالتدرّج . والمراحل الثلاث هي التشبيت ، ثم التأمل والتمركز ، ثم الفناء . (١) والمراد بالتشبيت هو المجاهدة في إحضار النفس ، وتسكينها ، وتفريغها من شواغل الدنيا ، بحيث لايخطر بالبال شيء سوى الفراغ "Void". ثم لما تعوّد المريد على مرحلة التشبيت وطمأنينة النفس ، ينتقل الى مرحلة التأمل ، والمراد هو التأمل الذاتي العميق في شيء معين ، كالتأمل في النفس ، أو في ماهية الجسم وطبيعته ، من حيث الحدوث ، والتغير ، والعدم ، وينتهي تأمله الى الفناء . والانعدام ، والفراغ . فاذا توصل المريد الى هذه المرحلة من التأمل ، فانه يكون قد نسي جسده ، وذاب ذهنه ، ونسي العالم الخارجي كله ، وقد توصل الى مقام الفناء ، الفناء من الأكوان كلها ، بمعنى انه لايصبح يرى شيئا فيه ذات أو جوهر ، حتى نفسه حيث لايراها كأنها ذات ، وإنما يراها كأنها جلد ، ولحم ، وعظم ..... يتكوّن منها الجسم المفترض والمزعوم . (٢) وهذا هو مايسمى عند البوذية " سونياتا " (Sonyata) أي الفراغ ، كما يسمى أيضا " آناتا " (Anatta) أى لا جوهر " Non Atman "، وكلاهما من المبادىء الفلسفية الهامة عند بوذا . ومما يروى عنه قوله المشهور الذي بنيت عليه هذه الفلسفة :

---

(١) سمادهي عند بوذا ١٩ – ٢٠

(٢) المصدر السابق ٢٤ – ٢٦ .

" كل شيء فارغ ، والكل لا جوهر له ،لاشيء موجود ، والكل يسير ويضمحل ، ويفنى ،والكل في صيرورة بغير جوهر " (١)

فالفناء ،في نظر بوذا هو عبارة عن اضمحلال الكائنات كلها مع وجودها ، والغاية من ذلك عدم الارتباط بها والاعتماد عليها ، فاذا توصّل المريد في رياضته الى هذه المرحلة ،فقد تحرّر من الدنيا ومافيها ، وعندئذ استعدّ للدخول في " نرفانا " (٢)

ويقال عنه إنه المتخلّص الحي ،لأنه يستطيع البقاء في هذا العالم ما شاء ،وتركه متى شاء . (٣)

و ممارسة " سمادهي " كما ذكرت في كتب البوذية لاتتقيد بحالة معينة من الحالات الجسدية ، بل كل حالة تساعد المريد على الاستقرار والراحة ،حتى ينسى جسده وما حوله .

وقد أشارت النصوص في كتاب " ترى بيتاكا " الى بعض الحالات والأوضاع التي اتخذها الرهبان المتقدمون في ممارستهم ،ولكن القديس البوذي "بوذتات" ينصح في كتابه " مبادىء عامة في الرياضة النفسية " (٤) باتخاذ وضع واحد ثابت ومريح ، وأشار الى أنه وضع بوذا في ممارسته " سمادهي " . وهذا الوضع هو مايسمى بوضع اللوتس،أو الجلوس التأملي المطمئن ، وصفته أن يضع الممارس القدمين بشكل يكون

---

(١) ترى بيتاكا (سوتنان) ٣١٢

(٢) مبادىء عامة في الرياضة النفسية ٣٦

(٣) " سمادهي " عند بوذا ٢٩

(٤) ٣١ ، ٣٢

أسفلهما الى أعلى فوق الفخذين ، ويضع اليدين تحت سرّته ، بحيث يكون اليمنى على اليسرى ، وأن يضع جسده بحالة مريحة تستطيع النفس معها أن تنسى وجوده ، ويشترط للممارس الفردي أن يخلو عن الناس، وأن يختار مكانا مناسبا للممارسة ، (١) وأن يستمدّ العون أولا من بوذا ، بأن يجعل خياله بين عينيه ، ويردد تراتيله ، فانه مرشده في طريقه الى الخلاص . (٢)

والطريقة المشهورة عند البوذيين في ممارسة " سمادهي " هي طريقة مراقبة الأنفاس " أو "التحكم على التنفس " (٣)

يقول القديس " بوذتبات " " التنفس هو الحياة . والطريقة المناسبة لأخذ النفس . والاحتفاظ به . وامتصاص خلاصته ، وطرد فضلاته ، تعتبر من الأمور الأساسية في تدريبات " سمادهي " (٤)

وتنقسم عملية التنفس الى أربع مراحل : الشهيق ، والاحتفاظ، والزفير ، والامتناع .

هذه مراحل عامة للتحكم على التنفس ، وكل مرحلة من هذه المراحل لها وظيفتها المحدودة ، ولابد من الالتزام بنسب معينة بين وقت

---

(١) كان الرهبان المتقدمون يختارون غالبا المكان المظلم في الممارسة ، كالكهوف ، أو المغاور ، أو الحدائق ذات الأشجار الكثيفة، أو في زوايا خاصة في أماكنهم كما هو أمر متّبع لدى كثير من الرهبان المتمدّنين في هذا العصر .

(٢) بودها دهارما ٢٨ ، ٢٩

(٣) الواقع ان هذه الطريقة لها أصل في مذهب اليوجية ، غير أن البوذيين ألبسوها في ثوب جديد .

(٤) سمادهي عند بوذا ١٩

كل مرحلة من هذه المراحل الأربع ، أما المراحل التفصيلية فهي سبع مراحل ، ويشترط أن لاينتقل من مرحلة الى مرحلة . الا بعد التمكن من الثبات والتركيز عليها ، وهي كما يلي :

المرحلة الأولى : أن يغمّض عينيه . ويبدأ بمراقبة أنفاسه من الشهيق والزفير .

المرحلة الثانية : يركّز تأمله على الشهيق والزفير من حيث طولهما وقصرهما .

المرحلة الثالثة : يركّز تأمله عليهما من حيث ثقلهما ، وخفتهما ، وغلظتهما ودقتهما .

المرحلة الرابعة : يميّز بين الاسم والصورة في تنفسه ، ويركّز تأمله عليهما ، والمراد بالاسم : الشعور النفسية ،وبالصورة: النفس.

المرحلة الخامسة : يركّز تأمّله على الشهيق والزفير من حيث حدوثهما، وصيرورتهما ، واضمحلالهما .

المرحلة السادسة : يحوّل التأمل في حدوث النفس الى التأمل في حدوث الجسم وتغيره ، ثم في حدوث الكائنات حوله وتغيرها، وعدم حقيقتها .

المرحلة السابعة : يصل تركيزه في التأمل الى مرحلة الفناء ، أي فناء الكائنات كلها، وعدم جوهرها .(١)

وهكذا زعموا أن الممارس اذا جاهد نفسه في هذا التمرين ،واجتاز

---

(١) مبادىء عامة في الرياضة النفسية ٤٤ – ٤٨ .

هذه المراحل السبع الى أن لايرى نفسه والكائنات حوله ، ولايعي سوى الفناء . فانه عند ذلك قد توصل الى الغاية من " سمادهي". ومن أنواع الممارسة ، التي عرفت لدى البوذيين أيضا طريقة التنفس مع الذكر . وصفتها : أن يجلس الممارس أمام تمثال بوذا ويبدأ ممارسته بترديد ثلاثة كلمات وهي : " بودانج " (Buddhang)و " دهارمانج (Dharmang)و " سانج فانج " (Sangkang) . (١)

وملازمة ذكرها مع الاحتفاظ بمراحل التنفس العامة التي أسلفناها. ويشترط في أثناء الممارسة ان يغمض عينيه ، وأن يستحضر معبوداته الثلاث عند الذكر ، كرمز للوصول الى انكار الذات والفناء. (٢)

وتعتبر هذه الطريقة من أكثرها شيوعا عند البوذيين المدنيين .

ومن المزاعم الباطلة في هذا الموضوع انهم زعموا أن مواصلة المجاهدة ، والمثابرة على تمرين " سمادهي " ، سبب لانكشاف القلب ، أي تظهر له أنوار الغيوب أو مايسمونه باللغة البالية " يانا " (Yana) وهي كالكشف عند الصوفية ، ولاينالها أحد الا بعد صفاء روحه من أدناس الشهوات ، وفراغه من الأكوان كلها . (٣)

ومن هنا إدّعوا كثيرا من الخوارق تحدث للمريد أثناء الرياضة والمجاهدة كثمرة من قوته الروحية ، وقد أشار كتاب " تيرى بيتاكا"

==========

(١) هذه الكلمات الثلاث تعني مقدساتهم ومعبوداتهم الثلاث كما مربنا

(٢) المصدر السابق ٣٦ في صفحة ١٩٨ .

(٣) * " تيرى بيتاكا " (سوتتان) ٣١٧ .

١ زظر

الى هذه الخوارق الخرافية . وبيّن أنها على مراحل ، حسب استعدادات النفس ودرجات سموّها .

فالذي حصل على " يانا " الأولى ، يظهر له بعض الخوارق العامة . كالمشي على الماء ، والطير في الهواء ، وطي الأرض ، والسير تحتها ، وكذلك الإتيان بالمطر في غيروقته ، وتكثير الطعام القليل ، وكلام البهائم وتسخيرها ، والصبر على الطعام مدة طويلة . الخ

والذي حصل على " يانا " الثانية ، يظهر له خوارق الأذن ، حيث يسمع صوت القريب والبعيد على السواء .

والذي حصل على " يانا " الثالثة ، يحدث له خوارق العلم والمعرفة ، حيث يستطيع العلم بالأمور المستقبلة والماضية ، والعلم بما في صدور الناس ، وما في العالم وما وراءه .

والذي حصل على " يانا " الرابعة ، يظهر له خوارق الذاكرة ، حيث يستطيع تذكر حياته السابقة .

أما الذي حصل على " يانا " الخامسة فيظهر له خوارق العين ، حيث يستطيع أن يرى ببصره سلسلة طويلة من حياة الحيوانات في هذا الكون ، بدايتها ، ونهايتها ، وآلامها ." (١)

وقد وجدت عند الصوفية ادعاءات وحالات كثيرة من الخوارق والكرامات مماثلة لهذا ، سأورد بعض الأمثلة منها في باب الصوفية ان شاء الله .

==========

(١) المصدر السابق ٣٣٨ - ٣٤٠ وأيضا (آبيدارما) ٦٤٠ ، ٦٤٣

٥ - الاجتماع لذكر التراتيل الدينية

هناك اجتماع الرهبان اليومي في كل صباح ومساء لذكر تراتيل بوذا أمام أصنامه ، ومما شاهدته في هذا الاجتماع أنهم يجلسون على هيئة الصفوف، بأن يقابل كل صفّ الصفّ الذي يقابله من الجهات الأربع، ويذكرون التراتيل على صوت واحد، بأن يبدأ بها رئيسهم، ثم ينطقون بها وراءه ، ويرفعون أصواتهم، ويتمايلون يمينا وشمالا(١) وقد أفادني بعض الرهبان أن هذه التراتيل عبارة عن أدعية بوذا التي نادى فيها جميع الحيوانات في العالم، بأن يتذكروا آلام الدنيا، ويعملوا للخلاص منها ، وقالوا إن الغرض في ذكر هذه التراتيل، هو إيجاد " سمادهي "، وإيجاد العطف والشفقة على سائر الحيوانات .

ومن معاني هذه التراتيل التي حفظتها عنهم :

" أيتها الحيوانات ، أيها الاخوة المشاركون في الألم .

اذكروا بوذا المستنير الذي جاء بطريق النجاة .

اذكروا بوذا المستنير الذي أنجاكم بها من آلام الحياة .

أيتها الحيوانات ، أيها الاخوة المشاركون في الألم .

اذكروا بوذا المستنير ، وآمنوا به ، وآمنوا بشريعته " دهارما "

وآمنوا بجماعته " سانغا "، فلا ملجأ لكم الا هذا الثالوث .

أيتها الحيوانات ، أيها الإخوة المشاركون في الألم

==========

(١) ومن الملاحظ أن صفة ذكر التراتيل هذه شبيهة بما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية في صفة ذكرهم وسيأتي الحديث عنه ان شاء الله في باب الصوفية .

كلكم جميعا يولد ، ويهرم ، ويمرض ، ويموت .

فعيشوا عيشة سعيدة ، ولا تتعادوا .

وعيشوا عيشة سعيدة ،ولا تتحاقدوا .

وعيشوا عيشة سعيدة ، ولا تتظالموا .

وليشمل عطفنا وعطفكم على سائر الحيوانات ،إنها أصدقاء لكم ،

وإنها مشاركة لكم في الألم .

والتراتيل المأثورة من بوذا كثيرة ، لكل منها خصائص معينة .

ومن أهم هذه الخصائص التي ذكروها في كتبهم ، أن بوذا سيحضر في

كل مجلس ذكرت فيه تراتيله ، ويبارك على أهله .(١)

وعلى هذا يفتتحون أدعيتهم وتراتيلهم دائما بهذه العبارة :

" نستحضرك يابوذا أيها المقدس المستنير "

وهناك اجتماع ديني أسبوعي في المعبد " آرام " (Aram) ، حيث

يجتمع فيه المدنيون رجالا ونساء ، ويقدّمون فيه الأطعمة والحاجات

اللازمة للرهبان ،ثم يشتركون معهم في طقوس الصلوات والتراتيل،

ويستمعون أحيانا الخطب والمواعظ من بعض مشايخ الرهبان .

ومن العادات المعروفة في هذا الاجتماع منذ العصر القديم (٢) أن البوذيين

---

(١) بودادهارما ١٨٢ إن مثل هذه العقيدة الخرافية موجودة أيضا عند بعض الطرق الصوفية المبتدعة في الاسلام فهم اعتقدوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيحضر جسما وروحا في مجلس أورادهم . وسيأتي تفصيل هذا عند الكلام عن الصوفية ان شاء الله .

(٢) أشار كتاب " ترى بيتاكا " الى هذا الاجتماع في عدة مواضع انظر (سوتان) ٤٨٩ ، ٤٩١ و (فيناياا) ٢٢٤ ، ٢٣١

يتلقون من رهبانهم الوصايا البوذية على الصفة التي ذكرناها (١) وبعضهم يتلقون التراتيل الدينية ليحفظوا عليها كتعاويذ يزعمون انها تمنع من الشرور .

==========

(١) راجع الأخلاق البوذية صفحة ١٥٠ .

المبحث الرابع : القديسون وعبادتهم

ان القديس (Arhat) في مفهوم البوذية هو الراهب الذي تخلص من الدنيا ومافيها ، ووصل مرتبة عالية في الرياضة النفسية " سمادهي". وهو الشخص المعصوم لدى البوذيين ، المتجرد من الصفات البشرية المذمومة، ولابد أن يظهر له بعض الخوارق والمكاشفات .

وقد نص كتاب " ترى بيتاكا " (١) على الطريق الى مرتبة القداسة (Arhat) وهو الكف من الرذائل العشر ، وهي :

(١) راخا (Raka) أي الفرح ، والرضى ، أو الرغبة .

(٢) موها (Moha) أي الغواية . والغرور .

(٣) اوبناها (Upanaha) أي الحقد .

(٤) بلاسا (Palasa) أي عدم احترام الناس .

(٥) ماجشاريا (Majjariya) أي البخل .

(٦) توسا (Tosa) أي القصد في الايذاء .

(٧) كوتا (Kota) أي الغضب .

(٨) ماخا (Maka) أي انكار المعروف .

(٩) اسا (Issa) أي الحسد .

(١٠) مانا (Mana) أي التكبر .

فمن تخلص عن هذه الرذائل العشر يستحق لقب " القداسة " (Arhat) وقد ظهر في التاريخ البوذي عدد لايحصى من القديسين

---

(١) أبيدارما ٦٨٨

الذين ادّعوا الوصول الى مرتبة " القداسة " وادعوا المكاشفـــــات والخوارق .

وقد جاء في ". ترى بيتاكا " (١) مايفيد أن تلاميذ بـــوذا كلهم حصلوا على " القداسة " أو بتعبير آخر وصلوا " نرفانـــا " في هذه الحياة ، وأنهم عنصر من عناصر الشالوث الذي يستحق التقديس .

وجاء فيه قصص وحكايات كثيرة عن خوارق القديسين ومكاشفتهم، تشبه أكثرها أساطير خرافية ، كالمشي على الهواء ، واحياء الموتى وكلام البهائم ، وطي الأرض وماشابه ذلك.

وقد اعتقد البوذيون أن هذه الخوارق والمكاشفات جزء ضروري للقديس (Arhat)،فلا يرتقي الراهب العادي الى مرتبة القديس الا بظهور الخوارق والمكاشفات ، وهو كما يعتقد الصوفيون في أولياءهـــــم ومشايخهم .

ومن أجل هذا فان القديسين أصحاب الخوارق والمكاشفات، هم أجـــدر الناس عند البوذيين بالتقديس والعبادة ، وأفضلهم على الاطلاق ،لأنهم يمثّلون بوذا المتخلص من العالم والمثل الأعلى على حد زعمهم. وبهذا اختلف القديس في البوذية عن القديس في غيرها من الديانات الوثنية، لأن القديس في البوذية لايقوم بدور الوسيط، ولا بدور الشفيع بيـــن الناس والاله كما في غيرها ،وانما يمثّل فقط المتخلّص من العـــالم، والمتخلص من جميع الرغبات والشهوات ، ومن ربقة " كارما" (Karma)

---

(١) سوتان ٣٠٧ ، ٣٠٨

على حد زعمهم ، وهذا هو المثل الأعلى عندهم .

والشيء المشترك بين البوذية والديانات الوثنية الأخرى هو الاعتقاد بالوهية القديس .

فالبوذيون يعتقدون في قديسيهم كما يعتقد الهندوس والنصارى وأمثالهم في كهنتهم وقديسيهم ، من العصمة ، والقداسة ، والتصرف في الكـــــون ، والقدرة على إغاثة المستغيثين ، واجابة المضطرّين ، وكشف الضر عـــن المكروبين ، وعلمهم بالغيب ، وحضورهم في كل مكان وزمان ، وماشابه ذلك .

وقد اعتقد البوذيون أن أرواح القديسين تحل في تمثالهم ، ولذلك اذا مات واحد منهم ، شيّدوا على مقامه تماثيل ، وأنصبوا له أنصابا ليتبركوا بها ، ويطلبوا منها جميع حاجاتهم .

وبهذا كثرت التماثيل والأصنام في البوذية تبعا لكثرة عدد القديسين . والبوذيون يفضّلون القديس صاحب الخوارق الكثيرة ، وتباع تمثاله فـــي الأســواق بأغلى ثمن .

ففي تايلاند نجد في كل مسكن بوذي يخصّص ركن للعبادة ، توضع فيـــه تماثيل القديس المتنوعة ، ويعلوها تمثال بوذا الذي يحيطونه بعقـــود الأزهار ، وتوضع فيه أيضا مواقد للبخور .

ولايقتصر وجود هذه الهياكل على المساكن ، بل تقام أيضا في أماكن العمل ، والمدارس ، والمستشفيات ، وسائر الدوائر الحكومية .

أما في المعابد البوذية ، فان آلهتهم فيها تمثّل الشخصيات المختلفة من القديسين في تماثيل آدمية ضخمة ، وتعامل هذه التماثيل كما أنها

مخلوقة حية ، حيث يقوم الرهبان بالباسها ، وتنظيفها ، وتقديم القرابين لها ، وهي عبارة عن الزهور ، والشموع ، وعيدان البخور .(١)

وقد تحمل هذه التماثيل في الاحتفالات الكبرى وفي الأعياد السنوية .(٢) على محفّات في مواكب فخمة تخترق الشوارع ، وتحاط بالزينة الفاخرة كما يصحبها الموسيقى ، والرقصات الدينية من الرجال والنساء ، مع تلاوة أناشيد أو تراتيل .

وقد بالغ بعض البوذيين في تقديس التماثيل ، فعلّقوها في عنقهم تبركا بها ، وهم في هذا يشبهون النصارى الذين يعلقون في عنقهم الصليب

---

(١) وهي العيدان الصغيرة تشعل أطرافها بالنار ويتبخر بها ، والبوذيون يستعملونها في جميع طقوسهم الدينية .

(٢) إن الأعياد السنوية في البوذية كثيرة جدا أهمها مايسمى بيوم " ويساخابوشا " (Visaka Bosha) والذي يوافق ليلة البدر من الشهر السادس (يونيه) في كل عام ، ويحتفل البوذيون في هذا اليوم لذكرى مولد بوذا ، واشراقته ،ووفاته. ويحملون فيه الشموع ، ويطوفون بها حول المعبد ، ومنها أيضا عيد كبير يسمى " ماخابوشا " (Maka Bosha) والذي يوافق ليلة البدر من الشهر الثالث (مارس) في كل عام ، ويحتفل به البوذيون لذكرى بوذا حينما خطب بالناس أول خطبة بمدينة " راجاغرها ". (Rajakareha) وذلك بعد اشراقته بتسعة أشهر ، وهناك في الشهر القمري الأخير ، عندما يكون البدر في تمامه ، يحتفل البوذيون بعيدهم ، ويرسلون مركبا صغيرا على شكل زهرة اللوتس، وعليه شمعة موقدة ، وقطعة نقدية صغيرة ، فوق مياه الأنهار والقنوات ، لتسمح عنهم آثام الماضي حسب اعتقادهم ،وتطرد عنهم الأرواح الشريرة .

أو تمثال مريم ، أو ماشابه ذلك . وقد يعلق بعضهم عشرات من التماثيل التي تمثل الأشخاص المختلفة من الرهبان والقديسين ، وقد كنت سائلا واحدا منهم عما اذا أصابه الضر أو المكروه ، كيف تنجيه هذه التماثيل عنه وهي كثيرة ؟

قال : " انها تتعاون فيما بينها "

فقلت له بشيء من السخر والهزل : " حسن ، ولكن اذا تنافست هذه التماثيل في الأمر ، وتخاصمت فيما بينها ، فماذا تفعل . ؟

فسكت الرجل ، وغضب غضبا شديدا .

وهكذا البوذيون وأمثالهم . انهم يتصورون المثل الأعلى في القديس المتبتّل ، الذي يقضي حياته كلها في سلك الرهبنة ، فيعبدونه من دون الله .

أما الاسلام الدين الحنيف ، فلم يصوّر المثل الأعلى في انسان مخلوق ، وإنما صوّره متمثلا في الله الخالق سبحانه وتعالى وحده ، وفيه يجتمع من الكمالات المطلقة أقصى ما يستطيع عقل بشري أن يتصوّره . قال تعالى " ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم " (١)

وقال تعالى (٢) : " وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم "

وبمناسبة الكلام عن التماثيل والآلهة في البوذية ، أحب أن أورد فيما يلي ماسجلته في إحدى الجولات التي قمت بها أثناء جمع المراجع البوذية في مدينة " بانكوك " وغيرها ، وذلك في عام ١٩٨٥ م = ١٤٠٥هـ .

---

(١) النحل ٦٠ (٢) الروم ٢٧

في دولة " تايلاند " (Thailand) إحدى المراكز البوذية الكبيرة في آسيا ، توجد معابد عديدة ، بلغت عددها ٢٨،٤٦٣ معبد (١) وأكبر هذه المعابد على الاطلاق في شرق آسيا هو معبد " ناكون باتوم " (Nakonpatom)الذي يقع بعيدا عن مدينة بانكوك بحوالي ٥٠كم والذي اشتهر بوجود اكبر تمثال بوذا الذهبي ، وقد توافد اليه أفواج القاصدين لعبادته من مختلف الجهات في أعيادهم .

وفي إحدى الجولات التي قمت بها في معابد بوذية مختلفة ،وجدت أن الأصنام في كل معبد أكثر من عشرين صنما ، تمثل هذه الأصنام أولا شخص بوذا في حركاته المختلفة ، ثم أشخاصا من القديسين المشهورين عندهم .

وفي بعض المعابد ينحت تمثال بوذا الكبير خارجها ، جالسا تحت الشمس، يتجمع الناس حوله في الأعياد .

ومن الأحداث المضحكة في البوذية في تايلاند ، أنه توجد عصابات كثيرة من البوذيين لسرقة الأصنام ، لأن بيعها في السوق غالية ،خاصة اذا كانت قديمة ، ففي كثير من المعابد سرقت أصنامها ، وفي الجرائد اليومية تنشر دائما أخبار هذه السرقة ، ونستطيع أن نقرأ مثل هذه العناوين في الصفحة الأولى من الجرائد :

" قطعت ليلة أمس رؤوس من الأصنام الثمينة في معبد فلاني قيمتها

==========

(١) من كتاب Buddhism in Siam P.95

وهذا الرقم حسب إحصائيات عام ١٩٧٢ م وقد تغير اليوم قليلا

أكثر من ..... " !

أو "قبضوا على سراق الأصنام حينما حاولوا أن يسرقوا تمثال بوذا الذهبي قيمته .... " !

أو ما أشبه ذلك

وهذه هي سخرية مريرة بالتدين ، وبالعقلية البشرية التي تؤمن بهذه النحلة ، والتي لم تقلع في هذا الضلال ، الا لأنها تتبع الهوى ، وتهمل التعقل والتدبر ، وتترك ماجاءها من الوحي الصادق .

يقول تعالى " ان يتبعون الا الظن وماتهوي الأنفس ، ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ، أم للانسان ماتمنّى ؟ " (١)

ولقد شاهدت بنفسي أيضا هذا الهوى ، وسبرت غور أهله ، فوجدتهم مساكين يعيشون في الأوهام والضلال ....

في المناطق الشمالية بتايلاند معابد كثيرة جدا ، ذهبت في يوم الى معبد بوذي كبير أشتهر بوجود آثار قدمي بوذا فيه ، وقابلت راهبا كبير السن عرفت منه أنه عاش مترهبا في هذا المعبد أربعين سنة ، وبعد أن قدّمت عليه الرغبة في معرفة آثار بوذا ، جعل يلقّي علي قصّة طويلة ، ثم تحدّث عن خوارق هذه الآثار التي منها إنزال الأمطار المستمرة لأهل المنطقة .

فقلت له في شيء من الجدّية - وأنا أسخر -: كم مرة جاء بوذا - وهو في الهند - الى هذه المنطقة حتى ترك فيها آثار قدميه ؟ وماذا ركب بوذا : الطائرة أم الباخرة ؟

وبدأ الشحوب يظهر على وجه الراهب ، وقال : لاشيء من هذا يحدث ،

---

(١) النجم ٢٣ ، ٢٤

ولكنها مدوّنات في كتابنا .

فقلت له : حبّذا لو وضعت حكومتنا هذه الآثار على كل منطقة يابسة في البلاد لكي تنزل عليها الأمطار !

ولم يلبث أن اكملت الكلام ، إلا أنه سألني من الدين الذي أدين به وقال : " أنت في حاجة الى أن تقرأ عن إلهنا بوذا ، لكي تؤمن به. ومدّ يده بكتاب قديم ليعطيه لي . فاعتذرت ، ثم جعلت أشرح له الاسلام ، فاستمع له ، وتعجب منه كأنه لم يسمع شيئا قط عن الاسلام، ودارت محادثات بيني وبينه ، حتى ظهر في وجهه وكلامه أنه مقتنع، ولكنني عرفت أن في قلبه جذورا عميقا من العقائد الوثنية ، يصعب إقلاعها واستئصالها في مثل هذا الوقت القليل ، فأهديت له كتابا عن الاسلام ، لعل الله يهديه به الى سواء السبيل .

وخرجت من المنطقة وأنا أشعر بأن دعاة الاسلام عليهم مسئولية عظمى في نشر الاسلام وتعريفه لأهل هذه المنطقة وأمثالها ، لأنهم لم يجدوا من يشرح لهم الاسلام ، ولم يجدوا من يقول لهم إن معتقداتهم باطلة ، وإن كتابهم ليس الا أساطير الأجداد الأولين .

ومرة أخرى في معابد مشهورة يقال لها " ماهاتات" (Mahathat) والتي تقع في وسط مدينة بانكوك ، وتعتبر أكبر مراكز الدعوة البوذية في تايلاند (١) . رأيت حول المعابد وبجانب حيطانها أكثر من مائة حانوت لبيع الآلهة (الأصنام) . إن الأصنام مرصوصة ، كبيرها، وصغيرها ، وجديدها ، وقديمها ، على حافة الطريق الطويلة ، والناس يتجولون من حانوت الى حانوت ، يتساومون آلهتهم ، ويتدبّرون في أنواعها .

==========

(١) فيها أنشئت الجامعة الكبيرة الخاصة لدراسة البوذية = =

ورأيت رجلا بثياب سوداء يقف على بيعها ، وفي عنقه قلادة ذهبية طويلة ، معلّقة بأنواع مختلفة من الأصنام .

فسألته : بكم تبيع هذا ؟ وأشرت الى أحد الأصنام المعروضة في حانوته ، فذكر الرجل ثمنه ، ثم جعل يذكر أثمانا مختلفة ،حسب حجم الصنم ، ونوعه ، وشهرته .

فسألته : وكيف تتفاوت أثمان الآلهة .... ؟

وحملق بعينيه فيّ ، وفتح فمه ..... ولم ينطق .

وفي حانوت آخر رأيت سيدة تبيع هذه الأصنام ، فجعلت أسألها عن أسمائها ، فذكرت لي أن هذا صنم الطب ، وآخر صنم الجمال والحب ، وثالثا صنم الحرب ، ورابعا صنم القوة ، وخامسا صنم الخصب والثراء والرزق ... الخ

فقلت لها : ولم تبيعين هذه الآلهة بثمن قليل.؟

أليس من الأفضل أن تبقى كلها عندك لتكوني أنت أجمل نساء العالم ، وأغناهن ، وأحسنهن صحة ، وأقدرهن على الغلبة والنصر ، وأكثرهن ثراء .....؟!

ونظرت الي هذه السيدة ، واندهشت ، وسكتت ..... وانصرفت .

وهكذا رأيت أن الآلهة تباع في الأسواق ، وتساوم في أثمانها

= و هي : (Mahamongkot Buddhist University) وتضم قسمين ، قسما للرهبان ، وآخر للمدنيين ، كما انشئت فيها المطابع الخاصة لنشر الكتب ، والمجلات ، والبحوث التي تتعلق بالبوذية .

... ثم هي بعد ذلك مصدر للخير ، والبركة ، والصحة ، والجمـــال والثراء ! .....

وفي بعض الأعياد البوذية توجد مسابقة الأصنام ، والذي فاز منهـا بالجائزة يباع في الأسواق بأعلى ثمن .

أفليست هذه سخرية مريرة بالتدين ، وبالعقلية الانسانية التي تؤمن بهذه النحلة ؟ لم يفكّر واحد منهم ، كيف يكون الاله في قارعـة السوق ، يساوم في ثمنه ، ويرتفع ثمنه ، وينخفض ، ثم يكـون بعد ذلك محلا للتقديس ومصدرا للرعاية . ؟ ولم يفكّر واحد منهـم كيف تستحق هذه الأصنام أن تكون آلهة ، وقد تقطع رؤوسها ، وتسرق ، ولم تدفع عن نفسها شيئا . ؟

إن هذا الوضع مازال قائما يمكن للزائر أن يشاهده كلمـا ذهب الى بانكوك أو أية دول بوذية في شرق آسيا ، فهناك سوف يجد آلهة في الأسواق كثيرة ، وسوف يتألم لأخوة في البشريـة صاروا نصيبا مفروضا للشياطين .

أسأل الله تعالى لهم الهداية وأن يوفقنا لنبلغهم دين الله الحنيف .

ومن الشعائر البوذية التي عرفت عند البوذيين من قديم الزمن الى اليوم زيارة الأماكن المقدسة عندهم ، وهذه الأماكن هي التي شهـدت أهم الأحداث في حياة بوذا .

منها مدينة " كابيلا فاستو " (Kapilavastu) ، وهي مكـان ولادته ، و " بودهاغيا " (Buddhagaya) ، حيث بلغ مايزعـم

بالاستنارة ، ثم مدينة " فاراناسي " (Varanasi) أو " بنارس" الحالية (Banares)، حيث ألقى خطبته الأولى .

وأخيرا هناك " كوسينارا " (Kusinara) وهي المعروفة اليوم بـ " كاسي " (Kasia) حيث داهمته الوفاة (١)

كما أن هناك تقديسا لما لم يحرق من جثة بوذا . فبعض المدن البوذية يدّعي أهلها أنهم حفظوا تلك البقايا في أماكن تسمى " اشتوبا " (Stupa) ، وهي عبارة عن مبنى مستدير ومرتفع، يرمز الى أقسام العالم المختلفة ، ويحفظ فيه غالبا مايظن انه رماد بوذا .

وعلى سبيل المثال أن مدينة " رانغون " (Rangkoon) عاصمة " بورما " (Berma) ، تفتخر بما تظنه الشعر الحقيقي لبوذا ، فتحفظه بعناية بالغة في أشهر معابدها التي تسمى " سوى ديغون" (Swe Degon) ، كذلك فان مايظن أنه سنّ بوذا محفوظ في " سيلان " (Silon) (٢)

وفي مدينة " سارابوري " (Saraburi) في غرب تايلاند تفتخر بأثر قدمي بوذا ، ويزينه أهلها بالذهب والأحجار الكريمة ، ويحفظونه في أفخم المعابد في المدينة ، وهناك أيضا شجرة "بودهي " (Bodhi) المسماة بشجرة العلم والمعرفة ، والتي نال بوذا

---

(١) هذه الأماكن مر تعريفها في باب تمهيدي

(٢) تاريخ الديانة البوذية ١١٦ .

تحتها استنارته المزعومة ، هي مقدسة عند البوذيين ، وتحتل مكانة مرموقة في تقاليدهم .

إن مثل هذه الآثار البوذية ، يحجّ اليها البوذيون ، ويتبركون بها ، وينشدون لها الصلوات والترانيم الدينية ، ويقدمون لها النذور والقرابين ، ويستغيثون بها في جميع أحوالهم وشدائدهم . (١)

وهكذا شأن الديانة البوذية التي بدأت أول ما بدأت بالالحاد ، والاعتماد على الزهد ، والتأمل ، والرياضة النفسية ، لأجل الخلاص من الدنيا . إنها تطورت بمرور الزمن ، وأصبحت منذ وقت مبكّر أكثر الديانة آلهة ومعبودات من بين الديانات الحية في العالم ، كما امتلأت بالطقوس ، والاحتفالات ، والأساطير ، والخرافات .

إنها - في الواقع - ليست بوذية بوذا ، ولكن الواقع أيضا أن بوذا قد مهّد لها الطريق ، حتى وصلت الى هذه المظاهر المعروفة .

ولا أريد هنا أن أقارن بين بوذا الذي استقى تعاليمه من العقل والذوق ، أو بتعبير أصح من الوهم والخيال ، ولاصلة بينه وبين الوحي السماوي في أي وجه من الوجوه ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، من حيث التعاليم لكل واحد منهما .

لأن بينهما بونا شاسعا تستحيل المقارنة ، الا أنني أريد أن أشير

---

(١) ومن المؤسف ان مثل هذه التصرفات الوثنية موجودة رائجة في الجهال من المسلمين ، وخاصة أتباع الطرق الصوفية المختلفة ، والمغفلين ، والسذج من الناس . نسأل الله أن يهديهم الى سواء السبيل .

هنا الى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما دعا الناس الى التوحيد بالله سبحانه وتعالى، حمى جنابه ، وسدّه كل طريق يوصل الى الشرك.

ويكفيك ماروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" لاتُطْرُوني كما أطْرَت النصارى ابن مريم (١) ، فانما أنا عبد،فقولوا عبد الله ورسوله " (٢)

وقال أيضا : " يأيها الناس إياكم والغلوّ في الدين ، فانه أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين " (٣)

وكان من الدعاء الذي دعا به قبل وفاته :

" اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد " (٤)

---

(١) الاطراء : أي مجاوزة الحدّفي المدح والكذب فيه (انظر النهاية ١/١٢٣)

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٥٦ كتاب بدء الخلق باب واذكرفي الكتاب مريم اذا نتبذت من أهلها ،ورواه أحمدفي مسنده عن عمربن الخطاب رضي الله عنه ١/٢٣، ٢٤ .

(٣) رواه ابن ماجة ٢/ ١٠٠٨ رقم (٣٠٢٩) وأحمد ١/ ٢١٥، ٣٤٧ عن بن عباس رضي الله عنهما

قال الشيخ أحمد محمد شاكر : اسناده صحيح . انظر : مسند الامام أحمد شرح أحمد محمد شاكر رقم الحديث ١٨٥١

(٤) رواه مالك انظر : تنوير الحوالك شرح موّطأ الامام مالك ١/ ١٤٣ . واسناده صحيح . أخرجه الألباني في كتابه : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد الطبعة الرابعة صفحة ١٨، ١٩ .

المبحث الخامس : بيان مافي الرهبنة البوذية من الفساد

قد تبين من خلال المباحث السالفة في هذا الفصل ، أن نظام الرهبنة نظام يتعارض مع الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها ، وقد أشرت في غير موضع الى مثل هذا التعارض ، إذ أن معظم التعاليم البوذية ان لم تكن كلها لاتخلو من هذا التعارض ، غير أني أريد في هذا المبحث بيان المفاسد التي تترتب على هذا النظام ، وهي كثيرة . أختصرها فيما يلي : -

١) دعوة الناس الى الفقر ، وترك العمل ، والاتكال على الناس ، فماذا يصير المجتمع لو اتخذ جميع الناس الرهبنة منهجا لهم في الحياة ؟ إنه بالطبع سيأخذه الانحلال والاندمار ، لأن كثرة المترهّبين تعني كثرة المتسولين وكثرة المتعطلين عن العمل ، ولاشك أن من نتائج ذلك أن تزلزلت دعائم الحياة ، وتعطلت أهدافها ، فلم يكن هناك من يقوم بالعمل للانتاج ، ولم يكن هناك من يقوم بتدبير شئون الدولة ، ومن يقوم بالدفاع عنها .

وقد انتاب الفزع الحكومة البوذية التايلاندية في عصر من العصور لكثرة الأفراد وخاصة الشباب الذين تركوا دراستهم ، وهجروا متاجرهم وحقولهم ، لينخرطوا في سلك الرهبنة ، ويتخذوها ملجأ ومفرا من التجنيد الاجباري في البلاد .

وكان من نتيجة ذلك أن شل كثير من مرافق الحياة العامة ، وأصبحت حركة الرهبانية عاملا من عوامل الضعف والانحلال ، التي أخذت تنخر

في جسم الدولة ، فأصدرت الحكومة البوذية التايلاندية قانونا جديدا يقضي بمنع دخول الأديرة للترهب على الملائقين للخدمة العسكرية الا بعد اجتيازها ، وهكذا فان ماتعانيه كثير من الدول البوذية ، من التفكك، والضعف ، والانحلال ، ومن ميل الى القناعة ، والمسالمة ، ماهو الا نتيجة هذه الرهبنة الفاسدة .

٢) دعوة الناس الى التبتل ، والانفراد ،والاعتزال عن مجتمع الناس. وهذا تعطيل لإعمار الأرض ،ومخالف لروح الحياة الاجتماعية التي فطر الناس عليها .

إن هذه الرهبنة في الحقيقة تعتبر نوعا من التطرف البعيد عن الحكمة، وعن طبيعة الانسان الاجتماعية ، فليس من الدين في شيء ، أن يبتعد الفرد من مجتمعه ، وعن إخوانه من بني الانسان ،ليعيش وحيدا بعيدا عن الناس ، يقضي أيامه في جوع وحرمان ، أو يعيش في مجتمع ديري يأكل ماتيسر له من صدقات الناس، وقد توقعه مزلته من المجتمع البشري في كثير من الأخطار والمشاكل ،لأن هذه الجموع الضخمة من الرهبان قد هجرت زوجاتها ، وأولادها ، وتركتهم في ضيق من العيش ، فخلفوا الأمهات ثكالى ، والأزواج أيامى ، والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس .

ومن ناحية أخرى إذا نظرنا الى الحياة الرهبانية الانفرادية ، فاننا نجد أنها تكمن الأثرة ، والأنانية ، وحبّ النفس المفرط وراء حجاب التديّن ، لأن كل راهب يفكر فقط في انقاذ نفسه ، وخلاصه ،ووصوله

الى " نرفانا " ،دون أن يفكّر في غيره بالقدر الذي يفكّر به في نفسه ، واذا كان الراهب منهم يقوم بشيء من أعمال البر والاحسان، فانه لايقوم بها رحمة بأخيه الانسان ، وإنما رحمة بنفسه ،ووسيلة يصل بها الى هدفه المنشود

وليس ببعيد أن أقول ، إن هؤلاء الرهبان ، إنما يهجرون العالم ،ويلوذون بديرهم بالمعبد ، لأنهم في حقيقة الأمر أجبن من أن يواجهوا مصاعب الحياة ، ويعملوا على تعديل مابها من انحراف ، وتقويم ما فيها من آثام وشرور .

٣) إيجاد طائفة خاصة في الدين من الرهبان ، والتفرقة بينهم وبين غيرهم من المدنيين في الالتزام الأخلاقي وفي أداء الشعائر الدينية ، وقد أسلفنا ان الرهبان البوذيين يتقيّدون بآداب تبلغ (٢٢٧) فقرة ، بينما يكتفي المدنيون الساكنو البيوت بالالتزام والتقيد بالوصايا الخمس المعروفة لديهم ، (١) وعلى رغم ذلك فان هذا الالتزام والتقيد ليس على سبيل الوجوب ،وانما هو على سبيل التطوع ، اذ للبوذي المدني أن يختار مايناسبه من الوصايا الخمس، فيلتزم ببعضها دون البعض ، ولذلك نجد من البوذيين من يحافظ على الوصايا الخمس كلها وهم الأقلية ، ومنهم من يحافظ على بعضها دون البعض وهم الأكثرية ، فيكفّ عن القتل مثلا ،أو عن السرقة، ولكنه لم يكف عن الزنى ، وعن شرب الخمر ، محتجا في ذلك بأنه لم

==========

(١) وهي الكف عن القتل،والسرقة ،والزنا ،وشرب الخمر ،والكذب . وقد سبق ذكرها .

يتقيد به ، فلا ضرورة في المحافظة عليه . ومثل هذا سائر الشعائر البوذية ، فيها تفرقة بين الرهبان وغيرهم ، ولاتقام جماعة الا في بعض الأحيان على الرغم من وجود المعابد الضخمة الكثيرة ، وكأن هذه المعابد قد خصت للرهبان فقط دون غيرهم من المدنيين .

ولايخفى أن هذه التفرقة تنافي ما دعا اليه بوذا نفسه من المساواة، لأن هذه التفرقة جعلت المتدينين قطعة من المعبد ، وأدت الى وجود طائفة معينة من رجال الدين يتكسّبون بتدينهم .

وقد صدق " ول ديورانت " في حديثه عن الرهبنة البوذية اذ يقول: " ويظهر أن هذه العقيدة الدينية التي أرادت أن تستغني عن الكهنوت كانت بالفعل قد كوّنت لنفسها طائفة من النساك الرهبان ،لاتقل خطرا عن كهنة الهندوس ،ولن يطول الأمد بعد موت بوذا حتى يحيطوا أنفسهم بكل أسباب المجد التي كان البراهمة يحيطون أنفسهم بها "(١) (٤) هناك مفاسد وانحرافات في سلوك الرهبان أنفسهم داخل جدران الأديرة وخارجها ، ويرجع السبب في كل الفساد والفجور فيها الى الغلو والتشدد الذي أوجده الرهبان في نظام الرهبنة ، وخاصة التشدد في نظراتهم الى النساء ، ولو كنّ ممّن أحب الناس اليهم ، كالأمهات، أوالأزواج ، أو الشقيقات ، فهم يرون أن المرأة قذر ونجس ،ومن أراد الترقي في مدارج الكمال والوصول الى القداسة، (Arhat) فعليه أن يبتعد عن المرأة ،(٢) بل عليه أن يكرهها ويحتقرها ، كما أكد بوذا

---

(١) قصة الحضارة ٣/ ٨٧

(٢) تعاليم الرهبان ٣١

ذلك حينما سأله أحد حواريه يدعى آناندا(Anandha) قائلا " مارأيك بالنساء أيها المعلم ؟ قال بوذا : " ياآناندا " يجب على الرهبان الابتعاد عنهن، فهن خبيثات ، وكيدهن عظيم ، وعلينا ألا ننظر اليهن، ولا نكلمهن ، ونأخذ حذرنا منهن ". (١)

وهكذا تعاليم الرهبنة المتزمّتة ، ولكن الانسان هو الانسان ، ومهما كانت مكانته ، فانه لايتجرد عن شهوة الجنس ،ومن أجل هذا فقد توالت الأخبار الموثوقة حول الفجور والفواحش التي ارتكبت داخل الأديرة وخارجها .

ففي تايلاند إحدى الدول البوذية كنت أقرأ دائما في الجرائد ، خبر الراهبات اللاتي فصلن أنفسهن من سلك الرهبنة ، بسبب الحمل الذي لم يعرف صاحبه ، وقد تنتحر بعضهن بهذا السبب .

وكنت أستمع دائما من البوذيين خبر شباب الرهبان الذين خرجوا من أديرتهم في الليل ،بلباس المدنيين ، وبشعر صناعي ، الى أماكن الرقص ، والغناء ، والبغايا ، ثم أسرعوا الى أديرتهم قبل الفجر ، كيلا يراهم الناس .

وكان يحكيني أحد البوذيين الذي لايؤمن ببوذيته ، بأن رئيس الرهبان في قريته لايجتريء أن يدخل الى أديرتهم الاناث من الحيوانات،بسبب ما يحتمل أن ينتج من ذلك من ارتكاب الفجور ، مما يؤدي الى الخطر

==========

(١) ترى بيتاكا (سوتان) ٤٣٢

على رهبنتهم . (١)

وعلى رغم ذلك ،فلا يخفى أنهم لم يقوموا بما تعهدوا به من العفاف بين الرهبان من الجنسين .

وقد هاجم بعض العلماء البوذيين المعاصرين على هذه الانحرافات في الرهبنة ، فها هو الباحث البوذي الدكتور فراموت (Pramote) إذ يقول : -

" لايخفى على عامة البوذيين أن الأديرة والمعابد لم تعد بعد الى أن تكون ملجأة روحيّة لهم ، بعد أن أصبحت الأديرة قصورا فاخرة، وأماكن للفجور ، وبعد أن أصبح الرهبان يحترفون ببيع الأصنام والتماثيل ، ويكسبون أموال الناس بالعرافة ،والتنجيم ، والكهانة ..... إن الفساد لم يلبث ان تطرق الى نظام الأديرة في تايلاند وغيرها، وأصابها الملل ،وأصبحت بعيدة من المبادىء ، والمنشأة لأجلها " أهـ (٢)

٥) من المفاسد التي تترتب على الرهبنة أنها سبب من الأسباب في ظهور حركة الاباحية في المجتمع ،والتي تدعو الى التحرر من سلطان الدين ، ومن كل القيم والقيود الأخلاقية .

ولايخفى أن هذه الحركة قد انفجرت منذ وقت بعيد في مجتمعات

==========

(١) أفادني هذه المعلومات كثير من الزملاء البوذيين العسكريين الذين كنت معهم في خلال التجنيد الاجباري في تايلاند من ١٩٧٤ م الى ١٩٧٦ م .

(٢) من مقاله " مجتمع الدين " الذي نشر ضمن الكتاب المسمى " ما هو الصواب والخطأ ؟" باللغة التايلاندية ص ١٩ .

كل من الدول البوذية والنصرانية ، كرد فعل عنيف لمفاهيم الحرمان، والكبت ، والاضطراب النفسي ، التي تتمثل في تعاليم الرهبنة لكل من الديانتين .

يقول الاستاذ أنور الجندي :

" لقد تحولت الحياة في المجتمعات الغربية من النقيض الى النقيض كانت العصور الوسطى . وسلطان الكنيسة يحبس الكيان المادي ، ويدعو الى الزهادة والرهبنة ، واعتزال الحياة ، وانكار النوازع الفطرية الأصيلة في النفس ، الراغبة الى الممارسة والتنفيس. فلما كسر هذا القيد ، بلغ الانسان أقصى المدى من الناحية الأخرى ، فحبس العواطف والروحانيات ، وأطلق الأخرى ، ودعا الى وثنية واباحية عاصفة ." (١)

أقول كذلك الوضع في المجتمعات البوذية الشرقية ، فان طقوس الرهبنة الخرافية ، وكذلك الغلو والتشدد الذي أوجده الرهبان ، هو الذي دعا الناس لترك دينهم الذي يتجافى مع الفطرة السليمة ، كما دعاهم الى التفلّت من القيم الأخلاقية والعقائدية .

إن البوذية والنصرانية لم تقدرا ولن تقدرا أن تصلحا مافسد من أخلاق الناس وعقائدهم ، لأن حركة الفجور والاباحة تصاحب بلادهما وتسير فيها جنبا الى جنب .

٦) علاوة على ماذكرته من المفاسد ، فان الرهبنة كانت عاملة هامة من عوامل انحلال البوذية وانسحابها من الهند ، كما أثبت ذلك كثير من الباحثين والمؤرخين .

==========

(١) الاسلام والدعوات الهدامة ١٩٩

يقول " ول ديورانت " متحدثا عن سبب انحطاط البوذية في الهند

" وكان من نتائج انتشار البوذية ونظام الأديرة في السنة الأولى من التاريخ المسيحي ان امتصت من الهند عصارة الرجولة ، وتآمر ذلك العامل مع عامل الانقسام ، (١) فأدى العاملان الى فتح أبواب الهند لغزو الخارجي بغير عناء .

ولما جاء العرب (المسلمون) ، وأخذوا على أنفسهم أن ينشروا وحدانية بسيطة رواقية النزعة ، نظروا في ازدراء الى الرهبان البوذيين الكسالى الذين يفتحون أيديهم للرشوة ويتجرون بالمعجزات ، وحطموا الأديرة ، وقتلوا ألوف الرهبان ، ونثروا كل حريص على حياته من نظام الرهبنة في الدير ، فأما من أفلتوا من يد القتل من هؤلاء الرهبان ، فقد عادوا واندمجوا في الديانة الهندية التي كانت الأرومة الأولى لهم .....

وهكذا أخذت البوذية تختفي في هدوء وسلام من الهند ، إبان خمسة قرون كانت خلالها نهبا لعوامل التدهور البطيء " (٢)

كما ذهب الباحث البوذي المعاصر الدكتور " شاشوال سرى جانتارا " (Shashawal Srijantra) الى أن المادية التي سيطرت على الرهبان في الهند هي السبب في انحلال البوذية اذ يقول :

" إن الزخارف المدنية ، وأنوار الحضارة ، وطغيان المادية ، وسلطان

---

(١) أي الانقسام الى الفرق والمذاهب

(٢) قصة الحضارة ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ انظر أيضا حضارة الهند ٣٧ .

النفوذ ، والقوة التي عاشت فيها البوذية زمنا طويلا في الهند ،أغرقت رهبانها في حب الجاه والمال، والولع بحياة الترف ، ثم حوّلت أديرتهم ومعابدهم ،الى قصور من النعيم والجنان " (١)

ولعل أوضح الوثائق دلالة في هذا الصدد ماسجله الحاج الصيني هيوين سانغ (Hian Shang)(٢) في مذكراته الشهيرة ، حيث ذكر أن رهبان الهنود البوذيين في القرن الثاني عشر البوذي (٣) مغرقون في حب الدنيا ، وكانوا يعيشون عيشة الكسالى ، لايلتزمون بنظام الرهبنة ، ويعيشون كما يعيش المدنيون ، يقتلون الحيوانات ، ويتزوجون النساء .

وذكر " هيوين سانغ " ان كثيرا من المعابد في منطقة " جامو" و " كشمير " أصبحت قصورا للرهبان الأثرياء والرهبان المتزوجين، وان بعض المعابد استغل رهبانها الأراضي ، وملأت خزانتها بالقمح

==========

(١) Buddhism in Siam P. I06

(٢) زار الحاج الصيني هيوين سانغ الهند في أول القرن السابع بعد الميلاد ، ومكث فيها مدة طويلة ، حيث أبصر الانحطاط الذي آلت اليه البوذية ، وشاهد في كل مكان هجر الناس لمعابدها وأديارها ، وتداعي المباني ، وقد سجل مارآه في مذكراته التي تعتبر من إحدى الوثائق التاريخية في البوذية ، والتي يعتمد عليها المؤرخون من علماء البوذيين وغيرهم .
انظر تاريخ الديانة البوذية ١٣٢ وانظر أيضا حضارات الهند ٣٨٩ – ٣٩٠ .

(٣) يوافق القرن السادس والسابع للميلاد ، لأن التاريخ البوذي قبل الميلادي بخمسمائة وثلاث وأربعين سنة على المشهور ، وقد حسب التاريخ البوذي من يوم وفاة بوذا .

والأرز ، وبعضها ملكت الأموال والثروة من الذهب والفضة ، ولم تصرفها في سبيل الخير ، وإنما يصرفها الرهبان في سبيل ترفتهم ونعيمهم.(١)

أ قول إنّ هذه الظاهرة الرهبانيّة في التاريخ هي التي دفعت البوذيّة في الهند نحو الزوال والاضمحلال، وكذلك شأن كل ديانة وحضارة ، لأن رجال الدين والقديسين اذا استبدت بهم المادية . واستولت عليهم الشهوات والملذات . أسرع الانحلال والفناء اليهم ، والى كل المعالم الحضارية عندهم ، وهذا ما حدث للبوذية في الهند ، وهو دليل أيضا على عجز هؤلاء الرهبان من التقيد بالرهبانية وتنفيذها . وعلى استحالة تطبيق الرهبانية في الحياة ، لمنافاتها للطبيعة البشرية التي أعطيت قوى ذاخرة في أعماقها ، لايجوز القضاء عليها ، أو تجاهلها ، أو قتلها .

==========

(١) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٩٣ - ٩٤

المبحث السادس : موقف الاسلام من الرهبانية

إن موقف الاسلام من الرهبانية موقف واضح صريح يختلف عن سائر الديانات . لأن الاسلام دين فطري . يراعي مقتضيات الفطرة في جميع تعاليمه وأحكامه ، فقد رفض الاسلام الرهبانية كلها وبكل صورها رفضا عنيفا ، ويتجلى هذا الرفض العنيف في أحاديث كثيرة . منها ماروواه البخاري (١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :

" جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (٢) ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : " أما أنا فاني أصلي الليل أبدا" وقال آخر : " أنا أصوم الدهر ولا أفطر " ، وقال آخر:" أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا " . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أنتم الذي قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني "

وقد روى البخاري أيضا (٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : " ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لا ختصينا . "

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٧/٣ كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ورواه أحمد في مسنده ٢٨٥/٣ عن أنس

(٢) أي استقلوها ، وهو تفاعل من القلة . انظر النهاية لابن الأثير ٤/ ١٠٤

(٣) صحيح البخاري ٢٣٩/٣ كتاب النكاح باب ما يكره من التبتّل والخصاء ورواه مسلم في صحيحه ١٠٢٠/٢، ١٠٢١ كتاب النكاح (رقم ١٤٠٢)

يعني لو أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم للتبتل والاعتزال من النساء للتفرغ لعبادة الله لقطعنا خصيتنا ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأذن له ، لأن التبتل لايتفق مع فطرة البشرية .

وفي حديث آخر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:" لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان ممن ترك النساء ، بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" ياعثمان ، إني لم أومر بالرهبانية ، أرغبت عن سنتي " ؟ قال:"لا يارسول الله " قال:" إن من سنتي أن أصلي وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ياعثمان ان لأهلك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا " (١)

وهناك أحاديث أخرى كثيرة في هذا المعنى .

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد مشيرا الى أنه رهبانية الاسلام ، فروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا جاءه فقال " أوصني " فقال " سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك ، أوصيك بتقوى الله ، فانه رأس كل شيء ،وعليك بالجهاد ، فانه رهبانية الاسلام ." (٢)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) رواه الدارمي في سننه ٢/ ١٣٣ وصححه الألباني وأخرجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٩٤) ١/ ١٣٤

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٨٢ . قال الألباني واسناده حسن وأخرجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم(٥٥٥) ٢/ ٨٧

" لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل ." (١) ولاشك ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، حينما اعتبر الجهاد رهبانية هذه الأمة ، فانه قد قضى حياته في الغزو ومحاربة الشرك والنفاق حتى مات دون ذلك ، فلم يكد ينتهي من غزوة ، حتى يمضي هو وأصحابه الى غزوة أخرى .

والمتدبر لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم يعلم ذلك ، وعلى هذا فقد حفظ التاريخ للمسلمين صفحة باهرة ، تتمثل في الفتوحات الاسلامية التي تحققت وتمت على أيديهم . أما الرهبنة واعتزال الناس فلم يكن اطلاقا شأن الصحابة ولاطريقتهم ، لكن منهم من أراد فعل ذلك ، فمنعه الرسول ونهى عنه ، كما سبق ذكره في أمر عثمان بن مظعون وغيره .

وهكذا وقف الاسلام من البشرية موقف الكرامة ، والعزة ، والسماحة . فلم يحرم التمتع بالحياة من أمور الدنيا ، ولم يطالب الناس بالانقطاع عنها والتفرغ للعبادة ، لأن الاسلام ربط بين الحياة الدنيا وبين الآخرة ، وأباح للانسان طيبات الدنيا ، من زواج ، وزينة ، ومتاع ، وطعام ، من مصادر الحلال ، ووفق ضوابطه التي أريد بها تكريم الانسان وحمايته .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٢٦٦ قال الألباني واسناده ضعيف من أجل زيد وهو ابن أبي الحواري وهو ضعيف كما في التقريب وقد قال فيه الدارقطني وغيره : صالح فمثله يستشهد به .
انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٨٨ .

والى هذا أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى :

" قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. " (١)

وقوله تعالى :

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا " (٢)

وقد بلغ استنكار القرآن نفسه للاتجاه السلبي من تحريم المباح أن سمّاه اعتداء ، وسمّى أصحابه بالمعتدين ، إذ يقول تعالى :

" يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيّبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين " (٣)

يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير هذه الآية :

" ولقد جاء هذا الدين (الاسلام) ليحقق الخير ، والصلاح ، والتوازن المطلق ، والتناسق الكامل ، بين طاقات الحياة البشرية جميعا ، فهو لا يغفل حاجة من حاجات الفطرة البشرية ، ولا يكبت كذلك طاقة بناءة من طاقات الانسان ، تعمل عملا سويا ، ولا تخرج عن الجادة ، ومن ثم حارب الرهبانية ، لأنها كبت للفطرة ، وتعطيل للطاقة ، وتعويق من انماء الحياة ، ونموها ، وتجددها ، لقد خلق الله هذه الحياة لتنمو ، وتتجدد ،

---

(١) الأعراف ٣٢ (٢) القصص ٧٧

(٣) المائدة ٨٧ يقول القرطبي : ولاتعتدوا : أي لا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله ، فالنهيان على هذا تضمنا الطرفين : أي لا تشددوا فتحرموا حلالا ، ولا تترخصوا فتحلوا حراما .
(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٢٦٣)

وترتقي . عن طريق النمو والتجدد المحكومين بمنهج الله ، والرهبانية وتحريم الطيبات الأخرى تصطدم مع منهج الله للحياة ، لأنها تقف بها عند نقطة معينة بحجة التسامي والارتفاع ، والتسامي والارتفاع داخلان في منهج الله للحياة وفق المنهج الميسر المطابق للفطرة كما يعلمها الله " (١)

أقول : إن الاسلام دائما يأخذ بفضيلة الوسط ، لا افراط ولا تفريط، فلا يحرم الرغبة ، ولكنه ينظمها ، والاسلام لايقر الاسراف فيها،كما لا يقر رفضها ، وهو يسعى الى اقامة التوازن الدائم بين أهداف الحياة ، وضرورات المجتمع ، ونوازع الفرد ، دون أن يطغى هدف على هدف ، والاسلام يأخذ الانسان ككل . عقله ، وجسمه ، ونفسه ، وروحه، فهو يوازن بين مطالب جسده ومطالب روحه ، لأنهما جزءان من كيان واحد ، وعلى هذا فان التدين الحق في الاسلام ليس هو التخلص من الرغبات والشهوات ، وليس هو التقشف بالكف عن اللذات ، وليس هو التفرغ للعبادة ، والتخلي عن الدنيا وشئونها ، والعزلة عن الناس، لأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ للانسان ذلك ، ولكنه رضي له أن يمارس الحياة ، ويواجه متاعبها ، ويتصل بأهلها ، ويتعاون فيما بينهم على الخير والصلاح ، وعلى التعمير والبناء، كما رضي له أن يتمتع بما أحله له من زينة ومتاع ، وأن يقف عند حدود ما حرم عليه، هذا هو مفهوم التدين الحق في الاسلام ، وهو منهج الله للحياة

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٩٧٢

المطابق للفطرة ، بخلاف الرهبانية البوذية التي اعتمد عليها البوذيـــون، والتي هي مخالفة للفطرة ، ومخالفة لروح الحياة الاجتماعية ، وكذلـــك الرهبانية النصرانية التي صرح القرآن باعتبارها بدعة ابتدعهـــا النصارى في قوله تعالى :

" ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ،فمـــا رعوها حق رعايتها " (١)

والواقع ان إنكار الاسلام للرهبانية هو جزء من رسالته الى التوحيد والى تحرير الانسان من العبودية ، تلك العبودية التي أشار اليهـــا القرآن في قوله تعالى :

" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله .... " (٢)

فقد قرّر الاسلام حقيقة أساسية لينفرد بها في مقارنات الأديان ، وهي أن الاسلام ليس فيه طائفة معينة تسمى رجال الدين أو الرهبان أو ماشابه ذلك ،لأن كل معتنق الاسلام هو رجل الدين ، وكلهم سواء أمام قوانين الشرع وأحكامه ، فالحلال حلال للجميع ، والحرام حرام على الجميع ، والفرائض ملتزمة على الجميع ، والاسلام لم يعترف على الاطلاق ولم يسمح أبدا بانشاء طبقة متميزة من سائـــر المسلمين بطقوس دينية خاصة ، تسمى السلطة الرهبانية ، أو الهيئـــة اللاهوتية ، أو الوساطة الكهنوتية ، على النحو الذي يعرف لدى البوذيين،

---

(١) الحديد ٢٧

(٢) التوبة ٣١

والنصارى ، والهندوس. فلكل مسلم أن يتفقه في دينه ، فيصبح فقيها من رجال دينه دون طقوس ولا اعتماد على سلطة دينية خاصة ، كما أن لكل مسلم إن يعبد ربه ،ويتقرب اليه بدون وساطة ،ومتى شاء ؟ وابن شاء ؟ لأن الصلة بين الله والانسان لا فجوة فيها ، فليس في الاسلام وسطاء بيدهم الشفاعة ، أو الوصاية ، أو الولاية ، أو التخليص ،بين الله والعبد أو ماشابه ذلك .

قال تعالى :

" واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان، فليستجيبوا لي وليئومنوا بي لعلهم يرشدون " (١)

هذا هو موقف الاسلام من الرهبانية ، إنه موقف سلبي واضح لا غبار عليه ،وعلى رغم ذلك فقد حاول بعض المسلمين قديما وحديثا نقل مفاهيم هذه الرهبانية الى الاسلام ، فنشأت فرقة من غلاة المتزهدين تعرف بالصوفية ، يتفرغون للعبادة بعيدين عن متاع الحياة الدنيا .

غير أن هذه الفرقة لم تلبث ان انحرفت ، وضلت ، وامتلأت بالدخائل والبدع ، لأنها لم تستطع الحفاظ على روح الاسلام في مفاهيمه للنفس البشرية ، وحاجاتها ،وقواها ، وكانت تقوم على أيدي أقوام يضمرون المفاهيم المجوسية والهندية القديمة ، ويحاولون بدعوتهم تدمير الاسلام من الداخل .

==========

(١) البقرة ١٨٦

وفي الباب الآتي أتناول جانبا لهذه الفرقة ، ذلك الجانب الـــــذي له علاقة ـ إما مباشرة أو غير مباشرة ـ بالتعاليم البوذيـــــة التي سبق بيانها.

ومن الله استمد العون ، والسداد ، والتوفيق ، والرشاد ، وهو الهادي الى السبيل القويم .

الفصل الخامس : المذاهب فى البوذية وانتشارها فى الأقطار

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المذاهب فى البوذية

المبحث الثانى : انتشار البوذية فى الأقطار

الفصل الخامس : المذاهب في البوذية وانتشارها في الأقطار

المبحث الأول : المذاهب في البوذية

ظهرت في البوذية بعد بوذا عدة مذاهب يمكن ردّها الى مذهبين كبيرين وهما القديم والجديد :

١ ـ المذهب القديم أي العميق الصلة ببوذية بوذا ـ كما يدّعون ـ ويسمى " هينايان " (Hinayan). وهي مركبة من كلمتين " هينا " وتعني الصغير ،و " يان " أي الحاملة . فالمعنى : أي الحاملة الصغرى. (١)

وقد يطلق عليه أيضا المذهب الجنوبي ، لأنه انتشر في جنوب الهند وجزيرة سيلان ، كما انتشر الى اليوم في بورما ، وسيام (تايلاند) وكمبوديا ، ولوس . (٢)

وآمن أتباع هذا المذهب بالنصوص البوذية القديمة المكتوبة باللغة البالية " ترى بيتاكا " . والتي تبسط العقيدة في صورتها القديمة، وعبدوا بوذا باعتباره معلّما عظيما لا إلها ، وان كانوا من ناحية أخرى يحترمون بوذا ويقدّسونه الى أقصى الحدود كما أشرت

---

(١) أطلق البوذيون على العقيدة التي يعتقدونها اسم " يان" (Yan) وهي في البالية تعني : الحاملة أو الزورق . وقد تمسكت الطوائف البوذية المختلفة بتلك التسمية للدلالة على وظيفة وروح العقيدة. فكما أن الزورق ضروري في الهند للانتقال والعبور ، كذلك فان العقيدة زورق ضروري لاجتياز نهر " سمسارا " أي تجوال الأرواح وتناسخها ، وبلوغ ضفة التحرر والخلاص .

(انظر: مجموعة المصطلحات البوذية ١٤٨)

(٢) انظر: المذاهب البوذية ٢٤٢ ، وانظر أيضا: أديان الهند الكبرى ١٨٣ ، ١٨٢

اليه من قبل (١)

٢ ـ المذهب الجديد . وهو الذي اختلط بالآراء والنظريات الفلسفية ويسمى " مهايان " (Mahayan) أي الحاملة الكبرى ، ويطلق عليه أيضا المذهب الشمالي . لأنه انتشر في شمال الهند . وفي التبيت ومنغوليا ، والصين ، واليابان ، و كوريا ، وفيتنام . (٢)

واعتمد هذا المذهب على النصوص القديمة " ترى بيتاكا " المكتوبة باللغة السنسكريتية ، وعلى غيرها من الكتب التي وضعت معظمها في أوائل القرن الميلادي الأول (٣)

وقد روى المؤرخون البوذيون أن هذا المذهب الجديد نشأ في عهد الملك كانشكا (٤) (Kanishka) في القرن الأول بعد المسيح عندما دخل العدد الكبير من الأجانب في البوذية مما أدى الى اضطراب شديد بسبب عدم تجانس هذه الشعوب . فخلف هذا المذهب من حدته تجاه آلهة برهمية وطقوسها وأساطيرها ، ولاءم بين نفسه وبين حاجات القبائل والشعوب الذين بسط عليهم " كانشكا " سلطانه (٥)

ومن أبرز الممثلين لهذا المذهب الجديد هو " نافاراجونا " (Nagarashuna) (٦)

==========

(١) انظر : قضية الألوهية عند البوذيين بعد بوذا . صفحة ١٨٠ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ٢٤٣ ، وأيضا : بوذية " مهايان " ٤٠

(٤) سيأتي تعريفه

(٥) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٨٦ ، والمذاهب البوذية ٣٤٠

(٦) وقد شك البعض بوجوده التاريخي لكن دحض ذلك ، يعتبر فيلسوف الشمال الهندي مبجّلا ، وحتى على قدر مساو لبوذا ذاته ،وينسب=

الذي عاش في آخر القرن الثاني بعد الميلاد ، وهو الى جانب تأثيره الشخصي الفعّال يعتبر خير ممثل لعقيدة " الفراغ " أو " سونياتا " (Sunyata) (١) أي ان الحقيقة النهائية ليست سوى الفراغ، وأن المعرفة العليا هي الاعتقاد بالعدم العام المطلق . (٢)

وقد اختلف المذهبان (هينا يان ، ومهايان) في بعض المبـــــادئ والعقائد أذكر منها :

أ ـ في النظر الى شخصية بوذا ، حيث أعلن مهايان ألوهية بـــــوذا، واعتبره كائنا لاهوتيا تجسّد فيه الاله (أوتار) ، وهبط الى العالم لانقاذه من الشرور والآلام ، ويعتقد أتباع هذا المذهب بأن بوذا يكون موجودا دائما في هذا الكون ، إما على هذه الأرض أو فـــي السماء ، لأنه هو محور الكائنات كلّها .

وأنه يجيء الى هذا العالم الأرضي من حين الى آخر متقمصا جسد أحد بني الانسان لينقذ البشرية . (٣)

هذا بخلاف مذهب "هينايان" الذي صرّح أتباعه بأن بوذا لم يكن إلا بشرا قد جاء لهداية البشر .

ومن الجدير بالذكر أن عقيدة التجسد الالهي أو ما تسمى بالسنسكريتية

= اليه الكثير من الكتب ، منها كتب في الطب ، والسحر ، والعلـــــوم الخفية . (انظر الهند القديمة ٢٩٣)

(١) سبق الكلام عنها في : الرياضة الروحية ، صفحة ٣٦٥ .

(٢) المصدر السابق

(٣) المذاهب البوذية ٣٤٧ ، وأيضا : بوذية مهايان ٧٦ ، ٧٧

" أوتار " (Awatar) عقيدة وثنية قديمة جدا بالهند ، تنسب الى الدراويديين على الأرجح . لأن إلههم " فشنو " (Vishnu) هو الذي يتجسد في الشخصيات الأسطورية كما يعتقدون . وقد انتقلت هذه العقيدة الى الرومان من اليونانيين ، حيث عرضوا السيد المسيح عليه السلام مجسّدا فيه الله سبحانه ومتغلغلا فيه ، كما انتقلت كذلك الى ايران .

وكذلك تلقت بعض الفرق الاسلامية الغالّة هذه العقيدة بقبول حسن ، وعرفت أبطالها في صورة التجسد ، مثل القرامطة والاسماعيلية في القديم ، والبهائية والقاديانية في الحديث . (١)

ب ـ أعلن فريق " مهايان " أنه في إمكان كل فرد منهم أن يكون كبوذا نفسه ، فيتجسد فيه الإله ، وينجو وينجي غيره بالمعرفة . لأن انتصار الفرد على خلاص نفسه أو الاكتفاء بالفائدة الشخصية أصبح ضئيلا في نظرهم ، فذهب فريق " مهايان " إلى أن هناك أشخاص بوذا كثيرة بعد بوذا ، سيظهرون في عوالم مختلفة ، وأوقات محدودة ، وسيتخذون عدة أشكال وأحوال كلما اقتضت الضرورة ، ولا فرق عندهم في ظهور هذه الأشخاص بين عالم الانسان أو عالم الحيوان ، وهذا بخلاف فريق "هينايان" الذين اتفقوا معهم في ظهور هذه الأشخاص،ولكن رفضوا ظهورها في عالم الحيوان ، واعتقدوا أنها أشخاص معيّنة تظهر في عالم الانسان فقط . (٢)

==========

(١) انظر الهند القديمة ١١٠ ـ ١١٣ وتاريخ الأديان ٥٠ ـ ٥٤

(٢) المذاهب البوذية ٣٤٨ ، ٣٤٩

ففي كتاب " ترى بيتاكا " (١) أقرأ النص التالي :

" ومسح " آناندا " (أحد حواري بوذا) دموعه ، وقال لبوذا :

" من يعلمنا ويرشدنا عندما فارقتنا " ؟

فأجاب بوذا :

" أنا لست بوذا الأول الذي يجيء هذا العالم ، ولا أنا الآخر ، واعلم أنه في المستقبل (٢) سيظهر بوذا آخر في العالم ، وهو الواحد الطاهر المستنير إنارة كلية ، والممتلىء حكمة ، يرحم الناس ، والناس يحبونه، يعرفه العالم بأسره ، ويحبه ، ولا يماثله أحد البتة ، فهو معلم الملائكة والأموات ، إنه سيظهر لك ، ويوقظ فيك الحقيقة التي علمتك إياها ، وسينشر مذهبه الخلاص بمجد عظيم ، يبشّر بالروح والحق، ويعلن بالحياة الروحية كما علمتكم أنا الآن ، وإن تلاميذه سيعدّون بالألوف ، بينما تلاميذي يعدّون بالمئات .

فقال له آناندا : وكيف نعرفه ياسيدي " ؟

قال بوذا : تعرفونه باسم " ميتريا " (Metriya) وبلطفه، ووداعته ، ومحبته الكلية الشاملة . "

ولقد اختلف الكتّاب والباحثون فيمن هو " ميتريا " الذي تنبّأ به بوذا . فقال بعض النصارى : إنه هو المسيح عليه السلام ، وقال بعض

---

(١) أبيدارما ٦٥١

(٢) وفي نص آخر يقول : عندما يطول عمر الانسان حتى يبلغ ثمانين ألف سنة " ص ٣٥١ (سوتان)

المسلمين (١) : إنه هو محمد صلى الله عليه وسلم . لأن " ميتريا " في اللغة البالية تعني الكريم ، والراحم ، والمتعطف للناس ،وهذا مطابق لقوله تعالى عن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم : " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " . (٢)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه : " إني لم أبعث لعّانا وإنما بعثت رحمة " . (٣)

وعلى أي حال فاني لا أستطيع تحقيق هذا الموضوع حتى أتوصل إلى نتيجة إيجابية . وذلك لثلاثة أسباب :

أولا : إن النص البوذي الذي اعتمدنا عليه غير موثوق به علميا لأنه دوّن بعد بوذا بقرون طويلة ، مع وجود التحريفات الكثيرة كما ذكرنا .

ثانيا : إن النص مبهم غير واضح ، ينطبق على كلّ من يأتي بعد بوذا ، سواء كان من الأنبياء ، أو الحكماء ، أو الفلاسفة ، أو غيرهم .

ثالثا : إن الاعتراف بتنبأ بوذا ، وأن المتنبأ هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، معناه اعتراف بنبوة بوذا ، لأن مثل هذا التنبأ لا يكون الا بالوحي ، وهو خاص بالأنبياء ، وقد أنكرنا نبوّته من قبل بأدلة كثيرة .

==========

(١) منهم الباحث المسلم التايلاندي ' بان جونج بن كلن ' في كتابه " النبي المتنبّأ به" صفحة ١٠ ، ١١ (بالتايلاندية)

(٢) الأنبياء ١٠٧

(٣) رواه مسلم ٤/ ٢٠٠٧ (رقم ٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب ،باب النهي عن لعن الدواب وغيرها .

وفي اعتقادي أن مثل هذه النصوص البوذية ألحقت متأخرة بكتبهم كوسيلة لاجتذاب قلوب النصارى أو المسلمين الى البوذية واعترافهم بها أو كما يعتقده البوذيون أنفسهم بأن " ميتريا " في هذا النص هو شخص مقدّس مثل بوذا ، يأتي في وقت متأخر لمواصلة إصلاح البوذية بعده [1] ، والله أعلم بالصواب .

وأعظم القديسين في مذهب " مهايان " هو " بودهي ساتوا(Buddhisatwa) ومعناه " بوذا المستقبل" وهو صفة من يمتنع باختياره عن بلوغ " نرفانا " التي كانت في مقدوره ، وذلك لكي يولد في حياة بعد حياة ، فيساعد غيره من الانسان والحيوان في هذه الدنيا على التخلص من آلامها وشقائها .

إن القديس كهذا لاينطفىء تماما بل يقف على الحافة على حد تعبيرهم . (٢)

" أما " بودهي ساتوا " في مذهب " هينايان " فهو صفة من هو في طريقه الى أن يصبح بوذا ، أي حاصل على إشراق . غير أن هذه الصفة مقصورة على أشخاص معينة تنبأ بهم بوذا ، فلا يطلقون " بودهي ساتوا " إلا على من ينطبق عليه ما تنبأ به بوذا .(٣)

وعلى حد تعبيرهم إنه ينطفىء تماما ، غير معرض للرجوع الى العالم

---

(١) انظر تاريخ الديانة البوذية ص ١٩٠ .

(٢) بوذية مهايان ٤٤ ، وأيضا : المذاهب البوذية ٣٣٦ .

(٣) ذكر في كتبهم أن " بودهي ساتوا " الذي تنبأ به بوذا خمسة وأن بوذا الذي نحن بصدده الآن هو الرابع منهم أما الخامس فهو الذي يعرف باسم " ميتريا "،وقيل إن عددهم خمس وعشرون ، وقيل غير ذلك .(قاموس المصطلحات البوذية ١٧٤)

العادي خلافا ، لما اعتقده مذهب " مهايان " . (١)

ج - لم يلتزم فريق " مهايان " بالنصوص القديمة ، وإنما أباحوا تأويلها وتحويلها الى مايوافق آراءهم الجديدة . هذا بخلاف فريق " هينايان " الذين يتقيدّون بالنصوص ، ولايخضعون للتغيرات الزمنية . وعلى هذا الأساس اشتد الصراع بين المذهبين .

فقد أعلن أتباع "مهايان" أنهم وحدهم القادرون على فهم نصوص بوذا، وأن مذهبهم وحده هو الذي يقود الى النجاة ، وأنه لهذا هو الجدير باسم " مهايان " أي الحاملة الكبرى ، وأن المذهب القديم يجب أن يطلق عليه اسم " هينايان " أي الحاملة الصغرى . (٢) بينما أعلن أتباع "هينايان" بأنهم وحدهم يمثلّون بوذية بوذا . أي بوذية أصلية. أما بوذية "مهايان" فهي بوذية مزيّفة مختلطة بالعقائد والأفكار الخارجية . (٣)

وقد ظل الصراع بين المذهبين : القديم والحديث منذ القرن الأول الميلادي، وحتى بعد عهد الانحطاط في القرن السابع الميلادي ، وحاول أخيرا أتباع كل واحد منهما أن يزيلوا الخلافات ،فأسّسوا في الأوان

==========

(١) أنظر : المذاهب البوذية ٣٣٨ . وأيضا : بوذية مهايان ٤٨ ، ٥٠

(٢) يكره أتباع المذهب القديم أن يطلق عليهم " هينايان " بل يطلقون على أنفسهم اسم " تيراواتا " (Tearawata)ومعناه كلام الحواريين . أي انهم يتلقون تعاليمهم من الحواريين من أصحاب بوذا . (انظر: مجموعة المصطلحات البوذية ١٧٠،والمذاهب البوذية ٢٦٦) .

(٣) تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٤٣٦ .

الأخيرة مؤسسة بوذية عالمية . أو مايسمونه " رابطة العالم البـــوذي "

" The world fillowship of Buddhists "

وكان مقرها في جزيرة سيلان ، حيث عقدت فيها عدة مؤتمـــرات للتوفيق وإزالة الخلافات بين المذهبين ، ولكنها لم تنجح ، فظـــل الخلاف قائما الى اليوم .

المبحث الثاني : انتشار البوذية في الأقطار

أ ـ انتشار البوذية وانحطاطها في الهند

من المعروف أن البوذية لقيت نجاحا كبيرا في القرن السادس قبل الميلاد ، أي في عهد بوذا . ونلخّص أسباب نجاح دعوته في الأمور الآتية : ـ

١) شخصية بوذا المثيرة والجذابة التي تميزت بالوداعة والتواضع ، والتي كانت تؤثر الى حد بعيد في نفوس الهنود في ذلك الوقت. وكان ـ فيما تروي الأساطير ـ هادئا مليئا بالقوة ، قوىّ الارادة ، واثقا بنفسه ، مؤمنا بمبدئه ، وعقيدته ، ونجاح دعوته ، وكان أسلوب حواره مثيرا . لأنه استعمل فيه كثيرا من الاستعارات ، والتشبيهات ، والأمثال .

٢) عدم خوضه في الحديث عن القضايا الفلسفية المعقدة فيما وراء الطبيعة على عكس المذاهب الفلسفية الهندوسية المنتشرة في وقته.(١)

٣) وجود بعض التعاليم الأخلاقية في دعوة بوذا ، كالمحبة الشاملة والعطف على الحيوانات . وكما أسلفنا أن المحبة والتسامح ركنان

==========

(١) ذكرت المراجع البوذية أن المذاهب الفلسفية التقليدية التي انتشرت في عصر بوذا ستة . وهي : ميمانسا ، فيدانتا ، سامكهيا يوجا ، نيايا ، فيسيشكا ، والمؤسسون هم على التوالي : جيميني فياشا ، كابيلا ، باتنجالي ، غوتاما ، كانادا . وتتميز هذه المدارس بارتباطها الوثيق بأسفار " فيدا " كتاب الهندوس المقدس ، والانطلاق من هذه الأسفار شرحا وتأويلا واضافة في الآراء والأحكام . انظر: مقدمة " ترى بيتاكا " ٢٩ ، ٣٠ وانظر ==

من أركان أخلاق بوذا .

٤) حسن اختيار بوذا الدعاة للقيام بنشر تعاليمه في الأمصار . فقد اشتهر عنه اختياره لهؤلاء بعناية كبيرة وبعد اختبارات، يوضح ذلك ما روى " ترى بيتاكا " (١) قصة أحد حواريه يدعى " بورونا " (Burona) وقد بعثه بوذا الى أسرة اشتهرت بالفظاظة يقال لها " سرونا بارانتا " (Sronapranta) سأله بوذا إذا : غضبوا عليك وسبّوك فما عساك ستفعل ؟

أجاب : أقول : إنهم طيبون لأنهم لم يضربوني بالحجارة ولا بالعصى ولا بالسيف .

- واذا ضربوك بالعصى ؟

- أقول إنهم طيبون لأنهم لم يحرموني الحياة نهائيا .

- واذا حرموك الحياة ؟

- أقول إنهم طيبون لأنهم أنقذوني من سجن هذا الجسد السيء .

فاقتنع به بوذا وأرسله اليهم ، وكانت النتيجة أن دخلوا كلهم في البوذية .

= بالعربية عن هذه المذاهب الستة : قصة الحضارة ٣/ ٢٤٦ - ٣٦٨ ، والفلسفة الشرقية ١٥٦ - ١٧٠ .

(١) انظر أبيدارما ٧٥١ ، ٧٥٢ وأورد هذه القصة الدكتور أحمد شلبي في كتابه أديان الهند الكبرى ١٤٧ - ١٤٨ نقلا عن دائرة المعارف القرن العشرين لفريد وجدي ٢/ ٣٨٩ - ٣٩٠ .

٥ – دعوته العالمية التي لا تحصى بقوم ولا عرق . على عكس ما عـــرف في البرهمية التي هي دين شعبي محلي ، يخص بطائفة واحدة وهي البراهمة . وكان ينادي بالتسامح الديني . أي أن لكل انســـان الحق بالخلاص. ورأى الباحثون في الأديان أن بوذا أول حكيـــم في العالم أخرج تعاليمه من دور التبشير المحلي الى العالمي.(١)

٦ – دعوته الى الغاء نظام الطبقات التي سادت المجتمع الهندي فـي عصره ، وتحريمه على جميع معتنقي مذهبه . على التفصيل الذي سبق بيانه .

ويعتبر هذا من أهم أسباب نجاح دعوة بوذا في الهند فـــي عصره .

يقول الدكتور أحمد شلبي :

إن البوذية انتشرت انتشارا واسعا بين الطبقات العليا والطبقـــات الدنيا ، أما طبقة الملوك والجنود فقد دخلت البوذية تخلصا مـن سلطان البراهمة الذين أثاروا سخط جميع الطبقات الأخرى باستبدادهم وتعسفهم ، وأما الطبقات الدنيا فقد دفعت بنفسها الى البوذيـــة . لتتخلص مما عانته في رحاب الهندوسية من اضطهاد واحتقار ".(٢)

ويقول جوستاف لوبون متحدثا عن ازدهار البوذية في عصرها الأول :

" كانت البدهية في تلك الأثناء بالغة ذروتها ، فكان البنجاب ،ووادي

==========

(١) انظر الفلسفات الهندية للدكتور علي زيعور ٢٣٥

(٢) أديان الهند الكبرى ١٧٨ ، ١٧٩ .

الفتح ذاخرين بالأديار التي يقصدها ألوف الرهبان ليتعلموا فيها أسرار الدين ، ويتبتلوا الى التأمل العميق الدائم قبل أن ينعموا بالنرفانا ".(١)

ولكن البوذية بدأت تنكمش بعد بوذا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد . ومن أهم أسباب انكماشها كما يقول الدكتور أحمد شلبي :

١) إنها لم تعن بالكلام عن الاله . أي إنها تركت فراغا كبيرا في نفوس أتباعها . وبمرور الزمن ملأ أتباعها هذا الفراغ بآلهة الهندوس . أو بعبادة بوذا نفسه واتخاذه إلها .

٢) إن بوذا لم يبن معابد ، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة ، وبسبب هذا لجأ أتباع بوذا الى معابد الهندوس ، فوضعوا فيها تمثال بوذا ، وأصبح كل مازاد هو إله جديد أضيف الى آلهة الهندوس المتعددة ، وأخذت البوذية تتلاشى في الهندوسية . يقول جوستاف لوبون :

" إن البد هيّة غابت عن الهند لأنها صهرت بالتدريج في الديانة التي خرجت منها " (٢)

٣) إن البوذية اهتمت باصلاح الباطن . أي إصلاح الاخلاق ، فحاربت الشهوة ، والغرور ، والكبرياء ، ولكن الهندوسية قنعت بأشياء ظاهرية كالغسل في الأنهار المقدسة ، والأخذ بالطقوس وبالقرابين ، ومعالجة

---

(١) حضارات الهند ٣٩٠

(٢) المصدر السابق ٣٧٣

الظاهر أيسر وأسهل من معالجة الأمور الباطنية ، ولهذا تخلى البوذيون يوما بعد يوم عن صراعهم مع نفوسهم ، واكتفوا بقربان يقدمونه ، أو مظهر يظهرون به . (١)

وأضيف الى هذه الأسباب أن ازدهار البوذية ببلاد الهند قد أتى بالفوضى في الحياة الاجتماعية العامة ، وذلك بسبب نظام الرهبنة أو الحياة الديرية التي رسمها بوذا لأتباعه ، فقد كثر الناس الذين اعتنقوا البوذية ، ولم يستطع المجتمع إعالة هؤلاء الناس كرهبان وراهبات ، ومن أهم هذه الأسباب كلها أن طائفة البراهمة وهي أعلى طوائف المجتمع الهندي وأكثرها امتيازات كانوا يهاجمون ويناهضون على الدوام لتعاليم بوذا ،فراحوا يقفون على التدريج نفوذ البوذية في البلاد ، واستردّوا قوتها .

وقد أوشكت البوذية أن تنهار حتى جاء الملك أشوكا (Ashoka) (٢) (٢٧٣ – ٢٣٢ ق م) حيث اعتنقها . وجعلها الدين الرسمي للدولة ،وبعث فيها الحياة مرة أخرى . (٣)

==========

(١) انظر أديان الهند الكبرى ١٧٩

(٢) سبق تعريفه . انظر صفحة ٦٤، ٨٩ .

(٣) انظر عن الملك " أشوكا " وانتشار البوذية في عصره في حضارات الهند ٣٥٨ ، وقصة الحضارة ٣/ ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٩٦ ، وأديان الهند الكبرى ١٨٠ – ١٨٣ ، والهند القديمة ١٧١ ، ١٧٢ ، وتاريخ شبه الجزيرة الهندية ٢٩ – ٣٠ .

فباعتناق الملك أشوكا البوذية ازدهرت وقوي شأنها.

وقد عمل هذا الملك على نشر البوذية داخل بلاده وخارجها ، ووصلت بعوثه التبشيرية بهذه العقيدة الى كل من سيلان ، ونيبال ،وتركستان وفارس ، وماجاورها من بلاد آسيا الوسطى ، والى الشام التي كان يحكمها في ذلك الوقت خلفاء الاسكندر ،وكذلك الى الاسكندرية عاصمة مصر حينذاك ، والى اليونان حيث يحتمل أن تكون البوذية قد مهّدت السبيل هناك للمسيحية الرومانية . (١)

وهكذا انتقلت البوذية من مذهب هندي الى دين عالمي ، وأخذت تنتشر في هذه البلاد .

ولكن بعد وفاة الملك أشوكا عاد الصراع مرة أخرى بين البوذية والبرهمية في الهند ، ونتج عن ذلك أن أخذت البوذية تضمحل ببطء حتى انحسرت عن الهند موطنها الأصلي تقريبا ، وذلك حوالي القرنين

---

(١) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٨٣ ، ٨٤
ويروى أن أول من آمن بالبوذية من اليونانيين هو : هيلودوروس (Heliodorus) ثم آمن بها جميع اليونانيين المنتشرين من الهند الى باكتيريا على حدود ايران من ناحية بحر قزوين . وبهذا أصبحت الديانة البوذية منتشرة في هذه المناطق ، وعرض فيها بوذا في صورة : فشنو : الاله المتجسد. ولما ولد المسيح عليه السلام في فلسطين في العهد الروماني كانت نظرية التجسد " أوتار " سائدة بين الرومانيين في الشرق الأوسط كله ، ولعل هذا هو السبب في أن الرومان قد عرفوا السيد المسيح في صورة الاله المتجسد بنفس صورة بوذا وذلك بعد ايمانهم بالمسيحية . (انظر الهند القديمة ١٧٥ ، ٢١٠)

السابع والثامن من الميلاد (١)

وبهذا عادت سيطرة البرهمية على شعوب هذه البلاد مرة أخرى ، ولم يعد للبوذية في موطنها الا قليل من الأتباع ، وأكثرهم في شمال الهند وفي بلاد السند بالذات ، نتيجة لاضطهادهم الشديد من جانب البراهمة ، والقتل العام لهم في كل مكان . (٢)

وبعد الفتح الاسلامي في أوائل القرن الثامن الميلادي . سقطت البوذية نهائيا في شمال الهند ، وأخذت طريقها الى البلاد المجاورة في القارة الآسيوية .

وقد اعتبر المؤرخون البوذيون أن هذا الفتح الاسلامي من أكبر الأسباب لسقوط البوذية في الهند . (٣) والواقع ليس كذلك إذ أن الفاتحين لم يحاربوا البوذية دون غيرها ، إضافة على ذلك أنه قد ثبت بالأدلة التاريخية أن الجيش الإسلامي لمّا دخل السند ، فكان السمنيين وهم طائفة من الرهبان البوذيين رحّبوا بهم ، كما سيأتي تفصيله (٤) ، وكانوا وسطاء للمصالحة بين أهليهم وبين الجيش الاسلامي .

وفي رأيي أن هناك عوامل عديدة تساعد على انهيار البوذية

---

(١) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٩٨، وانظر: أيضا أديان الهند الكبرى ١٨٢ ، وحضارات الهند ٣٧٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) انظر: حضارات الهند ٣٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٦٣٥ – ٦٣٦ ، وتاريخ انتشار البوذية في العالم ٩٩ – ١٠١ وأيضا

Buddhism in Middle Asia, by Prof. Satian P.P 59,79.

(٤) انظر: فتوح البلدان للبلاذري ٤٢٥ ، ٤٢٨ .

الأخير في الهند ، أهمّها محاربة البراهمة ، وفقدان النصير القوي من السلطان فدّهم ، والانحدار الخلقي والديني الذي أصاب الرهبان والراهبات. كما كان من العوامل الهامة الفعالة تطوّر البوذية ذاتها لصالح الهندوسية تطورا كان يقرب بينهما ، ويتمثل ذلك في ظهور طائفة : مهايان : أو المذهب الشمالي للبوذية .

ب ـ انتشار البوذية في شرق آسيا

لم تكن البوذية قد انعدمت من الوجود حينما أفلت من الهند،وانما كانت تفرقت شرقا ، وغربا ، وشمالا ، وجنوبا ، واجتاحت أوساطا شاسعة من الشرق الأقصى ، كبورما ، وسيام (تايلاند) وكمبوديا ، ولوس وأجزاء من الصين ، وكوريا ، ويابان ، كما انتشرت فى بلاد منغوليا، وتبيت،وسيلان .

وقد سادت البوذية هذه المناطق كلها حتى هذه اللحظة كديانة رسمية لها .

أما دخول البوذية في هذه البقاع فيرجع الى عهد الملك أشوكا. حيث أرسل بعثاته الدينية الى كل من سيلان ، ومنطقة " سو وانابومي" (Suwannapume) . وهي التي تشمل بورما ، وسيام ، ولوس ، إن هذه البعثات لها أثر كبير في نشر البوذية في هذه البقاع . (١)

ومن أسباب الانتشار أيضا أن البوذية في هذه البقاع كانت تتعاون تعاونا كاملا مع النظام الملكي ، فبواسطة هذا التعاون انتشرت البوذية ،وكثر

(١) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٦٩ ، ١٠٢ .

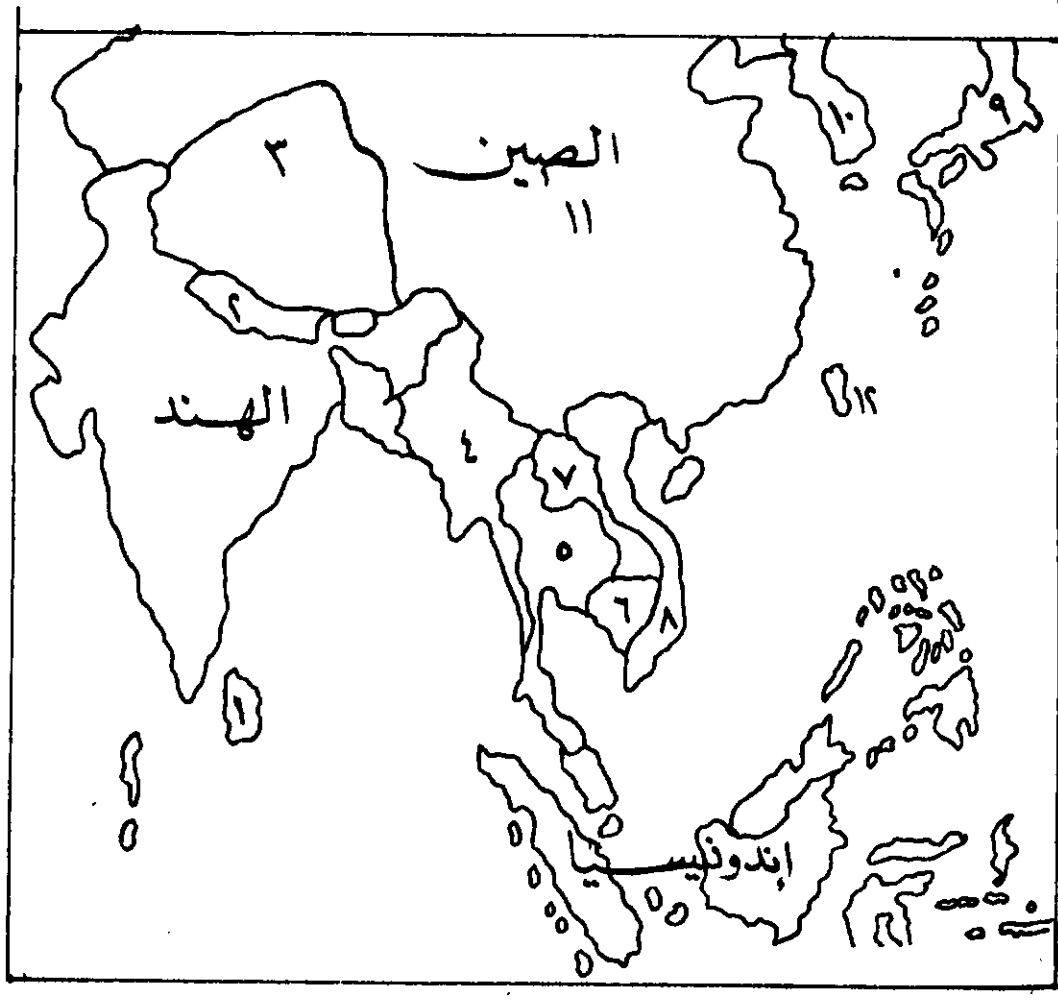

خَرِيطَة البلدَان التي تسودها البوذية في وقتنا الحاضر

١	سيلان	٧ (Ceylon)	٧	لوس	(Laos)
٢	نيبال	٨ (Nepal)	٨	فيتنام	(Vietnam)
٣	تبيت	٩ (Tibet)	٩	يابان	(Japan)
٤	برما	١٠ (Burma)	١٠	كوريا	(Korea)
٥	تايلاند	١١ (Thailand)	١١	الصين	(China)
٦	كمبوديا	١٢ (Combodia)	١٢	تايوان	(Taiwan)

تابعوها في هذه البلاد . (١)

أما بلاد الصين فقد تلقت الديانة البوذية المسماة بيان (Mahayan) من الهند في عهد أسرة " هان " (Hun) في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد . (٢)

كما تلقت البوذية عن طريق الحجاج الصينيين الذين زاروا الهند ،ومن طريق الزوار من آسيا الوسطى التي سادت فيها البوذية في ذلك الوقت. (٣)

ويقال إن الملك : منج تي (Ming-Ti) هو الذي بعث في سنة ٦٥ م بعثة الى خوتان ، (٤) للإطلاع على البوذية ، وعادت بعد سنتين تصحب كاهنا بوذيا وكتبا بوذية . (٥)

ومنذ ذلك الحين انتشرت فيها البوذية حتى اصبحت دين الدولة الرسمي لها (٦)

ولكن البوذية ديانة هندية، فعندما انتقلت الى الصين لم تستطع

---

(١) قارن : أديان الهند الكبرى ١٨٥

(٢) تاريخ الأديان ٢٤٧

(٣) Buddhism in Middle Asia . P.I8

(٤) مدينة في منطقة " سنكيانغ " أو تركستان الشرقية ، وقد انتشرت فيها البوذية قرونا طويلة قبل الفتح الاسلامي . (انظر الخريطة)

(٥) تاريخ الأديان ٢٤٧

(٦) والجدير بالذكر أن البوذية في الصين في الأوان الاخيرة حينما اصطدمت بالشيوعية خفتت أصواتها كما خفتت أصوات جميع الأديان،لأن الحكم في كثير من الأقطار المنتشرة فيها البوذية مازال تحت أيدي حكومات شيوعية الى اليوم .

أن تبقى كما كانت، بل اصطبغت بالصبغة الصينية ، فسرعان ما امتزجت بتراث الصين القديم ، والتقت بالديانات الصينية القديمة ، كالكونفوشية (Confucianism) (١) والتاوسية (Taoism) (٢) وغيرها حتى أصبحت صينية محضة في طبيعتها . وذلك منذ نهاية القرن

==========

(١) سبق تعريفها

(٢) التاوسية منسوبة الى " تاوتيك جنج " (Tao-Tek-Kong) ومعناه كتاب الطريقة والفضيلة والذى أسسها هو " لوتسي " (Lou-Tzu) وتاريخه غامض غير واضح ، فقد قيل إنه عاش بين فترة ٦٠٤ – ٥٧١ قبل الميلاد ، وقيل غير ذلك ، وقد عاصر كونفوشيوس ؛ الحكيم الصيني الشهير أو ولدا في عهدين قريبين ، والتاوسية حلولية . وهي ككل ديانة صينية تؤله مظاهر الطبيعة وتعبدها مع أرواح الأجداد ، كانت التاوسية مجرد فلسفة تفكيرية مبنية على مواعظ وآداب عامة ، ثم تطورت بمرور الزمن حتى أصبحت كديانة لها معبد ورهبان ، ولها طقوس وعبادة . كما أصبح " لوتسي " إلها معبودا . والتاوسية هي الديانة الوحيدة التي زعمت أن في وسع الانسان إطالة عمره الى مئات السنين بل الى مالانهاية له ، وذلك عن طريق تدريبات ورياضات خاصة ، جسدية وروحية ، لذلك كثر فيها الخرافات ، والدجل ، والشعوزة ، والسحر ، وكتاب : 'وتيك جنج ؛ هو كتاب التاوتسية المقدّس ، وهو كتاب غامض أشد الغموض ، مهما نهض أتباع "لوتسى " من بعده بشرحه وتفسيره . ومن حكمة لوتسي " اخفع نفسك خضوعا كالماء الذي يفيد الانسان في شتى الحاجات ، ولكنه لايسابق شيئا ، لأنه دائما في مكان منخفض ." وقد انتشرت التاوتسية في بلاد الصين ، ولكن بعد أن دخلت البوذيةفيها اختلطت التاوتسية بالبوذية ، حتى لايكاد أن يفرق بينهما . (تاريخ الأديان ١٨٨ – ٢٠٠ ، وانظر بالعربية : الفلسفة الشرقية : للدكتور محمد غلاب ٢٣٢ – ٢٤٤ ، والديانات والعقائد : لأحمد عبد الغفور عطار ١/ ١٦١ – ١٧٤)

الرابع الميلادي.(١)

ومن أسباب إقبال الصينيين على البوذية كما يقول الدكتور أحمد شلبي "إنها دخلت بلادهم بعد أن أصبح بوذا إلها، وأصبح تمثاله وثنا يعبد، وتقدم له القرابين، وتقام له الصلوات، وقد كان لهم مع آلهتهم الأولى مظاهر للتقديس ليست بعيدة من هذه المظاهر (٢)

ومن الصين دخلت البوذية في كوريا واليابان.

ولقد دخلت البوذية كوريا بجهود الرهبان البوذيين الصينيين في عام ٩١٥ من التاريخ البوذي الموافق لعام ٣٧٢ من الميلادي، ودخلت اليابان في عام ١٠٩٠ البوذي الموافق ٥٤٧ الميلادي.

ولكنها امتزجت في هذه البلدان أيضا بتراثها المحلي وحضارتها، واستقلت عن الروح البوذية الأصلية. (٣)

والبوذية في اليابان بوصف خاص بوذيات كثيرة، فهناك ما يقارب الستين فرقة، وأشهرها تسمى بوذية "زن" "Zen Buddhism" (٤)

---

(١) الهند القديمة ٢١٢

(٢) أديان الهند الكبرى ١٨٣ نقلا عن:
Berry: Religion of the world P.P 47,48.

(٣) الهند القديمة ٢١٢ وتاريخ الأديان ٢٤٧، ٢٤٨

(٤) كلمة "زن" (Zen)مختصرة من: زن نا: (Zenna) في اللهجة اليابانية، وهي مأخوذة من كلمة: شانا: البالية أو "يانا" السنسكريتية، ومعناها التأمل "Meditation" لأن أتباع هذه الفرقة يعتمدون على التأمل الذاتي (تاريخ الأديان ٢٦٨)

وهي التي تعتمد فقط على التأمل الذاتي ورياضة " سمادهي".

وعلى العموم ان البوذية في الفترة الأخيرة ـ كما قال الدكتور أحمد شلبي ـ :وقفت وجها لوجه أمام تحدي الفكر الغربي الذي حمله الاستعمار الى تلك البقاع ، فقد أدخل الاستعمار الغربي الى هذه البلاد اتجاهاته الفكرية ، وإصلاحاته التربوية ، وفلسفاته في مختلف الشئون ، ولم تجد البوذية بدّا من أن تتعاون طوائفها المختلفة لتقف في وجه هذا الزحف الفكري ، وهكذا التقت الفرق البوذية أو قربت بعضها من بعض لتقوى على النضال في معركتها مع المسيحية الغربية والفلسفات الأوربية ، وقد تبنّت البوذية كثيرا من الاتجاهات الغربية كما تشربت المسيحية بعض الأفكار البوذية ، وتبودلت المطبوعات بين المثرفين على هاتين الفلسفتين ، وتطور التعليم في المعابد ، فاقترب من كليات الغرب وجامعاته ، وتم تعاون الخدمات الاجتماعية بين البوذيين والغربيين .(١)

جـ ـ البوذية في بلاد السند وآسيا الوسطى قبل الفتح الاسلامي (٢)

ذكرت سابقا أن البوذية بعد عصر الملك أشوكا أخذت تضعف وتختفي

==========

(١) أديان الهند الكبرى ١٨٦

(٢) بلاد السند : هي البلاد المحيطة بنهر السند (Sindus) وهي ممتدة غربا من ايران الى جبال الهملايا في الشمال الشرقي تاركة شبه القارة الهندية في جنوبها . وبلاد السند تكون جزءا كبيرا من الدولة الباكستانية الحالية ، وكانت جزءا من بلاد الهند قبل الفتح الاسلامي .(انظر الخريطة) أما آسيا الوسطى فهي التي تشمل منطقة " سنكيانغ " أو تركستان الشرقية . وتشمل تركستان الغربية ، وأفغانستان ، وبعض الأجزاء من شمال ايران .(انظر الخريطة) .

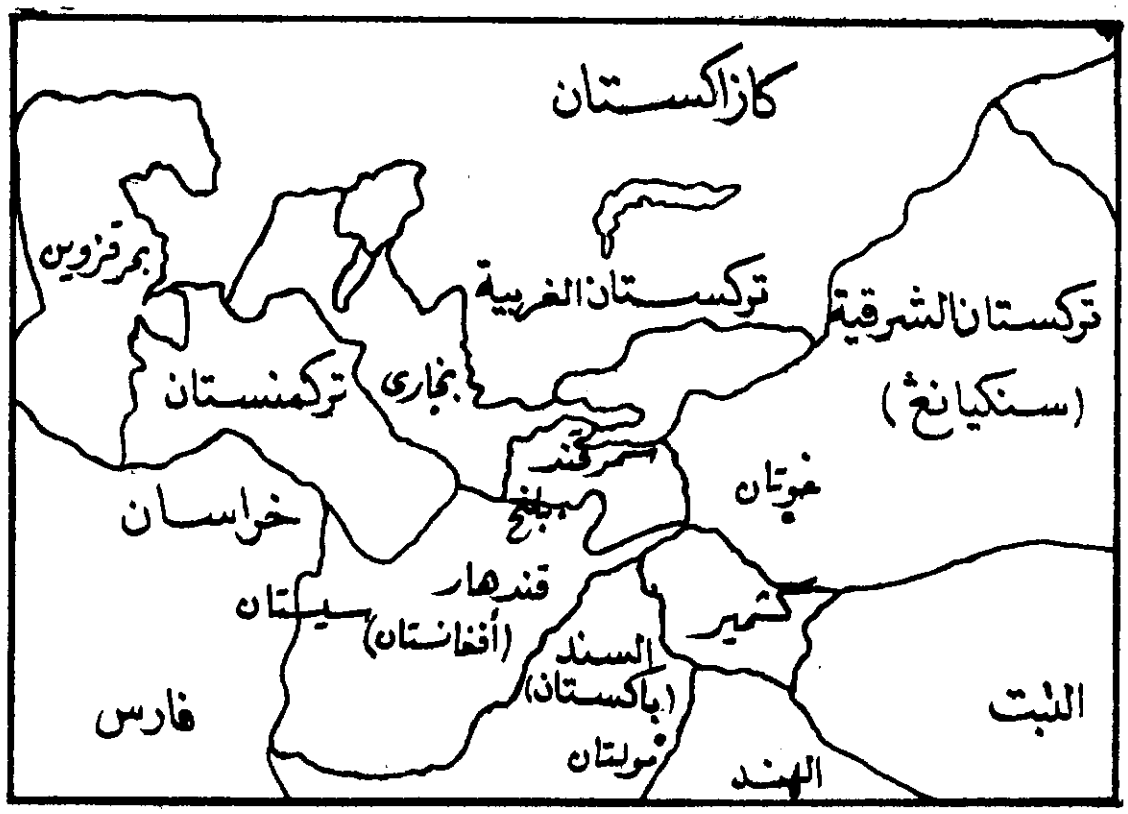

خريطة بلاد السند وآسيا الوسطى والفرس

التى انتشرت فيها البوذية قبل الإسلام

من موطنها الأصلي الهند نتيجة الاضطهاد الشديد من جانب البراهمة ،وقد أدى ذلك الى انتقال كثير من البوذيين الى شمال الهند ،ولاسيما بلاد السند ، واستوطنوها عدة قرون ، الى أن دخلها المسلمون.وفتحوها في عام ٩٢ هـ = ٧١١ م ، بقيادة البطل المسلم : محمد بن القاسم الثقفي.(١)

يحدّثنا "هيون سانغ" (Houn-sang) الرحّالة الصيني المعروف الذي قام بجولته في شبه القارة الهندية ، وأنفق أعواما طوالا فيها إبان القرن السابع الميلادي ،(٢) بأن البوذيين كانوا منتشرين في ذلك الوقت بكثرة ، في وادي نهر السند ، وفي الأودية الواقعة في المناطق الجبلية ببلاد السند ، والمجاورة للحدود الهندية ، وذلك بعد أن

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي (٦٢ – نحو ٩٨ هـ) فاتح السند ووالييها ، ولاه الحجّاج ثغر السند في أيام الوليد بن عبد الملك ، وكان ببلاد فارس على رأس جيش، فأرسل اليه الحجاج ستة آلاف جند ، فزحف بهم الى بلاد السند وفتحها عام ٩٢ هـ ،ثم جاءته الأنباء بوفاة الحجاج ، ثم الوليد ، وولاية سليمان بن عبد الملك ،وكان شديد النقمة على الحجاج وعماله ، فلما ولي عزل محمد بن القاسم ، وأمر بحمله من السند مقيّدا ، ثم قتله معاوية بن يزيد بن المهلب ،وقيل غير ذلك. (الاعلام ٦/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وانظر : فتوح البلدان ٤٢٤ – ٤٢٨)

(٢) يوافق تقريبا بداية القرن الأول الهجري ، وقد بدأ هيون سانغ رحلته عام ٦٢٩ الميلادي ، حيث قطع الطرق الصعبة عبر تركستان وبلاد آسيا الوسطى ، وأقام مدة في الهند لدراسة البوذية ، ثم عاد الى الصين عام ٦٤٥ الميلادي .وكانت مذكراته من أهم الوثائق في دراسة تاريخ البوذية في هذه الأقطار ، وقد ترجمت الى عدة لغات (انظر: قصة الحضارة ٣/ ١٠١ ، ١١٣ ، وحضارات الهند ٣٨٩ ، و : Buddhism in Middle Asia P 9-I0.

سكنوا هذه الأماكن هاربين من ظلم البراهمة في بلاد الهند . (١)

وقد ورد في مواضع كثيرة من كتب المؤرخين وغيرهم ذكر هؤلاء البوذيين ، وأصنامهم ، ومعابدهم ، وحكامهم ، والمناطق التي كانوا يسكنونها في بلاد السند أيام الفتوحات الاسلامية .

فالبلاذري (٢) يروي لنا في مواضع كثيرة البوذيين ، ومعابدهم وأصنامهم ، ونشاطات رهبانهم السمنيين في مدن مختلفة لبلاد السند أيام الفتوح ، وخاصة في مدينة الملتان ، والديبل ، والور، ومدينة النيرون . (٣)

وقد وصف البد (٤) الموجود في الملتان بقوله :

" وكان بد الملتان بدا تهدي اليه الأموال، ويندر له النذور ويحج اليه السند ، فيطوفون به ، ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده، ويزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبي عليه السلام " . (٥)

كما يروي لنا ذلك أيضا ابن النديم (٦) في كتابه : الفهرست (٧) . فهذا يدل على أن البوذيين كانوا منتشرين في هذه المناطق قبل الفتح العربي الاسلامي .

==========

(١) أنظر: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب: للدكتور عبد الله مبشر الطرازي ١/ ٣٣٤، نقلا عن: ملت اسلامية : للدكتور اشتياق حسين قريش ٣٨ (بالأردية)

(٢) هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري مؤرخ جغرافي نسابة من أهل بغداد ، توفي أيام المعتمد عام ٢٧٩ هـ من كتبه : فتوح البلدان ، وأنساب الأشراف . (الأعلام ١/ ٢٦٧)

(٣) انظر: فتوح البلدان ٤٢٧ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٥ .

(٤) والمراد من كلمة : البد : أي صنم بوذا ، ولعل أصل هذه الكلمة هو : بودها ؛ أو : بذها ؛ أي بوذا في التعريب المشهور . (Buddha)

(٥) المصدر السابق ٤٢٧

(٦) هو أبو الفرج محمد بن اسحق بن أبي يعقوب النديم صاحب كتاب " الفهرست " من أقدم كتب التراجم وأفضلها ، وهو بغدادي ، توفي عام ٤٣٨ هـ (الأعلام ٦/ ٢٩)

(٧) انظر صفحة ٤٨٥ ، ٤٨٧ .

ولكن على رغم وجودهم بكثرة في هذه المناطق، نجد أن بعض حكامها كانوا من البرهميين. فقد روى المؤرخون ان بلاد السند كانت تحكمها قبل الاسلام زهاء قرن أسرة مالكة تعرف في التاريخ بأسرة " سيهاسي"، وكانت هذه الأسرة بوذية المذهب، ثم في أول سنة من القرن الأول الهجري، أي في صدر الاسلام، انتقل حكم البلاد الى رجل يسمى : جج: وكان برهمي المذهب، وحافظا للكتب البرهمية المقدسة، لأنه كان من أسرة دينية برهمية. (١)

وباستيلاء " جج " على الحكم، صارت الديانة البرهمية هي الدين الرسمي للدولة، وسيطرت على الدين البوذي المنتشر في البلاد، رغم كون الأغلبية فيها من البوذيين. (٢)

لذلك قام الصراع المذهبي بين البراهمة والبوذيين في بلاد السند قبل الفتح الاسلامي، وقد اشتد هذا الصراع حتى أدى الى تدهور الحالات الاجتماعية، والفكرية، والمذهبية، والاقتصادية، لدرجة ان البوذيين كانوا يتمنّون أن تتاح لهم فرصة ليتخلصوا من الاضطهاد المذهبي، والاجتماعي، ومن استبداد الحكام، ولينجوا بأرواحهم من أنواع وسائل التقتيل والتعذيب من جانب البراهمة. (٣)

وقد حقق لهم أمانيهم عندما دخل العرب المسلمون هذه البلاد وجاءوا

==========

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية في بلاد السند والبنجاب في عهد العرب ١/ ٣٣٣ نقلا عن ججنامة ١٤، ١٧، ٥٠ (باللغة الفارسية)

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ١/ ٩٤ – ١٠٢ .

بالاسلام دين العدل ، والمساواة ، والرحمة ، فرحّبوا بهم ، وتعاونوا معهم ماديا ومعنويا ، للقضاء على جبروت حكام البراهمة وظلمهم الذي ملأ البلاد .

ولم يكتف البوذيون على مساعدة العرب ، بل نجد أن كثيرا من الجماعات البوذية قد دخلت في الاسلام أفواجا أفواجا أيام الفتوح وبعدها باستمرار ، حتى يكاد لايسمع عن وجود البوذيين بعد ذلك في بلاد السند (١)

أما البلاد في آسيا الوسطى فان البوذية انتشرت فيها قبل الاسلام انتشارا واسعا .

وقد أشار الى ذلك المؤرخون المسلمون منهم ابن النديم حيث يقول : " قرأت بخط رجل من أهل خراسان ، قد ألف أخبار خراسان في القديم وما آلت اليه في الحديث ، وكان هذا الجزء يشبه الدستور . قال : " نبي السمنية " بودا سف " (٢) وعلى هذا المذهب كان أكثر أهل ماوراء النهر قبل الاسلام ، وفي القديم " (٣)

كما تحدّث أيضا البيروني عن ذلك وقال بأن خراسان ، وفارس ، والعراق ، والموصل الى حدود الشام في القديم ، كانت على هذه الديانة المعروفة

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ وانظر أيضا : الدعوة الى الاسلام لسير توماس ارنولد ٣٠٥ ، ٣٠٦ ومابعدها .

(٢) لعل هذه الكلمة " بوداسف " هي نفس كلمة " بودهي ساتوا " التي سبق الكلام عنها . انظر صفحة ٤١٢ .

(٣) الفهرست ٤٨٤ .

بالشمنية . (١)

والى جانب البوذيين في هذه البلاد كانت هناك أهل الديانات الأخرى من الديانات الفارسية القديمة . كالمجوسية ، والزراد شتية ، والمانوية ، والصابئة ، وغير ذلك ، ويوجد غير قليل من اليهود والنصارى .(٢)

ويرجع السبب في انتشار البوذية في آسيا الوسطى الى الملك أشوكا (٢٧٣ – ٢٣٢ ق م) حينما أرسل البعثات الدينية الى أنحاء البلاد ، منها البعثات التي أرسلها الى كشمير ، وقندهار ، (أفغانستان) وفارس ، وماجاورها من آسيا الوسطى ، وكانت هذه المناطق تحت حكم الاسكندر اليوناني في ذلك الوقت (٣)

---

(١) انظر كتاب البيروني في تحقيق ماللهند ١٥
والجدير بالذكر أن علماء العرب أطلقوا على البوذية اسم السمنية أو الشمنية (انظر فتوح البلدان ٤٢٥ ، وكتاب البيروني ١٦ ، ٣٠ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ٢٠٦ ، والفرق بين الفرق : للامام عبد القاهر البغدادي ٢٥٣) . وهي على التحقيق اسم لطائفة خاصة من الرهبان البوذيين الذين يكرسون النفس على التنسك والتأمل لأن كلمة ; سمانا ; أو سمني " (Samana , Samani) في اللغة البالية تعني المنخرط في سلك الرهبنة ، أو المتواضع المترهب . (انظر مجموعة المصطلحات البوذية ٦٠٦)

(٢) انظر : الدعوة الى الاسلام : لسير توماس آرنولد ٢٣٥ ، ٢٤٦

(٣) Buddhism in Middle Asia P.P2I,22.

ثم ازدهرت البوذية في أواخر القرن الأول للميلاد في عهد الملـــــك كانشكا (١) (Kanishka) المعروف عند المؤرخين البوذيين بأشوكا الثاني .

وقد بسط هذا الملك سلطانه الى كل من فارس وتركستان ، وحتـــى الى منطقة " سنكيانغ " في الصين ، كما أرسل كثيرا من البعثات البوذية الى الصين وآسيا الوسطى . (٢)

والبوذية التي انتشرت في هذه المناطق مختلطة بين المذهب القديـــم والجديد ، وقد تغلب المذهب الجديد على القديم أحيانا في بعـــض المناطق كأفغانستان وفارس . (٣)

وفي القرن الرابع الميلادي بلغت البوذية قمة الانتشار في كل مـــن منطقة " سنكيانغ " ، وتركستان الغربية ، وافغانستان ،وشمال فـــارس حيث بنيت المعابد والأديرة للبوذية في جميع أنحاء هذه المناطـــق الواسعة . (٤)

ولعل خير دليل يثبت ذلك ماسجّله كل من " فاهين " (Fah-Hian)

---

(١) من الأمراء اليونانيين الذين اعتنقوا البوذية .لأن أسرته كانت تشهد على التعاطف اليوناني البوذي في الهند.كان يكلأ برعايته الرهبان البوذيين ، واتخذ مستشارا له أحد الشعراء البوذييـــن، ودعا لعقد المجمع البوذي الرابع الذي صدرت عنه عقائد مذهـــب " مهايان " (انظر تاريخ انتشار البوذية في العالم ٨٤)

(٢) تاريخ انتشار البوذية في العالم ٨٤

(٣) انظر: المذاهب البوذية ٤٤ ،٤٥

(٤) Buddhism in Middle Asia P. 23

الرحّالة الصيني المشهور (١) والرحّالة " هيون سانغ " (Honn-Sang) في مذكراتهما عندما دخلا هذه البقاع،مما يدل على انتشار البوذية فيها .

فذكر " فاهين " مثلا أن عدد الرهبان البوذيين في مدينة خوتان عشرة آلاف راهب ، غالبهم على مذهب المهايانا ، لا يأكلون اللحوم . (٢)

وأنه رأى المعابد البوذية وأديرتها منتشرة في مدينة كشمير ، وقندهار ، وفارس ، وسمرقند . (٣)

وحكى " هيون سانغ " أنه عندما دخل مدينة سمرقند في تركستان وجد أن الناس وغالبهم من الأتراك دانوا بالمجوسية ، ولم يجد في المدينة الا معبدين للبوذية خاليين من الرهبان ، وحكى أنه عاش في سمرقند مدة من الزمن ، يدعو أهلها الى البوذية ، فاعتنقها حاكمها ومعظم سكانها ، وبنوا كثيرا من المعابد والأديرة للرهبان ، فانتعشت البوذية مرة أخرى في سمرقند وما جاورها .(٤)

هذا وقد كشف في العصر الحديث جماعة من علماء الآثار الأوربيين

---

(١) كانت رحلة " فاهين " بين فترة (٣٩٩ – ٤١٤ م) أي قبل رحلة "هيون سانغ" بقرنين تقريبا . وتعتبر مذكراته من أهم الوثائق في دراسة تاريخ البوذية في الهند وآسيا الوسطى ، حتى يقال: " لولا مذكرات " فاهين " لما عرف شيء من تاريخ البوذية ". وقد ترجمت الى عدة لغات .(انظر رحلة فاهين في : قصة الحضارة ٣/ ١١٠ ، ١١١ ، وحضارات الهند ٣٨٩ ، ٣٩٠)

(٢) Buddhism in Middle Asia P.75

(٣) Ibid P. 56

(٤) Ibid P.P 57,59.

من جوف الرمال في بلاد التركستان مئات من المحفوظات البوذيـــــــة، كالكتب ، والأصنام ، وغيرها من الشواهد التي تثبت أن البوذيـــــــة ازدهرت في هذه المناطق قرونا طويلة . (١)

وقد ظلت البوذية هناك في آسيا الوسطى بجانب غيرها من الديانـــات الوثنية حتى القرن الثامن الميلادي ، حيث فتحها العرب المسلمون بقيادة القائد الشهير قتيبة بن مسلم الباهلي . (٢)

وقد بدأت حملاته في أوائل عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ = ٧٠٥ – ٧١٥ م) واستمرت حتى بدء عهد سليمان (٩٦ – ٩٩ هـ = ٧١٥ – ٧١٧ م) وقد استطاع قتيبة في هذه الفترة ان يمد فتوحاتـــه كل البلاد التي تقع على النهرين أو بينهما .(٣)

==========

(١) انظر قصة الحضارة ٣٠ / ٢٠١

(٢) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي (٤٩ – ٩٦ هـ) أمير فاتح من مفاخر العرب ، نشأ في الدولة المروانية ، فولـــي الري وخراسان ، ووثب لغزو ماوراء النهر ، وافتتح كثيرا مـــن المدائن ، كما غزا أطراف الصين ، وضرب عليها الجزية ، واستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة ، فقتله وكيع بن حسان التميمي بفرغانة. وكان أهل البصرة يفخرون به . (الأعلام ٥/ ١٨٩)

(٣) انظر فتوح البلدان ٩٩١ ،٤٠٩ ، ٤١١ والمراد بالنهرين أي نهـر جيحون (Amu Darya) ونهر سيحون (Syr Darya)
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ٤٧٦ وما بعدها

وهكذا التقت البوذية وأمثالها بالاسلام ، فعدمها عدمة قاسية . لم تقو بعدها على المناهضة والغلاب ، فتخلت له عن الميدان معترفة بأن البقاء للحق وللأصلح . وهذه هي سنة الله التي خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . (١)

وقد قال تعالى : " وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " (٢)

---

(١) ملتبس من آية (٢٣) سورة الفتح

(٢) الاسراء ٨١

الباب الثاني

الصوفية وعلاقتها بالبوذية

ويشمل ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالصوفية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصوفية وسبب تسميتها

المبحث الثاني : موجز عن نشأتها وتطورها

المبحث الثالث : البوذية مصدر من مصادر الصوفية والأدلة على ذلك

الفصـــل الأول : التعريف بالصوفية

المبحث الأول : تعريف الصوفية وسبب تسميتها

أ ـ تعـــريـــف الصـوفيـــة

تعددت دلالة كلمة " صوفية " أو " تصوف " عند المتقدمين مـــن الصوفية والمتأخرين ، واختلفت معانيها بينهم كثيرا ،ولم أجد لهذه الكلمة في كلامهم تعريفا جامعا مانعا يعطي فكرة كاملة عـــن حقيقتها ،وإن ما وجدته لا يعدو تعاريف ناقصة ، يوضّح كل منهـــا جانبا من جوانبها ، أو صفة من صفاتها ، فقد عبّر كل منهم بما وقع له في أثناء سلوكه .

ومن الأمثلة على ذلك ، ماقال الجنيد (١) وقد سئل عن التصوف فقال : " أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة " (٢)

وقال أيضا : " أن يميتك الحق عنك ويحييك به " (٣)

كما سئل عنه مرة أخرى وقال :

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز مولده ومنشأه بالعراق ، وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف . من أقواله المشهورة " ما أخذنا التصوف من القيل والقال لكن من الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات " . توفي عام ٢٩٧ هـ . (انظر ترجمته في الفهرست ٢٦٤ ، وطبقات الصوفية ١٠ / ٢٥٥ ، والرسالة القشيرية ١ / ١١٦ ،وكشف المحجوب ٣٤٠ ، وصفة الصفوة ٢/٤١٦ ، والاعلام ٢ / ١٤١)

(٢) اللمع : لأبي نصر السراج الطوسي ٤٥ ، والرسالة القشيرية : لأبي القاسم القشيري ٢ / ٥٥٢ .

(٣) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥١ ،و عوارف المعارف للسهروردي ٦٣ .

" هو الخروج عن كل خلق رديء والدخول في كل خلق سني " (١)

وقال أبو الحسين النوري (٢) :

" التصوف ترك كلّ حظ للنفس " (٣)

" والصوفية هم الذين صفت أرواحهم ، فصاروا في الصف الأول بين يدي الحق ". (٤)

وقال أيضا " الصوفي : الذي لا يملك ولا يملك " (٥)

وبهذا المعنى قال كثير من متقدمي الصوفية ، كسمنون (٦) (٧) ومعروف الكرخي .(٨) (٩)

==========

(١) اللمع ٤٤

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ولد ونشأ ببغداد ،وأصله من خراسان ويعرف بابن البغوي ، كان من أقران الجنيد . توفي سنة ٢٩٥ هـ . (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٦٤ ، والرسالة القشيرية ١ / ١٢٣ ، وكشف المحجوب ١ / ٢٤٢) .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلا باذي ٣٤، والرسالة القشيرية ٢/ ١٢٣ ، وكشف المحجوب ١ / ٢٣٢)

(٤) كشف المحجوب ١ / ٢٣٢ .

(٥) المصدر السابق ١ / ٢٣٣

(٦) وقد سئل عن التصوف فقال : ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء " (الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٢)

(٧) هو سمنون بن حمزة الخواص أبو الحسن أو أبو بكر،صوفي ناسك من الشعراء ، ومن أهل البصرة ، سكن بغداد ، وتوفي بها عام ٢٩٠ هـ (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٩٥ والرسالة القشيرية ١ / ١٣٣ وحلية الأولياء ١٠ / ٣٠٩ وكشف المحجوب ١/ ٣٤٣)

(٨) وقد سئل عن التصوف فقال :الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق ،فمن لم يتحقق بالفقر، لم يتحقق بالتصوف." (عوارف المعارف ٦٢ وأيضا الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٢)

(٩) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي من كبار الصوفية = =

ورويم بن أحمد (١) (٢) وأبي بكر الشبلي (٣) (٤) وغيرهم

وهناك تعاريف كثيرة من علماء الصوفية بلغت أكثر من ألف تعريف

كما قال السهروردي (٥) وغالبها يدور حول الزهد في الدنيـــــــا

==========

= المتقدمين. ولد في كرخ بغداد. وتوفي بها عام ٢٠٠ هـ (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٨٣،والحلية ٨/ ٣٦٠ ، والرسالة القشيرية ١/ ٦٥ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٢٥ ، وصفة الصفوة ٢/ ٣١٨ ، والأعلام ٢٦٩/٧)

(١) قال رويم " التصوف : استرسال النفس مع الله تعالى على مايريـــد" (اللمع ٤٥ والرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٢)

(٢) هو رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم،وكنيته أبو محمد ،صوفي شهيـر من جلة مشايخ بغداد ، فقيه على مذهب داود الظاهري،توفـــي سنة ٣٣٠ هـ .(انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٨٠،والرسالـــة القشيرية ١ / ١٢٧ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٤٧،والاعلام ٣/ ٣٧.)

(٣) قال : الصوفي منقطع عن الخلق ، متصل بالحق : (الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٤) .

(٤) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي. ناسك أصله من خراسان ،كـان في مبدأ أمره واليا ، ثم ترك الولاية ، وعكف على العبادة،وسلك مسالك المتصوفة . توفي ببغداد سنة ٣٣٤ . (انظر ترجمته فـي طبقات الصوفية ٣٣٧، والحلية ١٠/ ٣٦٦ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٦٠ وكشف المحجوب ١/ ٣٦٧،وصفة الصفوة ٢/ ٢٥٨ ، والاعلام ٢/ ٢٤١)

(٥) انظر عوارف المعارف ٦٤

والسهرودي هو عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه أبو حفـــص شهاب الدين القرشي التميمي البكري السهروردي . فقيه ، شافعـــي. مفسر ، واعظ ، من كبار الصوفية ، نادى بمذهب الحلول وجعل الذكـر سبيلا الى هذا الهدف. توفي ببغداد سنة ٦٣٢ هـ.ومن كتبـــه " عوارف المعارف ، وبغية البيان في تفسير القرآن ، وجذب القلوب الى مواصلة المحبوب. (الأعلام ٥ / ٦٢)

والانقطاع الى الله ، والعزلة من كل ماسواه .

إن هذه التعاريف في الواقع قد تنطبق على التصوف في عهده الأول الذي يتمثل في الزهد الاسلامي الخالص، قبل أن تدخل عليه التحريفات، والبدع ، والمنكرات ، وقبل أن تتعرض للأفكار الخارجة عن الاسلام . أما بعد ذلك فان التصوف قد تحوّل الى مظاهر وحركات، وطقوس، وخرافات، خالية من الروح والعبادة ، وصار خروجا من دين الله ،وهذا ما عبّر عنه الواسطي (١) أحد كبار الصوفية حين قال :

" كان للقوم إشارات ، ثم صارت حركات ، ثم لم يبق إلا حسرات " (٢)

وقد تناول كثير من العلماء المحدثين التصوف بتعريفه ، فقال بعضهم إن التصوف طريقة زهدية في التربية النفسية ، يعتمد على جملة من العقائد الغيبية ، مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ، ولا في العقل . (٣)

وقال آخر " هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها ، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف، وأنواع من العبادة والأوراد ، والجوع ، والسهر في صلاة أو تلاوة أوراد حتى يضعف في

---

(١) هو محمد بن موسى الواسطي وكنيته أبو بكر . متصوف من كبار أتباع الجنيد ، فرغاني الأصل ، من أهل واسط ، دخل خراسان، وأقام بمرو ومات بها سنة ٣٢٠ هـ (أنظر ترجمته في طبقات الصوفية ٣٠٢ ، والرسالة القشيرية ١ / ١٥١ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٦٦)

(٢) الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٥

(٣) التصوف بين الحق والخلق : محمد فهر شقفة ٧ .

الانسان الجانب الجسدي للنفس بهذا الطريق المتقدم سعيا الى تحقيق الكمال الأخلاقي للنفس كما يقولون . والى معرفة الذات الالهية وكمالاتها ،'وهو ما يعبّرون عنه بمعرفة الحقيقة " . (١)

والحق أن هذا التعريف يتفق معه الاسلام ، ولكن لامن اتخاذ كل ما أشار اليه الصوفية من الأساليب التقشفية التي تفسد الانسان صحته وحياته وتبعده عن خدمة المجتمع ،وانما عن طريق الايمان الصحيح والعمل بالشريعة السليمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

ويمكننا أن نعرّف التصوف أو الصوفية كفرقة من الفرق الضالة التي نشأت في الاسلام بأنها فرقة دينية أخلاقية فلسفية ، تقوم على الزهد في الدنيا والانصراف الى الروح ، وتعتمد على التأمل ، والتعبد ، والتقشف ، وما الى ذلك من المجاهدات والرياضات الروحية ، مما لم يستند الى دليل شرعي صحيح ، وذلك للوصول الى الغاية البعيدة ، ألا وهي الخلاص ، والتجرد من الدنيا وما فيها ، والاتصال بالذات الالهية ، والفناء فيها .

ب ـ سبب تسميتهم بالصوفية

اختلفت آراء العلماء في كلمة "الصوفية". فرأى بعضهم

---

(١) انظر : التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة : للدكتور ابراهيم ابراهيم هلال ١ وأضواء على التصوف : للدكتور طلعت غنام ٢٨ .

أنها كلمة مولّدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربيـــة .

والى هذا ذهب القشيري (١) والهجويري (٢) وغيرهما (٣)

ورأى آخرون أن لهذه الكلمة اشتقاقا ، واختلفوا في المعنى الذي اشتقت منه . فقال بعضهم : إنها مشتقة من الصفاء ، فسميت الصوفيـــة صوفية لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم . وقالت طائفة : إنها مشتقة من الصف الأول لأنهم في الصف الأول بين يدي الله ، وقال قـــوم: إنها مشتقة من الصُفّة لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الـــذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤)

==========

(١) انظر الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٠

والقشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري . شيخ خراسان في عصره ، ولد سنـــة ٣٧٦ هـ . وتوفي سنة ٤٦٥ هـ . من أهم كتبه : الرسالة القشيرية ، ولطائف الاشارات . (الاعلام ٤/ ٥٧)

(٢) انظر كشف المحجوب ١ / ٢٣١

والهجويري هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري نسبة الى الهجوير بمدينة غزنة . عاصر الامام القشيري ، وسمع منه بعض آرائـــه . توفي بمدينة لاهور سنة ٤٦٥ هـ على الأرجح . له كتاب : كشـــف المحجوب : في التصوف . ألفه بالفارسية وترجمه الى الانجليزيـــة المستشرق نيكلسون ، كما ترجمه الى العربية الدكتورة اسعـــاد عبد الهادي قنديل . (انظر ترجمته في كشف المحجوب ١/ ٣٩ وما بعدها) .

(٣) منهم صاحب كتاب : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١ / ١٦١ .

(٤) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ٢٨ ، ٢٩ ، والرسالة القشيريـــة ٢ / ٥٥٠ ، ٥٥١ ، وعوارف المعارف ٦٥ .

والحق أن هذه الأقوال الثلاثة غير مستقيمة من جهة اللغة . اذ لو اشتقت الصوفية من الصفاء . أو الصف الأول . أو الصفة . لقيل الصفائية في الأول ،والصَّفية والصُّفية في الثاني والثالث .(١)

وقيل إنها مشتقة من « صوفية » .وهو اسم رجل كان أول من انفرد بخدمة الله عند الكعبة ، واسمه الغوث بن مر ، وانتسب اليه قوم في الجاهلية فسموا صوفية . وقد انقطعوا الى الله ، وقطنوا الكعبة ، فمن تشبّه بهم فهم الصوفية . (٢)

وهذا أيضا قول بعيد ، وقد رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية وقال : بأن غالب من تكلّم باسم « الصوفي » لم يعرف هذه القبيلة ،ولايرضى أن يكون مضافا الى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام(٣) وقال قوم آخرون إنها مشتقة من الصوف ،أي سموا صوفية للبسهم الصوف ، وهو ما اختاره الكثيرون من العلماء والباحثين.(٤)

---

(١) انظر:الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٠ ، ٥٥٠ ، وتلبيس ابليس ١٦٣،ومجموع الفتاوي ١١/ ٦ ، ومقدمة ابن خلدون ٤٦٧ .

(٢) قارن : تلبيس ابليس ١٦١

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١/ ٦

(٤) منهم شيخ الاسلام ابن تيمية في : مجموع الفتاوى ١١/ ٧٠٦،وابن خلدون في:مقدمته ٤٦٧ ،٤٦٨ . ومن علماء الصوفية كأبي نصر السراج في : اللمع ٤١ ،وأبي بكر الكلاباذي في : التعرف لمذهب أهل التصوف ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، والسهرودي في : عوارف المعارف ٦٤ ، ٦٥ ، ومن الباحثين المحدثين أحمد أمين في : ظهر الاسلام ٤ / ١٥٠ وزكي مبارك في : التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق ١/ ٤٢ ، ومن المستشرقين كجولدزيهر في:العقيدة والشريعة ١٥٣، ونيكلسون في التصوف الاسلامي وتاريخه ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، والبارون كارادوفو في:" الغزالي" ١٥٩ ، ١٦٠ ، ودي بور في:تاريخ الفلسفة ١٢٦ وغيرهم .

قال السهروردي " وهذا ..... يناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوّف اذا لبس الصوف ،كما يقال تقمّص اذا لبس القميص .... فنسبوا الى ظاهر اللبسة ، وكان ذلك أبين في الاشارة اليهم . وأدعى الى حصر وصفهم ، لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم ." (١)

وهناك قول آخر وهو أن أصل كلمة " صوفية " يوناني مشتق من كلمة : تيوسوفيا : (Theo Sophie) ومعناها : الحكمة الإلهية ،وكانت تطلق عند قدماء اليونان على مذهب روحي يعتنقه النساك والزهاد السالفون قبل الاسلام بعدة قرون.(٢) والى هذا ذهب البيروني (٣) ووافقه كثير من الباحثين المستشرقين .(٤)

وهذا القول محتمل جدا لولا الردود من المستشرق نولدكه (Noldeke) (٥) فقد استبعد نولدكه هذا القول لسبب لغوي يوناني ،وهو أن الحرف الأول لكلمة " سوفوس " أو سوفيا " اليونانية كان يمثل في العصور

==========

(١) عوارف المعارف ٦٤ ،٦٥ .

(٢) أضواء على التصوف ٦٦ ،٦٧ ، وانظر من نشاط هذا المذهب في العصر الحديث في : الاسلام والدعوات الهدامة : لأنور جندي ٥١ – ٥٤

(٣) انظر : كتاب البيروني في تحقيق ماللهند ٢٤

(٤) انظر : الصوفية في الاسلام :للمستشرق نيكلسون . ترجمة : نور الدين شريبة ٣ ،٤ .

(٥) هو " تيودور نولدكه " (Theodor Noldeke) من أكابر المستشرقين الألمان . ولد سنة ١٢٥١ هـ ،وتعلم في عدة جامعات ، وانصرف الى اللغات السامية والتاريخ الاسلامي ، له كتب عن العرب وتاريخهم . منها " تاريخ القرآن " وحياة النبي محمد" توفي سنة ١٣٤٩ هـ (الأعلام ٢ / ٩٦)

المتأخرة دائما بحرف السين (س) العربي في جميع الكلمات اليونانية التي عربت لا بحرف الصاد (ص) ، فلو كانت كلمة " صوفي " مشتقة من أصل يوناني لكان بقاء الصاد في أولها خروجا على القياس على أقل تقدير . (١)

وبعد هذا العرض الموجز فالذي أميل اليه انهم سموا بالصوفية نسبة الى الصوف ، لأن قدماءهم في الجملة يؤثرون الخشونة ، ومن مظاهرها لبس الصوف ، وهذا لا يعني انكاري علاقة الصوفية بمذهب تيوسوفية اليوناني ، فان الصوفية لها علاقة بها كما لها علاقة بمذاهب عديدة خارجة عن الاسلام .

==========

(١) قارن : في التصوف الاسلامي وتاريخه ٦٧ .

المبحث الثاني : موجز عن نشأة الصوفية وتطورها

إن أول بوادر ظهور الصوفية كفرقة لها تعاليم ومدرسة وتلاميـــــذ. كان في القرن الثاني للهجرة ، وذلك حينما فشا الاقبال على الدنيا وجنح الناس الى مخالطتها والانشغال فيها اختفى المقبلون علـــى الزهادة والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة.(١)

من ذلك الحين غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة من الزهاد،فيقال: رجل صوفي ، وللجماعة : " صوفية " .ومن يتوصل الى ذلك يقال لـــــه: " متصوف " ، وللجماعة : " المتصوفة " . (٢)

وروي أن أول رجل لقب بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي المتوفى سنـــة (٣)
(١٥٠ هـ) . وأنه بنى أول خانقاة للصوفية في الرملة من بلاد الشام، وقيل غير ذلك.(٤)

==========

(١) قارن: مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ ، وأيضا تلبيس ابليس ١٦٣.

(٢) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٠
وفرق الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) بين الصوفي والمتصوف حيث قسّـــم أهل التصوف الى ثلاثة أقسام : الأول : الصوفي وهو الفاني من نفسه. والباقي بالحق ، قد تحرر من قبضة الطبائع ، واتصل بحقيقة الحقائق. الثاني : المتصوف .وهو من يطلب هذه الدرجة بالمجاهدة ، ويقـــوم نفسه في الطلب على معاملاتهم . الثالث : المتصوف .وهو مـــن تشبه بهم من أجل المنال ، والجاه ، وحظ الدنيا .(أنظر: كشـــف المحجوب ١/ ٢٣١)

(٣) الخانقاة : كلمة فارسية . معناها : بيت ،وقيل أصلها خونقاه ، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك ،وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى . (انظر: الخطط للمقريزي ٢/ ٤١٤)

(٤) انظر : الصلة بين التصوف والتشيع : للدكتور كامل مصطفى الشيبـــي ٢٦٩ نقلا : عن نفحات الانس: لعبد الرحمن الجامي ٣١ ،وأيضا : في التصوف الاسلامي وتاريخه ٣ .

ولم تكن هذه الجماعات في هذه الفترة تؤلف وحدة كالرهبانيات ، ولم تتخذ لها رئيسا واحدا ، أو نظاما واضح المعالم في التصوف. فقد تميزت بالزهد المبالغ ، ومحاربة النفس ، والتوكل على الله في جميع أمورهم . وكانت البصرة مركزا لهذه الجماعة . كما أشار الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قال :

" إن أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن يزيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد ، والعبادة ، والخوف ، ونحو ذلك ، ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، ولهذا يقال :"فقه كوفي " و " عبادة بصرية ".(١)

وعند نشوء الجماعات الصوفية في القرن الثاني كانت ترتكن على ركنين أساسيين هما : الزهادة وحب الله.(٢)

والحقيقة أن الزهادة وحب الله أمران مشروعان في الاسلام ، غير أن الصوفية قد بالغوا فيهما ، وأدخلوا فيهما تدريجيا العناصر من المذاهب والفلسفات الأجنبية .

وقد أشار القرآن الى الزهادة وحب الله في آيات كثيرة . فمثلا في الزهادة مثل قوله تعالى : " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٦ ، ٧ .

(٢) ظهر الاسلام لأحمد أمين ٤ / ١٥٠

(٣) آل عمران ١٨٥ .

وقوله تعالى : " أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل " (١)

وفي حبّ الله مثل قوله تعالى :

" والذين آمنوا أشد حبا لله " (٢)

وقوله تعالى : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " (٣)

وقد وجد في صدر الاسلام كثير ممن عرفوا بالزهادة ، كأهل الصفة ، وأبي ذر الغفاري ، وحذيفة ابن اليمان ، وغيرهم . وكانت زهادتهم زهادة معتدلة ، لا تخرج عما أرشد اليه القرآن ، من التوسط والاعتدال . ولا تخرج عن توجيهات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . بمعنى أنهم كانوا يشاركون في الحياة الاجتماعية ، ويسعون لكسب معاشهم ، ويحافظون على أوامر الدين بأرواحهم وبكل طاقاتهم ، ولكن لما ظهرت الصوفية ، كان زهادهم يحيون حياة تخالف حياة الآخرين ، من حيث المبالغة في الزهد ، وترك متاع الدنيا ، ورياضة النفس . وقد اشتهر في هذه الفترة الزاهد الصوفي ابراهيم بن أدهم البلخي المتوفى سنة (١٦٠ أو ١٦٢ هـ) الذي تخلى عن ملكه وأمواله ، ولبس الصوف ، وهام على وجهه في البلاد متنقشفا منصرفا الى العبادة ودعوة الناس الى الزهد في الدنيا وخيراتها (٤) .

==========

(١) التوبة ٣٨ (٢) البقرة ١٦٥ (٣) المائدة ٥٤

(٤) روى القشيري في الرسالة أن إبراهيم بن أدهم كان من أبناء الملوك. فخرج يوما متصيّدا ، فأثار ثعلبا أو أرنبا وهو في طلبه ، فهتف به هاتف : يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ؟ ثم هتف به أيضا من قربوس سرجه (أي حنو سرجه) : والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ؛ فنزل عن دابته ، وصادف راعيا لأبيه ، فأخذ =

كما اشتهرت الزاهدة رابعة العدوية المتوفاة سنة (١٣٥ هـ) بدعوتها الى حب الله حبا مطلقا مجردا من الخوف والرغبة ، وجعلت هذا الحب من أسس الصوفية ، وركزت عليه طريقها . (١)

وظهرت في نهاية القرن الثاني فكرة جديدة كان لها أثرها في التصوف متمثلة في أقوال معروف الكرخي (ت ٢٠٠ هـ) (٢) الذي عرّف

= جبّة للراعي من صوف ولبسها ، واعطاه فرسه وما معه ، ثم أنه دخل البادية .... وأنه رأى في البادية رجلا علّمه " اسم الله الاعظم " ، فدعا به بعده ، ويزعم انه رأى الخضر عليه السلام. ومن أقواله في التصوف " اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :

(١) تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة .

(٢) تغلق باب العز وتفتح باب الذل .

(٣) تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد .

(٤) تغلق باب النوم وتفتح باب السهر .

(٥) تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر .

(٦) تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت .

(انظر : الرسالة القشيرية ١/ ٥٤ – ٥٦ وانظر ترجمته أيضا في طبقات الصوفية ٢٧ ، وكشف المحجوب ١/ ٣١٤ ، والحلية ٧/ ٣٦٧ . وصفة الصفوة ٤/ ١٥٢ ، والأعلام ١/ ٣١ .)

وقد قارن المستشرق جولد زيهر بين سيرة ابراهيم بن أدهم وسيرة بوذا (انظر : العقيدة والشريعة ١٦١)

(١) انظر : ترجمتها في صفة الصفوة ٤/ ٢٧ ، والأعلام ١/ ٣١ .

(٢) سبقت ترجمته . انظر صفحة ٤٤٠،٤٤١ .

التصوف بأنه : الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق.(١)

وفي القرن الثالث والرابع الهجريين ظهر التصوف في صورة جديدة.تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها . حيث لا يقف التصوف في هذه الفترة عند حد الزهد والرياضة والمجاهدة ، وإنما تجاوز هذا كله الى غاية بعيدة ، وهي فناء الانسان عن نفسه ، واتحاده بربه ، وحصوله على المعرفة العليا التي تتجلى فيها الحقائق عن طريق الكشف والشهود .(٢)

والصوفية في هذه الفترة تعتبر من أكثرها تأثرا بالمذاهب الفلسفية الوافدة التي انتشرت في ذلك الوقت في أنحاء المملكة الاسلامية.خاصة في خراسان وفارس،نتيجة من فتوحات اسلامية لهذه البلاد ، واختلاطات بين الثقافات المختلفة.(٣)

وقد ظهر في هذه الفترة كثير من كبار الصوفية ، وكان معظمهم من غير العرب وخاصة الفرس .

أذكر منهم (٤) :

١ ـ أبو سليمان الداراني (ت ٢١٥ هـ) (٥) الذي اشتهر في شدة التقشف .

==========

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٢ ، وعوارف المعارف ٦٢ .

(٢) انظر : " في التصوف الاسلامي وتاريخه" ٤ ، ٥ ، ٧٠ ، ٧٤ .

(٣) قارن : ظهر الاسلام ٤/ ١٥٠ ، ١٥١

(٤) لا يتسع المجال هنا لدراسة تعاليم كل واحد من هؤلاء الرجال. والا خرجنا عن حد الموجز الذي وضعناه . فنكتفي بترجمة قصيرة لكل واحد منهم .

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية . زاهد مشهور من أهل داريا بدمشق . رحل الى بغداد ، وأقام بها ، ثم عاد الى الشام. كان من كبار المتصوفة ، له أقوال كثيرة في سمت التصوف =

٢ ـ بشر بن الحارث الحافي (ت ٢٢٧ هـ) (١) الذي كان ذا شأن كبير في المجاهدة .

٣ ـ أبو بكر الشبلي الخراساني (ت ٣٣٤ هـ) (٢) المشهور باشارته .

٤ ـ أبو تراب (ت ٢٤٥ هـ) (٣) الذي كان من كبراء سياحي المتصوفة ، قطع بوادي كثيرة على التجرد .

٥ ـ الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) (٤) الذي عمل كتابا في أصول

==========

= النظري (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٧٥ ،والرسالة القشيرية ١/ ٩٦ . وكشف المحجوب ١/ ٣٢٤ ، والحلية ٩/ ٢٥٤ ، وصفة الصفوة ٤/٢٢٣، والاعلام ٣/ ٢٩٣.) .

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث المعروف بالحافي . من كبار الصوفية . له أخبار في الزهد والورع ، أصله من " مرو " بخراسان. (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٣٩ ،والرسالة القشيرية ١/ ٧٣. وكشف المحجوب ١/ ٣١٦ ، والحلية ٨/ ٣٣٨ ، وصفة الصفوة ٢/ ٣٢٥ ،والاعلام ٢/ ٥٤) .

(٢) سبقت ترجمته في صفحة ٤٤١ .

(٣) هو أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي . اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف الا بها . كان من أجلة مشايخ خراسان ومن ساداتهم ، ومشهورا بالفتوة ، والزهد ، والورع . له عجائب لا تحصى وكانت وفاته في بادية البصرة حيث نهسته السباع (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ١٤٦ ،والرسالة القشيرية ١/ ١٠٨ ،والحلية ١٠/ ٢١٥ ،وكشف المحجوب ١/ ٣٣٤ ،وصفة الصفوة ٤/ ١٧٢ ،والأعلام ٤/ ٢٣٣)

(٤) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من أكابر الصوفية ولد ونشأ بالبصرة . له تصانيف عديدة في الزهد ، ومن أقواله "العلم بحركات القلوب في مطالعة الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح " (انظر ترجمته في : الفهرست ٢٦١ ،وطبقات الصوفية ٥٦ ،والرسالة القشيرية ١/ ٧٨ ،والحلية ١٠/ ٧٤ ،وكشف المحجوب ٣١٩/١ ، وصفة الصفوة ٢/ ٣٦٧ ،والأعلام ٢/ ١٥٣ ، ورسالة المسترشدين : تحقيق أبوغدة ١٧)

التصوف اسمه " الرعاية لحقوق الله " ويعتبر أقدم الكتب في التصـــوف.

٦ ـ وذو النون المصري (ت ٢٤٥ هـ) (١) الذي كان يعتبر أكبر الأثـر في تشكيل الفكرة الصوفية كما قاله المستشرق نيكلسون.(٢) فيعزى اليه أنه أول من تكلم في مصر في الأحوال والمقامات ، وأول من بحث في المعرفة بحثا نظريا دقيقا (٣) .

٧ ـ وسري السقطي الفارسي (ت ٢٥٧ هـ) (٤) الذي قال عنه الهجويري

==========

(١) هو أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم الاخميمي المصري . أحد الزهـــاد العبـاد المشهورين من أهل مصر . وهو أول من تكلم بمصر فـــي ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية . فانكر عليه عبد الله بـن عبد الحكم ، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة . فاستحضره اليه ،وسمع كلامه ، ثم أطلقه . (انظر ترجمته في:طبقات الصوفية ١٥ ،والرسالة القشيرية ١/ ٥٨ ،والحلية ٩/ ٣٣١ ،وكشف المحجوب ١/ ٣١١ ، وصفـــة الصفوة ٤/ ٣١٥ ، والأعلام ٢/ ١٠٢) .

(٢) انظر: في التصوف الاسلامي وتاريخه ٨
ونيكلسون هو (رينولد ألين نيكلسونReynold Allen Nicholson)
(١٢٨٥ ـ ١٣٦٤ هـ) . مستشرق انجليزي ، عالم بالتصوف الاسلامي ، درس العربية والفارسية ، ودرّسهما ، واشترك في نشر عدد من الكتـــب الصوفية . مثل : تذكرة الأولياء : للعطار، واللمع :للطوسي ،وغيرهما . لـــه كتب بالانجليزية في التصوف وغيره منها ; متصوفو الاســـــلام ودراسات في التصوف الاسلامي،ترجمها الى العربية الدكتور أبو العلا عفيفي. (الأعلام ٣ / ٣٩)

(٣) المصدر السابق ٧ ، ٧٤ .

(٤) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي . خال الجنيد وأستاذه قال عنه السلمي : إنه أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته . وقال انه مات (٢٥١ هـ) (انظر ترجمته في:طبقات الصوفية ٤٨ ، والرسالة القشيرية ١/ ٦٩ ،والحلية ١٠/ ١١٦ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٢١)

بأنه أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات وبسط الأحـــوال، وانه أكثر مشـايخ العراق من مريديه.(١)

٨ – وأبوْ يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) (٢) الذي كان ظهوره سببـا في تطور الأفكار الصـوفية تطورا خـطيرا . لأنه أدخل في التصـوف فكرة الفنـاء ، وفكرة وحـدة الوجـود . (٣)

٩ – والجنيد (ت ٢٩٧ هـ) وهو فـارسي من نهاوند ، ويلقب بسيـــــد الطـائفة . (٤)

١٠ – والحلاج (ت ٣٠٩ هـ) (٥) الذي نـادى بمذهب الحلول .

==========

(١) كشـف المحجوب ١/ ٣٢٢

(٢) هو طيفـور بن عيسى البسطامي . فـارسي ، كان جده مجوسيا ، يعد مـــن أكبر أئمة التصـوف ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطاميـــة . له أخبار كثيرة . منهـا أنه ادعى لنفسه المعراج كما كـــان للرسول صلى الله عليه وسلم المعراج . فأخرجوه من بسطام ، ورمـــوه بالالحاد . (انظر ترجمته في:طبقات الصوفية ٦٧ ،والرسالة القشيرية ١/ ٨٨ ،وكشف المحجوب ١/ ٣١٧ ، والحلية ١٠/ ٣٣ ،وصفة الصفوة ٤/١٠٧، والأعلام ٣/ ٢٣٥ .)

(٣) انظر: في التصوف الاسـلامي وتاريخه : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) سـبقت ترجمته في صفحـة ٤٣٩ .

(٥) هو الحسين بن منصور الحلاج . أبو مغيث،فـارسي الأصل . كان قـــد اتصل بالجنيد وتتلمذ له ، وظهر تطرفه وميله الى الحلول.قـال ابن النديم في وصفه : كان محتالا مشـعبذا ، يتعاطى مذاهـــب الصـوفية ، ويدعي كل علم جسـورا على الملوك والسلاطين ، مرتكبـا للعظائم ، يروم انقلاب الدول ، ويدعي عند اصحابه الإلهية ،ويقـــول بالحلول ، ويظهر مذاهب الشـيعة للملوك ، ومذاهب الصـوفية للعامـــة . وفي تضـاعيف ذلك يدعي أن الإلهية قد حلت فيه ، وانه هو هو . وكان في كتبه : إني مغرق قوم نوح ، ومهلك عاد وثمود ، فلمـــا =

وبظهور الحلاج بلغ التصوف غايته وذروته من حيث العقيدة ، لأنه استطاع أن يظهر معتقده في الحلول على الناس ، فأفتى علماء عصره بكفره وقتله ، فقتل ، محرقا في آخر سنة ٣٠٩ هـ (١) ولكن بقيت طريقته بعده .

وقد ظهر في هذين القرنين كثير من الشخصيات الصوفية غير الذي ذكرناه ، وانتشروا في الساحة الاسلامية ، خاصة في فارس ، وخراسان ، والعراق . حيث وجدت المؤثرات المختلفة في هذه المناطق . كالهندية ، والفارسية ، واليونانية ، والنصرانية ، وأخذوا ينظّمون أنفسهم في جماعات وفرق ، لها طرقها الخاصة ، وشيوخها ، وسالكوها . وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة . لكل منها طابع معين . وقد عدد الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) الطرق الصوفية التي وجدت في هذه الفترة باثنتي عشرة فرقة ، ونسب كل واحدة منها الى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين . (٢)

كما ذكر أنه لقي ثلاثمائة من مشايخ الصوفية بخراسان وحدها ، لكل منهم مشرب ، وقال بأن الواحد منهم يكفي الدنيا بأسرها ، لأن شمس

==========

= شاع أمره وذاع ، وعرف السلطان خبره على صحته ، وقع بضربه ألف سوط ، وقطع يديه ، ثم أحرقه بالنار في آخر سنة ٣٠٩ هـ . وادعى أصحابه أنه لم يقتل ، وانما القي شبهه على عدوّه . (انظر ترجمته في: الفهرست ٢٦٩ – ٢٧١ ، وطبقات الصوفية ٣٠٧ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٦٢ ، والأعلام ٢/ ٢٢٦)

(١) انظر : الفهرست ٢٧٠

(٢) انظر: كشف المحجوب ٢/ ٤٠٣ – ٥٠٨

المحبة واقبال الطريقة في طالع خراسان.(١)

وهذا دليل على أن الصوفية قد انتشروا في هذه الفتـــــرة انتشارا واسعا، كما انتشرت تبعا لذلك الخوانق ، والأربطة ،والزوايا التي يتخلون فيها في جميع البلاد الاسلامية . (٢)

وقد وضعوا نظـاما خاصا للحياة في هذه الأربطة يشبه الـــى حد ما نظام الرهبنة في البوذية ،حيث يقوم بادارة كل واحدة منهـا شيخ من شيوخهم ، وانتشر هذا النظام في الصوفية على أيـــدي رجال الطرق التي توالى ظهورها سريعا في القرن الخامس والســـادس الهجريين وما بعدهما .(٣)

فقد ظهرت مجموعة من رجال التصوف ، واستطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة وأتباعا مخصوصين .

وأذكر من هذه الطرق على سبيل المثال : القادرية (٤) ، والرفـاعيـة (٥) والشـاذلية (٦)

==========

(١) المصدر السابق ١ / ٣٩١

(٢) انظر: الخطط للمقريزي ٢/ ٤١٤ ـ ٤٣٦ وأيضا: الحضارة الاسلاميـــة: لآدم متز . ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ٢ / ٣٠ .

(٣) قارن : " في التصوف الاسلامي وتاريخه " ٥٨ .

(٤) تنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ). ظهرت فـــي بغداد . ولها أتباع كثيرون في البلاد الاسلامية وغيرها .(انظر: الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٣ ـ ٤٤٤)

(٥) تنسب الى الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨ هـ). ظهرت في العـراق. ولها أتباع كثيرون وهي شعبة من القادرية .(انظر: الصلة بين التصـــوف والتشيع ٤٤٤)

(٦) تنسب الى أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت ٦٥٦ هـ). وهي منتشرة في المغرب.والجزائر.وفي أنحاء أخرى من العالم . ولقد تشعب عنها طرق =

والبدويـة (١) ، والنقشبندية (٢) ، والتيجانية (٣) ، وغير ذلك .

وقد تشعب من كل منها عدة فروع ما تزال آثارها منتشرة حتى اليوم في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي ، وخاصة في افريقيا ودول من آسيا ، حيث توجد القبور ، والمزارات ، ومشايخ الطرق ، والعقائد الفاسدة في كل ذلك .

وهكذا امتلأت الساحة الاسلامية بالمدارس والمذاهب الصوفية التي صنعت للمريد لكي يدخل الى مقام شيخه أو ينخرط في طريقه . وامتلأت الصوفية بالرسوم والطقوس ، أطلقوا عليها اسم الأحوال والمقامات تدرّجا في طريق العشق ، والوجد ، والفناء ، والاتحاد ، والحلول ، وما أشبه ذلك . (٤)

==========

= كثيرة . (انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٥)

(١) تنسب الى أحمد بن علي البدوي (ت ٦٧٥ هـ) . صاحب الشهرة في الديارة المصرية ، وأصله من المغرب ، وقد انتسب الى طريقته جمهور كبير في مصر ، وكان قبره في طنطا ، حيث تقام في كل عام سوق عظيمة ، يفد اليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري احتفاء بمولده (انظر : الأعلام ١ / ١٧٥ .)

(٢) تنسب الى الشيخ محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي (ت ٧٩١هـ) ظهرت هذه الطريقة في خراسان ، وانتشرت في كثير من البلاد الاسلامية ، خاصة في سوريا والعراق . (انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤١ ، والعلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد : لعبد الحميد طهماز ١٨٨ ، ١٨٩)

(٣) تنسب الى أحمد بن محمد التجاني (ت ١٢٣٠ هـ) ظهرت في المغرب والجزائر . ولها اتباع كثيرون في البلاد الافريقية . ولعلي بن الدخيل الله كتاب قيم في عقائد التجانية (انظر ترجمة الشيخ التجاني في : الأعلام ١ / ٢٤٥)

(٤) دراسات في الفرق : للدكتور صابر طعيمة ١٠٨ .

والهدف لهذه الطرق جميعا – كما يزعمون – هو أن تتخلص النفس الانساني من روابط الجسد فترة من الزمن، مستعينة بالمجاهدة والذكر ، فيتمزق حجاب الحسّ الفاصل بين النفس والحقيقة ، وتقوى الروح، فتكشف لها حقائق الموجودات ، وتتمتع النفس بكمالاتها الذاتي،وتسمو الى عالم الملائكة ، وتتحد بالله .(١)

ولم تخرج الطرق المتعددة المنتشرة في أكثر الاقطار العالم الاسلامي من نطاق هذا الهدف وان اختلفت في الأساليب والسبل اليه ، وبرزت في بعضها شعوذات ينكرها الدين والعقل السليم .

وقد دوّن الصوفية لأنفسهم علما خاصا ، ذكروا فيه مقامات الصوفية، وأحوالها ، ومجاهداتها ، وما ينشأ عنها من الأذواق والمواجيد .(٢)

ولعل أول ما ظهر من مؤلفات الصوفية كتاب: الرعاية لحقوق الله لابي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ)، ثم ظهر في القرن الرابع الهجري كتاب اللمع لأبي نصر السراج (ت ٣٧٨ هـ)، والتعرّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ) ، وقوت القلوب لأبي طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) ، ثم ظهر في القرن الخامس والسادس الهجريين كثير من المؤلفات الصوفية أهمّها كتاب ; طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، والرسالة القشيرية : لأبي القاسم

---

(١) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية لعبده الشمالي ٤٥٠، ٤٥١

(٢) انظر: كشف المحجوب ١ / ١٥١ ، وتلبيس ابليس ١٦٤ – ١٦٦ ، ومقدمة ابن خلدون ٤٦٩ .

القشيري (ت ٤٦٥ هـ) ، وكشف المحجوب : للهجويري (ت ٤٩٢ هـ) ، و تذكرة الأولياء : لفريد الدين العطار (٦٢٧ هـ) و عوارف المعارف : للسهروردي (ت ٦٣٢ هـ) .

ثم ظهر بعد ذلك مؤلفات كثيرة لابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) ، وابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) ، وعبد الكريم الجيلي (ت ٨٠٥ هـ) ، والشعراني (ت ٩٧٣هـ) وغيرهم .

و " صار علم التصوف في الملة علما مدوّنا بعد أن كانت طريقة عبادة فقط ".(١)

وقد حفلت كتب هؤلاء بالمصطلحات الصوفية الغامضة ، زعموا أنه لا يفهمها الا من سلك طريقهم وتعارف عليها ، وربما عجزوا هم أنفسهم عن ايضاح بعضها .

وبظهور علم التصوف قسم الصوفيون علم الشريعة الى قسمين ظاهر وباطن ، واختص الفقهاء بالاهتمام بالظاهر ، وعنى الصوفية بالباطن.(٢) واحبّوا أن يسمّوا أنفسهم أهل الله ، وأهل الباطن ، وأهل الحقائق. ويسمّوا من عاداهم من الفقهاء بأهل الظاهر وأهل الرسوم.(٣)

==========

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٦٩

(٢) قارن : التصوف الثورة الروحية في الاسلام للدكتور أبي العلا عفيفي ١١٤ .

(٣) من الأمثلة على ذلك ما قاله محي الدين بن عربي في فتوحاته " فلما رأى أهل الله ان الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به والحقهم بالذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون هم في أفكارهم عن أهل الله يحسبون انهم يحسنون صنعا (أنظر الفتوحات المكية لابن عربي ١/ ٣٦٥)

وقد بذلوا جهودهم للتوفيق بين ماسلكوا فيه من التصوف وبين القرآن والسنة بالتأويلات الباطنية الفاسدة التي لا تستند الى دليل شرعي صحيح، وإنما تستند الى الكشف، والى الخواطر والوساوس والأحلام . (١)

وخلاصة القول أن التصوف من أوّل ظهوره كفرقة من الفرق ما هو الا استيراد أجنبي من خارج الاسلام وليس من صميمه، وأن الصوفية لم يظهروا بعلمهم هذا، ولا عرفوا بهذه الصفة التي أوجزناها، الا بعد تأثرهم بعوامل خارجية متعددة المصادر . ومنها البوذية التي نحن بصددها الآن .

---

(١) أنظر بعض النماذج لهذه التأويلات الصوفية في : التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ٢/ ٣٤١ – ٣٤٤ وأيضا ٣٨٧ – ٣٨٩ .

المبحث الثالث : البوذية مصدر من مصادر الصوفية والأدلة على ذلك

تعتبر البوذية مصدرا من مصادر الصوفية لم يقل أهمية من مصادر أخرى في تكوين هذه الطائفة ، سواء كانت هندية ، أو فارسية ، أو يونانية ، أو نصرانية ، أو غير ذلك . ومن الأدلة التي تثبت ذلك :

١) انتشار البوذية في فارس وخراسان وماجاورها قبل الفتح الاسلامي .

فقد ثبت بالأدلة التاريخية أن الدعوة البوذية كانت نشطة في زمن قبل الاسلام في شرق البلاد الفارسية ، وفي خراسان ،وغيرها من بلاد آسيا الوسطى (١) وقد أشار الى ذلك ابن النديم (٢) وكذلك البيروني الذي تنبه الى أن الفرقة المعروفة بالسمنية وهي البوذية كانت مزدهرة في خراسان ، وفارس ، والعراق والموصل ، الى حدود الشام . (٣)

ومازالت البوذية مزدهرة في هذه المناطق حتى في صدر الاسلام ، بدليل ما ذكر " هيون سانغ " الرحالة الصيني المعروف في مذكراته أنه عندما دخل " بلخ " إحدى مدن خراسان (٤)

---

(١) راجع : انتشار البوذية في السند وآسيا الوسطى في الفصل السابق .

(٢) الفهرست ٤٨٤ .

(٣) انظر : كتاب البيروني في تحقيق ما للهند ١٥

(٤) كان اقليم خراسان أيام العرب أي في القرون الوسطى ينقسم الى أربعة أرباع ، نسب كل ربع الى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة عواصم للاقليم بصورة منفردة أو مجتمعة ، وهذه المدن هي : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ =

وجد الأديرة البوذية منتشرة فيها ،وأنه عاش فترة طويلة مع الرهبان البوذيين في بلخ وغيرها من مدن خراسان .ونشر معهم تعاليم البوذية . (١)

ومن المعروف أن مدينة بلخ كانت موطنا كبيرا وهاما من مواطن الصوفية ، وقد نشأفيها عدد كبير من أوائل المتصوفة ، منهم ابراهيم بن أدهم (ت ١٦٢ هـ) الذي يوصف دائما بأنه كان أميرا على بلخ. ثم تنازل من ملكه ومرشه ليصبح زاهدا صوفيا ، وقد قال فيه جولد زيهر : إن قصته حيكت على مثال قصة بوذا.(٢) ومنهم شقيق بن ابراهيم البلخي (٣) ، وأحمد بن خضرويه البلخي ،(٤) وغيرهم .

==========

= وهي الآن تحت حكم روسيا . (انظر: بلدان الخلافة الشرقية ٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٦٢ وما بعدها) .

(١) Buddhism in Middle Asia P. 56,57.
وقد ذكرت سابقا أن رحلته كانت في فترة (٦٢٩ – ٦٤٥ م) و هي فترة صدر الاسلام لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في فترة (٥٧٠ – ٦٣٢م)

(٢) انظر: العقيدة والشريعة ١٦١

(٣) هو أبو علي شقيق بن ابراهيم بن علي الأذري البلخي .زاهد صوفي من كبار مشايخ خراسان ، له لسان في التوكل ، وقيل إنه أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية بكورة خراسان .توفي سنة ١٧٤ هـ وقيل ١٩٤ هـ (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٦١ ، والرسالة القشيرية ١ / ٨٥ .وكشف المحجوب ١ / ٣٢٣.والاعلام ٣ / ١٧١).

(٤) كنيته أبو حامد من كبار مشايخ خراسان .صحب أبا تراب، وكان كبيرا في الفتوة .توفي سنة ٢٤٠ هـ (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٠٣ والرسالة القشيرية ١/ ١٠٣ وكشف المحجوب ١ / ٣٣٢)

ومن الملاحظ ان كثيرا من كبار مشايخ الصوفية الذين ذكروا في كتب التراجم ، هم إما من أهل خراسان ، وإما من أهل فارس . ولا شك ان السر في ذلك هو تأثرهم مما شاهدوه في الأديرة المنتشرة بجوارهم ، من تقشف رهبانها ، وميلهم الى العزلة ، والابتعاد من الناس ، ومن لبسهم الخرق دلالة على الفقر ، وانصرافهم الى التأمل حتى الذهول والفناء الذاتي ، فنهجوا نهجهم ، وترسموا سبلهم .

ومن ذلك إقامة بعض الصوفية في الرباطات ، وانقطاعهم الى العبادة ، وعزوف بعضهم عن الزواج .

٢) دخول بعض البوذيين في الاسلام .

فقد ثبت أن كثيرا من الطائفة البوذية في بلاد السند وفي آسيا الوسطى دخلوا في الاسلام في أيام الفتح وما بعدها . (١)

ومن الأمثلة على هذا اسلام طائفة " جنه " (٢) في اقليم سيوستان وهم أول جماعة كبيرة من البوذيين دخلوا في الاسلام أيام الفتح (٣)

==========

(١) انظر : الدعوة الى الاسلام : لسير توماس ارنولد ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٦٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٢) وسمّتها المراجع العربية القديمة : سجستان : من الاسم الفارسي : سكستان (Sagistan) وهي مدينة تقع في جنوب خراسان الشرقي . ويقال لها بالفارسية " نيمروز " أيضا . ومعناه نصف يوم أو الأرض الجنوبية . وسميت بذلك لوقوعها في جنوب خراسان . فتحت في سنة ثلاثين من الهجرة . (انظر : بلدان الخلافة الشرقية ٣٧٢ ، وفتوح البلدان ٣٨٥) .

(٣) انظر : موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب ١٧٥ ، ١٧٦ نقلا : عن تاريخ المعصومي (بالفارسية) ٢٢ ، ٢٣ .

وذكرت بعض المصادر البوذية اسلام جماعة البوذيين في قندهار، وكشمير ، وتركستان الغربية ، بعد دخول الاسلام فيها . (١)

ولا يخفى أن الحديثين بالاسلام من هؤلاء لم يتخلوا تخليا تاما من عقيدتهم ومن تقاليدهم القديمة ، وخاصة ثبت أن بعضهم دخلوا الاسلام عن غير رغبة وإيمان.(٢) فلابد من أن يصبغوا إسلامهم بصبغتهم البوذية القديمة .

٣) وجود العلاقات الثقافية بين العرب والهنود .

ثبت لدى المؤرخين أن هناك علاقات وثيقة بين العرب والهنود سواء كانوا من البوذيين أو غيرهم ، وهذه العلاقات بدأت قبل الاسلام بعدة قرون بسبب التجارة .(٣) واستمرت العلاقات بين الشعبين في عصر صدر الاسلام والعصر الأموي .

وقد كانت الفتوحات الاسلامية لبلاد السند في هذه الفترة لها أثر هام في امتزاج العنصر الهندي بالعنصر العربي الاسلامي ، كما أشرت اليه من قبل . أما في العصر العباسي فكانت العلاقات بينهما قوية جدا من الناحية الثقافية ، بسبب عناية البرامكة بنقل العلوم الهندية الى اللغة العربية .(٤)

==========

(١) المذاهب البوذية ١٢٣ وتاريخ الفلسفة البوذية وتطورها ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم:للدكتور احمد محمد السداتي ١/ ٥٤ ،٥٥ والعلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية : لمحمد يوسف النجرامي ٢٠ ،١٥٦.

(٤) العلاقة السياسية والثقافية ١٥٧ وأنظر أيضا ١٧٨ – ١٨٣ .

وقد تم هذا النقل عن طريقين:" جنديسابور " الذي كان مركزا للمعارف اليونانية والفارسية والهندية ، و بغداد منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، وبشكل مباشر أي من السنسكريتية الى العربية رأسا ، ولا يغفل الانتقال مشافهة ، فقد كان التجار والأطباء والدعاة الهنود معروفين في البلاد العربية الاسلامية . ومن جهة أخرى كان العرب والمسلمون ينتشرون في أوساط البوذيين ، وفي البلاد الهندية عموما (١) .

وقد نقل الى العربية في القرن الثاني الهجري بعض الكتب البوذية ومنها على الأخص كتاب " بلوهر " و " بودا سف " (٢) وكذلك كتاب " البدّ " . كما أشار اليه ابن النديم في كتابه " الفهرست " (٣) ولاشك أن هذه الكتب وأمثالها لها أثر في الصوفية الذين اطلعوا عليها .

يقول الدكتور على سامي النشار : إن كتاب " البدّ " له أثر في بعض فلاسفة الصوفية المتأخرين كابن سبعين (٤) الذي

==========

(١) قارن : الفلسفات الهندية ٣٨١ .

(٢) سبق التعليق عليه في صفحة ٤٣٢

(٣) صفحة ٢٤٢

(٤) هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين الاشبيلي . من زهاد الفلاسفة ، ومن القائلين بوحدة الوجود . له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية ، وقد كفّره كثير من الناس . له مؤلفات منها "أسرار الحكمة الشرقية" و " رسالة النورية " و " رسائل ابن سبعين" توفي سنة ٦٦٩ هـ (الأعلام ٣/ ٢٨٠)
وقال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية بأنه كان يريد الذهاب الى =

استخدم كلمة " البدّ " في تعبيراته ، والششتري (١) (٢)

ولابن سبعين كتاب رئيسي سماه " بدّ العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف " (٣)

ويعتبر هذا الكتاب المصدر الأهم لفلسفة ابن سبعين ، وقد استعمل كلمة " بدّ " (٤) تكرارا في هذا الكتاب (٥) و في رسائله.

وعلى سبيل المثال قوله :

" والحق هو أصل كل شيء وبدّه وصورته وذاته " (٦)

وكقوله : " وتصل النفس الى بدّها الأول الذي لا انفصال لها عنه ،والعاقل

= الهند ، وقال إن أرض الاسلام لا تسعه . انظر مجموعة الرسائل ١٨٢/١ تحقيق محمد رشيد رضا .

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري . متصوف اندلسي . من أهل ششتر ، تنقّل في البلاد ، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير يخدمونه . من كتبه "المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية" توفي ٦٦٨ هـ (الأعلام ٣٠٥/٤)

(٢) انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ٣ / ٤٨ ، ٥٢٠ .

(٣) منه مخطوط في استانبول ، وآخر في برلين ، وقد حققه : جورج كتورة ، وطبعه ونشره دار الاندلسي ودار الكندي ، بيروت عام ١٩٧٨ م .

(٤) هذه الكلمة تعني في العربية صنما أو وثنا كما تعني كذلك بيت الصنم ، ولعل أصلها من كلمة " بودها " (Buddha) الهندية كما أسلفنا . انظر صفحة ٤٣٠ هامش رقم (٤) .

(٥) انظر على سبيل المثال رسائل ابن سبعين ١٥١ تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي .

(٦) بد العارف لابن سبعين ١٢٠ تحقيق جورج كتورة .

يلزم بـــذه ." (١)

ومن أشـــخاص الصـوفية البارزين الذين تأثروا بالبوذية الهندية الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) الذي يقال عنه إنه رحل الى الهند ، وتعلم السحر الهندي . بعد تجوله في خراسان وما وراء النهر خمس سنوات.(٢) وأبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) الذي يقول عن نفسه إنه أخذ الفناء الصوفي عن أبي علي السندي الذي علّمه الطريقة الهندية المعروفـــة بمراقبة الأنفاس ، أو ما يسميه البوذيون " سمادهي " (Smadhi) والتي وصفها بأنها عبادة العارف بالله .(٣)

ومن الشواهد أيضا في هذا الصدد ، وجود الرهبان الرحل مـــن الهنود في عهد الخلفاء الأوائل من بني العباس ، وهم بلا شك مـــن البوذيين المعروفين بالسمنية . (٤)

هذه الأدلة والشواهد التي ذكرناها تكفي لتأييد ما ذهبنا اليـــه من أن البوذية مصدر هام من المصادر التي بنت الصوفية . وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الباحثين في التصوف ومنهم المستشرقون (٥)

==========

(١) المصدر السابق ٣١٨

(٢) قارن : ظهر الاسلام ٢/ ٦٩ ، ٧٠ والبداية والنهاية : لابن كثير ١٣٣/١١

(٣) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٧٥ نقلا عن : تذكرة الأولياء : لفريد الدين العطار ١ / ١٦٢ .

(٤) قارن : العقيدة والشريعة ١٥٩

(٥) منهم المستشرق جولد زيهر انظر المصدر السابق ١٥٩ ، ١٦١ .

يقول نيكلسون بعد عرضه لما في الاحياء من التصوف :

" ومهما يكن من الأمر فأثر البوذية ظاهر بصورة واضحة في التصوف الاسلامي في العصور الوسطى في الناحيتين النظرية والعملية على السواء ، فإن المسلمين أخذوا استعمال السبحة وعادة حبس الأنفاس من رهبان البوذيين الذين كان لهم أكبر الأثر في تشكيل الحياة الصوفية وما وصلت اليه من تطور في ذلك العصر ." (١)

ولتكون هذه الحقيقة واضحة أعرض في الفصول الآتية نماذج من العلاقات بين الصوفية والبوذية في العقائد والأخلاق والعبادات والتقاليد .

ومن الله استمد ، العون ، والتوفيق ، والرشاد .

---

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٦٢ .

الفصل الثانى : علاقة الصوفية بالبوذية فى العقائد والأخلاق

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : فى الفناء

المبحث الثانى : فى الطريق إلى الفناء

المبحث الثالث : فى الحلول

الفصل الثاني : علاقة الصوفية بالبوذية في العقائد والاخلاق

المبحث الأوّل : في الفناء

عرفنا مما سبق أن " نرفانا " (Nirwana) عند مذهب البوذية هي عبارة عن حالة التشبع الروحي بالانصراف من الدنيا كلها. وهي حالة اذا وصل اليها الانسان تتخلص النفس في أثنائها من الشعور والاحساس ، ومن الرغبات والشهوات ، ومن كافة الصفات البشرية، فتضمحل الكائنات في نظره حتى يصبح لا يشاهد فيها شيئا ، وهي غاية لما يصبو اليه الزاهد البوذي بعد مجاهداته مجاهدة شاقة طويلة . إن " نرفانا " بهذا المعنى المذكور يشبه الى حد كبير ما ذهب اليه الصوفية من فكرة الفناء.كما سأبينه في هذه الفقرات الآتية :

١) معنى الفناء عند الصوفية

كثر الكلام في الفناء عند الصوفية في كتبهم وفي أشعارهم، وتعددت دلالة هذه الكلمة ومعانيها. وقد أشار السهروردي الى ذلك فيقول :

" إن أقاويل الصوفية في الفناء كثيرة .فبعضها إشارة الى فناء المخلوقات وبقاء الموافقات.وبعضها يشير الى زوال الرغبة والحرص والأمل ، وبعضها إشارة الى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة ، وبعضها إشارة الى حقيقة الفناء المطلق ، وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه. ولكن الفناء المطلق هو

ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كـــون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد ." (١)

ولتوضيح معنى الفناء عند القوم نورد فيما يلي طائفة من كلامهـم .

يقول الكلاباذي :

" الفناء : هو الغيبة عن الأشياء رأسا " (٢)

ويقول أيضا " الفناء : هو أن يفنى عنه الحظوظ ، فلا يكون له في شيء في ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء كلها شغلا بما فنى به . كما قال عامر بن عبد الله (٣) :

" ما أبالي : امرأة رأيت أم حائطا " (٤).

ويقول الجنيد وقد سئل عن الفناء فقال:" الفناء استعجام الكل من أوصافك ، واشتغال الكل منك بكليته ." (٥)

وسئل أبو يزيد البسطامي عن : متى يتحقق الرجل بحقيقة المعرفة ؟ فقال:"في الوقت الذي يفنى تحت اطلاع الحق ، ويبقى على بساط الحـق

==========

(١) عوارف المعارف ٢٤٧

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٥٠

(٣) هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري . تابعـي قال أبو نعيم : هو أول من عرف بالنسك من عباد التابعيـن بالبصرة . ومن أقواله في الزهد " لذات الدنيا أربعة . المال . والنساء والنوم ، والطعام ، فالمال والنساء فلا حاجة لي فيهما . وأما النوم والطعام فلا بدّلي منهما ، فو الله لأضربن بهما جهدي." توفي نحـو ٥٥ هـ (أنظر ترجمته في : حلية الأولياء ٢/ ٨٧ - ٩٤ . والأعـلام ٣ / ٢٥٢ .)

(٤) المصدر السابق ١٤٧ وروى أبو نعيم هذا الكلام أيضا من المعروف الكرخي . انظر : حلية الأولياء ٨/ ٣٦٦ .

(٥) اللمع ٢٨٥ ، وأيضا : عوارف المعارف ٢٤٧ .

بلا نفس ولا خلق " (١)

وروى أبو نصر السراج أن طائفة من الصوفية فسروا الفناء بفناء الكلية ، أي فناء البشرية ، فمنهم من ترك الطعام والشراب، وتوهّم أن البشرية هي الغالب ، والجثة اذا ضعفت زالت بشريتها، فيجوز أن يكون موصوفا بصفات الالهية .(٢)

والى مثل هذا المعنى ذهب كثير من الصوفية كابن الفارض (٣) وغيره ، حيث وصف الفناء بأنه الحال التي تتجرد فيها النفس عن رغباتها ، وميولها ، وبواعثها ، بحيث تتعطل إرادتها وتموت ، فاذا ماتت الارادة أصبحت النفس طوع الارادة الالهية .(٤)

وهناك أقوال أخرى كثيرة لم تختلف كثيرا من المعنى الذي أوردناه .

٢) الفناء غاية في التصوف

يعتبر الفناء غاية في التصوف ،وآخر مرحلة من مراحل الطريق الصوفية ، والهدف الأسمى للرياضة والمجاهدة ، لأن حالة الفناء لا يصل

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٢٤ نقلا من : تذكرة الأولياء للعطار ١ / ١٦٨ .

(٢) انظر : اللمع ٥٤٣

(٣) هو شرف الدين أبو حفص عمر السعدي الهاشمي المعروف بابن الفارض .ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ .من أشعر المتصوفين . ويلقب بسلطان العاشقين . في شعره فلسفة تتصل بالاتحاد ووحدة الوجود، كان يكثر العزلة في واد بعيد من مكة . وفي تلك الحال نظم أكثر شعره . وروي أنه كان يرقص ويتواجد حينما يغنين له بالدف والشبابة .(انظر ترجمته في : جمهرة الأولياء : لأبي الفيض المنوفي ٢ / ٢٤٥ – ٢٤٨ ،والأعلام ٥ / ٥٥ ،٥٦) .

(٤) قارن : " في التصوف الاسلامي وتاريخه " ١٢٢ .

اليها الا من تحققت لديه المعرفة (١) . وتخلّص من جميع علائق المادة، اذ هو في هذه الحالة يصل الى درجة الغيبوبة الكاملة .ورؤية الحق سبحانه وتعالى . والاتحاد به . والتفاني فيه . كما يزعمون .

ولهذا لما سئل أحد الصوفية متى يشهد العارف الحق سبحانه؟ فقال : اذا بدا الشاهد وفنى الشواهد (أي الادراكات) وذهب الحواس واضمحل الاخلاص " (٢)

وقيل لأبي بكر الواسطي (٣) : بأي شاهد ينبغي أن يكون العبد في حركات ما يسعى ؟

قال : بشاهد الفناء من حركاته التي هي كائنة بغيره .(٤)

وقال الهجويري بعد سوقه الأقاويل في الفناء :

" وحقيقة هذا كله هو أن فناء العبد من وجوده يكون برؤية جلال الحق وكشف عظمته ، حتى ينسى الدنيا والعقبى في غلبة جلاله، وتبدو الأحوال والمقامات حقيرة في نظر همته ، وتتلاشى الكرامات في حاله ، فيفنى عن العقل والنفس ." (٥)

==========

(١) المعرفة في اصطلاح الصوفية : هي العلم بلا واسطة ، الناشيء عن الكشف والشهود ، وهي من أخص صفاتهم ، وبهذا المعنى قال ذو النون المصري : " حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار . " (كشف المحجوب ٢/ ٥١٦) وقيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي " (الرسالة القشيرية ٢/ ٦٠٦) وبهذا المعنى أيضا قال أبو سليمان الدارني : " إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي ." (الرسالة القشيرية ٢/٦٠٧)

(٢) الرسالة القشيرية ٢ / ٦٠٤. (٣) سبقت ترجمته في صفحة ٤٤٢ .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٦٨

(٥) كشف المحجوب ٢ / ٤٨٦ .

وعلى هذا فان الفناء عند القوم يعتبر من أرقى الأحـــوال والمقامات . لا يصل اليه الا من تخلص من مشقة المجاهدة ، ومن قيـــد المقامات ، وتغير الأحوال .(١) وهذا هو باب الولاية ومقامها عند هـم .

وفي هذا المعنى قال أبو علي الجوزجاني : (٢)

" الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته ، فتوالت عليه أنوار التولي ، لم يكن له عـــن نفسه أخبار ، ولا مع غير الله قرار ." (٣)

==========

(١) والمراد بالمقامات عند الصوفية ، هو مايتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، مما يتوصل اليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضـــرب تطلب ومقاساة تكلف . فمقام كل أحد موضع اقامته عند ذلـك ، وما هو مشتغل بالرياضة له ، وشرطه أن لا يرتقي من مقام الى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ، والمقامات كثيرة . منها : التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والشكر ، والتوكل ، والرضا ، ومنها أيضا : المجاهدة ، والخلوة ، والعزلة ، والصمت ، والجوع ، وتـــرك الشهوة ، أما الأحوال فهي عبارة عن معنى يرد على القلـــب ، من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم ، من طـــرب ، أو بسط ، أو قبض ، أو قرب ، أو أنس ، أو شوق ، أو انزعاج ، أو هيبة ، أو احتياج . وقد تداولت ألسنة الشيوخ الصوفية : ان الأحـــوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والأحوال مواجيد ، والمقامات طرق المواجيد . (انظر الرسالة القشيرية ١/ ٢٠٤ ، ٢٠٦ وعوارف المعارف ٢٢٥ ، ٢٢٧ ومابعدها وأيضا كشف المحجوب ٢ / ٤٠٨ – ٤١١ .)

(٢) اسمه الحسن بن علي من كبار مشايخ خراسان . له التصانيـــف المشهورة ، تكلم في علوم الآفات ، والرياضات ، والمجاهدات . صحـــب محمد بن علي الترمذي (ت ٢٨٥ هـ) ومحمد بن الفضل (ت ٣١٩ هـ) وهو قريب السن منهما (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٢٤٦ وحلية الأولياء ١٠ / ٣٥٠ وكشف المحجوب ١ / ٣٥٩)

(٣) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٢٢ وأيضا كشف المحجوب ٢ / ٤٥١ .

وقال أبو سعيد الخراز : (١)

" إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدا من عبيده ، فتح عليه باب ذكره ، فاذا استلذ الذكر ، فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف له من الجلال والعظمة ، فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة ، بقي بلا هو ، فحينئذ صار العبد زمنا فانيا ، فوقع في حفظه سبحانه ، وبرىء من دعاوي نفسه ".(٢)

وقال الهجويري :

" وكل مشايخ الطريقة مجمعون على أنه حين يتخلص العبد من قيد المقامات ، ويخلو من كدر الأحوال ، وينفصل من جميع الأوصاف ..... يغيب حاله عن ادراك العقول ، ويتنزه وقته عن تصرف الظنون ، فلا يكون لحضوره ذهاب ، ولا لوجوده أسباب .... وحين يصل الى هذه الدرجة ، يصير فانيا في الدنيا والعقبى ، وربانيا في جوشن الانسانية ، ويستوي لديه الذهب والمدر ، ويسهل عليه ما يصعب على الخلق من حفظ أحكام التكليف . (٣)

==========

(١) هو ابو سعيد أحمد بن عيسى الخراز . من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري ، وسري السقطي ، وبشر بن الحارث ، وغيرهم . وهو من أئمة القوم ، وجلة مشايخهم . قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء . توفي سنة ٢٧٩هـ . وقيل : ٢٧٧ هـ . (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٢٢٨ ، والرسالة القشيرية ١ / ١٤٠ ، وكشف المحجوب ١ / ٣٥٥ ، وصفة الصفوة ٢/ ٤٣٥ ، والأعلام ١ / ١٩١).

(٢) الرسالة القشيرية ٢ / ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٣) كشف المحجوب ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

هذا وقد اختلف القوم في الفناء، هل يردّ الى بقاء الأوصاف أم لا؟فأثبت بعضهم بأنه يردّ، لأن دوام الفناء يوجب تعطيل الجوارح عن أداء المفروضات ومن حركاتها في أمور معاشها ومعادها، وأنكر آخرون من الكبار والمحققين منهم: الجنيد، والخراز، و النوري، وغيرهم. (١)

قال الكلاباذي: فان رد الفاني الى الأوصاف، لم يرد الى أوصاف نفسه، ولكن يقام مقام البقاء بأوصاف الحق " (٢)

٣) تقسيم الفناء عند الصوفية

قسّم القشيري الفناء الى فناءين. هما: فناء العبد من أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة، ويكون بعدم هذه الأفعال، وفناؤه من نفسه ومن الخلق، بزوال احساسه بنفسه وبهم، فاذا فني عن الأفعال والأخلاق والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجودا، واذا قيل فني عن نفسه ومن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم، ولا به، ولا إحساس، ولا خبر، فتكون نفسه موجودة، والخلق موجودين، ولكنه غافل من نفسه، ومن الخلق أجمعين، غير محسّ بنفسه ولا بالخلق.(٣)

وجعل القشيري فناء العبد على ثلاث مراحل: فالأول فناؤه من نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق،

---

(١) قارن: التعرف لمذهب أهل التصوف ١٥٢.

(٢) المصدر السابق ١٥٦

(٣) انظر: الرسالة القشيرية ١ / ٢٢٩، ٢٣٠.

ثم فناؤه من شهود فنائه ، باستهلاكه في وجود الحق . (١)

أما السهروردي فقسم الفناء أيضا الى قسمين : ظاهر وباطن . ويقول : " أما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ، ويسلب من العبد اختياره وارادته ، فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا الا بالحق ، ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه ، حتى سمعت أن بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب . (٢)

و الفنا الباطن : أن يكاشف تارة بالصفات ، وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات ، فيستولي على باطنه أمر الحق ، حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس ." (٣)

٤) حالات الفناء كما وصفها الصوفية

وصف الصوفية من وصل الى الفناء بحالات تشبه حالات النرفانا أذكر منها : -

١ - إنه لا يملك شيئا ولا يملكه شيء

وعلى هذا المعنى قال أبو الحسين النوري " الصوفي لا يملك ولا يملك "

(١) انظر المصدر السابق ١ / ٢٣١

(٢) وهذا يشبه ما ذكر في كتاب " ترى بيتاكا " من أن بوذا عندما نال نرفانا تحت الشجرة كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب ، وقد رويت مثل هذه الرواية عن كثير من الرهبان البوذيين القدماء (انظر ترى بيتاكا (سوتان) ٣٢١ و (أبيدارما) ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(٣) عوارف المعارف ٢٤٧

قال الهجويري تعليقا على هذا القول :

" وهذا عبارة عن عين الفناء ، ففاني الصفة لا يكون مالكا ولا مملوكا ، لأن صحة الملك تصح على الموجودات ، والمراد من هذا القول ان الصوفي لا يملك أي شيء من متاع الدنيا وزينة العقبى ، وهو نفسه لا يكون تحت حكم أو ملك نفسه ، وهو يقطع سلطان ارادات من الغير ، ليقطع الغير عنه طمع العبودية ." (١)

٢ ـ إنه غاب عن الصفات البشرية ، وعن الأشياء كلها .

وفي هذا المعنى قال أبو يزيد البسطامي :

" للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت رسومه ، وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيبت آثاره بآثار غيره ." (٢)

وقال الكلاباذي :

" إن الفناء هو الغيبة عن صفات البشرية بالحمل المولد : من نعوت الإلهية ." (٣)

وقد وصف الفاني بأنه لا يشهد نفسه ولا الخلق ، وهو باق لدوامه مع الحق ، وهو جامعه به ، وهو فان عما سواه ، مفارق لهم ، وهو غائب سكران ، لزوال التمييز عنه بين الآلام والملاذ ، وبمعنى أن الأشياء تتوحد له فلا يشهد مخالفة . (٤)

==========

(١) كشف المحجوب ١ / ٢٣٣

(٢) الرسالة القشيرية ٢ /٦٠٣ والكواكب الدرية لعبد الرؤوف المناوي ١ / ٢٤٧ .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٥٠ .

(٤) انظرا لمصدرا لسابق ١٥١ ، ١٥٢ .

وفي هذا المعنى أيضا قال الهجويري :

" كل أوصاف الآدمي آفة ، وعندما تنتفي الآفة يكون ذلك فنـاء الصفة ".(١)

وقال :

" إذا فني العبد من آفة الأوصاف في حالة وجود الأوصـــاف بقي في فناء المراد ببقاء المراد ، فلا يكون له قرب أو بعد ، ولا تبقى له وحشة أو أنـــس ، ولا يكون له صحو أو سكر ، ولا فراق أو وصـال ، ولا طمس أو اصطلام ، ولا أسماء وأعلام ، ولا سمات وأرقـــام .

ويقول أحد المشايخ في هذا المعنى :

" وطاح مقامي والرسوم كلاهما xxx فليست أرى في الوقت قربا ولا بعدا

فنيت به عني فبان لي الهدى xxx فهذا ظهور الحق عند الفنا قصدا "(٢)

ومن هذا المعنى في الفناء ذهب بعض الصوفية الى أن العالم ما هـو الا خيال وليس له حقيقة . وهو مذهب بوذا كما سبق بيانه . (٣)

ومن الأمثلة على هذا ما قال عبد الكريم الجيلي (٤) في كتابـــه

==========

(١) كشف المحجوب ١ / ٢٢٥

(٢) المصدر السابق ٢ / ٤٨٢ (٣) انظر صفحة ١٣٩ وما بعدها .

(٤) هو عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبـط الشيخ عبد القادر الجيلاني ، من علماء المتصوفين ، وأصحاب الاتحاد ووحدة الوجود . له كتب كثيرة ، منها " الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " و" المناظر الالهية " ، و" شرح مشكلات الفتوحات المكية " توفي ٨٠٥ هـ (الأعلام ٤/ ٥٠ ، ٥١)

الانسـان الكامل " (١) :

إن الخيال حياة روح العالـم xxx هو أصل تيك وأصله ابـن الأدم

ليس الوجود سوى خيال عند من xxx يدري الخيال بقدرة المتعاظـم

فالحسّ قبل بدوّه لمخيّـل xxx لك وهو أن يمضي كحلم النائم

فكذاك حال ظهوره في حسّنا xxx باق على أصل له بتـلازم

لا تغترّ بالحسّ فهو مخيّـل xxx وكذلك المعنى وكل العـالـم

وكذلك الملكوت والجبروت وال xxx ـلا هوت والناسوت عند العالـم

لاتحقرن قدر الخيال فانـه xxx عين الحقيقة للوجود الحـاكـم

ولا يخفى أن هذا البيت الأخير صريح في وحدة الوجود ، وفي أن اللـه ماهو الا خيال . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن الأمثلة أيضا ما أورده الكلاباذي من حكاية أحد الصوفية. كان لا يكلم الناس ، وكان يأوي الى الخرابات في سواد الكوفـة، وكان لا يأكل الا المباح والقمامات .

فقيل له : ما الذي منعك من الكلام ؟

فقال : " يا هذا ، الكون توهم في الحقيقة ، ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له ، والحق تقصر عنه الاقوال دونه ! فما وجه الكلام ؟ (٢)

٣) إنه في حالة تخلو من الهمم أو الاشتغال بما ينفع أو يضر.

وفي هذا المعنى يقول الكلاباذي :

---

(١) صفحة ٢ / ٤٠

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٧٦ .

" الفاني عن نفسه يفعل الاشياء لا لجر منفعة الى نفسه، ولا لدفع مضرة عنها ، بل على معنى : انه لا يقصد في فعله جرّ المنفعة ودفع المضرة ، قد سقطت عنه حظوظ نفسه ومطالب منافعها، بمعنى : القصد والنية ." (١)

ومن هنا زعم الصوفية أن العبادة الحقة هي ماكانت دون طلب العوض من الله ، أي تكون متجردة من الرغبة والرهبة ، ومن الخوف والرجاء .

قال الكلاباذي : " ليعبدوه بالرق لا بالطمع " (٢)

ومن الأمثلة على هذا ما رواه أبو نعيم عن أبي سليمان قال :

كان عطاء السلمي (٣) قد اشتد خوفه ، وكان لايسأل الله الجنة أبدا ، فاذا ذكرت عنده الجنة قال : نسأل الله العفو " (٤)

وقد سبقته رابعة العدوية (ت ١٣٥ هـ) بهذا الزعم اذ قالت :

" ما عبدتك خوفا من نارك ،ولا طمعا في جنتك ، وانما عبدتك لذاتك ." (٥)

==========

(١) المصدر السابق ١٤٨

(٢) المصدر السابق ١٦٨

(٣) قال ابن الجوزي : أدرك عطاء السلمي أيام أنس بن مالك ،ولقي الحسن ،ومالك بن دينار،وخلقا من تلك الطبقة . وشغلته العبادة عن الرواية . ومما روي عنه انه مكث أربعين سنة على فراشه لايقوم من الخوف ولا يخرج (انظر:صفة الصفوة ٣/ ٣٢٩ – ٣٣٠)

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٢١٧ ،وأيضا ٩/ ٢٦٦ ،وروي مثل هذا عن المعروف الكرخي (انظر: صفة الصفوة ٢/ ٣٢٤)

(٥) هذه هي الصوفية : لعبد الرحمن الوكيل ١٥٠ .

ولا شك أن هذه العقيدة غير صحيحة لأنها مخالفة لما في القرآن كقوله تعالى : " وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين " (١)

وكذلك قولهُ تعالى :

" ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " (٢)

حيث وصف الله في هذه الآية حال الأنبياء في عبادتهم ودعائهم، والأنبياء هم أكمل الناس عقيدة ، وايمانا ، وحالا .

٤) إنه يظهر له بعض الخوارق والكرامات .كالسير على الهواء ،والمشي على الماء ، وكلام البهائم ، وطي الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته .(٣) وكالبقاء أياما بدون طعام وشراب .كما أشرت اليه من قبل في كلام السهروردي ، وما أشبه ذلك من الخوارق التي ملأت كتبهم.

ويعتقدون أن مثل هذه الخوارق تظهر لهم بعد صفاء النفس من الكدورات البشرية ، بالرياضة ، والمجاهدة ، والتغلب على الأحوال والمقامات، ووصولها الى درجة الفناء والعرفان . وعلى هذا يقول الإسنوي: (٤)

"إنّ العبدينتقل في الأحوال المقامات حتى يصيرا لينعت الروحانيين فتظهرعليه الكرامات" (٥)

---

(١) الاعراف ٥٦ (٢) الأنبياء ٩٠

(٣) أشار الكلاباذي الى هذه الخوارق في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) هو عماد الدين محمد بن الحسن بن علي بن عمر الإسنوي ولد بإسنا ، وتفقه بها وبالقاهرة والشام .له كتب منها "حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب" في التصوف ."والمعتبر في علم النظر والجدل". توفي بالقاهرة سنة ٦٧٤ هـ (الأعلام ٦/ ٨٧) .

(٥) حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب مطبوع على هامش قوت القلوب : لابي طالب المكي ٢ / ٥ .

وقد أشار البيروني عند مقارناته الجميلة بين تعاليم الهندوسية والصوفية إلى أن العارف إذا وصل الى مقام المعرفة فانهم يزعمون أنه تحصل له روحان: قديمة لا يجري عليها تغير واختلاف، بها يعلم الغيب ويفعل المعجز ، وأخرى بشرية للتغير والتكوين. (١)

والحكايات الصوفية في الخوارق والكرامات كثيرة لا تحصى سأورد نماذج منها على سبيل المثال :

يحكى عن يحي بن معاذ قال لأبي يزيد البسطامي : ياسيدي حدثني بشيء . فقال : أحدثك بما يصلح لك " أدخلني في الفلك الأسفل،فدورني في الملكوت السفلى ، وأراني الأرضين وما تحتها الى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوي ، فطوّفني في السموات ، وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ،أوقفني بين يديه ، فقال : سلني أي شيء رأيت حتى أهب لك ؟ فقلت: ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسالك اياه. فقال ; " أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا ، لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء." (٢)

هذا هو معراج أبي يزيد الذي اعتقد القوم أنه من أعظم كرامته ، وقد علق الغزالي على هذه الحكاية بقوله :

" وأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لم فلا سه

==========

(١) كتاب البيروني في تحقيق ما للهند ٥٢ ، ٥٣.

(٢) احياء علوم الدين : للغزالي ٤/ ٢٣٥٦ وقد وردت هذه الحكاية في اللمع ص ٤٦١ مع وجود الاختلاف في العبارات.

(بياض جملة سبعة حكايات أخرى وأقوالهم وكاشفاتهم)

عن مثلها " (١)

ومن الخوارق الصوفية ما روى القشيري أن لإبراهيم بن أدهم صاحبا يقال له : يحي ، وكان يتعبد في غرفة ليس لها سلّم ولا درج ، فكان إذا أراد أن يتطهر يجيء الى باب الغرفة ويقول: لا حول ولا قوة الا بالله ، ويمرّ في الهواء كأنه طير، ثم يتطهر، فاذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة الا بالله ، ويعود الى غرفته ." (٢)

ويروى أن الفضيل بن عياض (٣) كان على جبل منى ، فقال " لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماد (٤) قال : فتحرك الجبل ، فقال : اسكن لم أردك بهذا ، فسكن الجبل . (٥)

ويروى من صوفي آخر كان أراد أن يتناول شيئا من الهواء ليستنجي به ، فكان جوهرا ، فاستنجى به وطرحه .(٦)

وروى أبو نصر السراج عن أحد الصوفية كان راكبا حماره ،وكان

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٣٥٧

(٢) الرسالة القشيرية ٢/ ٦٨٥

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي . خراساني من ناحية مرو . توفي سنة ١٨٧ هـ انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٦ ،والرسالة القشيرية ١ / ٦٣ ، وحلية الأولياء ٨ / ٨٤ ،وكشف المحجوب ١/ ٣٠٨ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٧ ، وجمهرة الأولياء ٢/ ١٣٢، والاعلام ٥/ ١٥٣.

(٤) أي تحرك

(٥) الرسالة القشيرية ٢/ ٦٨٦

(٦) المصدر السابق ٢/ ٦٧٥

يؤذيه الذباب، فيطأ طيء رأسه، فضرب رأسه بخشبة كانت في يده، فرفع الحمار رأسه اليه وقال: اضرب فانك هو ذا تضرب على رأسك. (١)

وحكي عن ابن الفارض طيه لمسافة الأرض إذ قال:

" شرعت في السياحة في أودية مكة المكرمة وجبالها، وكنت أستانس بالوحوش ليلا ونهارا، وأقمت بواد كان بينه وبين مكة سيرة طويلة، وكانت ييسرها الله لي كل يوم وليلة، وأصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس. (٢)

قال ابن عطاء الله السكندري (٣):

سمعت شيخنا أبا العباس (٤) رضي الله عنه يقول:

" الطي على قسمين: طي أصغر وطي أكبر، فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة، أن تطوى لهم الأرض من مشرقها الى مغربها في نفس واحد، والطي الأكبر: طي أوصاف الناس " (٥)

==========

(١) اللمع ٣٩١

(٢) جمهرة الأولياء ٢ / ٢٤٧

(٣) هو أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله السكندري متصوف شاذلي له من المؤلفات: كتاب الحكم، وكتاب لطائف المنن، ومفتاح الفلاح وغير ذلك. توفي ٧٠٧ هـ وقيل ٧٠٩ هـ (انظر جمهرة الأولياء ٢ / ٢٣٦، ٢٣٧، والأعلام ١ / ٢٢١)

(٤) هو أحمد أبو العباس المرسي من أكابر المتصوفة، ومن أجل من أخذ الطريق عن أبي الحسن الشاذلي. توفي سنة ٦٩٠ هـ (انظر جمهرة الأولياء ٢/ ٢٣١ - ٢٣٧)

(٥) لطائف المنن ١٢٣ .

ومن الخوارق الصوفية أيضا ما حدّث عبد الوهاب الشعراني (١) عن نفسه : أنه كشف الحجاب عنه حتى سمع تسبيح الجمادات والحيوانات من البهائم وغيرها ، وسمع تسبيح العمد ، والحيطان ،والحصى، والبلاط ، وسمع من يتكلم في أطراف مصر ، وفي سائر أقاليم الأرض، وسمع تسبيح السمك في البحر المحيط .(٢)

وغير هذا كثير (٣)

هذا وان كنا لانتكر كرامات الأولياء ،لأنها ثابتة في الكتاب والسنة (٤) ، الا أننا نقول إن بعض هذه الأمور الخارقة ليست من الكرامات التي أكرم الله للصالحين ، وإنما هي أحوال شيطانية (٥) لبّسها إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ،لأن مثل هذه

---

(١) هو عبد الوهاب الشعراني بن أحمد بن شهاب الدين علي الشعراني الانصاري الشاذلي ، من علماء المتصوفين . ولد بمصر سنة ٨٩٨ هـ.وله مؤلفات كثيرة ، منها : الطبقات ، والميزان ، ولطائف المنن،وغير ذلك . توفي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ (انظر جمهرة الأولياء ٢ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، والاعلام ٤ / ١٨٠)

(٢) لطائف المنن : لعبد الوهاب الشعراني ١ / ١٧١.

(٣) انظر على سبيل المثال : الرسالة القشيرية ٢/ ٦٧٣ – ٧١٣ ، وكشف المحجوب ٢/ ٤٦٤ – ٤٧٣ ، وتلبيس ابليس ٣٧٧ – ٣٨٧ ، وهذه هي الصوفية ١١٦ – ١٢٣ .

(٤) أما في الكتاب فكقصّة صاحب موسى (الخضر) في علمه بحال الغلام (الكهف ٨٠،٨١) وقصّة أهل الكهف (الكهف ٩ – ٢٦)، وقصّة مريم العذراء (آل عمران ٣٧) وأما في السنّة فكقصّة ثلاثة نفر من الأمم السابقة انطلقوا حتّى آواهم المبيت الى غار فانحدرت صخرة كبيرة من الجبل فسدّت عليهم مدخل الغار ، فدعوا الله بصالح أعمالهم فانفجرت الصخرة بقدرة الله . الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله ابن عمر (٢/٣٥) كتاب الاجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك أجره .

(٥) انظر بعض هذه الأحوال في تلبيس ابليس ص ٣٧٨ وما بعدها .

الخوارق ظهرت على أيدي كثير من السحرة ، والمشعوذين ، والكهنة . وظهرت على أصحاب القوة الروحية من البوذيين وغيرهم كما ذكرنا . وهذا يدل على أن الخوارق ليست كلها من الكرامة ، وإنما هي ظواهر يشترك في اتيانها المؤمن والكافر ، والصالح والطالح على السواء ، فيجب علينا أن نعرضها على الكتاب والسنة قبل الحكم ، لنرى أهي موافقة للشرع أو مخالفة له ، ومن ثم نحكم بصحتها أو ببطلانها .

يقول الامام الشوكاني : -

" وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معين وقانون معروف ، حتى ينتهي حاله الى أن لا يأكل الا في أيام ذوات العدد ، ويتناول بعد مضي أيام شيئا يسيرا ، فيكون بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية ، فيدرك ما لا يدركه غيره ، وليس هذا من الكرامات في شيء ، ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية ، لم يظهر على أيدي أعداء الله ، كما يقع كثيرا من المرتاضين من كفرة الهند الذين يسمونهم الآن (الجوكية) . (١)

وقد أكد شيخ الاسلام ابن تيمية بطلان مثل هذه الأحوال حين يقول :

" فاذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتؤذيهم ،

---

(١) قطر الولي على حديث الولي . تحقيق : الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال ٢٥٣ .

وتفسد عليهم عبادتهم ، فيدفعهم الله تعالى بما يؤيد به أنبياءه من الدعاء ، والذكر ، والعبادة ، والجهاد باليد ، فكيف من هو دون الأنبياء "(١).

٥) الفرق بين الفناء و " نرفانا "

تبين مما سبق أوجه كثيرة في التشابه بين الفناء و " نرفانا " كما تبين أيضا أن هناك فرقا بينهما ، وهو أن الفناء يعقبه الاتحاد بالله ، وشعور الفاني بأنه هو والله واحد ، وأنه باق ببقاء جديدا في الألوهية .

وعلى هذا قال الجنيد سيد هذه الطائفة وإمامهم :

" اذا فنى الفناء من أوصافه أدرك البقاء بتمامه " (٢)

وقال أبو يزيد البسطامي :

" غبت عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتي عنه ذكرى إياه ، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا " (٣)

وروي عنه أيضا قوله :

" اني انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت الى ذاتي فاذا أنا هو " (٤)

أما " نرفانا " فان فناءها فناء تام مطلق نهائي في النفس الكلية ، حيث لا يبقى وجود ذاتي للفاني ، ولا يبقى في نفسه ولا في

==========

(١) انظر : مجموع الفتاوي ١ / ١٧١

(٢) اللمع ٢٨٥

(٣) حلية الأولياء ١٠ / ٣٥

(٤) كتاب البيروني في تحقيق ما للهند ٦٦ ، ٦٧ .

تفكيره شيء لا اله ولا غيره .

وعلى هذا يمكن القول بأن الفرق بينهما هو في نقطة النهاية فقط . فنهاية الفناء الوصول الى حضرة الربوبية ، أو مشاهدة الذات والاتحاد به ، أما نهاية "نرفانا" فهي الفراغ من كل شيء . هذا مع الاتفاق بين الصوفية والبوذية في أن الوصول الى هذه النهاية مرتبة الكمال وسعادة النفس .

٦) بعض الحكايات الصوفية في الفناء

يحكى الهجويري عن أحد شيوخه أبي العباس أحمد بن محمد الشقاني (١) أنه قد انقطع عن كل الموجودات . ولم يكن يفيد منه غير الامام المحقق لدقة عباراته ، وكان طبعه دائما ينفر من الدنيا والعقبى ، وكان يصيح قائلا " أشتهي عدما لا عود فيه " وكان يقول بالفارسية : " لكل آدمي غاية مطلوب ، ولا بد لي أيضا من غاية مطلوب ، وأنا أعلم يقينا أن ذلك لن يتحقق ، لأن غايتي هي أن يحملني الله تعالى الى عدم ليس له وجود قط ، لأن ما هو موجود من المقامات والكرامات محل الحجاب والبلاء ، وقد صار الآدمي عاشقا لحجابه ، والعدم في المشاهدة خير من الراحة مع الحجاب . ولما كان الحق جل جلاله وجودا لا يجوز عليه العدم يكون هناك

(١) من كبار أهل التصوف وأجلتهم . كان يعبر من طريقه في الفناء بعبارة مغلقة اختص بها . ولم يعرف تاريخ وفاته ، والذي يعرف عنه انه كان معاصرا لأبي سعيد بن أبي الخير (ت ٤٤٠ هـ) وأبي القاسم الجرجاني (ت ٤٥٠ هـ) انظر كشف المحجوب ١/ ٥٨ وأيضا ٢ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

فسرور في ملكه اذا جعلني عدما ، لأن ذلك العدم ليس له وجود قط" (١)

ولا يخفى أن هذه الفكرة هي فكرة " نرفانا " التي قالت بها البوذية . فأن الحياة في نظر البوذيين ألم وشقاء ، وان " نرفانا " هي التخلص من الألم والشقاء ، والتخلص من الوجود الى العدم المحض، حيث لا يبقى عود ولا تناسخ .

٧) الفناء طريق الى الاتحاد ، والحلول ، ووحدة الوجود . (٢)

لاشك أن هذا الفناء الصوفي سبيل الى القول بالاتحاد وما شابهه من الحلول ووحدة الوجود ، لأن السالك الذي وصل الى هذه الحالة قد أصبح في مقام المحو ، حيث تضمحل ذاته في ذات الله، وصفاته في صفاته ، ويغيب عن كل ما سواه ، فلا يرى شيئا في الوجود الا الله ، ومن هنا تصدر عنهم شطحات وعبارات فاسدة ، تشعر بالاتحاد ، والحلول ، ووحدة الوجود .

ورد في كتاب " أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد" (٣)

" اذا بقي في السالك شيء من صفات البشرية ، فلن يصل الى هدفه، بل يظهر التلون على حاله أثناء الطريق ، فاذا وصل الى مطلوبه

==========

(١) كشف المحجوب ٢ / ٣٨٣

(٢) إن الكلام في هذا الموضوع طويل ولست بصدده غير أنني أريد أن أشير هنا إشارة موجزة الى أن فكرة الفناء فكرة باطلة فاسدة وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها وهي الحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود .

(٣) لمحمد بن المنور . ترجمة : اسعاد عبد الهادي قنديل ص ٦٧ .

ومقصوده لا يبقى له من صفاته البشرية شيء ، بل يفنى في وحـــدة تامة . ولهذا السبب يقول واحد من المشايخ " أنا الحق " ويقول آخر " سبحاني " ويقول شيخنا (١) : " ليس في جبتي سوى الله "

وهناك أمثلة كثيرة من أقوال المشايخ . منها : ماروي عن أبـي يزيد البسطامي أنه قال في حال الغلبة :

" سبحاني سبحاني ما أعظم شأني " (٢)

وروي انه كان يوما في الصومعة ، فجاءه رجل وقال:" هل أبـو يزيد في البيت ؟ فقال أبو يزيد : " هل في البيت الا الله ؟ "(٣)

وعن الحلاج قال مخاطبا ربه :

لبيك لبيك ياسيدي ومولائي xxx لبيك لبيك ياقصدي ومعناشي

ياعين عين وجودي ومنتهى همي xxx يامنطقي واشاراتي وانباشـي

يا كل كلي ويا سمعي ويابصري xxx ياجملتي وتباعيضي وأجزاشـي (٤)

ونادى بمثل هذا كثير من أكابر الصوفية كابن الفارض الذي قال :

كلانا مصل واحد ساجد الى xxx حقيقته بالجمع في كل سجـدة

وما كان لي صلى سواي،ولم تكن xxx صلاتي لغيري في أدا كل ركعـة (٥)

==========

(١) يقصد أبا سعيد بن أبي الخير (ت ٤٤٠ هـ) ستأتي ترجمته

(٢) كشف المحجوب ٢/ ٤٩٥ والكواكب الدرية لعبد الرؤوف المناوي ١/ ٢٤٦ وقد دافع أبو نصر السراج عن أبي يزيد ، وأوّل هذه المقالة التي ظاهرها الكفر والالحاد بتأويلات متعسفة . انظر اللمع ٤٧٢ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٤٩ والكواكب الدرية ١ / ٢٤٦

(٤) المصدر السابق ٤٩١

(٥) مصرع التصوف : لبرهان الدين البقاعي ٦٤ ، ٢٢٩ تحقيق عبد الرحمن الوكيل .

وابن عربي (١) الذي يعتبر من أصرح الدعاة الى وحدة الوجود حين قال :" إن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ..... وإن العبادة لا يستحقها الا الله الذي هو عين الكل ، وله هوية جميع الصور " (٢)

وابن سبعين الذي قال في ذات الله :

" .... وهو الذي صورة كل شيء وغايته ، ومقدم الوجود وضرورته التي لا انفكاك له عنها ، وهو البدّ (٣) اللازم الذي يلزم لكل موجود سواه " (٤)

وكذلك عبد الكريم الجيلي الذي قال مقررا لعقيدته في الاتحاد والحلول :

==========

(١) هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي المعروف بمحيّ الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر . ولد بالاندلس ٥٦٠ هـ ، وتوفي في دمشق ٦٣٨ هـ.صدرت عنه شطحات كثيرة . وهو كما يقول الذهبي " قدوة القائلين بوحدة الوجود " له نحو أربعمائة كتاب ورسالة (انظر الأعلام ٦/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وجمهرة الأولياء ٢/ ٢٠١)

(٢) شرح القاشاني على فصوص الحكم لابن عربي ٢٩٥ (فص حكمة إمامية في كلمة هارونية)

(٣) يلاحظ انه استعمل كلمة " البدّ " ليشير الى صورة الحق سبحانه وتعالى .

(٤) بد العارف:لابن سبعين ٣٢٤ . تحقيق : جورج كتورة .

" فإني ذاك الكل والكل مشهدي xxx أنا المتجلي في حقيقته لا هو

وإني ربّ للأنام وسيّد xxx جميع الورى اسم وذاتي مسماه

لي الملك والملكوت نسجيْ وصنعتي xxx لي الغيب والجبروت في منشاه "(١)

وأيضا :

" لي الملك في الدارين لم أر فيهما xxx سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

وقد حزت أنواع الكمال وإنني xxx جمال جلال الكل ما أنا الا هو "(٢)

فانظر كيف بالغ الجيلي في هذا الكلام حتى أصبح يخبر بأنه هو الله لا غيره . كل هذا ناتج عن ضلال الفناء .

==========

(١) الانسان الكامل:للجيلي ١ / ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٣١ .

المبحث الثاني : في الطريق الى الفناء

وضع الصوفية طريقا خاصا يسلكونه للوصول الى الفناء . يتكون من أنواع الرياضة والمجاهدة ، ومن النظم في الزهد التي نظموها لتربية مريديهم . ففي الكتب الصوفية نجد تفصيلا دقيقا عن هذه النظم وعن الأساليب في الرياضة والمجاهدة . متمثلة في المقامات والأحوال وغيرهما مما هو معروف في مصطلحاتهم . وهذه النظم والأساليب مختلفة باختلاف الطرق الصوفية ، لأن كل طريقة لها قواعدها ولها ضوابطها الخاصة بها .

وقد ذكر نيكلسون بعض النقط التي اتفقت عليها جميع الطرق الصوفية وهي :

١) الاحتفال بدخول المريد في الطريق بطقوس دقيقة مرسومة .

٢) التزي بزي خاص .

٣) اجتياز المريد مرحلة شاقة في الخلوة . والصلاة . والصوم . وغير ذلك من الرياضات .

٤) الاكثار من الذكر والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجد والجذب .

٥) الاعتقاد في القوى الروحية الخارقة للعادة التي يمنحها الله المريدين وأصحاب الوجد . كأكل جمرات النار ، والتأثير على الشعابين ، والإخبار بالمغيبات الخ .

٦) احترام المرشد أو شيخ الطريق الى درجة تقرب من

التقديس (١)

وفي هذا المبحث سأورد بعض النظم الصوفية وأساليبها في رياضة النفس ومجاهدتها ، والتي تشبه الى حد كبير ما في البوذية من النظم الرهبانية التي تقدم تفصيلها . كالخروج عن الملك ،والتجرد من شهوة البطن والفرج ، والتجرد من جميع الشهوات ومن ضرورات الحياة، ونبذ طيباتها ومباهجها ، وكالصمت ،والخلوة ، وطريقة الذكر والمراقبة .

١ - الخروج عن الملك أو التجرد من المال والجاه

إن مهمة المريد في طريقه الى المطلوب هي قطع علائق الدنيا وشواغلها (٢) ومن هذه العلائق المال والجاه .

وقد بين ذلك القشيري فقال :

" ثم بعد هذا يعمل (المريد) في حذف العلائق والشواغل ، فان بناء هذا الطريق على فراغ القلب ...

واذا أراد الخروج من العلائق فأولها : الخروج عن المال : فان ذلك الذي يميل به من الحق ، ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر(٣) ومعه علاقة من الدنيا . الا جرّته تلك العلاقة من قريب الى ما منه خرج ، فاذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج عن الجاه ، فان ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة .....

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٦٥

(٢) يقول صاحب معجم مصطلحات الصوفية : " العلائق " هي الأسباب التي يتعلق بها الطالبون ، ويفوتهم بسببها المراد . وقطع العلائق هو انشغال العبد بها حتى تقطعه عن الله . ص ١٨٦

(٣) أي في التصوف .

فخروجهم من الجاه واجب عليهم ، لأن ذلك سم قاتل لهم (١)

وقال أيضا :" ولاشيء أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم "(٢)

وفصّل أبو حامد الغزالي تفصيلا دقيقا عن هذا الموضوع فيقول :

" من شروط الارادة ، ومقدمات المجاهدة ، وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة ، هو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق ، فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق .

والسد بين المريد وبين الحق أربعة : المال ، والجاه ، والتقليد ، والمعصية .

وإنما رفع حجاب المال بخروجه عن ملكه ، حتى لا يبقى له الا قدر ضرورة ، فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه ، فهو مقيد به ، محجوب عن الله ، وإنما يرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضوع الجاه بالتواضع ، وايثار الخمول ، والهرب من أسباب الذكر ، وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه .....

ثم يقول : " إن الذي قدم هذه الشروط الأربعة ، وتجرد عن المال والجاه ، كان كمن تطهّر ، وتوضأ ، ورفع الحدث ، وصار صالحا للصلاة " (٣)

==========

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٧٣٦

(٢) المصدر السابق ٢/ ٧٤٨

(٣) احياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٧٥ (شروط الارادة ومقدّمات المجاهدة)

ومن الحكايات الصوفية التي أوردها الغزالي في هذا الصـــــدد وقرّر أنها طريق لمعالجة القلوب: ماروى أن بعض الشيوخ الصوفية عالج حب المال، فباع جميع أمتعته، ورمى ثمنها في البحر، إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل. (١)

وهذا مخالف للشرع والعقل إذ كيف جعل رمي الأموال في البحر طريقا لمعالجة القلوب، وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اضاعة المال (٢) وأنه قال لسعد: إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس. (٣)

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تردّ كلها على هذا المسلك.

ومما ورد من الصوفية المتقدمين في هذا الصدد ماروي عـــن الجنيد سيّد هذه الطائفة وقد سئل عن الزهد فقال:

" معنيان: ظاهر وباطن، فالظاهر: بغض ما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود، والباطن: زوال الرغبة من القلب، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك " (٤)

وقال أبو يزيد البسطامي:

" إنما الزاهد لا يملك شيئا ولا يملكه شيء (٥)

==========

(١) المصدر السابق ٦٢/٣ (بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الأخلاق)

(٢) ولفظ الحديث: إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السئوال:" رواه البخاري في صحيحه ١/ ٢٥٨ كتاب الزكاة. ورواه مسلم في كتاب الأقضية برقم (١٧١٥) ج ٣ ص ١٣٤٠، ١٣٤١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١/ ٢٢٥ كتاب الجنائز باب رثى النبيّ صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة، ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٠، ١٢٥١ كتاب الوصية (رقم ١٦٢٨)

(٤) قوت القلوب ١ / ٢٦٩

(٥) المصدر السابق.

وقال السري :

" الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، ويجمع هذا : الحظوظ المالية والجاهية ، وحب المنزلة عند الناس ، وحب المحمدة والثناء ". (١)

وهكذا فقد نظر الصوفية الى هذه الحظوظ نظرة تشاؤمية ، فجعلوها سببا لبعدهم من الله ، وحجابا يمنعهم دون الوصول الى الهدف المنشود ، وهو الفناء في الله والاتحاد به ، ولذلك زهدوا فيها زهدا كلياً .

إن هذا الاتجاه الصوفي شبيه باتجاه بوذا الذي سبق ذكره فقد روى أتباعه أنه ردد قوله دائما : لا ينال أحد الخلاص الا بحسم لذات الدنيا من الجاه والمال والمنصب والثناء ..... (٢)

وقال عن التملك :

" إن الذي يملك أزواجا وأولادا ينصرف الى أزواجه وأولاده والذي يملك أبقارا ينصرف الى أبقاره ، كل ما نملكه يسبب لنا الهموم ، والذي لا يملك ليس لديه هموم " (٣)

ومثل هذا المعنى قال ابن خفيف أحد المشايخ الصوفية ؛ (٤)

==========

(١) عوارف المعارف ٢٣٣

(٢) ترى بيتاكا (سوتان) ٤٢٣ ، ٤٦٠ وأبيدارما ٦٥٥

(٣) المصدر السابق ٤٥٤

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ، كانت أمه نيسابورية، وكان شيخ المشايخ في وقته . مات سنة ٣٧١ هـ (انظر: طبقات الصوفية ٣٦٢ ،والرسالة القشيرية ١/ ١٨٤ ،وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥)

" علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك " (١)

وقال الغزالي :

" إن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله. وذلك يستدعي قلبا فارغا ، وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ..... وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وتقصيره في العمل ... الخ. وكذلك صاحب المواشي . وهكذا سائر أصناف الأموال (٢)

وقال :

" إن المال ، والجاه ، والأهل ، والولد ، وشماتة الأعداء، ومراءات الأصدقاء ، وسائر حظوظ الدنيا ، كلها سلاسل وأغلال تقيد المريد ، ولا يقدر على قطعها." (٣)

هذا وقد جعل الغزالي للزهد علامات ، منها : أن لا يفرح بموجود ، ولا يحزن على مفقود ، بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك ، وهو أن يحزن بوجود المال ، ويفرح بفقده ، وأن يستوي عنده ذامه ومادحه. فالأول علامة الزهد في المال ، والثاني علامة الزهد في الجاه .(٤)

وقسم الزهد في المطعم الى درجات. وأعلاها : أن لا يدخر من غدائه لعشائه (٥).

==========

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٣٢٧

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٢٣٧ (بيان تفصيل آفات المال وفوائده)بتصرّف يسير

(٣) المصدر السابق ٤ / ٢٤٠ (تفصيل الزهدفيما هومن ضروريات الحياة)

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٤١ (علامات الزهد)

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٣٠ (تفصيل الزهدفيما هومن ضروريات الحياة)

هذا هو اتجاه الصوفية نحو المال، وهو اتجاه غير صحيح لأنه مخالف للكتاب، والسنة، والاجماع ، وقد توسع ابن الجوزي في الرد عليه ويقول ما ملخصه :

" كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد. فيريهم عيب المال ، ويخوفهم من شره، فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر ، وكانت مقاصدهم صالحة، وأفعالهم في ذلك خطأ، لقلة العلم .

أما شرف المال فان الله عز وجل عظّم قدره، وأمر بحفظه، إذ جعله قواما للآدمي الشريف فهو شريف .

قال تعالى : " ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما " (١)

وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اضاعة المال (٢)

وأنه قال لعمرو بن العاص: يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح. (٣)

وعن سعيد بن المسيب قال:" لا خير فيمن لا يطلب المال، يقضي به دينه ، ويصون به عرضه، ويصل به رحمه ، فان مات تركه ميراثا لمن بعده . وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار . وتحدث ابن الجوزي عن كثير من أغنياء الصحابة الذين كسبوا الأموال، وخلفوها لمن بعدهم، ولم ينكر أحد منهم على أحد . أما الإجماع فهو

==========

(١) النساء ٥

(٢) سبق تخريجه في صفحة ٤٩٨ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٤ / ١٩٧ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

منعقد على إباحة جمع المال من حله . كل هذا خلاف ما تعتقده الصوفية من أن المال حجاب وعقوبة . وأن حبسه ينافي التوكل.(١) فالاسلام لا يحرم المال لأن المال من أسباب العزّ والقوّة وإنما يحرّم الاسلام الإفراط والتفريط فيه . وهذا واضح في تعاليم القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا " (٢)

٢) التجرد عن شهوة البطن وهو المعروف في كتبهم بالجوع

ومن العلائق التي يقطعها المريد المتصوف في طريقه : شهوة البطن.وذلك بالامساك عن الطعام واعتياد الجوع ، فالجوع عند الصوفية ـ كما قال الهجويري ـ هو طعام الله في الأرض.(٣)

قال القشيري :

" الجوع أحد أركان المجاهدة ، وهو من صفات القوم ، فإن أرباب السلوك تدرجوا الى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع ، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك.(٤)

وعلى هذا قال أبو يزيد البسطامي وقد سئل : بأي شيء وجدت

==========

(١) انظر : تلبيس ابليس ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١

(٢) الاسراء ٢٩ قال ابن عرفة في معنى " فتقعد ملوما محسورا " أي لا تسرف ، ولا تتلف مالك ، فتبقى محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢٥١ .

(٣) كشف المحجوب ٢/ ٦٥٦

(٤) الرسالة القشيرية ١/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

هذه المعرفة ؟

فقال " ببطن جائع ، وبدن عار " (١)

وقال أبو سليمان الداراني :

" عليك بالجوع ، فانه مزلة للنفس ورقة للقلب ، وهو يورث العلم السماوي " (٢)

وهذا صريح في أن طريق القوم في تحصيل العلم هي طريق تعذيب الجسم بالجوع ، وليس طريق الاكتساب والتعلم .

ومثل هذا ماروي عن الجنيد قوله المشهور :

" ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن من الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات ، .... كما قال حارث المحاسبي :

" عزفت نفسي من الدنيا ، فاسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري . " (٣)

يقول السهروردي :

" وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء (٤) : قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس".

وهذا كما قال عبد الله التستري :

---

(١) طبقات الصوفية ٧٤ ، والرسالة القشيرية ١/ ٦٠٥ ، والكواكب الدرية ١/٢٤٧ .

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٨٤ (فوائد الجوع وآفات الشبع)

(٣) طبقات الصوفية ١٥٨

(٤) عوارف المعارف ١٢٨

" ما صار الأبدال أبدالا (١) الا بأربع خصال : بإخماص البطون ،والسهر، والصمت ، والاعتزال عن الناس ". (٢)

وروى الهجويري مثل هذا عن الكتاني (٣) يقول

" من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء : نومه غلبة. وكلامه ضرورة ، وأكله فاقة ".

وبيّن الهجويري طريقتهم في هذه الفاقة فقال :

" والفاقة عند البعض أن يأكل المرء مرة كل يومين وليلتين، وعند بعض كل ثلاثة أيام وليال ، وعند بعض كل أسبوع ، وعند بعض أن يأكل شيئا مرة كل أربعين يوما بلياليها ، وعند بعض كل أربعين يوما ، لأن المحققين على أن الجوع الصادق أن يؤكل مرة كل أربعين يوما . وذلك حفظا للحياة ، وما يظهر خلال ذلك يكون

==========

(١) الأبدال : عبارة عن مرتبة من مراتب الصوفية ، وهم أصوان القطب الأربعة : الإمامان . والأوتاد الاربعة . والأبدال . والنجباء . والبدل : حقيقة روحانية تجتمع اليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه وليه . وعددهم أربعون . إثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق . (هذه هي الصوفية ١٢٧) قال صاحب معجم المصطلحات الصوفية (٨ ، ٩) : ومن الأبدال ثلاثمائة شخص على قلب آدم . لكل واحد منهم من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق ، وأربعون شخصا على قلب نوح ، وسبعة على قلب خليل ، وخمسة على قلب جبريل ، وثلاثة على قلب ميكائيل، وواحد على قلب اسرافيل ، وعشرة على قلب داود . أ هـ

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٧٦ (في شروط الارادة ومقدّمات المجاهدة)

(٣) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني . بغدادي الأصل . صحب الجنيد ، وأبا سعيد الخراز ، وأبا الحسين النوري . مات سنة ٣٢٢هـ =

الشره ، وغرور النفس ، والطبع ".(١)

وقد روي عن كثير من أئمة الصوفية مبالغتهم وغلوهم في تفضيل الجوع .

منها ما قال الغزالي وهو يتحدث عن ثمرة الجوع المزمومة :

" إن الجوع يصفي القلب ، فيصير كالكوكب الدري والمرآة المجلوة. فيلوح فيه جمال الحق ، ويشاهد فيه رفيع الدرجات .(٢) فالجوع ينقش دم القلب ويبيضه ، وفي بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رقته ، ورقته مفتاح المكاشفة ".(٣)

وروى عن سهل قال : إن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع ، والسهر ، والجهد " (٤)

ومنها ماروى القشيري عن يحي بن معاذ (٥) قال :

" الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة .

= (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٣٧٣ ، والرسالة القشيرية ١٦٦/١)

(١) كشف المحجوب ٢/ ٥٧٠

(٢) وهذا صريح منه في رؤية الله في هذه الدنيا وهو قول مردود باجماع أهل السنة .

(٣) احياء علوم الدين ٣/ ٧٦ وقد رد ابن الجوزي على هذا الزعم انظر : تلبيس ابليس ٢١٣ ، ٢١٤

(٤) المصدر السابق ٣/ ٨٣ (فضيلة الجوع وذم الشبع)

(٥) هو أبو زكريا يحى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ ، له كلام في الرجاء خصوصا ، وفي المعرفة . خرج الى بلخ ، وأقام بها مدة ، ومات بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ . (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٠٧ ، وحلية الاولياء ١٠/ ٥١ ، وصفة الصفوة ٩٠/٤ والرسالة القشيرية ١/ ١٠١ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٣٥ ، والاعلام ١٧٢/٨)

وللعارفين مكرمة " (١)

" الجوع نور ، والشبع نار . والشهوة مثل الحطب ، يتولد منه الاحتراق ، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه ".(٢)

ومن أبي عثمان المغربي (٣) قال :

" الربّاني لا ياكل في أربعين يوما ، والصمداني في ثمانين يوما " (٤)

ومنها أيضا ما نقل الغزالي عن أبي سليمان الداراني قال :

" ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها" وإن الملح شهوة ، لأنه زيادة على الخبز ، وما وراء الخبز شهوة " (٥) .

وقال :

" أحلى ما تكون اليّ العبادة اذا التمقك ظهري ببطني " (٦)

وروى أبو نعيم عنه أيضا قوله :

==========

(١) الرسالة القشيرية ١ / ٣٧٣

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧٥

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي . كان أوحد في طريقته في الزهد ، ورد نيسابور . ومات بها سنة ٣٧٣ هـ (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٤٧٩ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٩١ ، وكشف المحجوب ١ / ٣٧٠)

(٤) المصدر السابق

(٥) احياء علوم الدين ٣ / ٩٥ (طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

(٦) المصدر السابق ٣ / ٨٥ (فوائد الجوع وآفات الشبع)

" لأن أترك لقمة واحدة من عشائي أحب اليّ من أن آكلها وأقوم من أول الليل الى آخره " (١)

ومثل هذه الأقوال المذمومة ماحكى الغزالي عن سهل أنه كان يرى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل " (٢)

أقول إن هذه الأقوال والآراء سخيفة للغاية ، ووجه سخافتها : أن للجسد حقا ، ومنع الحق مستحقه ظلم . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك عليك حقا ".(٣)

ومن المعروف أن الجوع يضعف القوة ، ويؤذي البدن ، وإذا ضعف البدن قلّت العبادة .

ثم كيف رأى أبو سليمان أن ترك لقمة من الطعام وهو أمر مباح أفضل من قيام الليل وهو أمر مندوب ، وكيف رأى سهل أن الصلاة قاعدا وهي رخصة أفضل من الصلاة قائما وهي عزيمة .

وقد أحسن ابن الجوزي إذ رد على هذا فقال :

" وهذا خطأ بل اذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة ، واذا تجوع الى أن يصلي قاعدا فقد تسبب

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٧٤. وأورده القشيري أيضا في الرسالة ٣٧٦/١ والغزالي في الاحياء ٣/ ٨٣ مع اختلاف يسير في العبارات .

(٢) احياء علوم الدين ٣ / ٨٩ (طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

(٣) رواه البخاري في حديث طويل من عبد الله بن عمرو بن العاص انظر صحيح البخاري ١ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم ورواه مسلم في كتاب الصوم باب النهي عن صوم الدهر ٨١٣/٢ رقم (١١٥٩)

الى ترك الفرائض فلم يجز له .... ثم أي قربة في هذا الجـــوع المعطل أدوات العبادة " (١)

وقد ذهب سهل الى أبعد من هذا عندما فضّل الخمر وهو أم الخبائث على الطعام الحلال حيث قال :

" المعدة المملوءة بالخمر أحب الي من المعدة الممتلئة بالطعام. قالوا : لم ؟ قال : لأنه عندما تكون المعدة مملوءة بالخمر، يستريح العقل ، وتخمد نار الشهوة ، ويأمن الخلق من يده ولسانه ، ولكـــن عندما تكون مملوءة بالطعام الحلال ، ترغب في الفضول ، وتقوى الشهـوة، وترفع النفس رأسها لطلب نصيبها " (٢)

ولا شك أن هذا الكلام خلاف للشرع والواقع . أما الشرع فهو معلـــوم لأنه يفضل الحرام على الحلال ، وأما الواقع فلأن الواقع أثبت أن الخمر يزيل العقل ، ويفسده ، ويثير نار الشهوة ، ويسبب سائر الفساد ،هذا بخلاف الطعام الحلال ، فلا يقارن إطلاقا بينهما ، لأن المقارنة بينهمـا هي المقارنة بين الخبيث والطيب ، قال تعالى :

" قل لا يستوي الخبيث والطيب " (٣).

ومن أقوالهم في هذا الصدد أيضا ما قال الغزالي :

---

(١) تلبيس ابليس ٢١١

(٢) كشف المحجوب ٢ / ٥٩٣

(٣) المائدة ١٠٠

" إذا أكل الانسان ما يستلذه مما قلبه وكره الموت ، وإذا منع نفسه شهواتها وحرّمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت " (١)

وقال :

" إن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص " (٢)

ولا يخفى أن اتجاه الغزالي في هذا الكلام هو ما اتجه اليه بوذا كما ذكرنا .

أما الطريق المثلى عند الصوفية في رياضة الجوع وكسر شهوة البطن ، فقد فصلها الغزالي تفصيلا دقيقا ، وذكر أن لها ثلاث وظائف :-

١) في تقليل الطعام بالتدريج بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد .

٢) في وقت الأكل ومقدار تأخيره ، كأن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها ، وذكر أن في المريدين من ردّ الرياضة الى الطي لا الى المقدار ، حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما ، وهذا هو أعلى مقامات الجائعين والمتوكلين عند اللوم

---

(١) تلبيس ابليس ٢١٧ انظر معنى هذا النص في الاحياء ٣/ ٩١ وأيضا ٣ / ٦٧

(٢) احياء علوم الدين ٣ / ١٠٠ (القول في شهوة الفرج)

وروى قول بعض المشايخ الصوفية :

" من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت،أي : كوشف ببعض الأسرار الإلهية "

أما أدنى درجة في ذلك فهو أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل ، وما جاوز ذلك إسراف .

٣) في نوع الطعام وترك الإدام .

قال الغزالي :

" وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام، بل الامتناع عن الشهوات كلها ، فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه ، وقسوة في قلبه ، وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ، ويكره الموت ولقاء الله .(١)

ورويت في الكتب الصوفية روايات كثيرة عن رياضتهم بالجوع . منها : ما روى الهجويري عن سهل أنه كان يأكل مرة كل خمسة عشر يوما ، وعندما يأتي شهر رمضان لم يكن يأكل شيئا الى يوم العيد، وكان يصلي كل ليلة أربعمائة ركعة " (٢)

وروى الغزالي أيضا عن سهل ، وقد قيل له : كيف كنت في بدايتك ؟

---

(١) انظر المصدر السابق ٣ / ٩٠ ، ٩١ (طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

(٢) كشف المحجوب ٢/ ٥٦٧ وأورد أبو نصر السراج في : اللمع (٢١٧) والقشيري في : الرسالة (١/ ٣٧٣) مثل هذه الرواية .

فأخبر بضروب من الرياضات منها : أنه كان يقتات ورق النبق مدة ، ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ، ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين . (١) وبيّن هذا فقال : كنت آخذ بدرهم دبسا ، وبدرهم دقيق الأرز ، وبدرهم سمنا ، وأخلط الجميع ، وأسوى منه ثلاثمائة وستين أكرة . (٢)

وعن إبراهيم بن أدهم أنه لم يكن يأكل شيأ في شهر رمضان من بدايته الى نهايته ، وكان يصلي طوال الليل حتى الصباح. وراقبوه فلم يكن يأكل أو ينام . (٣)

وروي أنه كان يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقول مستنكرا: إنها غالية ، فيقول : " ارخصوها بالترك . (٤)

ومنها ماروى الغزالي عن السرى السقطي قال :

" أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس

---

(١) احياء علوم الدين ٣/ ٩٧ انظر رد ابن الجوزي عليه في تلبيس ابليس ٢١١ . (اختلاف حكم الجوع وفضيلته)

(٢) انظر المصدر السابق ٣/ ٨٩ (طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

(٣) كشف المحجوب ٢/ ٥٦٧ أقول إن هذا وأمثاله مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في نهيه عن الوصال بالصوم . حيث قال: لا تواصلوا . قالوا : إنك تواصل . قال : لست كأحد منكم إني أبيت أطعم وأسقى ، وقال في حديث آخر: .... صم وأفطر وقم ونم فان لجسدك عليك حقا .... الحديث ; (روى الحديث الأول البخاري في كتاب الصوم باب الوصال ٣٣٦/١، وروي الثاني في كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم ٣٣٨/١، كما رواه مسلم في كتاب الصيام برقم (١١٥٩)

(٤) احياء علوم الدين ٣ / ٨٧ (فوائد الجوع وآفات الشبع)

فمـا أطعتها " (١)

وروى عن أبي يزيد البسطامي في حكاية طويلة ، وقد سئل عـن رياضة نفسه في بدايته فقال :

" دعوت نفسي الى الله فجمحت علي ، فعزمت عليها أن لا أشـرب الماء سنة ، ولا أذوق النوم سنة ، فوفت لي بذلك " (٢)

وكذلك ما حكى عن جعفر بن نصر قال :

" أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوزيري ، فلما اشتريته أخـذ واحدة عند الفطور ، فوضعها في فمه ، ثم ألقاها ، وجعل يبكـي ، ثم قال : أحمله ، فقلت له : فيم ذاك ؟ فقال : هتف بي هاتـف أما تستحيي تركته من أجلي ثم تعود اليه ؟ (٣)

قال عبد الرحمن دمشقية ردّا على هذه الحكاية :

" أما القائل : تركته من أجلي : فليس هو الله تعالى ، إذ الله لـم يحرم شيئا من الطيبات ، فانه هو القائل " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " (٤)

وعلى هذا يحتمل أن يكون القائل شيطانا ، فإن الله لا يحرم ما قد أحل لعباده " (٥)

==========

(١) المصدر السابق ٣ / ٦٧ (معالجة أمراض القلوب بترك الشهوات)

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٥٦** والكواكب الدرية ١ / ٢٤٧
(حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

(٣) المصدر السابق ٣ / ٩٤ (طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

(٤) الاعراف ٣٢

(٥) أبو حامد الغزالي والتصوف ٤٠٥

وأمثال هذه الحكايات كثيرة ، فإنهم زعموا أن صبرهم على الجوع من الكرامة ، وهو زعم باطل لأن الله لا يكرم مخالفا لشرعه .

وقد أورد ابن الجوزي هذه الحكايات في كتابه " تلبيس ابليس "(١) وذكر أن منهم من كان لا يأكل اللحم ، ومنهم من كان يمتنع من الطيبات كلها ، ومنهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي أو الماء البارد ، فيشرب الحار ، ومنهم من أدّى طبه الى السقوط والغشية عليه ... الخ (٢) وساق كثيرا من الآيات والأحاديث والآثار في الرد عليها ، فلا أريد هنا أن أزيد عليه الا أنني أقول : إن هذه الآداب الصوفية ليس لها أصل في الاسلام وانما هي أثر من آثار الرهبانية ، إنها آداب تدعو الى ضعف المسلمين وانحطاطهم ، وتدعو الى تعطيلهم الجهاد الذي هو أحب أعمال العبد الى الله (٣)

---

(١) انظر صفحة ٢٠٦ - ٢٢٢

(٢) يقول ابن الجوزي : إن مثل هذه الحالات من صوفية المتقدمين قد انعكست في صوفية المتأخرين حيث أصبحت همتهم في المآكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع ، لهم الغداة ، والعشاء ، والحلوى. وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، واحترفوا الطرق كوسيلة للعيش ، واعرضوا التعبد ، وافترشوا فراش البطالة ، فلا همة لأكثرهم الا الأكل ، واللعب ، ورفاهية العيش. انظر تلبيس ابليس ٢٢١ .

(٣) ثبت في الحديث الصحيح أن رجلا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : دلني على عمل يعدل الجهاد . قال: لا أجده . قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم وتفتر، وتصوم ولا تفطر . قال: ومن يستطيع ذلك؟" رواه البخاري في صحيحه ٢ / ١٣٥ كتاب الجهاد والسير باب الجهاد والسير ، ورواه مسلم في كتاب الامارة باب فضل الشهادة في سبيل الله ٣/١٤٩٨ (رقم ١٨٧٨) واللفظ للبخاري .

إذ كيف يقوم بالجهاد من يعذب جسده ويضعفه بالجوع والسهر؟

قال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم " (١)

ولا شك أن من جملة هذا الإعداد المطلوب هو تهيئة الجسم الصحيح وتقويته وتدريبه .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ". (٢)

ثم ماذا نتصور لو أن الأمة الاسلامية اتخذت هذه الآداب منهجا لهم في الحياة ؟ إنّ المجاعات لتفتّت ، وإنّ سنن الحياة لتعطلت .

وما أحسن الإمام الطبري إذ يقول في هذا الصدد :

" إن الأولى بالانسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها . ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة ، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببا الى طاعته .....

و لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده . وإن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده اليه ، وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنه لأمته ، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون . اذ كان خير الهدي هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ." (٣)

---

(١) الأنفال ٦٠ (٢) رواه مسلم من ابي هريرة ٤/ ٢٠٥٢ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (رقم ٢٦٥٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٦٢ بتصرف .

٣) التجرد من شهوة الفرج

ومن أنواع المجاهدة الصوفية التي تشبه ما في الرهبنة البوذية قمعُ شهوة الجنس وتجريد النفس منها بترك الزواج وايثار العزوبة والتبتل ، وهو قاعدة من قواعد الصوفية الهامة التي ساروا عليها .(١)

قال الهجويري " ومشايخ هذه الطريقة رضي الله عنهم مجتمعون على أن خير المجردين وأفضلهم من تكون قلوبهم خالية من الآفات وطباعهم معرفة من الرغبات .(٢)

ويعتبر الصوفية أن الزواج آفة من الآفات ورغبة من الرغبات التي يجب الإعراض عنها ، لأنه عائق من وصولهم الى الهدف المنشود .

إن هذا الاتجاه الرهباني نحو الزواج واضح في كلام كثير من أئمة الصوفية . وفيما يلي أذكر بعض الأمثلة من كلامهم :

قال أبو طالب المكي :

" الأفضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة ، وعود العصمة ، ولم تنازعه نفسه الى معصية ، ولم يترادف حظوظ النساء على قلبه .(٣)

ثم يروي لكثير من أئمة الصوفية أقوالهم منها :

ماروا ه عن ابراهيم بن أدهم قال :

" من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح "

---

(١) أنظر : كشف المحجوب ٢/ ٦١١ (٢) المصدر السابق ٢/ ٦١٠

(٣) قوت القلوب ٢ / ٢٣٨

وكان بشر بن الحارث يقول : لو كان لي عيال لخشيت أن أكون جلادا على الجسر ؛ فالوحدة أروح للقلب وأقل للهمّ ، لخفة المؤنة ، وقلة المطالبة ، وأمن المنازعة ، وسقوط حكم من أحكام الشريعة عنه .

ومن أبي سليمان الداراني قال :

" والوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل " (١)

وقال : " ثلاث من طلبهن فقد رغب في الدنيا : من طلب معاشا ، أو تزوج ، أو كتب الحديث .(٢)

ولا يخفى بطلان هذا الكلام لأن المعلوم بالضرورة أن هذه الثلاث مطلوبة من قبل الشرع .

ومثل هذا ما قال الجنيد سيد هذه الطائفة :

" أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والزواج ، وقال :" أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه (٣) ، فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل

==========

(١) المصدر السابق ٢ / ٢٣٩

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٤٧ وأورده الغزالي في الاحياء ٤ / ٢٢٩ ، والسهروردي في عوارف المعارف ١٠٤ ، وانظر رد ابن الجوزي عليه في تلبيس ابليس ٢٩٥

(٣) وفي هذا الصدد قال الغزالي في الاحياء (٤/ ٢٢٩):" اعلم أن ميل أهل التصوف الى الإلهية دون التعليمية ، ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون " وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب (١/ ٢٦٦):" ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلم التي معلوماتها تؤول الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها ".وهكذا دعوة الصوفية لترك العلم، وهي دعوة خطيرة على المجتمع ،دعوة للضعف والرضا بالتخلف .

فما شغل من الله فهو محذور فيهما جميعا (١)

وعن أبي سليمان أيضا قال :

" ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج وثبت على مرتبته الأولى " (٢)

وروى عبد الرؤوف المناوي (٣) عن رباح بن عمرو القيسي(٤) قال :

" لا يبلغ الرجل الى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي الى منازل الكلاب " (٥)

انظر الى هذا الكلام الصوفي وقارن بينه وبين كلام الراهب البوذي " شامانا " (٦) (Shamana) وهو يتحدث من القديسين قال :

" إن مرتبة القداسة (Arahat) هذه لا ينالها الا من ترك

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٦٧ ، واحياء علوم الدين ٤/ ٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٤٧ ، وانظر: احياء علوم الدين ٢/ ٢٤ ، وعوارف المعارف ١٠٤ .

(٣) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري من كبار العلماء بالدين والفنون . له نحو ثمانين مصنفا . وكان قليل الطعام كثير السهر حتى مرض وضعفت أطرافه . عاش في القاهرة وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ . (انظر الأعلام ٦/ ٢٠٤)

(٤) ذكره المناوي في جملة أهل الطبقة الثانية من الصوفية أي ممن مات في القرن الثاني أو قبيله (انظر الكواكب الدرية ١/ ١٠٥ - ١٠٦ وانظر ترجمته أيضا في: حلية الأولياء ٦/ ١٩٢ ، وصفة الصفوة ٣ / ٣٦٧)

(٥) الكواكب الدرية ١/ ١٠٦ ورواه أبو نعيم بهذا اللفظ من عبد الله بن دينار . انظر: حلية الأولياء ٦/ ١٩٤

(٦) ذكر بعض المصادر البوذية أن هذا الراهب عاش في سيلان في القرن الخامس البوذي أي القرن الأول للميلاد تقريبا وهو من أبرز=

البيوت ، وتصبّر على أن يترك زوجته ثكلى وأولاده يتامى ..." (١)

وقد لخص السهروردي رأي الصوفية في الزواج وأنه عائق عن الوصول فقال :

" التجرد عن الأزواج والأولاد أعوان على الوقت للفقير ،وأجمع لهمّه وأنفذ لعيشه ، ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق، ومحو العوائق ، والتنقل في الأسفار ،وركوب الأخطار ، والتجرد عن الأسباب ،والخروج عن كل ما يكون حجابا ، والتزوج انحطاط من العزيمة الى الرخص ،ورجوع من التروح الى النفس ، وتقيد بالأولاد والأزواج ، ودوران حول مظان الإعوجاج ، والتفات الى الدنيا بعد الزهادة ، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة ".(٢)

انظر كيف جعل السهروردي الزواج رخصة مع أنه في الحق عزيمة وأصل من أصول الشريعة ، وقد علم أن الاسلام رغب المسلمين في الزواج وحثهم عليه لأنه من سنن الهدى وجادة الاسلام ، ونهاهم عن التبتل والرهبانية كما دلت عليه نصوص الشرعية التي أسلفناها ،وعلى فرض أنه رخصة فالمطلوب اتيانه أيضا دون أن يكون في ذلك انحطاط ففي الحديث الصحيح :

" إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه "(٣)

==========

(*) فلاسفة البوذيين في ذلك العصر (مجموعة المصطلحات البوذية ٧١٣)

(١) تعاليم للرهبان ٤٧

(٢) عوارف المعارف ١٠٤

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢/ ١٠٨ وصححه : أحمد محمد شاكر .انظر : مسند امام أحمد.تحقيق : أحمد شاكر رقم الحديث ٥٨٦٦ .وأيضا ٥٨٧٣ . وانظر أيضا: سلسلة الأحاديث الصحيحة : للألباني ١ / ٣٣٠ .

وعن أدب المريد في تبتله ومزوبته قال السهروردي :

" ومن حسن أدب المريد في مزوبته أن لا يمكّن خواطر النساء من باطنه ، وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة ، يفرّ الى الله تعالى بحسن الإنابة ، فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ، ويؤيده بمراغمة النفس ، بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن إنابته ، فتسكن النفس عن المطالبة ، ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية الى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه . و ما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر الى غبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر ".(١)

هذا وقد ذكرنا في الرهبنة البوذية أن من آداب الرهبان المبتدئين أن لا يخطر ببالهم أي خاطر من خواطر النساء لأنه إثم من آثام الرهبانية ، وعليهم الإكثار من الخلوة ومراقبة " سمادهي " كسبيل للعلاج . (٢)

وقد استدل الصوفية على رهبانيتهم بكثير من الأحاديث الضعيفة منها حديث :

" خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ . قيل : يارسول الله

---

(١) المصدر السابق ١٠٥

(٢) راجع موضوع : الآداب والنظم في الرهبنة البوذية . صفحة ٣٥٦ .

وما خفيف الحاذ؟ قال : الذي لا أهل له ولا ولد ".(١)

وحديث " قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين " (٢)

يقول المستشرق نيكلسون :

" إن مثل هذه الأحاديث كان لها أثرها في الفصل في هذه المسألة، فقد ظهر نظام الرهبنة في الاسلام حوالي هذا التاريخ تقريبا ".(٣)

أي بعد المائتين .

والحق أن نظام الرهبنة لم يظهر في الاسلام في يوم من الأيام لأن الاسلام بريء منه ، وإنما ظهر هذا النظام في غلاة الصوفية المبتدعين ، وهم لا يمثلون الاسلام في شيء .

ومما ورد عنهم أيضا في هذا الصدد ما قال الغزالي وهو يوضح ما على المريد في طريقه :

" اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لايشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ، ويستجره الى

==========

(١) قال العراقي : أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة ، ورواه الخطابي في : العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة ، وكلاهما ضعيف.(احياء علوم الدين ٢/ ٢٤ في الهامش ، وانظر أيضا : كشف الخفاء ١/ ٤٦٤ ٤٦٥ (رقم ١٢٣٥) .

(٢) قال العراقي : أخرجه القضاعي في : مسند الشهاب من حديث علي. وأبو منصور الديلمي في : مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزني ، كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين (احياء علوم الدين ٢/ ٢٤ في الهامش.وانظر أيضا : كشف الخفاء ٢ / ١٣٠ (رقم ١٨٨٨)

(٣) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٥٧

الأنس بالزوجة ، ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله .

وروى قول أبي سليمان ، وقد قيل له : " ما أحوجك الى امرأة تأنس بها " ؟ فقال لا آنسني الله بها ، أي إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى . (١)

وروى أبو نعيم عنه قال :

" العيال يضعفون يقين الرجل ، إنه إذا كان وحده فجاع قنع ، وإذا كان له عيال طلب لهم ، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين " (٢)

وقال : الذي يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة ، ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نقص عليه ، وان أراد أن يتعبد شغله " (٣)

وروى أبو طالب المكي عن أحد الصوفية قال :

" ان العيال عقوبة شهوة الحلال ، والحرص عقوبة طلب فوق الكفاية " (٤)

وغير هذا من الأقوال الصوفية المخالفة للشرع .

وقد روى ابن الجوزي أن بعضهم لم يكتفوا بترك الزواج ، بل جبّوا أنفسهم . وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى (٥)

---

(١) احياء علوم الدين ٣/ ١٠١ (بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله)

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٠ ورواه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ٩/ ٢٦٤

(٤) قوت القلوب ٢/ ٢٣٨ كما روى ابن الجوزي مثل هذا المعنى عن الجنيد قال: الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام " ويعلق ابن الجوزي على هذا بأنه غلط ، فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لايباح شيء ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ، ولا يندب الى شيء الا وحاصله مثوبة . (تلبيس ابليس ٢٩٧)

(٥) انظر تلبيس ابليس ٢٩٦

إن هذه الأقوال والتصرفات المنحرفة ما هي الا آثار من الرهبانية الوثنية .

وقد ذكرت سابقا أن شرط التبتل من أهم شروط الرهبانية في البوذية ، وقد انتهى هذا الشرط ببعض الرهبان الى عملية الخصاء كما ذكرت في قصة بوذا أنه فضل حياة الرهبانية ، فترك أهله وولده بحثا عن طريق الخلاص المزعوم ، وقد بسطت الكلام في الرد على هذه الرهبانية وبيان رأي الاسلام فيها فلا حاجة هنا لاعادته .

غير أنني أريد أن أقول لهؤلاء الصوفية الذين زعموا أنهم متمسكون بالشريعة بأن ما ذهبوا اليه من ترك الزواج وإيثار العذوبة ليس له أصل في الاسلام ، لأن المعلوم من الاسلام بالضرورة الترغيب في الزواج المشروع والحث عليه،وقد كثرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار في هذا الباب.فمن الآيات قوله تعالى:" فانكحوا ماطاب لكم من النساء " (١)

" وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم " (٢)

وقوله تعالى في وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام ومدحهم :

" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية " (٣)

فعدّ الأزواج والذرية من مدحهم وذكرها في وصفهم .

و من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) النساء ٣

(٢) النور ٣٢

(٣) الرعد ٣٨ .

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج " (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

" دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك ".(٢)

ومن الآثار ما رواه ابن الجوزي عن ابن عباس قال :

" إن خير هذه الأمة أكثرها نساء "

ومن شداد بن أوس قال :

" زوجوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا ألقى الله عزبا " (٣)

إن هذه الآيات ، والأحاديث ، والآثار ، وأمثالها ، كلها ترد ماذهب اليه الصوفية .

يقول ابن الجوزي ردا على كلام الغزالي السابق :

" إن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته لم يخرج عن جادة السلوك ، وان الأنس الطبيعي بالزوجة لا ينافي أنس القلب بطاعة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣/٢٣٨ كتاب النكاح ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ورواه مسلم ٢/١٠١٨ ، ١٠١٩ (رقم ١٤٠٠) كتاب النكاح . والباءة : أي النكاح والتزوج ، يقال فيها الباءة والباء ، وقد يقصر وهو من المباءة أي المنزل لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا (أنظر النهاية لابن الأثير ١/١٦٠)

(٢) رواه مسلم ٢/٦٩٢ (رقم ٩٩٤) كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك

(٣) تلبيس ابليس ٢٩٣ .

الله والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله :

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " (١)

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :

" هلا جـــــارية تلاعبها وتلاعبك " (٢)

وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالذي ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ينبســـط الى نسائه ويسابق عائشة رضي الله عنها أكان خارجا من الأنـــس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم . (٣)

هذا وأن هناك كثيرا من الأحاديث في إشابة المباضعـــــــة، والإنفاق على الأولاد والعيال، ومن يموت له ولد ، ومن يخلف ولـــدا بعده ، فمن أعرض من طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجرا جسيما . (٤)

٤ ـ الصمت الدائم

يعتبر الصمت عند الصوفية ركنا من أركانهم (٥) ومقاما هاما

(١) الروم ٢١

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٠ (كتاب النكاح باب الثيبات) ورواه مسلم في كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر (رقم ٧١٥)

(٣) تلبيس ابليس ٢٩٥

(٤) انظر المصدر السابق ٢٩٧

(٥) قال القشيري : إن الصمت نعت أرباب الرياضات وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق . انظرا الرسالة القشيرية ١/ ٣٣٦)

من مقاماتهم وعلى المريد السالك أن يلزمه في جميع تصرفاته ، ولا يبدي الكلام الا عند الضرورة .

يقول القشيري عن سبب إيثارهم السكوت :

" فأما إيثار أرباب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات ، ثم ما فيه من حظ النفس ، وإظهار صفات المدح ، والميل الى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق ، وغير هذا من آفات في الخلق" (١)

وفصّل الهجويري تفصيلا دقيقا من هذا المقام حيث قال :

" إن دعاة هذه الطريقة مأذونون ومضطرون في كلامهم ، وخجلون ومغلوبون في صمتهم ، "فمن كان سكوته حياء كان كلامه حياة" ، لأن كلامهم يكون من مشاهدة ، والكلام بلا مشاهدة عندهم هوان ، ويحبون الصمت أكثر من الكلام مادامو مع أنفسهم ، وحين يغيبون ينافسون الخلق أقوالهم على أرواحهم ، ولذلك قال أحد الشيوخ : "من كان سكوته له ذهبا كان كلامه لغيره مذهبا" . فينبغي للطالب الرباني الذى خوضه في العبودية أن يكون صامتا حتى يتكلم لسانه الذي يكون نطقه بالربوبية ، وتصطاد عباراته قلوب المريدين .

وعن أدب المريد في القول قال :

" والأدب في القول هو أن لا يتحدث بدون أمر ، واذا صمت لا يكون جاهلا وغافلا ، وينبغي للمريد أن لا يتدخل أو يتصرف في كلام الشيوخ ، ولا يتكلم اليهم بعبارات غريبة ،..... ولا يتحدث حتى يسئل ،ولا يبدأ

---

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٣٣٦

بالكلام (١)

ومما ورد عن أئمة الصوفية في هذا الصدد :

ماروي عن الجنيد قال :" من عرف الله كل لسانه " (٢)

ومثل هذا ماروي عن أبي بكر الواسطي (٣) قال :

" من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع " (٤)

وعن الجنيد أيضا قال : " اذا رأيتم الصوفي يتكلم على الناس فاعلموا أنه فارغ " (٥)

وعن حقيقة الصمت قال أبو بكر الفارسي (٦) وقد سئل عنه فقال :

" ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل "

وقال:" من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وان كان صامتا. والصمت ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها " (٧)

==========

(١) كشف المحجوب ٢/ ٦٠٢

(٢) المصدر السابق ٢/ ٦٠٠

(٣) سبقت ترجمته في صفحة ٤٤٢ . (٤) الرسالة القشيرية ٢/ ٦٠٢

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٧٤

(٦) هو أبو بكر الطمستاني الفارسي . قال أبو عبد الرحمن السلمي : إنه من أجلّ المشايخ وأعلاهم حالا ،متفرد بحاله ووقته،لا يشاركه فيه أحد من المشايخ ولا يدانيه ، صحب إبراهيم الدباغ وغيره من مشايخ الفرس ، وكان مشايخ وقته يحترمونه ، ورد نيسابور ومات بعد سنة ٣٤٠ هـ (انظر : طبقات الصوفية ٤٧١ ، وأيضا: حلية الاولياء ١٠/ ٣٨٢ ، والرسالة القشيرية ١ / ١٨٨)

(٧) الرسالة القشيرية ١/ ٣٣٧ وأورده أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ٤٧٤ مع اختلاف في العبارات .

وذكر الهجويري عن سهل قال في وصف الصوفية :

" أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الفرقى، وكلامهم كلام الخرقى" (١)

وروى القشيري عنه قال :

" لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت ".(٢)

فجعل من شرط التوبة الصمت ،وجعل من شرط الصمت أن يكون في الخلوة ، وعدم مخالطة الناس .

ومثل هذا ما سار عليه غيره من أهل التصوف .

يقول الإسنوي (٣) :

" لا تصح لأحد العزلة والخلوة حتى يلزم نفسه الصمت أولا كما فعل داود الطائي وغيره " (٤)

ويقول الغزالي وهو يفصل تفصيلا واضحا عن هذا الموضوع :

---

(١) كشف المحجوب ٢/ ٥٩٣

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٣٣٦

(٣) سبقت ترجمته في صفحة ٤٨٣ .

(٤) حياة القلوب على هامش: قوت القلوب ٢/ ٢٥٣
وداود الطائي هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي (ت ١٦٥هـ) كان من كبار المشايخ وسادات الصوفية ، اختار العزلة ، واعرض عن طريق الرياسة والدنيا ، وسلك طريق الزهد . وروى القشيري من سبب زهده انه كان يجالس أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة يوما : أما الأدلة (أي العلم) فقد أحكمناها . فقال له داود : فأي شيء بقي ؟ فقال العمل به . قال داود : فنازعتني نفسي الى العزلة ، فقلت لنفسي : حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة. فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة (انظر: الرسالة القشيرية ١/ ٨٢ وكشف المحجوب ١/ ٣٢١) .

" وأما الصمت فانه تسهله العزلة ، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره ، فينبغي أن لا يتكلم الا بقدر الضرورة ، فان الكلام يشغل القلب ، وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ، ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه ، فالصمت يلقح العقل ، ويجلب الورع ، ويعلم التقوى "(١)

ثم بيّن الغزالي طريقه العملي في رياضة الصمت فقال :

" وأما من حيث العمل فالعزلة ، أو أن يضع حصاة في فيه ، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك مالا يعنيه ، وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا "(٢)

ولا يخفى أنه طريق غريب ، وأن لزوم الانسان السكوت عما يعنيه لا يقره الشرع والعقل .

ومن الحكايات الصوفية في هذا العدد ما يحكي الغزالي عن المنصور بن المعتز (٣) أنه لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة .

وعن الربيع بن الخيثم (٤) أنه ما تكلم بكلام الدنيا عشرين

---

(١) احياء علوم الدين ٣/ ٧٦ (شروط الارادة ومقدّمات المجاهدة)

(٢) المصدر السابق ٣/ ١١٤ (الكلام فيما لا يعنيك)

(٣) لم أقف على ترجمته بهذا الاسم ولعل الصواب هو منصور بن المعتمر الذي روي عنه أنه صام أربعين سنة . قام ليلها ، وصام نهارها ، وكان في الليل يبكي . قال ابن الجوزي : أدرك منصور بن المعتمر أنس بن مالك . وتوفي سنة ١٣٢ هـ (انظر : صفة الصفوة ٣/ ١١٣ – ١١٥ ، وأيضا : حلية الأولياء ٥/ ٤٠)

(٤) هو الربيع بن خيثم الثوري ويكنى أبا يزيد قال الشعراني مات =

سنة ، وكان اذا أصبح وضع دواة ، وقرطاسا ، وقلما ، فكل ما تكلم به كتبه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء.(١)

ومما روي عنهم أيضا ما ذكر الكلاباذي من بعض المشايخ وقد قيل له : لم لا تتكلم ؟

فقال : هذا علم قد أدبر وتولى، والمقبل على المدبر أدبر من المدبر " (٢)

وروى القشيري عن بعضهم قال :

" مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لساني الا من قلبي ، ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبي الا من لساني "

وقيل لبعضهم تكلم . فقال : ليس في لسان فأتكلم . (٣)

و قال القشيري من أدب المريد :

" يجب أن لا يخالف المريد أحدا وإن علم أن الحق معه يسكت،ويظهر

= الربيع سنة ٦٧ هـ في أيام معاوية رضي الله عنه . وروى أبو نعيم عن أحد أصحاب الربيع قال:صحبته سنتين فما كلمني الا كلمتين ، وقال آخر : جالست الربيع عشر سنين فما سمعته يسأل عن شيء من أمر الدنيا الا مرتين ، قال مرة : والدنك حية ؟ وقال مرة : كم لكم مسجدا ؟ أنظر (الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٣١ ، وحلية الأولياء ٢/ ١١٠ ، وصفة الصفوة ٣/ ٥٩)

(١) احياء علوم الدين ٣/ ١١١ (عظيم خطرا للسان وفضيلة الصمت)

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٧٣

(٣) الرسالة القشيرية ١ / ٣٤١

الوفاق لكل أحد : (١) و غير هـــــــذا من الأقوال والحكايـــات

هذا وان كنا لا ننكر الصمت إنكارا مطلقا ، لأنه مطلوب مـــن قبل الشرع ، كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "(٢)

إلاّ أنّـــــنا نرى أن هذا الصمت الصوفي صمت مسرف ، مبالغ ، متجاوز للحدود ، وهو صمت الرهبان البوذيين الذي سبق ذكره ، والصمت علـــى هذه الصفة لايقره الشرع .

وصفوة القول في هذا : أن الكلام له مقام كما أن الصمت لـه مقام ، ولا افراط ولا تفريط فيهما. والضوابط في ذلك ما أشار اليـه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ، فاذا كان كـــلامه خيرا فكلامه أفضل من سكوته ، واذا كان عكس ذلك فسكوته أفضـل من كلامه .

هذا وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة الى مدح الكلام في الخير . كقوله تعالى : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله "(٣) وقوله تعالى : " طاعة وقول معروف " (٤)

وقد أمرنا الله أيضا بالتحدث بالنعمة في قوله تعالى :

" وأما بنعمة ربك فحدّث " (٥)

==========

(١) المصدر السابق ٢/ ٧٤٠

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٥٤ كتاب الأدب،باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره .ورواه مسلم برقم (٤٧)كتاب الايمان،باب الحث على اكرام الجار،وبرقم (٤٨) كتاب اللقطة ،باب الضيافة ونحوها .

(٣) فصلت ٣٣

(٤) محمد ٢١ (٥) الضحى ١١

والتحدث بالنعمة يكون بالشكر ، والثناء ، والحمد ، وما شابه ذلك .

إن هذه الآيات وأمثالها ترد ماذهب اليه أهل التصوف من المبالغة في الصمت .

٥ ـ العزلة والخلوة (١)

الخلوة عند عامة الصوفية هي الوحدة والانفراد والعزلة عن مخالطة الناس ، وأسلوبها مختلفة باختلاف الطرق الصوفية ، إذ كل طريقة لها أسلوبها الخاصة في الخلوة من حيث مدتها وشروطها (٢) وتعتبر

(١) قال صاحب كتاب التعريفات (ص ١٠١ ، ١٥٠) : الخلوة : محادثة السر مع الحق حيث لا أحد ولا ملك ، والعزلة هي الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع .
وقال صاحب معجم مصطلحات الصوفية (صفحة ٩٢) : " الخلوة : هي العزلة عند بعضهم ، وغير العزلة عند البعض الآخر . فالخلوة من الأغيار ، والعزلة من النفس وما تدعو اليه ويشغل عن الله ، فالخلوة كثيرة الوجود ، والعزلة قليلة الوجود ، فعلى هذا العزلة أعلى من الخلوة ، وقيل : بل الخلوة أعلى ، لأنها من الأغيار ، وقيل : الخلوة ترك اختلاط الناس وان كان بينهم ، وقيل الخلوة : الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر ، وقيل هي الخلوة عن جميع الأذكار الا من ذكر الله " أ هـ . وعلى أي حال فاني لم أفرّق بين العزلة والخلوة في هذا المبحث ، لأن معناهما متقارب جدا . وأستطيع القول بأن العزلة حالة عامة . أما الخلوة فحالة خاصة ، وكلاهما متداخلان كما سيتبين من خلال أقوال الصوفية .

(٢) انظر على سبيل المثال شروط الخلوة عند الطريقة التيجانية في كتاب : رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم : لعمر بن سعيد النوبي المطبوع على هامش "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيد أبي العباس التيجاني" لعلي بن حرازم بن العربي ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م ص ٢/ ١٥٣ وما بعدها =

الخلوة والعزلة من أهم أنواع المجاهدات العملية عند الصوفية والتي من شأنها أن تهيء المريد للوصول الى الفناء ، والكشف ، والاتحاد بالله على حد زعمهم .

وقد اعتنى بها الصوفية اعتناء كبيرا ، وعقدوا لها فصلا خاصا في كتبهم ، وساقوا الأدلة ، والأقوال المأثورة ، والحكايات ، في بيان فضيلتها ، وحث طوائفهم على التزامها .

وفيما يلي سأورد طائفة من كلامهم الوارد في هذا الموضوع :

قال القشيري :

" الخلوة صفة أهل الصفوة ، والعزلة من أمارات الوصلة "

"ولابد من المريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه ".(١)

ففرق القشيري هنا بين العزلة والخلوة ، أي يبدأ المريد أولا بالعزلة عن الناس ، ثم بالخلوة للتعبد .

ثم ذكر القشيري أقوال كثيرين من أئمة الصوفية لتدعيم هذا الرأي . منها ما قاله الجنيد :

" من أراد أن يسلم له دينه ، ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس ، فان هذا زمان وحشة ، والعاقل من اختار فيه

==========

= وقد لخصها الشيخ أبو بكر الجزائري في رسالته الصغيرة التي سماها " الى التصوف ياعباد الله " ط المدينة المنورة ١٤٠٤ هـ صفحة ٣٢ - ٣٦

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٢٩٨ .

الوحدة " (١)

وقال الشبلي لرجل استوحاه :

" الزم الوحدة ، وامح اسمك عن القوم ، واستقبل الجدار حتى تموت." (٢)

ومما روي عنه أيضا قوله :

" هذا زمان السكوت ، وملازمة البيوت ، والاتكال على الحي الذي لا يموت " (٣)

وقيل لـــداود الطائي (٤) : أوصني ،

فقال : " صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، وفر من الناس كفرارك من السبع " (٥)

وقال يحيى بن معاذ الرازي (٦) :

" الوحدة جليس الصديقين " (٧)

وروى أبو عبد الرحمن السلمي عنه قال :

" الزهد ثلاثة : القلة ،والخلوة ، والجوع ".(٨)

كما روى عنه أنه اعتبر الخلوة من علامات الإخلاص حيث قال :

==========

(١) المصدر السابق ١/ ٣٠٣ وأورده الإسنوي في : حياة القلوب على هامش قوت القلوب ٢ / ٩٣ .

(٢) عوارف المعارف ١٢٣ وأيضا : الرسالة القشيرية ١ / ٣٠٣

(٣) حياة القلوب على هامش : قوت القلوب ٢ / ٩٣

(٤) سبقت ترجمته في صفحة ٥٢٧ . (٥) الرسالة القشيرية ١ / ٨٤

(٦) سبقت ترجمته في صفحة ٥٠٥ . (٧) المصدر السابق ١/ ٣٠٢

(٨) طبقات الصوفية ١١٣ .

" الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص " (١)

وهذا كما قال ذو النون المصري :

" لم أر شيئا أبعث الى الإخلاص من الخلوة ، ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من أركان الصدق ".(٢)

وروى القشيري عن أبي بكر الوراق (٣) ، وقيل له : أوصني . فقال :

" وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ، ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط " (٤)

وغير هذا من الأقوال التي تحثّ الناس على العزلة والخلوة وعلى عدم الاجتماع مع الخلق ، وما أكثرها في كتبهم .

وقد قسم الهجويري العزلة الى نوعين : أولهما الإعراض عن الخلق والآخر الانقطاع عنهم . والاعراض عن الخلق هو اختيار مكان خال وتجنب صحبة الأجناس بالظاهر ، أما الانقطاع عن الخلق فيكون بالقلب ، وليس لصفة القلب أي تعلق بالظاهر ، وهذا مقام عال في العزلة (٥)

---

(١) المصدر السابق ١٠٩

(٢) عوارف المعارف ١٢٣ وأورده السلمي في : الطبقات ٢٠ ، ٢١ ، والقشيري في الرسالة ١ / ٣٠١ . مع وجود الاختلاف في اللفظ .

(٣) هو محمد بن عمر الحكيم ، أصله من ترمذ ، وأقام ببلخ ، صحب أحمد بن خضرويه (ت ٢٤٠ هـ) . وله الكتب المشهورة في أنواع الرياضات ، والمعاملات ، والآداب (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٢٢١ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٣٩ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥ ، وصفة الصفوة ٤/ ١٦٥ ، وكشف المحجوب ١ / ٣٥٤)

(٤) الرسالة القشيرية ١/ ٣٠١ وأورده السهروردي في : عوارف المعارف ١٢٤

(٥) انظر : كشف المحجوب ١/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

وحكى عن أبي عثمان المغربي (١) أنه في بداية حاله اعتزل عشرين سنة في البوادي، بحيث لم يكن يسمع آدميا حتى ذابت بنيته من المشقة ، وصارت عيناه كسم الخياط ، وتحول من صورة الآدميين.(٢)

وذكر أن مذهب أبي يزيد البسطامي في المعاملات على الإطلاق ترك الصحبة واختيار العزلة ، وهو يأمر المريدين جميعا بهذا. قال الهجويري : " وهذه طريقة محمودة إذا تيسرت " (٣)

انظر الى هذه الطريقة المحمودة عندهم ، وقارن بينها وبين الطريقة البوذية في الرهبنة .

إن هاتين الطريقتين لا تختلفان ، ولأوضّح ذلك أكثر أنقل ما جاء في كتاب " ترى بيتاكا " تحت عنوان : العزلة والتبتل" وفيما يلي نصه : -

يقول بوذا لأتباعه : " الحق أقول لكم أيها الرهبان ..... إن تتاغاتا (٤) بوذا قد دخل " نرفانا " ، وتخلص من الذات ، وتخلص من أدوات الهموم والأحزان ، إنه وجد أن حياة العزلة أفضل الحياة ، وأنها أنجى الأسباب من أدوات الهموم ، فليكن رفيقكم العزلة . ألا تعلمون ! أن جماعتنا " سانغا" (٥) ينبغي لهم ترك الصحبة

---

(١) سبقت ترجمته في صفحة ٥٠٦ . (٢) المصدر السابق ٢/ ٤١٦

(٣) المصدر السابق ٢ / ٤١٨ .

(٤) "تتاغاتا " (Tatakata) اسم من أسماء بوذا . ومعناه المتخلص ، وكان يسمي نفسه دائما بهذا الاسم .

(٥) أي : الرهبان وقد سبقت الاشارة اليه .

والاختلاط . ألا تعلمون أن في العزلة فراغا ، وأن في الفراغ " سمادهي " وأن " سمادهي " طريق الى نرفانا " . (١)

وقد بسطت القول في هذا الموضوع عند الكلام عن الرهبنة البوذية فلا حاجة لتكراره .

ويرى بعض الصوفية أن الخلوة محدودة بالزمن وهو أربعون يوما ، وسموا هذه الخلوة بالأربعينية .

وقد فصل السهروردي تفصيلا دقيقا من هذه الأربعينية ،خاصيتها ، وفتوحها ، وكيفية الدخول فيها .(٢) وقال :"ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ، ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الأوقات ،أحبوا تقييد الوقت بأربعين ،رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم ،فيكونوا في أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين .(٣)

ثم بين أهمية الخلوة والعزلة فقال :

" وقد تقرّر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك أرباب الصدق، فمن استمرت أوقاته على ذلك ،فجميع عمره خلوة ،وهو الأسلم لدينه . فان لم يتيسر له ذلك ،وكان مبتلى بنفسه أولا ، ثم بالأهل والأولاد ثانيا ، فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا ".(٤)

---

(١) أبهيدارما ٦٥٠

(٢) انظر عوارف المعارف من ١٢١ – ١٣٠

(٣) المصدر السابق ١٢١

(٤) المصدر السابق ١٢٧

أي من شغلته نفسه وأهله من أن يجعل كل عمره خلوة ، فعليه الدخول في الأربعينية ، ومن لم يشغله ذلك فالأفضل أن يكون جميع عمره خلوة .

وقد استدل الصوفية على هذه الأربعينية بكثير من الآيات والأحاديث ، غير أن استدلالهم باطل ، وذلك كاستدلالهم بقصة موسى عليه السلام حينما أمره الله تعالى بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل . قال تعالى :

" وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة " (١)

وهو استدلال غير صحيح لأن ماشرع لموسى فهو شرع خاص له وليس شرعا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، فكيف ترك الصوفية شريعة محمد وتمسكوا بشريعة موسى وهي شريعة خاصة بل منسوخة بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ ، هذا مع أن هناك فرقا كبيرا بين خلوة موسى وخلوة الصوفية .

وكاستدلالهم أيضا بحديث :

" من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " (٢)

---

(١) الاعراف ١٤٢

(٢) عوارف المعارف ١٢١

وهو حديث غير صحيح كما قاله أهل العلم.(١)

وعلى هذا تبين أن الخلوة أو الأربعينية ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما هي رهبنة غريبة عن الاسلام ، ولا نستبعد أن نشبه هذه الأربعينية بالرهبنة البوذية التي يعيّنها البوذيون لمريديهم مدة ثلاثة أشهر،لأن الأمر لا يختلف كثيرا بينهما .

وقد اشترط لمن دخل في هذه الخلوة شروط كثيرة. منها : أن يجرد نفسه عن العالم وعن كل ما يملك ،وأن يقلل فيها الطعام، وأن تكون عبادته فيها الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب، وأن يلازم الذكر الواحد في سائر أوقاته بحيث لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور .(٢)

وزاد الغزالي على هذا فأمر المريد أن يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ،ولا بالتأمل في تفسير، ولا بكتب حديث، ولا غيره.(٣)

---

(١) قال ابن الجوزي في " الموضوعات " : هذا حديث لا يصح عن رسول الله . وقال : وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث الذي لا يثبت ،وانفردوا في الخلوة أربعين يوما ، وامتنعوا من أكل الخبز ، ثم يخرج بعد الأربعين فيهذي ويتخيل اليه أنه يتكلم بالحكمة ، ولو كان الحديث صحيحا فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب لا بفعل البدن ". (انظر : الموضوعات ٣ / ١٤٥ وانظر أيضا : كشف الخفاء ٢/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ (رقم ٢٣٦١)

(٢) انظر: المصدر السابق ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

(٣) انظر: احياء علوم الدين ٣ / ١٩ (بيان الفرق بين الالهام والتعلم)

وقال في فوائد الخلوة إنها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر ... وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية .(١)

انظر الى هذا الكلام الغريب من فقيه عالم كالغزالي ، وقد تساءل ابن الجوزي فقال :

" .... من أين له أن الذي يسمعه نداء الحق ،وأن الذي يشاهده جلال الربوبية ، وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة ؟ .(٢)

ويكفينا في رد هذه الخلوة والعزلة ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " (٣)

فقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس ،ولكن بشرط أن يقوموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه مبدأ عظيم لهذا الدين ، ومن المعروف بالضرورة أن هذا المبدأ لا يتحقق بالعزلة ، ولا بالخلوة ، ولا بالهروب من المجتمع كما

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٧٦ (في شروط الارادة ومقدّمات المجاهدة)

(٢) تلبيس ابليس ٢٨٨

(٣) آل عمران ١١٠

دعا اليها الصوفية ، وإنما يتحقق بالاجتماع مع الخلق والتعامل معهم بالحسنى .

ومن هنا يتبين اتجاه الصوفية السلبي نحو الحياة والناس وهو لا يختلف عن اتجاه البوذية ، اذ لكل واحد منهما مظاهر من الفردية والأثرة الضيقة المكتومة ، فالبوذية تنادي بعقيدة الخلاص بأن يدخل كل واحد في الرهبنة ، ويجاهد نفسه وهواه للوصول الى " نرفانا " دون أن يفكر في الغير . والصوفية تنادي بعقيدة الفناء والاتحاد بالله بأن يدخل كل واحد في الطريق ، ويعتزل عن الناس خوفا من شرهم . وينجو بنفسه وحدها .

إن هذا الاتجاه الصوفي واضح في أقوال كثير من الصوفية منها ما قال الغزالي وهو يفصل فوائد العزلة التي منها : التفرغ للعبادة والفكر ، والتخلص من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال:" وفي العزلة خلاص . وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إشارة للخصومات وتحريك لفوائل الصدور ..... ومن جرّب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا (١)

وقال أبو طالب المكي في تفضيل الخلوة :

" الخلوة أفضل المعاني ، وفيها يجد لذة الوجود وحلاوة المعاملة ، ويقبل على نفسه ، ويشتغل بحاله ،ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حال غيره فيقصر . أو يقوم بحكم آخر فيعجز.ويعالج شيطانا آخر مع شيطانه ، وتنضم نفس أخرى الى نفسه ، وله في

---

(١) انظر احياء علوم الدين ٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ . (الباب الثاني:في فوائد العزلةوغوائلها . الفائدةالثانية :التخلّص بالعزلةعن المعاصي)

مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه أكبر الأشغال " (١)

وروي عن الحارث المحاسبي قال :

" ويسقط عن العبد بالخلوة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويأمن من مداهنة الناس ، ويورث راحة القلب من همـوم الدنيا ، ويوقي شرور الخلق وكلفة مداراتهم " (٢)

وغير هذا من الأقوال والآراء التي تدعو هذه الأمة الى اضعاف الكيان الاسلامي بترك الدعوة وترك الجهاد في سبيل الله ليسقطوا أمام الاعداء . (٣)

---

(١) قوت القلوب ٢/ ٢٣٨

(٢) حياة القلوب على هامش قوت القلوب ٢ /٩٩

(٣) ويجدر بي أن أشير هنا إلى بعض المواقف الصوفية تجـاه الجهاد . فها هو الغزالي الزعيم الصوفي الكبير ، وقد سقـط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ .والغزالي على قيـد الحياة إذ توفي سنة ٥٠٥ هـ .ولكن لم يحرك منه هذا الحـادث الجلل شعورا واحدا ، ولم يجر قلمه بشيء مما عنه في كتبـه . وابن العربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران . عاشـا في عهد الحروب الصليبية ، فلم يسمع عن واحد منهما أنـه شارك في قتال ، أو دعا الى قتال ، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين . لقد كانا يقرران للناس : أن الله هو عين كل شيء ، فليدع المسلمـون الصليبيين ، فما هم الا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصـور. هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله ! ! فهل كافحوا غاصبا أو طاغيا ؟ (من كتاب هذه هي الصوفية ١٧٠ ، ١٧١ بتصرف)

هذا وان كنا لا ننكر أن هناك عزلة مشروعة في الاسلام ورد ذكرها في الأحاديث (١) في حالة حدوث الفتن وسوء أحوال الناس آخر الزمان، الا أن هذه العزلة ماهي الا حالة خاصة، وتنزول مشروعيتها بزوال الفتن، بخلاف الصوفية الذين يجعلونها ركنا من أركانهم وأصلا من أصولهم.(٢)

وعلى هذا فلم يشر الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذه العزلة في حديث تغيير المنكر الذي قال :

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان " (٣)

---

(١) منها مارواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به (صحيح البخاري ٤/ ٢٢٥ كتاب الفتن باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم)
(ورواه أيضا مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٨٨٦) ج ٤/ص ٢٢١١، ٢٢١٢)
ومن الآثار : ما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه كان ممن اعتزل أيام الفتنة ، فلم يكن مع واحد من الفريقين ". وهناك آثار أخرى في هذا الموضوع ذكرها الشيخ أبو سليمان حمد الخطابي البستي في كتابه " العزلة " ص ١٢ ط ١٣٩١/٢هـ المطبعة السلفية

(٢) قال الشيخ محمد الحامد شيخ من شيوخ الطريقة النقشبندية : إن أركان الطريقة الصوفية خمسة : وهي الذكر، والبعد عن الناس قدر الامكان، والصمت، وعدم الإمعان في الشبع، وصحبة الشيخ المرشد الكامل جسدا وروحا ". من كتاب : الشيخ محمد الحامد : لعبد الحميد طهماز صفحة ١٧٣، ١٧٤ .

(٣) رواه مسلم عن أبي سعيد (صحيح مسلم ١ / ٦٩) (رقم ٤٩) كتاب الايمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان .

أي إن أدنى مرتبة في تغيير المنكر هو الإعراض عنه بالقلب دون العزلة والخلوة والتفرد عن الناس .

كما ،ورد النهي عامة عن العزلة في حديث الذي رواه أبـــو هريرة رضي الله عنه قال :

" مر رجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بشعب فيـــه عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته لطيبها ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليـه وسلم . فذكر ذلك لرسول الله . فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فـي سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ، ألا تحبـون أن يغفر الله لكم وتدخلون الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، فانه مـن قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة " (١)

٦ ـ الذكر والمـراقبـة

يعتبر الذكر والمراقبة آخر مرحلة من مراحل الطريق الصوفـي ، ومن طريقهما يجتهد الصوفيون في الوصول الى الفناء بعد أن قطعوا مرحلة مرحلة من مراحل طريقهم ، ويشير الى ذلك مايقول الغزالـي :

" إن طريقة المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد ، فاذا كفى ذلك ، أو فعد بالمجاهدة ، ولـم يبق في قلبه علاقة ، شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام . (٢)

(١) رواه الترمذي . وقال : هذا حديث حسن (سنن الترمذي ٣/ ١٠١ ، ١٠٢) (رقم ١٧٠٢)

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٧٨ .(في شروط الا رادةومقدّمات المجا هدة)

بل ينصح القشيري أن لا يلقن الشيخ مريده شيئا من الأذكار ما لم يتجرد المريد عن كل علاقة . (١)

وقد تقدم في الكلام عن البوذية (٢) أن البوذيين لكي يبلغوا أرقى درجات الفناء يتقدمون مرحلة مرحلة من مراحلهم الثلاث وهي :

١) سيلا (Sila) وتساوي في الصوفية التقيد بالأحوال والمقامات .

٢) سمادهي (Smadhi) وتساوي في الصوفية الذكر والمراقبة .

٣) مانيا (Panya) وتساوي في الصوفية الفناء والكشف .

والذكر عند الصوفية هو غياب الذكر عن مذكوره

يقول ذو النون المصري وقد سئل عن الذكر : " هو غيبة الذاكر عن الذكر " (٣)

وهو الحال التي يتحقق فيها الصوفي بوحدته الذاتية مع الله فذكر الله عندهم هو الحضور مع الله والفناء فيه .

وعلى هذا قال أبو العباس الدينوري (٤) :

" اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب

---

(١) انظر الرسالة القشيرية ٢/ ٧٣٧ (٢) راجع صفحة ٣٠٣، ٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٧١

(٤) هو أحمد بن محمد أبو العباس الدينوري ، وهو من أفتى المشايخ ، ورد نيسابور ، وأقام بها مدة ، ثم رحل الى سمرقند ، ومات بها بعد سنة ٣٤٠ هـ (انظر ترجمته في طبقات الصوفية ٤٧٥ ، وحلية الأولياء ١٠ / ٦٥٧ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٨٩)

الذاكر في الذكر عن الذكر ويستغرق بمذكوره عن الرجوع الى مقـــام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء " (١)

وهكذا الحال عندهم في المراقبة كما بينها الغزالي في كتابه الاحياء (٢)

والفناء في الذكر والمراقبة على هذا الشكل لا يختلف كثيـــرا عن فناء البوذيين الذين يستغرقون في التأمل والمراقبة ، وذلـــــك حينما يصبح المتأمل وموضوع التأمل شيئا واحدا .

وباب الذكر عند الصوفية باب واسع . لأن كل طريقة من الطـــرق الصوفية يضع أصحابها أذكارا وأورادا مخصوصة لأتباعهم ومريديهم، ويفهمون لكل ذكر شروطا وخصائص .

ولكي أثبت الصلة بين الصوفية والبوذية في هذا الموضوع أورد فيما يلي بعض الجوانب الصوفية التي تشبه ما تقدم في البوذيـــة وسأكتفي بإيراد بعض الطرق الصوفية دون بعض حبا للاختصار .

أ ـ في صفة تلقي الأوراد والاذكار من الشيخ

أشرت في حديثي عن الأخلاق البوذية الى أن البوذيين عندمـا أرادوا التقيد والعمل بالوصايا البوذية يذهبون الى مشايخهم الرهبـان ويتلقون منهم الوصايا ، وقد بينت هناك(٣) بعض طقوسهم في هـــذا

(١) طبقات الصوفية ٤٧٧ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣
ومثل هذا ما قال الكلاباذي انظر : التعرف لمذهب أهل التصـــوف ١٢٣ ، ١٢٦ .

(٢) ٤ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٣) راجع صفحة ١٥٠ .

التلقي وهي شبيهة جدا بما في الصوفية من صفة تلقينهم الأوراد أو الأذكار من الشيخ .

وهنا أنقل ما وزد في إحدى الكتب الصوفية لنرى مدى هذا التشابه بين المذهبين . ورد في كتاب " سير السالكين " (١) تحت عنوان " شروط تلقي الأذكار من الشيخ المرشد " شروط كثيرة أذكر منها ما يتعلق بهذا الموضوع :

" أن يكون التلقي من الشيخ بالتلقين ، فيأمر الشيخ مريده أن يتوضأ وأن يجلس في خلوته جلوسا متمكنا ،وأن يغمض عينيه وأن يفرغ قلبه من الأشياء الخارجية الشاغلة للقلب . ثم يلقنه الورد الذي اختاره الشيخ ، فيأمر أن يذكره بلسانه ، وأن يستوي بقلبه مع لسانه (٢) وأن يرددده ثلاث مرات في كل تلقين .....

وبعد التلقين يتعهد المريد أمام الشيخ بالحفظ على الورد طول حياته مهما حدث له من المشقات ، ومهما يستقبله من الذل والفقر فلا ينصرف عنه . (٣)

ومن الحكايات التي أوردها المؤلف في هذا الصدد ، أن أحد المريدين

---

(١) للشيخ العارف بالله عبد الصمد الفلمباني القادري المتوفي ١١١٢ هـ من أحد أشياخ الصوفية البارزين بمدينة كلنتان " ماليزيا" والكتاب مكتوب بلغة المؤلف وهي الملايوية ، ومطبوع متداول بين أيدي كثير من علماء المسلمين في بلاد جنوب شرقي آسيا ،كما هو مدرس في كثير من المدارس والحلقات الاسلامية هناك .

(٢) ذكر القشيري مثل هذا . انظر الرسالة القشيرية ٢ / ٧٣٧ .

(٣) صفحة ٤٧ .

كان يلتزم بورد شيخه ، ولم ينصرف عنه البتة ، ثم لما أصابه المرض الشديد ، ترك الورد وتوفي ، ورآه شيخه في منامه أنه معذب في قبره بسبب عدم حفظه على الورد . (١)

وهذه الحكاية بطلانها واضح اذ كيف يعذب الله من ترك الورد وهو ليس واجبا من واجبات الشرع ولا سنة من سننه ، انه من اختراع الشيخ لمريده ولم يأت به الشرع الحكيم .

وغير هذا من الحكايات والمنامات الصوفية التي لا تفيد من الحق شيئا .

ب) في الاستمداد من الشيخ واستحضاره عند الذكر

تقدم في البوذية (٢) أن البوذيين عامة يستمدون العون من بوذا ويتخيلون صورته عند صلواتهم وتراتيلهم ، وعند ممارستهم " سمادهي " . كذلك نجد هنا في الصوفية أنهم يستمدون العون والمدد من شيخهم ويستحضرونه عند الذكر .

جاء في رسالة للشيخ أحمد عبد المنعم الحلواني في الرد على الكفراوي (٣) تحت عنوان " آداب الذكر " (٤) قال فيها :

" وأن يستحضر شيخه ، فالطريق تحتاج للرفيق ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه . فيقول : "مددك يا أستاذي" . وأن يرى أن استمداده منه عين

---

(١) صفحة ٥١ .

(٢) راجع الرياضة النفسية وأيضا الاجتماع لذكر التراتيل البوذية . ص ٣٦٧، ٣٧١ وما بعدها

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن رسائل في فقه التصوف والذكر ط ١٣٦١هـ

(٤) صفحة ٢٨ ، ٢٩ .

استمداده صلى الله عليه وسلم، فانه الواسطة اليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه كذلك فيقول : " دستور يا أصحاب الطريق والقدم " .

ثم قال : إن استحضار الشيخ من أكبر الآداب عند الصوفية "

إن هذه الآداب موجودة لدى كثير من أصحاب الطرق، فالنقشبندية مثلا يستحضرون صورة شيخهم عند الذكر ويستمدّون منه البركة .

جاء في كتاب : المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية : (١) تحت عنوان : آداب الذكر عند النقشبندية . النص التالي :

" ثم تقرر صورة مرشدك ، وتحفظ صورته في خيالك في غيبته وحضوره ، وتعمق النظر من ناصيتك الى ناصيته ، وتستمد البركة منه بالقلب ، ثم تطرح الصورة بالخيال في وسط قلبك فيحصل لك فائدة الجمعية كما تحصل الفائدة من الذكر ".

وكذلك التجانية الذين يستمدون من شيخهم التجاني .

جاء في كتاب "الدرر السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التجانية "(٢) :

" من شروط الطريقة التجانية في الذكر: الشرط الثاني والعشرون "يستحضر صورة الشيخ في حال قراءة الورد ويستمدّ منه ..... وهذا الاستحضار يكون من أول قراءة الورد الى آخره ان أمكن ذلك ، والا فليستحضر في أول الذكر ، ثم يعاود الاستحضار مرة بعد

==========

(١) للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي صفحة ٣١٤

(٢) لمحمد سعد بن عبد الله الرباطابي المالكي التجاني العباسي ص ٨ .

أخرى " .

كما جاء في كتاب الرماح (١) هذا النص :

" ثم جعل خيال شيخه بين عينيه ، فانه رفيقه في طريقه ، وهو معه بمعناه وبروحانيته ، فان من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ، ومتعلقة بروحانيته كل واحد من مريديه وان كانوا ألفا " .

قال علي بن محمد الدخيل الله في كتابه " التجانية " (٢) : إن التجانيين يؤمنون بعقيدة الاستمداد من الشيخ التجاني ، وإنه يعطي ويمنع ، ويشفي ، ويمرض ، ويجيب دعاء المضطر وغير ذلك . ونقل كثيرا من أقوالهم .

فالشيخ عندهم هو الذي يعطي المدد والعون ويقضي الحوائج لمن طلبها منه ، وعلى هذا قال صاحب الدرّة الخريدة (٣)

" فاذا استمد من شيخه جاءه المدد "

وهكذا فان التجانيين طلبوا من شيخهم المدد والعون والحوائج كما طلب البوذيون من بوذا ومن قديسيهم ، ومثل هذا يوجد في كل طريقة من الطرق الصوفية كالنقشبندية وغيرها . (٤)

---

(١) صفحة ١٥٤/٢ ، وقد سبقت الاشارة الى هذا الكتاب ومؤلفه . انظر ص ٥٣١ .
(٢) انظر صفحة ١٨٤ ، ١٨٧
(٣) هو محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي . انظر تعريف هذا الكتاب في المصدر السابق .
(٤) انظر : النقشبندية عرض وتحليل : لعبد الرحمن دمشقية ٢٣ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م دار الطيبة الرياض وأيضا : شفاء العليل =

ج) في الاجتماع للذكر على صوت واحد مع التمايل

ومما يشبه ما في البوذية في أوضاع الذكر أنهم يجتمعون للذكر على صوت واحد (١)، ويرفعون أصواتهم مع تمايلهم يمينا وشمالا .

جاء في رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني تحت عنوان : آداب الذكر : (٢) فقرة (١٩) : وأن يهتز من فوق رأسه الى أصل قدميه فإنه أبعث للهمة وأقرب للفتح . فقرة (٢٠) : وأن يبدأ بـ" لا " يمينا ويرجع بـ" إله " فيتوسط ويختم بـ" إلا الله " يسارا قبالة القلب . فإن ذكر اسما مفردا كـ "الله "و" هو" ضرب بذقنه على صدره "

وعند التجانيين اجتماعات كثيرة لذكر الأوراد ، وخاصة الاجتماع لذكر ما يسمونه بالوظيفة (٣) ، وذكر الهيللة بعد صلاة العصر يوم الجمعة وغيرهما ، ولهذه الأذكار شروط معينة ، فمن شروط الوظيفة وأحكامها الاجتماع مع الإخوان ، وهذا الاجتماع له شروط منها التحليق ، ومنها الجهر لأنه لا معنى للاجتماع اذا ذكر كل واحد وحده سرا .

= ترجمة القول الجميل : للشاه ولي الله الدهلوي ٨١ طبعة باكستان ١٢٦٠ هـ .

(١) والحقيقة أن الصوفية أدخلوا على الذكر أمورا كثيرة ، ابتعدت عن جوهره ، وفوائده ، وآدابه . منها الرقص والصراخ ، ومنها الذكر باللهو والموسيقى ، كالدق والشبابة ، والذكر بأصوات بلهاء مثل " ها " و " هو " و " هي " ومرافقة الذكر بشدة الحركة .

(٢) صفحة ٣٠ .

(٣) تقرأ في اليوم مرة إما صباحا وإما مساء فاذا قرئت في الوقتين كان أفضل وهي : =

قال بعض السادة الصوفية :

" إن الذاكر مع الإخوان جهرا يثاب على ذكره وعلى سماع ذكر غيره ، وعلى تدبر معاني الذكر " .

ومن شروطها أيضا عدم التخليط في الذكر .

قال ناظم المنية :

" وشرطه التحليق والجهر كذا عدم تخليط فراع المأخذا (١)

وقال صاحب الرماح : (٢)

" فالذاكرون اذا كانوا مجتمعين على الذكر ، فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر " .

ولاشك أن هذه الأوضاع الصوفية للذكر ، من الاجتماع ، والتمايل ، ورفع الصوت ، كلها مخالفة للسنة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم فلم يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا من الصحابة ، والسلف الصالح أنهم يذكرون ربهم بهذا الشكل .

ويكفينا في رد هذا ما أرشد اليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

==========

(١) استغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه (ثلاثين مرة) .

(٢) ثم صلاة الفاتح لما أغلق (خمسين مرة)

(٣) ثم لا اله الا الله (مائة مرة)

(٤) ثم جوهرة الكمال (اثنى عشرة مرة)

(من كتاب التجانية ٢٦٠)

(١) الدرر السنية ١٨ بتصرف .

(٢) هامش جواهر المعاني ١ / ١٦٩ .

" ادعوا ربكم تضرعا وخفية " (١)

فأين التضرع وأين الخفية في مثل هذه الأوضاع ؟

د) في الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون عند الذكر .

ولم يكتفوا بهذه الأوضاع المبتدعة والشروط المنكرة في الذكر ، بل يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون عند مجلس ذكرهم جسدا وروحا ، وهو كما يعتقد البوذيون في بوذا أنه يحضر عند ذكر تراتيله كما تقدم . (٢)

قال صاحب كتاب " الدرر السنية " (٣)

" قال سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه : إن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون لقراءتها (أي الوظيفة) عند السابعة منها ، وفي جواهر المعاني وغيره من كتب الطريقة ، إذا ذكرها الواحد من أهل هذه الطريقة منفردا أو في جماعة كما هو الشأن يحضره النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، ويستمر حضورهم معه ما دام يذكرها الى أن يفرغ منها ، وهو كما عرفته يقرأ اثنتى عشرة مرة في الوظيفة ، فيكون حضوره صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه الأربعة رضي الله عنهم من السابعة الى ختم الوظيفة بلا شك ، والحضور المذكور هو بالأرواح والذات كما أخبر

(١) الأعراف ٥٥ (٢) انظر صفحة ٣٧٢ .

(٣) صفحة ١٩ .

سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه .

وأورد ما قال صاحب المنية :

ومن تلا جوهرة الكمـــال (١) xxx سبعا يكون سيد الأرســـال

والخلفاء الراشدون الأربعة xxx مادام ذاكرا لها بعـد معـه

وذلك بالأرواح والذوات xxx وليس للمنكـر مـن نجـاة

ثم قال : وهذا الحضور من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفـاء الأربعة رضي الله عنهم حاصل للذاكر قطعا ، ولا يبحث عن الكيفية فـي ذلك ، لأنه من باب خرق العادة ، والتسليم لذلك أسلم " .

وهذا الزعم مخالف للشرع والعقل إذ لم يرد في القرآن شيء يدل على حضور النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وذاته بعد موته في الدنيا ، وكذلك لم يرو شيء من السنة المطهرة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قدمات . قال تعالى : " إنك ميت وإنهم ميتون " (٢)

---

(١) انظر نص هذا الورد في كتاب التجانية ٢٦١ ، ٢٦٢ .
وقد زعم التجانيون أن جوهرة الكمال من إملاء الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ أحمد التجاني يقظة لا منامـا . فمن فضلها الذي ذكره الشيخ أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات ، وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعـة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها ، ولا يفارقونه حتـى يفرغ من ذكرها .... وغير هذا من الفضائل المزعومة . انظـر جواهر المعاني ٢/ ٢٢٨ والدرر السنية ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) الزمر ٣٠

فادعاء حياته أو حضوره بعد موته قبل يوم القيامة مستحيل ،وهكذا شأن غيره من الخلفاء وغيرهم ، أما ما ورد في أن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذلك الشهداء ،أو ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تردّ عليه روحه حتى يردّ السلام على من سلم عليه.(١) فان تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة ،ولذا يقتصر في شأنها على ماورد في النصوص .

أما الادعاء بأن هذا من الكرامة وخرق العادة فادعاء باطل. لأن الله لا يكرم أحدا بما يخالف النصوص الشرعية الثابتة من الكتاب والسنة .

هـ) في الذكر والمراقبة على طريقة التنفس

ومما يشبه البوذية في هذا الموضوع أنهم يمارسون الذكر على طريقة التنفس أو مراقبة الأنفاس ،وهي طريقة معروفة عند الرهبان البوذيين في رياضاتهم " سمادهي " . (٢)

وقد تسربت هذه الطريقة في بعض الصوفيين فاستحسنوها وجعلوها طريقة من طريقة ذكرهم.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك ماذكر صاحب رسالة الحلواني تحت عنوان " آداب الذكر " (٣)

" وأن يزمّ نفسه (بفتح الفاء) في سكوته مرارا من ثلاثة

(١) رواه أبو داود (انظر عون المعبود ٦/ ٢٦ الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ المكتبة السلفية ، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٥٢٢ .)

(٢) راجع صفحة ٣٠٥ وأيضا ٣٦٥ .

(٣) صفحة ٣٤ .

الى سبعة الى أكثر بحسب قوة عزمه ، وأن يملك نفسه بقوله جهرا " لا اله الا الله " وهذه السكتة بآدابها كالمجمع على وجوبها عندهم فإنها أسرع الى تنوير البصيرة ، وكشف الحجب ،وقطع خواطر النفس والشيطان " .

وقال في آداب عند ختم الذكر (١) :

" وأن يسكت عقب ذلك مطرقا رأسه ، غاضا بصره ، واضعا يديه على فخذيه . وأن يسكن في سكوته لعل واردا يرد عليه ، فيعمر وجوده في لحظة ما لا تعمره المجاهدة في أكثر من ثلاثين سنة . فان للذكر واردات ترد بها الملائكة على قلب الذاكر ، ولا يتمكن الوارد من القلب الا بذلك فيتمهل حتى يتم ويتمكن".

ومن الأمثلة أيضا ما ذكر صاحب كتاب : الآداب العربية في شبه القارة الهندية . (٢) وهو يتحدث عن الكتب الهندية في التصوف فقال :

" ومن الكتب الهندية في التصوف " الرسالة في سلوك خلاصة السادات النقشبندية " . ألفها تاج الدين زكريا (١٠٥٠ هـ - ١٦٤٠ م) الذي ألف كثيرا من الرسائل في التصوف ....

وفي الفصل الثاني يشرح كيف يتحقق الاتحاد بالله ؟ ويقترح لهذه الغاية طريقين فقط : إما بملازمة الأولياء ، وإما بالذكر ، ثم

---

(١) صفحة ٣٣ .

(٢) ص ١٢٦ ، ١٢٧ والكتاب ألفه بالانجليزية : الدكتور زبيد أحمد وترجمه الى العربية وعلق عليه : الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي

يصف طرقا لرياضات الذكر في الطريقة النقشبندية وأهم شيء يلفت النظر في هذا هو عملية الشهيق والزفير ، فبعد أن يغلق المريد عينيه يكرر تمتمة باللسان من باطن الفم ، وأيضا يردد ذهنيا هذه الجملة " لا اله الا الله ".بحيث تبدأ الجملة ذهنيا بالشهيق وتنتهي بالزفير ".ا هـ

وقال الشاه ولي الله الدهلوي وهو يفصل تفصيلا دقيقا عن كيفية الذكر عند الطرق الصوفية . فذكر أن في الطريقة الجيلانية مايسمى بالذكر الخفي ومنها النفي والاثبات . وصفته إما كذكرنا في الجهر وإما بأن يكون مستيقظا مطلعا على أنفاسه ، فاذا خرج النفس بطبيعته مع غير قصده وإرادته ، قال مع خروجه " لا اله " بلسان القلب ،واذا دخل قال مع دخوله " الا الله " . قال الأكابر : وهذا بأس أنفاس ، وله أثر عظيم في نفي الخواطر وزوال حديث النفس.(١)

ثم تحدث عن الجشتية وهم أصحاب إمام الطريقة خواجه معين الدين حسن الجشتي . وذكر طريقة ذكرهم ، منها ما يسمونه بالذكر الجلي ،ولقن الشيخ تلميذه قائلا :

اجتهد أن لا يأتي عليك زمان الا وأنت ذاكر ... واعلم أن قلبك له بابان : باب فوقاني ،وباب تحتاني . أما الباب الفوقاني ففتحه بالذكر الجلي ، وأما التحتاني ففتحه بالذكر الخفي . فاذا أردت الذكر الجلي .... فاجلس جلسة الصلاة مستقبلة القبلة باجتماع

---

(١) انظر شفاء العليل ترجمة قول الجميل ٥٦ ،٥٧

العزيمة . ثم قل " لا اله الا الله " بالشدّ والمدّ ،واخرج القوة من داخل القلب ،واخرج لفظ " لا " من السرة ، ومدّدها الى المنكب الأيمن ولفظ " إلـه " من أم الدماغ . تشير بذلك أنك أخرجت حب من سوى الله تعالى من باطنك ، وألقيته خلفك ،فتنفس نفسا آخر ،فاضرب " الا الله " في القلب بالشدة والقوة . ويلاحظ المبتدئ نفي العبودية من غير الله تعالى ،والمتوسط نفي المقصودية ، والمنتهي نفي الوجود ..... واذا أردت بأس الأنفاس (مراقبة الأنفاس) فكن مستيقظا والفسا على أنفاسك ،فكلما خرج النفس فقل مع خروجه " لا اله " .كأنك تخرج محبة كل شيء سوى الله من باطنك ، واذا دخل النفس فقل مع دخوله " الا الله " ،كأنك تدخل وتثبت محبة الله في قلبك . قالوا: الركن الأعظم ربط القلب بالشيخ ،على وصف المحبة ، والتعظيم ، وملاحظة صورته ..... (١)

وتحدث من النقشبندية مثل هذه الطريقة في الذكر،وهو مايسمونه بالنفي والاثبات .فمن صفاته : أن يضم المريد شفتيه ، ويغمض عينيه، ويحبس نفسه في بطنه ،ويقول بالقلب " لا " يخرجها من سرته الى الأيمن ، ويمدّها حتى يصل الى منكبه ، ثم يحرك منكبه الى رأسه فيقول : " اله " ثم يضرب في قلبه بالشد " الا الله " قالوا : لحبس الأنفاس خاصية عجيبة في تسخين الباطن ،وجمع العزيمة ، وهيجان العشق ، وقطع أحاديث النفس ، ويتدرج في الحبس لئلا يثقل

---

(١) انظر: المصدر السابق ٨١ ،٨٢ .

عليه ، والمراد بالحبس غير المفرط ، وكذلك لعدد الوتر خاصية عجيبة فيقول أولا هذه الكلمة مرة في نفس واحد ، ثم يقول ثلاث مرات في نفس واحد ، وهكذا يتدرج حتى يصل الى واحد وعشرين مع المراعـــات على عدد الوتر .

ثم قال ولي الله الدهلوي : سمعت سيدي الوالد يقول : النفـي والإثبات أنفع للسلوك ، فالاثبات أفيد للجذب ، وصفته أن يخرج لفظة " الله " من سرته بالشد التام ، ويمدها حتى يصل الى أم دماغـــه ، مع الحبس والتدريج في الزيادة ، حتى أن منهم من يقولها في نفـــس واحد ألف مرة ، وقد رأيت امرأة من مخلصات سيدي الوالد تقولها ألف مرة في نفس واحد وأكثر من ذلك أيضا ، وسمعت من سيدي الوالد يحكي عن نفسه أنه كان في البداية يقول النفي والإثبـــات في نفس واحد مائتي مرة (١)

هذه هي طريقة الذكر عند الصوفية . ولا يفهمون معنى الذكر الا هذا ، فأين هذا من الغاية التي ذكرها الله سبحانه وتعالى كنتيجـة طبيعية للذكر في قوله تعالى : " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " (٢)

وقد تقـــدم ردنا علـــى مـــــــــثل

هذا فلا نعيده . والعجب من المحدث الكبير الشاه ولي الله الدهلوي الذي

---

(١) المصدر السابق ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ بتصرف وانظر أيضا الذكر على طريقة التنفس في المواهب السرمدية ٣١٦ ، ٣١٧ والسلسبيل المعين فـــي الطرائق الأربعين ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الرعد ٢٨ .

أورد هذه المبتدعات في كتابه ولم يرد عليها بشيء ؛ بل أيد بها كما تبين من كلامه السابق ، شأنه كشأن غيره من العلماء اذ لا أحد فوق الخطأ مهما بلغ في العلم ما عدا الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثالث ، في الحلول

عقيدة الحلول في البوذية

تقدم في البوذية (١) بعض الاشارة الى أن عقيدة الحلول أو التجسدّ الالهي (أواتار) (Awatar) ظهرت في البوذية في المذهب الجديد (مهايان) (Mahayan) ، وانتشر هذا المذهب قبل الاسلام في شمال الهند ، وفي فارس ، وفي كثير من بلاد آسيا الوسطى ، وقد اعتقد أصحاب هذا المذهب في شخص بوذا بأنه صورة من الإله تجسد فيه لينقذ الناس من آلام الحياة . كما اعتقد النصارى في شخص المسيح بأنه مجسّد فيه الله سبحانه أو بحلول اللاهوت في الناسوت فيه ليكون فداء للناس من ذنبهم الأول ، غير أن البوذيين أتباع هذا المذهب زادوا على النصارى بقولهم : إن الطبيعة الإلهية قد تحل في الطبيعة البشرية اذا كانت مستعدة لها .(٢) فكل انسان يستطيع أن يرتقي الى مرتبة بوذا بأن يجاهد نفسه ويهذبها من رغبات العالم ومن صفات البشرية ، فعند ذلك يتجسد فيه الاله ، ويتصف بصفاته ،وينقذ غيره بالمعرفة .(٣)

ومن نصوص مذهب " مهايان " التي يستدل بها في هذا الصدد :

==========

(١) راجع قضية الألوهية عند بوذا واتباعه ، وأيضا المذاهب في البوذية . صفحة ١٧٨، ٤٠٧ .

(٢) بوذية مهايان ٦١ والفلسفة الهندية ٢٨١

(٣) انظر المذاهب البوذية ٢١٢ ، ٢١٣ والفلسفة الهندية ٢٨٢ .

قال بوذا : " إن الشخص يقدر على رفع مصيره حتى مستوى الآلهة، أو يخفضه حتى الدرك الأسفل. من يرتفع يقدر على الهبوط، ومن يهبط يستطيع الصعود ... : " الحق أقول لكم ، إني في حياتي هذه قد دخلت " نرفانا "، واضمحلت حياة " خوتاما " (Goatama)، وتخلصت من الذات بحلول الحق فيّ . إن هذا الجسد الذي ترونه هو جسد خوتاما " فسيفنى في وقت ما ، أما الحق فلم يفن إنه يبقى وسيحل في كل بوذا المستنير (بودهي ساتفا) (Buddha Satwa) (١). ومن هنا أصبح هدف البوذيين (مهايان) الوصول الى رتبة " بوذا المستنير " وقد أثبتوها لأشخاص عديدة من قديسيهم . (٢)

ويبدو لي أن هذه العقيدة المهايانية هي التي تسربت في النصارى، فوصفوا المسيح كما وصف البوذيون بوذا . كما تسربت فيما بعد في بعض الفرق الضالة في الاسلام ، مثل الروافض، والقرامطة

---

(١) بوذية مهايان ١٤١، ٢٤٢، وكلمة " بودهي ساتفا " تعني بوذا المستقبل . وقد فسر المذهب الجديد بأن المراد بالحق هو الإله الذي يسمونه " براهمات ساتجا " (Brahmat Satja) وفسر المذهب القديم بأن المراد هو : دهارما (Dharma) أي التعاليم والشرائع .

(٢) ذكر بعض المراجع البوذية اثنين منهم : أحدهما يدعى بوذا " مانشوسري " (Manshusri) والآخر يدعى بوذا "سرى آريا" (Sri Ariya) ولم يذكر الفترة التي عاشا فيها . انظر المذاهب في البوذية ٢١٥ .

والاسماعيلية ، وغيرها .(١) وفي بعض الفرق الصوفية التي نحن بصدد الكلام عنها .

عقيدة الحلول في الصوفية

ظهر مذهب الحلول بين الصوفيين في القرن الثالث للهجرة بعد ما مهّد له أبو يزيد البسطامي الفارسي (ت ٢٦١ هـ) بنظرية الفناء التي تقدم تفصيلها . وكان من أشهر المتصوفة القائلين بالحلول والمصرحين به الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩) الذي قال أبياته المشهورة .

سبحان من أظهرنا سوتُه (٢) xxx سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا xxx في صورة الأكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه xxx كلحظة الحاجب بالحاجب (٣)

إنّ هذه الأبيات واضحة في أن الحلاج آمن بثنائية الطبيعة الإلهية : باللاهوت والناسوت . وآمن بحلول اللاهوت في الناسوت حتى ظهر الإله

(١) ذكر عبد القاهر البغدادي أصناف الحلولية ، وحصرها في عشر فرق . انظر : الفرق بين الفرق ٢٤١ – ٢٥٠ .

(٢) تقرأ بالضم لأنه أدق في الدلالة على نظرية الحلاج . كما قال الدكتور أبو العلا عفيفي : " ضبطت كلمة ناسوته بضم التاء على أنها فاعل أظهر لأن الناسوت هو الذي يظهر سر سنا اللاهوت من حيث أنه المظهر الذي يتجلى فيه الحق . وهذه هي نظرية الحلاج " انظر : في التصوف الاسلامي وتاريخه ١٣٣ في الهامش .

(٣) تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٨/ ١٢٩ ، والبداية والنهاية : لابن كثير ١١ / ١٣٣ ، وتلبيس ابليس ١٧١ ، ومصرع التصوف ١٧٧ ، ١٧٨ . وقد ذكر الحلاج هذه الأبيات وأمثالها في كتابه " الطواسين " حققه المستشرق " ما سينيون " ونشره عام ١٩١٣ م في باريس ولم أتمكن من الانتفاع به في كتابة هذا المبحث .

ـ تعالى الله ـ في صورة الآكل والشارب .

وقد شرح الحلاج عقيدته الحلول كما شرحه البوذيون فقال :

" من هذّب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى الى مقام المقربين ، ثم لا يزال يعفو ويرتقي في درجات المعارفات حتى يعفو عن البشرية ، فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئا الا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى " (١)

فأعلن الحلاج هنا أن كل فرد من الناس قادر على أن يرتقي بمجاهدته الى رتبة " الإنسان المتأله " أو " الإنسان الكامل" في مصطلحات بعضهم .

وادّعى الحلاج لنفسه هذه الرتبة ، وزعم أنه صورة الإله القائمة على الأرض . ولهذا قال :

" أنا من أهوى ومن أهوى أنا xxx نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته xxx واذا أبصرته أبصرتنا "(٢)

==========

(١) الفرق بين الفرق ٢٤٨ ، والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/ ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) في التصوف الاسلامي وتاريخه ١٣٤ نقلا عن الطواسين للحلاج ١٣٤ ، وأورد السهروردي هذين البيتين في عوارف المعارف ٢٤١ كما أورد هما أبو نصر السراج في اللمع ٤٣٨ و ٤٦٣ مع وجود الاختلاف في بعض العبارات حيث ذكر في البيت الأول :
أنا من أهوى ومن أهوى أنا xxx فاذا أبصرتني أبصرتنا .
وفي البيت الثاني : نحن روحان معا في جسد xxx ألبس الله علينا البدنا .
والغريب أن السهروردي وأبا نصر السراج لم يحدّدا لهذين البيتين =

وقال في صورة أوضح :

" مزجت روحك في روحي كما xxx تمزج الخمرة بالماء الزلال

فاذا مسّك شيء مسّني xxx فاذا أنت أنا في كل حال "(١)

وروى عبد القاهر البغدادي " أنه ظفروا بكتب للحلاج الى أتباعه عنوانها : "من الهو هو رب الأرباب المتصور في كل صورة الى عبده فلان". فظفروا بكتب أتباعه اليه وفيها : ياذات الذات ومنتهى غاية الشهوات ، نشهد أنك المتصور في كل زمان بصورة ، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور. ونحن نستجير لك ، ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب ". (٢)

ومما روي عنه أيضا أنه دعا بهذا الدعاء :

" ياهو أنا وأنا هو ، لا فرق بيني وبين آنيتي وهويتك الا الحدث والقدم " (٣)

وقال : أنا الحق " (٤)

وبهذه المقالة الشنيعة أفتى علماء عصره بكفره ووجوب قتله ،فقتل

==========

= صاحبا مع أن معظم الروايات اتفقت على أنهما للحلاج ، ولعل السبب في ذلك دفع الريبة عن الحلاج أو إبعاد التهمة عنه .

(١) المصدر السابق ; وتاريخ بغداد ٨/ ١١٥ والبداية والنهاية ١٣٣/١١

(٢) الفرق بين الفرق ٢٤٨

(٣) جمهرة الأولياء ٢/ ١٧١

(٤) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٨٥ نقلا عن الطواسين ١٢٩. وانظر الفرق بين الفرق ٢٤٧ .

عليها سنة ٣٠٩ هـ عند جسر بغداد . ثم أحرق بالنار . وطرد رماده في دجلة . (١)

وقد اختلف شيوخ الصوفية في شأنه . فمنهم من قبله ، ومنهم من رده ، ومنهم من توقف في أمره .(٢)

ومن الذين قبلوه وأثنوا عليه أبو العباس بن عطاء البغدادي (٣) وأبو القاسم إبراهيم النصر اباذي (٤) وهو الذي قال : " ان كان بعد النبيين والصدقيين موحّد فهو الحلاج " (٥)

وأبو عبد الله محمد بن خفيف الذي قال فيه :" الحسين بن منصور عالم رباني " (٦)

---

(١) انظر محاكمة الحلاج وقتله في:الفهرست ٢٧٠ ، ٢٧١ ، والفرق بين الفرق ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٧ ، ١٢٨ ، والبداية والنهاية ١٣٣/١١ ١٣٩ - ١٤٤ .

(٢) انظر: كشف المحجوب ١/ ٣٦٢

(٣) اسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي من ظِرَاف مشايخ الصوفية وعلمائهم ، صحب الجنيد بن محمد ومن فوقه من المشايخ. كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه . مات سنة ٣٠٩ أو ٣١١ هـ . (انظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٢٦٥ ،والرسالة القشيرية ١٤٦/١ وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٤).

(٤) اسمه ابراهيم بن محمد بن محمويه . شيخ خراسان في وقته ، نيسابوري الأصل والمنشأ والمولد ، صحب أبا بكر الشبلي وغيره . مات سنة ٣٦٧ هـ أنظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٤٨٤ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٩٣ ،وكشف المحجوب ١/ ٣٧١).

(٥) تلبيس ابليس ١٧٢

(٦) طبقات الصوفية ٣٠٨ .

ومنهم أيضا الشبلي الذي صادق الحلاج، وشاهد مصرعه وصلبه، وقال :

" كنت والحسين بن منصور شيئا واحدا الا أنه أظهر وكتمت "(١)

وهذا دليل على أن الشبلي وكذلك أمثاله من الصوفيين اعتقدوا بالحلول، ولكنهم فضلوا الكتمان وعدم البوح به خوفا على أنفسهم.

وقد تأثر بالحلاج كثير من فلاسفة الصوفية بعده كابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) الذي أخذ فكرة الحلاج في الناسوت واللاهوت. لكنه اعتبرهما في نظريته عن وحدة الوجود وجهين لحقيقة واحدة متحققين في كل موجود من الموجودات .(٢)

وسلك هذا المسلك كثير من الصوفيين أمثال ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) ، وابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ) ، وجلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ)(٣) وعبد الكريم الجيلي (ت ٨٠٥ هـ) ، ومن على شاكلتهم .

ومن هؤلاء الصوفية من يعتقد في الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعتقد البوذيون في بوذا ، فيعتقد في محمد صلى الله عليه وسلم بأنه هو الانسان الكامل الذي تحققت فيه كل مظاهر الربوبية والألوهية ، وتجلت فيه كل أسماء الله وصفاته .

==========

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢١ ، والبداية والنهاية ١١/ ١٣٢

(٢) قارن : الفلسفة الصوفية في الاسلام : للدكتور عبد القادر محمود ٤٩٦

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي . عالم بفقه الحنفية ، والخلاف ، والعلوم . ثم تصوف ، وترك الدنيا والتصنيف ، وشغل بالرياضة ، وسماع الموسيقى ، ونظم الأشعار في كتابه " المثنوي " بالفارسية ، وتنسب اليه الطريقة " المولوية " (انظر الأعلام ٧/ ٣٠)

وقد قال بهذه النظرية " الإنسان الكامل " ابن عربي (١) ولكن الجيلي أوضحها أكثر في كتابه " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " (٢) قال :

" اعلم أن الإنسان الكامل (٣) هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي ،فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات ، والمشار الى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود الا الانسان الكامل .... والانسان الكامل أيضا مرآة الحق ، فان الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه وصفاته الا في الانسان الكامل " (٤)

فالإنسان الكامل عند الجيلي ومن معه ماهو الا صورة كاملة للذات الإلهية استمدت منها كل الموجودات .

وقال أيضا متحدثا عن محمد صلى الله عليه وسلم كانسان كامل :

" اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور

---

(١) انظر على سبيل المثال : شرح القاشاني على فصوص الحكم فص حكمة فردية في كلمة محمدية ٣٢٦ ، والفتوحات المكية ١/ ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) وقد عقد فيه بابا خاصا ، قال : الباب الموفي ستين في الإنسان الكامل : وأنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه مقابل للحق والخلق : انظر ٢ / ٧١ .

(٣) وقد قصد الجيلي بالانسان الكامل : الرسول صلى الله عليه وسلم . وجعل الباقين من الأنبياء ، والأولياء ، والكمل صلوات الله عليهم ملحقين به لتحقق الكامل بالأكمل . انظر ٢/ ٧٢ من كتابه " الإنسان الكامل "

(٤) الإنسان الكامل : ٢ / ٧٧ .

عليه أفلاك الوجود من أوله الى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود الى أبد الآبدين . (١)

وا لإنسا ن ا لكا مل فى نظره تمكّن من التصور بكل صورة ، ولما ظهر في صورة الشبلي ، قال الشبلي لتلميذه :

" أشهد أني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف ، فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله .....الى أن قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلي شأنهم ، ويقيم ميلانهم ، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم ".(٢)

وما أشبهت هذه العقائد الصوفية الخرافية بعقائد البوذيين (مهايان) الذين يقولون في إلههم بوذا بأنه يظهر في كل زمان في صورة " بودهي ساتفا " (Buddhi Satwa) المستنير لينجي الناس في زمانه من آلام الحياة .(٣)

ومما لا شك فيه أن مثل هذه العقائد لا يستطيع عاقل أن ينسبها الى الاسلام لمخالفتها له مخالفة صريحة . فالاسلام نهى عن الغلو في الأنبياء وفي محمد عليهم الصلاة والسلام ، وأكد أن النبي صلى الله عليه وسلم ماهو الا بشر كبقية البشر ، ورسول كبقية الرسل .

==========

(١) المصدر السابق ٢/ ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٢ /٧٤ ، ٧٥ بتصرف يسير

(٣) بوذية مهايان ٦٥ وقد تقدم الكلام عن هذا في قضية الألوهية والمذاهب في البوذية .

وقد أشار القرآن الى ذلك في آيات كثيرة .

كقوله تعالى : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد " (١)

وقوله تعالى : " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " (٢)

وأيضا قوله تعالى : " قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا "(٣)

وهكذا وصف الله جميع الرسل والأنبياء بأنهم بشر اختارهم لدعوة الناس اليه . ومقتضى كونهم من البشر أنهم ليسوا بآلهة ،وليس فيهم من صفات الألوهية شيء .

والانسان مهما بلغ في كماله فهو لا يتعدى كونه عبدا من عباد الله ومخلوقا من مخلوقاته ، ولا يمكن أن يرتقي الى مرتبة الألوهية في أي حال من الأحوال . كما يعتقد اليهوديون والنصارى وبعض الصوفية وغيرهم .

وقد أنكر القرآن الكريم مثل هذه العقائد وكفّر أصحابها في قوله تعالى :

" لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " (٤)

==========

(١) الكهف ١١٠

(٢) آل عمران ١٤٤

(٣) الاسراء ٩٣

(٤) المائدة ٧٢ .

وأيضا قوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثـــــة وما من إله الا إله واحد " (١)

كما أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على الغلاة الذين غلوا في مدحه فقال : " لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم إنما أنا عبـــد فقولوا عبد الله ورسوله ". (٢)

أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادّعوا فيه الإلهيّة ، وإنما أنا عبد الله ورسوله . فـــــعفو ني بذلك كما وصفني ربي . فقولوا : عبد الله ورسوله . (٣)

==========

(١) المـــائدة ٧٣

(٢) سبق تخريجه في صفحة ٣٨٦

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : للشيخ عبد الرحمن بن حســـن آل الشيخ . تحقيق : محمد حامد الفقي ٢٢٦ .

الفصل الثالث: علاقة الصوفية بالبوذية في العادات والتقاليد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: في لبس الخرقة والمرقعة

المبحث الثاني: في اتخاذ الشيخ

المبحث الثالث: في ملازمة الرباط

المبحث الرابع: في السياحة

المبحث الخامس: في التسول وترك العمل

الفصل الثالث : علاقة الصوفية بالبوذية في العادات والتقاليد

المبحث الأول : في لبس الخرقة والمرقعة

من العادات والتقاليد المتبعة لدى الصوفية لبس الخرقة أو المرقعة، وهي لباس مصنوع من قطع مختلفة من القماش حل محل لباس الصوف الذي كان يلبسه أوائل الصوفية.(١)

١) لبس الخرقة شعار للتصوف

جرت عادة الصوفية أن يلبسوا أتباعهم الخرقة المرقعة علامة على اندماجهم في الطريق ، ويعتبرونها شعارا لتصوفهم .

يقول الهجويري :

" اعلم أن لبس المرقعة شعار المتصوف " (٢)

ويصف المرقعة بأنها " سمة الصالحين ، وعلامة الطيبين ، ولباس الفقراء والمتصوفين ".(٣)

وأنها " قميص الوفاء لأهل الصفاء ،وسربال السرور لأهل الغـــــرور. ليتجرد أهل الصفاء بلبسها من الكونين ، وينقطعوا بها عن المألوفات ويحجب بها أهل الغرور عن الحق ، وينقطعوا بها عن الصلاح " .

ويقول :

"وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المريدين بأن يتحلوا بالمرقعات

---

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٧٨

(٢) كشف المحجوب ١/ ٢٤١ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٥٤

ويتزينوا بها ، وفعلواهم أيضا ذلك ،لتكون لهم علامة بين الخلق، ويكون الخلق رقباء عليهم ، فاذا خطوا خطوة على خلاف ،يطلقون فيهم لسان الملامة ، واذا أرادوا إتيان المعصية في تلك الثياب ،فانهم لا يستطيعون ، خجلا من الخلق " . (١)

٢) لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد

وقد ذهب السهروردي الى أن الخرقة رمز لمعنى أوسع وأعمق إذ جعل لبسها ارتباطا بين الشيخ والمريد ، وجعله علامة التفويض والتسليم ، فدخول المريد في حكم الشيخ هو دخوله في حكم الله وحكم رسوله ، وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

وقسم الخرقة الى خرقتين : خرقة الإرادة ، وخرقة التبرك ، والأصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الإرادة ، وخرقة التبرك تشبه خرقة الإرادة ، فخرقة الإرادة للمريد الحقيقي ، وخرقة التبرك للمتشبه، ومن تشبه بقوم فهو منهم (٣)

٣) لا تلبس الخرقة الا من يد الشيخ

وقرروا أن لا تلبس هذه الخرقة الا من يد شيخ الطريقة لأن يد الشيخ في لبس الخرقة - كما قال السهروردي -: تنوب عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله .

واستدل بقوله تعالى :

(١) انظر : المصدر السابق ١/ ٢٤٥

(٢) انظر : عوارف المعارف ٧٨

(٣) المصدر السابق ٧٩

" إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " (١)

ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة ، ويعرّفه حقوق الخرقة .(٢)

وفي هذا أيضا قال الهجويري :

" أما من يخلع على المريد المرقعة ، فيجب أن يكون مستقيم الحال ، قد اجتاز جميع عقبات الطريق ، وذاق طعم الأحوال ، وأدرك مشارب الأعمال ، ... ويجب أيضا أن يكون مشرفا على مريده .(٣)

وقال :

" ولا يستقيم لبس المرقعة عند الصوفية الا لطائفتين : أولاهما المنقطعون عن الدنيا ، والأخرى المشتاقون الى حضرة المولى .

وقد جرت السنة في عادات المشايخ على أنه عندما يتصل بهم مريد بحكم التبرك ، فإنهم يؤدبونه خلال سنوات ثلاث على معان ثلاثة ، فاذا أدى حقها ، والا قالوا : إن الطريقة لا تقبله . فسنة منها لخدمة الخلق ، وسنة ثانية لخدمة الحق ، وسنة ثالثة لمراعاة قلبه ....

فاذا توفرت هذه الشروط الثلاثة في المريد يسلم له بلبس

---

(١) الفتح ١٠

(٢) المصدر السابق

(٣) كشف المحجوب ١/ ٢٥٢

المراقبة على وجه التحقيق لا التقليد ." (١)

٤) من شروط لبس الخرقة

ومن شروط لبس الخرقة قال الهجويري :

" وشرط لبس الخرقة لبس الكفن . لأنهم يقطعون الأمل من لـذة الدنيا ، ويطهرون قلوبهم من راحتها ، ويقفون عمرهم كله على خدمة الحق جل جلاله ، ويبرأون تماما من الهوى ، ومن ثم يعزّ الشيخ المريد بالباسه الخلعة ، وهو يقوم بحقها ، ويجتهد تماما في أداء هذا الحق ، ويحرم على نفسه رفباتها ." (٢)

ومن شروط الخرقة أن يعملها الصوفي من أجل الخفة والفراغ ، وحيثما يتمزق شيء من الأصل يوضع فوقه رقعة . (٣)

وهنا يتبين التشابه الغريب بين هذه الخرقة الصوفية والخرقة البوذية في القديم التي كان الرهبان يرقعونها للدلالة على الفقر والمهانة كما تقدم .

٥) الخرقة الزرقاء

ويفضل المتصوفة الخرقة الزرقاء لأنها أرفق للفقير كما قال السهروردي (٤)

وقال الهجويري :

(١) المصدر السابق ١/ ٢٥١

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٥٢

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٤٦

(٤) انظر عوارف المعارف ٨١ .

" إن لبس الأزرق شعار أصحاب الوفاة والمصائب ، وهو لأنـــاس رداء الحزن ، والدنيا دار المحنة ، وخربة المصيبة ، ومفازة الغـــم وآفة المبتلين بالفراق ، وحصن البلاء ، فلما رأى المريدون أنهـــم لم يبلغوا مقصودهم في الدنيا لبسوا الأزرق ، وجلسوا في مأتـــم الوصال " (١)

غير أن استعمال هذا اللون في الخرقة ليس نظاما عند جميع الطرق فإنهم يتركون الحرية للشيخ في إلباس المريد ماشاء مـــن ألوان . (٢)

٦) بعض الحكايات الصـــوفية

هناك بعض الحكايات الصوفية التي تشبه الى حد كبير ماتقدم في البودية منها : ما يروي الهجويري قال :

" وجدت في حكايات العراقيين أنه كان هنالك اثنان مـــن الدراويش ، أحدهما صاحب مشاهدة ، والآخر صاحب مجاهدة ، لم يلبـــس أولهما طيلة حياته الا الخرق التي يمزقها الدراويش في السماع ، ولم يلبس الآخر الا الخرق التي يمزقونها في حال الاستغفار من ذنب (٣)

(١) كشف المحجوب ١/ ٢٥٠

(٢) انظر عوارف المعارف ٨٠
ويجدر بي أن أشير الى أنه يوجد بعض الطرق الصوفية في تايلاند ينتسب أصحابها الى الشاذلية ، وهم يقدسون الخرقـــة الخضراء ويجعلونها شعارا لطريقتهم ، فيلبسونها في منـاسبـــات مختلفة ، ويكفنون بها أمواتهم . واخترعوا لهذه الخرقة سلسلـــة متصلة الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) كشف المحجوب ١/ ٢٤٨ .

ويروي أن شيخه (١) لبس ثوبا واحدا لمدة ستة وخمسين عاما، وكان يضع عليه رقعا بلا تكلف.(٢)

ومنها ما يروي الهجويري أيضا قال: رأيت فيما وراء النهر شيخا من أهل الملامة (٣) لم يكن يأكل أو يلبس شيئا للآدمي فيه نصيب، فكان يأكل الأشياء التي يرميها الناس، ويتخذ ملابسه من الخرق التي يلتقطها من الطريق، ويطهرها ويضع منها مرقعة.(٤)

ويروي عبد الرؤوف المناوي أن أبا يزيد البسطامي كان اذا رآه الناس يتمسحون بمرقعته تبركا فلاموه على ذلك، فقال: هم لا يتبركون بي إنما يتبركون بخلعة ربي التي خلعها عليّ.(٥)

==========

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسن الختلي، من شيوخ الهجويري، قيل توفي سنة ٤٥٣هـ، وقيل غير ذلك. انظر: كشف المحجوب ١/ ٥٨ - ٦٠

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٧

(٣) ورد في كتاب جمهرة الأولياء (١/ ١٢٢): "الملامة: نعت لأبدال أهل الفتوة، واسم الملامية أو الملامتية أطلق على قوم يلومون أنفسهم مع حسن أحوالهم ونموها، وقد قال بعضهم: لا يبلغ الرجل شيئا من مقام القوم حتى تكون أفعاله كلها عند نفسه رياء وأحواله دعاوي. وسئل أحد شيوخهم مامراد القوم بالملامة؟ فقال تذليل النفس، وتحقيرها، ونهيها عن ما تسكن اليه من عمل أو شهرة، ومن ما يكون لها فيه راحة، خشية الركون ثم تحسين الظن بالناس وتحقير النفس وسوء الظن بها".

(٤) كشف المحجوب ١/ ٢٤٧

(٥) الكواكب الدرية ١/ ٢٤٥.

وقد أنكر ابن الجوزي على لبس المرقعات لأربعة أوجه: أحدها أنه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة. والثاني: أن يتضمن ادعاء الفقر وقد أمر الانسان أن يظهر نعمة الله عليه. والثالث: أنه اظهار للزهد وقد أمرنا ==

٧) أصل الخرقة كما يزعمون

يزعم الصوفية أن لبس الخرقة له أصل في الشرع . فمنهم من يرجع أصله الى إبراهيم عليه السلام . (١)

ومنهم من يرجع الى عيسى عليه السلام . (٢) وكل ذلك لا أساس له من الصحة .

ومن الصوفية من يرجع أصله الى الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أم خالد حيث ألبسها الرسول صلى الله عليه وسلم ثيابا فيها خميصة (٣)

==========

= بستره . والرابع : أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم . (تلبيس ابليس ١٨٩) .

(١) يقول السهروردي إن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد من ثيابه ، وقذف في النار عريانا ، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة ، وألبسه اياه ، وكان ذلك عنده ، فلما مات ورثه اسحق ، فلما مات ورثه يعقوب ، فجعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ ، وجعله في عنق يوسف ، فكان لا يفارقه ، ولما ألقي في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه تعويذ ، فأخرج القميص منه وألبسه إياه . (انظر: عوارف المعارف ٨٠)

(٢) روى الهجويري : أن عيسى عليه السلام كان يلبس مرقعة حين يرفع الى السماء . وقال أحد المشايخ : رأيته في النوم يتلبسك المرقعة من الصوف ، وكان يتلألأ من كل رقعة نور . (انظر: كشف المحجوب ١/ ٢٤٧)

(٣) انظر عوارف المعارف ٧٨ والحديث رواه البخاري بسنده عن أم خالد بنت خالد ؛ أتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال : من ترون نكسو هذه ؟ فسكت القوم قال : ائتوني بأم خالد ، فأتي بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : أبْلِي واخْلِقي . وكان فيها علم أخضر وأصفر فقال : يا أم خالد هذا سناه ، وسناه بالحبشية : حسن " . (صحيح البخاري ٤ / ٢٩ كتاب المغازي باب الخميصة السوداء .)

وهو استدلال غير صحيح ، وقد رد ابن الجوزي على هذا الاستدلال فقال : " وإنما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صبية، وكان والداها قد هاجرا الى أرض الحبشة ، فولدت لهما هناك أم خالد، ثم قدموا ، فأكرمها الرسول صلى الله عليه وسلم لصغر سنها . وكما اتفق فلا يصير هذا سنة ، وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم البأس الناس ، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم. ثمّ ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير، ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة ، فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في الحديث الذى تقدّم (١)

وعلى هذا فان لبس الخرقة على الوجه المعروف عند الصوفية لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس له أصل في الشريعة ، وإنما هي عادة صوفية متوارثة يتناقلها الخلف عن أسلافهم ، وفيها أثر من آثار البوذية كما سيأتي بيانه .

وزعم بعض الصوفية أنهم أخذوا لبس الخرقة عن الخضر عليه السلام (٢) ، أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وأسانيد

==========

(١) أنظر تلبيس ابليس ١٩١

(٢) انظر السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين ٣٤ ، ٣٥ ، ويعتقد ابن عربي أن الخضر كان يلبسها أولياء الله بيده . انظر الفتوحات المكية ١/ ٢٤٢ .

متصلة (١) ، ووضعوا الأحاديث لذلك ، فيزعمون مثلا : أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عليا رضي الله عنه الخرقة ، وأن عليا ألبسها الحسن البصري ، وأن الحسن البصري ألبسها الجنيد البغدادي سيد الطائفة ، وانتقلت منه الى سائر الصوفية (٢)

وأنكر ابن خلدون على هذا الزعم فقال :

" إنهم (أي الصوفية) لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم ، رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا ، والا فعلي رضي الله عنه لم يُختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال ؛ بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ، ولم يُختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة " (٣)

وقد سبق المحدثون بالحكم على هذا الزعم .

قال صاحب كتاب " أسنى المطالب " (٤)

==========

(١) انظر بعض السلسلة الصوفية في لبس الخرقة في : أسرار التوحيد لمحمد بن المنور . ترجمة : إسعاد عبد الهادي ٦٨ ، ومجموع الفتاوي لشيخ الاسلام ابن تيمية ١١/ ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) انظر: السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين ٤٩ وأيضا: مقدمة ابن خلدون ٣٢٣ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤٧٣ وأنظر أيضا صفحة ٣٢٣ .

(٤) صفحة ١٦٨ وانظر أيضا " تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث صفحة ١٤٥ ، (رقم ١٠٦١) ، وكشف الخفاء ٢/ ١٨٠ ، ١٨١ (رقم ٢٠٣٥) .

" حديث لبس الخرقة من الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي . قال ابن دحية وابن صلاح : إنه باطل ، وقال ابن حجر : ليس في شيء من طرقها ما يثبت ، ولم يرد عنه أنه ألبس الخرقة على الصورة المعهودة ، لا في صحيح ولا في ضعيف ، ولم يصح اجتماع الحسن بعلي ولا أخذه عنه باتفاق أهل الحديث ، ومن لبسها وألبسها منهم فإنما اعتمد على سندها من طريق الصوفية تبركا بهم لا من طريق أهل الحديث " .

٨) لبس الخرقة من أصول البوذية

ويبدو لي أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها بعض الطرق الصوفية يرجع أصوله الى الديانة البوذية . فقد تقدم أن من خصائص الرهبان البوذيين (بيهكشو) لبس الخرقة الصفراء ، وأنهم ألبسوها المريدين دليلا على انخراطهم في سلك الرهبنة ، وأخذوا عليهم عهد الوفاء والالتزام بحقوقها ، وقد اعتقد البوذيون بقداستها وجعلوها رمزا للرهبانية . (١)

وقد سبقني بهذا الرأي المستشرق جولدزيهر حيث يقول :

" ومما يدل أيضا على أثر العقائد الهندية أن المريد عندما يتم قبوله في الجماعة الصوفية يمنح خرقة تعتبر رمزا للفقر واعتزال الدنيا ، وقد أوجدت القصص الصوفية تبعا لأسلوبها ومنهاجها أصلا للخرقة في السيرة النبوية ، وربطت موضوعها بالنبي نفسه (على الله عليه وسلم) ..... ثم قال :

(١) راجع صفحة ٣٤٢ ـ ٣٤٤ .

" ولكن لا نستطيع أن نتجاهل أن الخرقة كرمز للإندماج في الجماعة الصوفية تشبه طريقة الإندماج في جماعة " البيهكسو " الهندية الذي يتم بتسلم الثوب ، ومعرفة القواعد والآداب التي يتحتم على المريد اتباعها " (١)

وهناك من الباحثين من أرجع لبس الخرقة الى التشيع لاتصال المباشربين المذهبين . (٢)

وهو رأي محتمل أيضا غير أنني أقول : إن لكل من التشيع والتصوف أثرا من آثار البوذية في هذه الخرقة ، لأن البوذية نشأت قبلهما بقرون ، وانتشرت في بعض المناطق الشيعية قبل الاسلام وبعده باسم السمنية كما بيناه .

---

(١) العقيدة والشريعة ١٦٣ ، ١٦٤

(٢) انظر : الصلة بين التصوف والتشيع : للدكتور كامل مصطفى الشيبي ٤٢٦ – ٤٣٢ .

المبحث الثاني : في اتخاذ الشيخ

ومن العادات الصوفية التي لها علاقة بالبوذية عادة اتخاذ الشيخ في الطريق ، فإن أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي هو أن يتخذ شيخا معينا له ليدله على الطريق .

يقول القشيري :

" يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا . هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . (١)

ويقول السهروردي عن أهمية الشيخ ومن رتبته التي تنوب عن النبوة قال : " فالشيخ من جنود الله تعالى ، يرشد به المريدين ، ويهدي به الطالبين " .

" ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء الى الله " (٢)

أي الذي وصل الى رتبة الشيخ هو الذي ينوب عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ويوضح هذا صاحب كتاب : الرماح " حيث قال :

" وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشايخ في كتبهم " أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته " (٣) .

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٧٣٥

(٢) عوارف المعارف ٧٣

(٣) وردهذا النص أيضا في كتاب " أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد : لمحمد بن أبي سعيد . ترجمة : اسعاد عبد الهادي قنديل ص ٦٥ .

فلا بد للمريد أن يتوجه الى شيخه بربط قلبه معه ، ويتحقق أن الفيض لا يجيء الا بواسطته ، وان كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد في كلهم ويدعو لهم ، لكن استمداده الخاص واستفاضته من روحانية شيخه وحده ، ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبي صلى الله عليه وسلم " : (١)

وقد ذهب الشيخ محمد أمين الكردي (٢) الى أبعد من هذا حيث جعل اتخاذ الشيخ عين اتخاذ الله . قال :

" إن طلب الشيخ هو عين طلبه تعالى : " وابتغوا اليه الوسيلة " (٣) الرفيق ثم الطريق . من لا شيخ له فالشيطان شيخه ... ثم قال: إن الشيخ مقصود ومطلوب . فالشيخ كالكعبة يسجدون اليها والسجود لله " (٤)

ومن آداب المريد في الصوفية موافقة شيخه بالقلب والجوارح ، فلا

==========

(١) رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرجيم على هامش جواهر المعاني ٢/ ١٥٢

(٢) هو محمد أمين بن فتح الله الاربلي الكردي . واعظ من أهل اربل ، تعلم بالازهر . وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ . له كتب منها المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية ، وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب . وغيرهما (انظر الأعلام ٦/ ٤٣)

(٣) المائدة ٣٥ وهذا استدلال غير صحيح لأن معنى الوسيلة في الآية هي القربة الى الله بالعمل الصالح لا بالشيخ .
والوسيلة أيضا درجة في الجنة وهي التي جاء في الحديث الصحيح في قوله عليه الصلاة والسلام : فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة (رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ١/ ٢٨٩ (رقم ٣٨٤) كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه) (انظر تفسير القرطبي ٦/ ١٥٩ وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٢)

(٤) المواهب السرمدية ٣١٣ .

انكار ،ولا مخالفة ، ولا سئوال لشيء مما يقوله ، أو يفعله ، أو يأمر به ، وجعلوا هذا من علامة صدق المريد .

روي أن بعض أصحاب الجنيد سأله مسألة ،فأجابه الجنيد، فعارضه في ذلك ،فقال الجنيد : فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون.(١)

وقيل: من قال لشيخه : لا : لايفلح أبدا . (٢)

فعلى المريد أن يستسلم لشيخه استسلاما تاما ، وأن يستمسك به تمسك الأعمى على شاطيء النهر بالقائد كما قال الغزالي ، بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ، ولا يخالفه في ورده ولا صدره ، ولا يبقى في متابعته شيئا ولا يذر " (٣)

وقال القشيري مبينا آداب المريد مع الشيخ :

" وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه ،لأن الخلاف للمريد في ابتداء أمره عَظِمُ الضرر ،لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره . وقال : ومن شرطه : أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه ... ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زرّه الا عن شيخه ، ولو كتم نفسا من أنفاسه عن شيخه ، فقد خانه في حق صحبته ، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه ، فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ،ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على

==========

(١) عوارف المعارف ٢٠١

(٢) المصدر السابق ٢٠٢

(٣) احياء علوم الدين ٣/ ٧٦ (في شروط الا رادةومقدّمات المجاهدة)

جنايته ومخالفته ، إما بسفر يكلفه أو أمر ما يراه " (١)

وهذا يشبه تماما ماتقدم في نظام الأديرة في البوذية ،حيث يقرّ المريد البوذي بذنبه ومخالفته بين يدي شيخه وجماعة الرهبان،ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه .

وذهب السهروردي الى أن المريد يصبح جزءا من الشيخ كما أن الولد في الولادة الطبيعية .(٢) وأن المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ ، وصحبه ، وتأدب بآدابه ، يسري من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج ..... وينتقل الحال من الشيخ الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ، ولا يكون هذا الا لمريد حصر نفسه مع الشيخ ،وانسلخ من ارادة نفسه ، وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه ،ولا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى ، ويفهم من الله كما يفهم من الشيخ .(٣)

والحديث عن مبالغة الصوفية في الشيخ ، وعن آداب المريد معه حديث طويل ، ولا أريد الإطالة بذكره ، فهو مفصل في كتبهم . غير أنني أقول إن اتخاذ الشيخ والخضوع له في الطريق عادة عرفت عند البوذية من قديم الزمان ، وهي من أهم القواعد لتربية مريديهم سواء كانوا من المترهبين أو المدنيين ، فلكل جماعة منهم شيخ

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٧٣٦ ، ٧٣٧ .

(٢) عوارف المعارف ٧٤

(٣) المصدر السابق ٧٨ .

معلوم يربطون به حيا وميتا .

والخلاف بين البوذية والصوفية في هذا الصدد ، أن البوذية تجيز للبوذيين اتخاذ شيخ أو شيخين أو أكثر حسب رغبتهم ، ويفضل البوذيون المدنيون اتخاذ عدة شيوخ ، فيضعون في بيوتهم تماثيل الشيوخ جنب تمثال بوذا ، ويعلقونها أيضا في عنقهم .

وهناك بعض صوفية المسلمين في تايلاند قلدوا البوذيين في هذا ، فيعلقون في بيوتهم وفي عنقهم صورة الشيخ تبركا به وتقديسا له . هذا بخلاف الصوفية الذين أوجبوا على المريد أن يتخذ شيخا واحدا لا يحيد ولا يلتفت الى غيره .

جاء في كتاب الرماح (١) هذا النص التالي :

" اعلم أن الاقتصار على واحد لا يتعداه الى غيره شرط لازم في طريق أهل الله .

ولابد لكل مريد صادق من التزامه ، والا فلا سبيل له الى الوصول البتة " .

وأيضا : " إنه لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحدة . ولا يتشوف ، ولا يلتجيء الى غيره ، ولا يزور وليا من الأولياء الأحياء والأموات " .

والبوذيون يختارون شيوخهم من كبار الرهبان ، لأنهم ممثلون شخص بوذا كما تقدم في نصوصهم (٢) ، ويفضلون أصحاب الرياضات

==========

(١) على هامش جواهر المعاني ١ / ١٤٢

(٢) راجع النص في موضوع خصائص الرهبان (في اللباس الأصفر) صفحة ٣٤٣ .

والمجاهدات الطويلة وأصحاب الخوارق والمكاشفات ،كما يختار الصوفية أيضا شيوخهم من أصحاب المجاهدات ومن أهل الكرامات والمكاشافات.

ولا ريْب أن اتخاذ الشيخ على هذا الوجه عند الصوفية ليس له أصل من القرآن والسنة . فشتان بين اتخاذ شيخ أو أستاذ أو إمام في دين الاسلام الصحيح وبين اتخاذ شيخ في الصوفية الذي هو التزام أبدي بطريقة خاصة وشيخ خاص يقدسونه حيا وميتا .

المبحث الثالث : في ملازمة الرباط

ومن عادات الصوفية أيضا ملازمة الرباط . وهو يطلق عند الصوفية على البيوت الخاصة المنعزلة التي يتجمعون فيها ، ويتربون فيها تحت إشراف مشايخهم ، ويقال له أيضا : " خانقاه " باللهجة الفارسية (١)

وقد بدأ انتشار الأربطة الصوفية منذ القرن الرابع الهجري، وازداد انتشارها بشكل ملحوظ في أوائل القرن الخامس حتى عمت جميع أنحاء العالم الاسلامي .

ويعزي الى أبي سعيد بن أبي الخير (٢) أنه أول من أسس نظام الرباط للصوفية ، فقد كان يعيش بين مريديه في عدد من الأربطة ووضع لحياتهم بها القواعد والأسس (٣)

وكان هناك في تلك الفترة عدد كبير من الأربطة والخوانق (٤) في خراسان ، والعراق ، ومصر ، وفارس ، وأنحاء كثيرة من ايران .

==========

(١) انظر الخطط للمقريزى ٢/ ٤١٤

(٢) هو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد المهني (٣٥٧ هـ - ٤٤٠ هـ) شاعر فارسي ،وشيخ من شيوخ الصوفية ،وهو من أكبر الشخصيات الصوفية التي عاشت في هذه الفترة ، وقد ترجم الهجويري له بأنه سلطان سلاطين المحبين وملك ملوك الصوفيين ، ويعتبر من أوائل المروجين لوحدة الوجود ، ومن أوائل شيوخ الصوفية في ايران الذين صاغوا عقائدهم وآراءهم نظما بالفارسية . (أنظر ترجمته في : أسرار التوحيد : لمحمد بن المنور . ترجمة : اسعاد عبد الهادي ١٣ - ١٧ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٧٩)

(٣) انظر : أسرار التوحيد : لمحمد بن المنور . ترجمة : اسعاد عبد الهادي ٥٨ ، ٦٣ ، وأيضا : في التصوف الاسلامي وتاريخه ٥٧ ، ٥٨

(٤) انظر: المصدر السابق ==

وقد وضع الصوفية نظاما معينا للحياة فيها يشبه نظام الرهبانية في البوذية والنصرانية ، وانتشر هذا النظام على أيدي رجال الطرق، كالعدوية ، والقادرية ، والرفاعية ، وغير ذلك من الطرق التي توالى ظهورها سريعا " (١)

وفي كتاب " عوارف المعارف " نجد تفصيلا دقيقا عن حياة الصوفية في الرباط ، فقد بوب السهروردي فيه أبوابا خاصة في فضيلة سكان الرباط ، وفي مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة ، وفي خصائص أهل الربط . (٢)

= وانظر أيضا : الخطط : للمقريزي ٢/ ٤١٤ – ٤٣٦ حيث ذكر عددا من الخوانق والربط والزوايا التي انتشرت في هذه الفترة في مصر . وأيضا : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : لآدم متز . ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ٢/ ٣٠ .

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ٥٨

(٢) انظر ص ٨١ – ٨٧ وهذا الكتاب هو المصدر الوحيد بين أيدينا الذي فصل هذه التفاصيل . ولم أجدها في الكتب الصوفية الأخرى، وخاصة الكتب التي ألفت قبله . والى هذا أشار المستشرق نيكلسون حيث قال:" لم يعم الزهد في العالم الاسلامي ، ولم يظهر فيه الربط والزوايا المنظمة الا في عصر متأخر ، لأن الشارح للكتب التي ألفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجري مثل : قوت القلوب : لأبي طالب المكي . وحلية الأولياء : لأبي نعيم، والرسالة : للقشيري . فلما يجد فيها إشارة الى هذه الربط والزوايا ." (في التصوف الاسلامي وتاريخه ٥٧)

وأذكر هنا بعض كلامه :

قال عن أصل الرباط :

" وأصل الرباط : ما يربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط ، فالمجاهد والمرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد . (١)

" فالرباط لجهاد النفس ،والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه " (٢)

" والرباط بيتهم (أي الصوفية) ومضربهم ، ولكل قوم دار والرباط دارهم ، وقد تشابهوا أهل الصفة في ذلك.(٣)

ووصف حياة الصوفية في الرباط فقال :

والرباط يحتوي على شبان ،وشيوخ ، وأصحاب خدمة ، وأرباب خلوة . فالمشايخ بالزوايا أليق ،نظرا الى ما تدعو اليه النفس من النوم والراحة ، والاستبداد بالحركات والسكنات .....

والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار ، لتكثر العيون عليه ، فيتقيد ، ويتأدب .....

وينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم ، فاذا تخلل أوقات الشبان اللغو والغلط ،فالأولى أن يلزم

==========

(١) عوارف المعارف ٨١

(٢) المصدر السابق ٨٢

(٣) المصدر السابق

الشاب الطالب الوحدة والعزلة ، ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ، ليحبس الشاب نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعني ، ويكون الشيخ في بيت الجماعة ، لقوة حاله ، وصبره على مداراة الناس ، وتخلصه من تبعات المخالطة .....

وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ، ولم يذق طعم العلم ، ولم ينتبه لنفائس الأحوال . وأن يجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله اليه فتشمله بركة ذلك ..... والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح ، وهي طريق من طرق المواجيد ، تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة . (١)

وقال عن شرائط ساكن الرباط :

" قطع المعاملة مع الخلق ، وفتح المعاملة مع الحق . وترك اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب ، وحبس النفس عن المخالطات ، واجتناب التبعات ، وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضا بها عن كل عبادة ، شغله حفظ الأوقات ، وملازمة الأوراد ، وانتظار الصلوات ، واجتناب الغفلات ، ليكون بذلك مرابطا مجاهدا " (٢)

فالجهاد في مفهوم الصوفية هو القعود في الرباط ، وحبس النفس ، وملازمة الأوراد ، وترك التكسب ، وهذا هو الجهاد الأكبر عندهم . أما الخروج الى المعركة لقتال العدو فجهاد أصغر.(٣)

---

(١) المصدر السابق ٨٣

(٢) المصدر السابق ٨٢

(٣) وأيد السهروردي هذا الرأي بحكاية عن بعض الصالحين : أنه =

واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم حين رجع من بعض غزواته " رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر " (١) وهـــو حديث فيه مقال عند علماء هذا الفن (٢)

يقول ابن الجوزي :

" أما بناء الأربطة فإن قوما من المتعبدين المانعين أتخذوها للانفراد بالتعبد ، وهؤلاء اذا صح قصدهم فهم على خطأ من ستـــة أوجه : وقال منها : إنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديـــرة ، وإنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج الى النكاح ، وإنهم جعلوا

==========

= كتب الى أخ (صوفي) له يستدعيه الى الغزو ، فكتب اليه : يـا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد ، والباب علي مردود . فكتب اليه أخوه ; لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين ، وغلب الكفار ، فلا بد من الغزو والجهاد . فكتب اليه : يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه ، وقالوا في زواياهم على سجاداتهم ; الله أكبر ; انهدم سور القسطنطينيـــة . (عوارف المعارف ٨٢)

(١) المصدر السابق وأيضا معجم المصطلحات الصوفية ١٠٩

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس : هو مشهور على الألسنة ، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في الكنى للنسائي ، وقال الحافظ العراقي : حديث ضعيف .
(انظر الدرر المنثرة في الأحاديث المشتهرة : للسيوطي ١٦٦ رقم ٢٣٣ ، واحياء علوم الدين ٣ / ٧ هامش رقم ٢ ، وانظر أيضـــا كشف الخفاء ١/ ٥١١ ، ٥١٢ رقم ١٣٦٢ .)

لأنفسهم علما ينطق بأنهم زهاد ، فيوجب زيارتهم والتبرك بهم .

وان كان قصدهم غير صحيح ، فانهم قد بنوا دكاكين للكوبسة[1] ، ومناخا للبطالة ، وأعلاما لاظهار الزهد ، وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش ، متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص ..... (٢)

وأقول إن الصوفية في ملازمتهم الأربطة يشبهون الرهبان البوذيين في ملازمتهم الأديرة ، فان من شروط الرهبنة كما تقدم ذكره ملازمة الأديرة ، بحيث لا يخرجون من حدودها الا في حالات مخصوصة . وقد وضعوا نظاما معينا للحياة فيها ، ويديرها شيخ من شيوخهم كما في الصوفية .

ورد في كتاب : تعاليم للرهبان ; (٣)

" لا يحسن لجماعة " بيهكشو " المبيت مع الناس (المدنيين) في بيوتهم ومساكنهم ، لأن البيوت لا تصلح الا لأهلها ، كما أن الأديرة لا تصلح الا لأهلها ، والراهب " بيهكشو " لا يخلو من حالين ، إما أن يسيح في الأرض ، وإما أن يلازم المعبد والأديرة " .

---

(١) الكوبة وقيل النرد وقيل الطبل .

(٢) تلبيس ابليس ١٧٥

(٣) صفحة ٩٢ .

المبحث الرابع : في السياحة

إن السياحة عادة من العادات المعروفة لدى الرهبان (بيهكشو) بل هي شرط من شروط رهبانيتهم . كما تقدم في نصوص ؛ تـــرى بيتاكا ؛ (١)

وقد نص هذا الكتاب بأن السياحة الرهبانية قسمان : سياحـــة خاصة لبعض الرهبان طوال مدة رهبانيتهم ، وسياحة عامة لكل راهب مرة في حـــياتـه الرهبانية ، ونص الكتاب بأن المقصود بهذه السياحة هو سياحة النفس لا سياحة الجسم ،وهو تجريد الشهوات من النفـــــس واستخراج الأثرة والأنانية منها . وروى عددا كبيرا من الرهبـــان المتقدمين الذين يؤثرون التنجول والسياحة . فلا يقيمون في مكان واحد. ولكن يسيحون في القرى والأرياف ، وفي الغابات . والكهوف ، والمقابـــر. ويقتاتون بما يقدم اليهم الناس ، أو بالنباتات والحشائش أحيانا .

إن السياحة على هذا المنوال معروفة أيضا عند بعض الصوفية خاصة المتقدمين ، فإن منهم من آثر السفر والسياحة على الاقـامـة ، فخرج الى البراري والصحاري والجبال بغير زاد ، وادعى بهذا الفعل التوكل .

قال السهروردي :

" اختلف أحوال مشايخ الصوفية ؛ فمنهم من سافر فـــي

(١) راجع الآداب والنظم في الرهبنة. صفحة ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بدايته وأقام في نهايته ، ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ، ومنهم من أقام ولم يسافر ، ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الاقامة " (١) وكان على ذلك الى أن اخرج من الدنيا. ومن هذا الصنف: أبو عبد الله المغربي (٢) وإبراهيم بن أدهم وغيرهم .(٣)

قال أبو الحسن المزين (٤) :

" حكم الفقير أن يكون كل يوم في منزل ،ولايموت الا بين منزلين " (٥)

أي : يكون في سياحة دائمة.

والسياحة الصوفية مقاصد . بيّنها السهروردي . فقال: من جملتها قطع المألوفات ، والانسلاخ من ركون النفس الى معهود ومعلوم ، واستكشاف دقائق النفوس ،واستخراج رعونتها ودعاويها ، ومنها استماع التسبيح من ذوات الجمادات ، والفهم من لسان حال القطع المتجاورات ، ومنها

==========

(١) عوارف المعارف ٨٧

(٢) اسمه محمد بن اسماعيل . كان استاذ ابراهيم الخواص وتلميذ علي بن رزين ، عاش مائة وعشرين سنة . كان عجيب الشأن لم ياكل مما وصلت اليه يد بني آدم سنين كثيرة ، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود أكلها . مات سنة ٢٩٩ هـ (انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ٢٤٢ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٤١ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥ ، وصفة الصفوة ٤/ ٣٣٦ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٥٩ .)

(٣) انظر الرسالة القشيرية ٢/ ٥٧١

(٤) اسمه علي بن محمد من أهل بغداد . صحب الجنيد وسهل بن عبد الله . توفي سنة ٣٢٨ هـ (أنظر ترجمته في طبقات الصوفية ٣٨٢ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٦٩)

(٥) اللمع ٢٥٠ .

ايثار الخمول واطراح حظ القبول . (١)

وأخبارهم في ذلك كثيرة . منها : ماروي عن إبراهيم الخواص (٢) : أنه لا يحمل شيئا في السفر (٣) . وأنه ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما ، وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله . (٤)

وحكي عنه (٥) : أنه مكث في البادية أحد عشر يوما لم يأكل شيئا .

وغير هذا من الحكايات التي تحكى في معرض المدح في كتبهم وما أكثرها وأطول بها .

وقد ذهب الغزالي الى أنّ التوكل له ثلاث مقامات . أعلاها : مقام الخواص ونظرائه . وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ، ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه ، أو تيسير حشيش له أو قوت ، أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك ، وأدناها : مقام المكتسبين . (٦)

==========

(١) انظر : عوارف المعارف ٨٧ ، ٨٨

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص من أقران الجنيد والنوري . وله في التوكل والرياضات حظ كبير ، مات بالري سنة ٢٩١ هـ (انظر ترجمته في الرسالة القشيرية ١/ ١٤٧ ، وحلية الأولياء ١٠/٣٦٥ ، وصفة الصفوة ٤/ ٩٨ ، والأعلام ١/ ٢٨ .)

(٣) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٧١

(٤) عوارف المعارف ٩٠

(٥) المصدر السابق

(٦) انظر : احياء علوم الدين ٤/ ٢٦٨ . (بيان أعمال المتوكلين)

فالصوفية لكي يحققوا المقام الأعلى في التوكل ، يخرجون الى البوادي والكهوف ، ويسيحون فيها بلا زاد ولا دابة ، اذ الموت جوعا فيها أعلى مقامات توكلهم .

روى أبو عبد الرحمن السلمي : أن رجلا قال لأبي عبد الله بن الجلاء (١) : ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد ؟ فقال : هذا من فعل رجال الله عز وجل . قال : فان مات ؟

قال : الدية على القاتل : (٢)

وقد عقب ابن الجوزي على هذه الرواية . فقال :

" هذه فتوى جاهل بحكم الشرع . اذ لاخلاف بين فقهاء الاسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد ، وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاص لله مستحق لدخول النار " . (٣)

وهناك آيات كثيرة ترد على هذا المسلك :

منها قوله تعالى : " ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " (٤)

---

(١) اسمه أحمد بن يحيى . أصله من بغداد ، أقام بالرملة ودمشق . وكان من جلة مشايخ الشام . صحب أبا تراب النخشبي ت ٢٤٥ هـ وذا النون المصري ت ٢٤٥ . وكان يقال : إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم : الجنيد ببغداد ، وأبا عثمان بنيسابور ، وأبا عبد الله بن الجلاء بالشام . (أنظر ترجمته في طبقات الصوفية ١٧٦ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٣١٤ ، والرسالة القشيرية ١/ ١٢٥ ، وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٣ ، وكشف المحجوب ١/ ٣٤٦ .)

(٢) طبقات الصوفية ١٧٨ وأورده أبو نعيم في حلية الاولياء ١٠/ ٣١٤ مع الاختلاف في العبارات .

(٣) تلبيس ابليس ٣٠٠

(٤) البقرة ١٩٥

وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم " (١)

والمسافر يجب أن يحذر بزاده من الموت جوعا وعطشا .

فالسياحة الصوفية على هذا الوجه المعروف ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ، ولا فعلها أحد من الصحابة والصالحين . وإنما هي عادة الرهبان والمتزهدين في الديانات الوثنية كالبوذية وأمثالها .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : وقد سئل عن حكم السياحة : " فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله ، ولا هو من دين الأنبياء .... وكذلك السياحة في البلاد لغير مقصود مشروع كما يعانيه بعض النساك أمر منهي عنه ، قال الإمام أحمد : ليست السياحة من الاسلام في شيء ، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين " . (٢)

وفي الحديث عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة : أن رجلا قال : يارسول الله ائذن لي بالسياحة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله " (٣)

أما السياحة التي وصف الله بها المؤمنين في قوله تعالى :

==========

(١) النساء ٧١ .

(٢) مجموع فتاوى ١٠/ ٦٤٢ ، ٦٤٣

(٣) رواه أبو داود (عون المعبود شرح سنن أبي داود ٧/ ١٦٤) (رقم ٢٤٦٩) واسناده حسن . لأن القاسم هذا تكلم فيه غير واحد كما قاله المنذري في : مختصر أبي داود ٣/ ٣٥٧ . قال الحافظ ابن حجر في التقريب : القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي صاحب أبي أمامة صدوق يرسل كثيرا من الثالثة مات سنة اثنتى عشرة .

" السائحون الراكعون الساجدون " الآية (١)

أو التي وصف بها أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

" عابدات سائحات ثيبات وأبكارا " (٢)

فالمراد بها : الصيام كما قاله العلماء والمفسرون (٣) ولا علاقة بينها وبين السياحة الصوفية المبتدعة .

يقول ابن كثير بعد سرد الروايات في معنى السياحة :

" وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض .والتفرد في شواهق الجبال . والكهوف.والبراري. فإن هذا ليس بمشروع الا في أيام الفتن والزلازل في الدين " (٤)

---

(١) التوبة ١١٢

(٢) التحريم ٥

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٤/ ١٥٦ ،١٥٧ والجامع لاحكام القرآن : للقرطبي ٨/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ وأنظر أيضا : مجموع فتاوي لشيخ الاسلام ابن تيمية ١٠ / ٢٦٣ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٥٧ .

المبحث الخامس : في التسول وترك الكسب

تقدم في البوذية أنّ الرهبان " بيهكشو " لا يكتسبون ، ولا يحترفون ، وإنما يعيشون بعطاء الناس ، ويقتاتون بما يتسوّلونه منهم ،وهذا عادة معروفة لديهم منذ عهد بوذا الى اليوم .

والتسول في البوذية كما نص في كتبهم حق شرعي لكل راهب " بيهكشو " ، بصفة تفرغه للرهبانية وانشغاله بها ، أما الكسب فعار عليه أن يقوم به ، والكسب الصالح المناسب لجماعة " بيهكشو" هو الكسب الطاهر : وهو التسول كما يقولون . (١)

وقالوا من فوائد التسول :

١) إن التسول تفريغ البال وقطع الأشغال التي لا تعين على المجاهدة ، فلا حاجة الى الطبخ ، ولا الى الحفظ والادخار .

٢) إن التسول يعين للمعطي على نيل الثواب .

٣) إن التسول بسط الرحمة والتعطف على جميع الحيوانات .

٤) إن التسول رياضة نفسية وبدنيّة معا .(٢)

هذا هو التسول عند البوذية وقد تقدم تفصيله .

التسول عند الصوفية

أما التسوّل عند الصوفية فله أمثلة كثيرة من كبارهم . وتحكى هذه الأمثلة في كتبهم على سبيل المدح وتحريض الناس على مثل ذلك.

(١) انظر: قوانين الرهبنة ١/ ٨٦ ، ٨٧

(٢) تعاليم للرهبان ٤٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ وأيضا " بوذا دهارما " ١٨٤

منها ماروى السهروردي : أن بعضهم رأى النوري (١) يمد يده ويسأل الناس، قال: فاستعظمت ذلك منه ، واستقبحته له ، فأتيت الجنيد وأخبرته ، فقال لي: لا يعظم هذا عليك ،فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة ،فيؤجرون من حيث لا يدري ".(٢)

ونقل من أبي سعيد الخراز (٣) أنه كان يمد يده عند الدالة ، ويقول : ثمّ شيء لله ؛

ونقل من أبي جعفر الحداد (٤) وكان أستاذا للجنيد : أنه كان يخرج بين العشائين ، ويسأل من باب أو بابين ، ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين . ونقل عن ابراهيم بن أدهم : أنه كان معتكفا بجامع البصرة مدة ، وكان يفطر في كل ثلاث ليال ليلة ، وليلة افطاره يطلب من الأبواب " (٥)

ومنها ما ذكر أبو نصر السراج : أن بعض الصوفية ببغداد لا يكاد أن يأكل شيئا الا بذل السئوال .(٦)

==========

(١) هو أبو الحسين النوري وقد سبقت ترجمته في صفحة ٤٤٠ .

(٢) عوارف المعارف ١٠٢

(٣) سبقت ترجمته في صفحة ٤٧٦ .

(٤) هو أبو جعفر الكبير الصوفي من أقران الجنيد ت ٣٥٧ ورويم ت ٣٣٠ وأبي تراب ت ٢٤٩ . وكان شديد الاجتهاد ، معروفا بالايثار من رؤساء الصوفية . انظر ترجمته في:حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٩ وتاريخ بغداد ١٤ / ٤١٢ .

(٥) المصدر السابق ٩٩

(٦) اللمع ٢٥٣

وذكر عن شيخ من الأئمة : أنه كان يصوم ، ويطلب لإفطاره كسرا من الأبواب[1]، ولا يأكل غيرها شيئا الى وقت إفطاره من الليلة الثانية .

وقد زعم بعض الصوفية أن التسول سبب في غفران الله ومرضاته .

روي عن ذي النون المصري قال : كان لي رفيق موافق دعاه الله اليه . ورأيته في منام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : بأي خصلة ؟ قال : أوقفني ، وقال : ياعبدي لقد تحملت كثيرا من الذل والمشقة من السفلة والبخلاء ، ومددت اليهم يدك ، وصبرت في ذلك ، وقد غفرت لك بذلك . [2]

وقد أجاز الصوفية التسول لعلل ثلاث قالها الهجويري :

الأولى : لفراغ البال .

والثانية : إنهم سألوا لرياضة النفس ، ليحتملوا ذل السؤال.

ويشقوا على أنفسهم ، ويعرفوا قيمة أنفسهم : ماذا يساوون بالنسبة لأي شخص ولا يتكبروا ؛

وحكى أن الشبلي حين جاء الى الجنيد قال له : يا أبا بكر إن في رأسك نخوة تجعلك تقول : أنا ابن حاجب حجاب الخليفة وأمير سامرا. ولن يتأتى منك أمر مالم تذهب الى السوق ، وتسأل كل من ترى حتى تعرف قيمة نفسك ، ففعل كذلك ، وكانت سوقه تزداد كسادا

==========

(١) المصدر السابق ٢٥٤

(٢) كشف المحجوب ٢/ ٦٠٥

كل يوم ، حتى وصل في نهاية العام الى درجة أن طاف بالسوق كله فلم يعطه أي أحد شيئا ، فرجع وأخذ الجنيد بذلك فقال له : يا أبا بكر ؛ اعرف الآن قيمة نفسك ، إنك لا تساوي لدى الخلق شيئا فلا تعلق قلبك بهم ، ولا تعتبرهم شيئا ، وكان هذا للرياضة لا للكسب.(١)

ومثل هذا ماقال الغزالي في الاحياء (٢) وكذلك ما حكاه أبو نصر السراج في اللمع (٣) وما روي عن أبي سعيد ابن أبي الخير في " أسرار التوحيد " (٤)

فالتسول ذل عند الصوفية ، ولذلك يؤدبون أنفسهم به . هذا بخلاف البوذية التي اعتبرت التسول عزا وشرفا للرهبان ، ويقولون : إن الطعام الذي تسوله راهب (بيهكشو) طعام شرف ، لأنه حق مشروع في مقابل ما اشتغل به من الرهبانية " (٥)

والثالثة : إنهم سألوا الخلق لحرمة الحق . فقد أدركوا أن جميع أملاك الدنيا وأموالها له ، وأن الناس جميعا وكلاء في الشيء الذي هو نصيبهم ، فرجعوا الى وكيله ، وسألوه ، وتحدثوا اليه ، ولأن يعرض العبد حاجاته على الوكيل يكون ذلك أقرب الى الاحترام والعزة من أن يعرضها على الله ، فسئوالهم للغير علامة الحضور والإقبال

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٦٠٤ ، ٦٠٥

(٢) ٣/ ٦١ (٣) ٢٥٣

(٤) ٤٩

(٥) تعاليم للرهبان ٣٧ وأيضا " بودادهارما " ١٩٤

على الحق ، لا الغيبة والإعراض من الحق ". (١)

هكذا قال الهجويري وقد رأى أن لجوء العبد الى الخلق في حاجاته أفضل من لجوئه الىٰ الله . وهو رأي مردود بقوله تعالى في كتابه العزيز : " واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان " (٢)

وقوله تعالى :

" واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما " (٣)

آداب التسول عند الصوفية

وللتسول عند الصوفية آداب يتأدب بها كل متسول ، وقد بينها الهجويري فقال :

" فآداب السؤال هي أنه اذا تحقق مقصد لا تكون أكثر سرورا مما لو لم يتحقق ، ولا ترى الخلق في الوسط ، ولا تسأل النساء وأصحاب الأسواق ، ولا تتحدث بسرك الا لمن يكون ماله موقوفا على حلال ، ولا تسأل ما استطعت من نصيبك ، ولا تجعل منه أسباب تجمل وسيادة ، ولا تصيره ملكك . وتكون على حكم الوقت ، ولا تخطر على قلبك حديث الغد حتى لا تؤخذ بالهلاك الأبدي ، ولا تربط الله عز وجل على شرك استجداءك ، ولا تجعل من نفسك عابدا ليعطوك شيئا عن طريق

---

(١) كشف المحجوب ٢/ ٦٠٥

(٢) البقرة ١٨٦

(٣) النساء ٣٢

ذلك ..... ثم قال: وهذا قليل من كثير مما يشترط في هـــذا الباب (١)

وقال أبو نصر السراج من آداب السئوال :

" ومن سأل الضرورة لم يأخذ الا ما لابد له من ذلك، فـان اعطوه الكثير فياخذ منه حاجته ويخرج الباقي " . (٢)

ولا يخفى التشابه بين بعض هذه الآداب وبين آداب التسول التي تقدم ذكرها (٣)

التسول حقيقة التوكل عند الصوفية

وقد ذهب الصوفية الى ما ذهبوا اليه من إيثار التســـول والاستجداء . لأنهم اعتقدوا أن التكسب ينافي التوكل . وأن التوكـــل الحـــقيقي لا يتم الا بالقعود وترك العمل والتكسب . وعلى هذا قال الشبلي :

" التوكل كدية حسنة " (٤)

والكدية كما ورد في القاموس: كل ما جمع من طعام أو شراب أونحوه.

والمراد: التسول . لأن التسول سبيل لما يجمع من الزاد .

ويقال : أكدى . أي : ألح في المسألة (٥) .

(١) المصدر السابق ٢/ ٦٠٦

(٢) اللمع ٢٥٤ .

(٣) راجع الآداب والنظم في الرهبنة البوذية . صفحة ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ١٢١

(٥) انظر: لسان العرب ١٥ / ٢١٦ .

وللمشـايخ الصـوفية أقوال كثيرة في هذا التوكل وترك الكسـب منها : ماروي عن ذي النون المصري قال :

" التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة " (١)

وقال :

" اذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء " (٢)

وروي عن أبي سليمان قال :

" من طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا " (٣)

وقال عن التوكل :

" لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط ولا جعلنا باب الدار غلقا مخافة اللصوص " (٤)

ومنها ماروي عن سهل بن عبد الله التستري قال :

" من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد " (٥)

ففرق بين السنة والتوحيد ، وجعل التكسب من السنة وتركه من التوحيد ، فمن عمل بالسنة فقد خالف التوحيد وأشرك فيه . وهو تفريق لم يقل به أحد من أهل العلم ، ولا يوجد مثل هذا التفريق

==========

(١) اللمع ٧٨ ،وعوارف المعارف ٢٣٧ ،وروى الكلاباذي مثل هذا القول عن سري السقطي انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢٦١.

(٣) قوت القلوب ١/ ٢٥٢ ، واحياء علوم الدين ٤/ ٢٢٩ ، وأيضا ٢/ ٢٤،

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٦.

(٥) احياء علوم الدين ٤/ ٢٧٠ (بيان أعمال المتوكلين)

الا في كتب الصوفية .(١)

ومنها ما روي عن أبي يزيد ،وقد قيل له : مانراك تشتغل بكسب ،فمن أين معاشك ؟

فقال : مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد ؟ (٢)

وغير هذا من الأقوال والحكايات التي تدعو الى القعود ،والتسول، والتواكل على الناس .

وقد ذهب الغزالي الى أن اهتمام الصوفي بالرزق وتركه التوكل غاية في الضعف والقصور ،فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب . وقال :

" فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين ،وهو بالعلماء أقبح ،لأن شرطهم القناعة ..... فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن، فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى ،لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة المعطي على نيل الثواب "(٣)

وهكذا أصبح التكسب وطلب الرزق عند الصوفية أمرا قبيحا يمنع من السير بالفكر الباطن .

أما القعود في البيوت وانتظار من يدفع اليهم الصدقات فأصبح أمرا مفضلا ، بل أصبح حقيقة التوكل عندهم .(٤)

==========

(١) انظر بعض أقوال الصوفية في هذا الصدد في اللمع ٢٥٩ وطبقات الصوفية ٤١٤ ، ٤١٥ وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٨ .

(٢) عوارف المعارف ١٠٣

(٣) احياء علوم الدين ٤/ ٢٧٥ (بيان توكل المعيل)

(٤) انظر المصدر السابق ٤/ ٢٦٨ (بيان أعمال المتوكلين)

الاسلام دين العمل

ولاشك أن مادعا اليه الصوفية مخالف لتعاليم الاسلام الصحيح، لأن الاسلام دين العمل ، وقد حث القرآن الكريم على العمل والكسب في آيات كثيرة منها : ـ

قوله تعالى : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " (١)

وقوله تعالى : " ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون " (٢)

ومنها قوله تعالى : " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (٣)

فربط في هذه الآية بين ملتطلبات الحياة في الأرض، من عمل، وكد ، ونشاط ، واكتساب ، وبين ذكر الله الذي لابد منه في أثناء ابتغاء المعاش ، وهذا هو التوازن الرائع الذي تتسم به تعاليم الاسلام .

وقد نهى الاسلام عن السئوال والتسول مادام المرء قادرا على الكسب ، وأكد أن اليد العليا خير من اليد السفلى (٤) وأن خير

---

(١) القصص ٧٣

(٢) يس ٣٥

(٣) الجمعة ١٠

(٤) مقتبس من الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة ماترك غِنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول . الحديث انظر : صحيح البخاري ٣/ ٢٨٦ (كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال) وانظر أيضا صحيح مسلم ٢/٧١٧ رقم الحديث (١٠٣٤) كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

ما أكل المرء من عمل يده .

ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " . (١)

وفي حديث آخر قال :

" لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه " (٢)

وهذا الحديث دل على قبح السؤال مع الحاجة ، وحث على الاكتساب. ولو أدخل على نفسه المشقة ، وذلك لما يدخل السائل على نفسه من ذل السؤال وذلة الرد إن لم يعطه المسئول ، ولما يدخل على المسئول من الضيق في ماله إن أعطى كل من يسأل . (٣)

ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال الا في أحد ثلاث .

ففي حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا قبيصة إن المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة (٤) فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله (٥) فحلت له المسألة حتى يصيب

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٦ كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده (٢) رواه البخاري ٢/٦ كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده وروا مسلم في كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس (رقم ١٠٤٢)

(٣) سبل السلام ٢/ ٦٣١ ، ٦٣٢

(٤) الحمالة : ما يتحمله الانسان من غيره من دية أو غرامة . والتحمل : أن يحملها عنهم على نفسه . انظر النهاية ١/ ٤٤٢

(٥) الجائحة : هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال ، وتستأصلها . واجتاحت : أي أهلكت . انظر النهاية ١/ ٣١١ ، ٣١٢ .

قواما من عيش .

ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا (١) من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة ! سحتا يأكلها صاحبها سحتا "(٢) (٣)

والكسب لا ينفي التوكل كما ظنه الصوفية ، لأن التوكل الصحيح هو السعي لطلب الرزق بما يقدر عليه العبد ، وتفويضه ما لا يقدر عليه الى الله تعالى ، والتوكل عمل القلب فلا ينافي حركة الجوارح في التعلق بالأسباب .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين ، ومع ذلك كان يلبس لأمة الحرب ، ويشاور الأصحاب (٤) ، وكان يتزود لما خرج الى الغار (٥) ، وكان يمشي في الأسواق للاكتساب حتى قال الكافرون كما حدث عنهم القرآن :

" مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق " (٦)

فلو كان التوكل ترك الأسباب لكان الرسول صلى الله عليه وسلم في

==========

(١) الحجا : العقل . وذوي الحجا : أي من ذوى العقل . انظر النهاية ١/٣٤٨

(٢) السحت : الحرام الذي لا يحل كسبه ، لأنه يسحت البركة : أي يذهبها . انظر النهاية ٢/ ٣٤٥ .

(٣) رواه مسلم ٢/ ٧٢٢ (رقم ١٠٤٤) كتاب الزكاة (باب من تحل له المسألة)

(٤) انظر صحيح البخاري ٤/ ٢٧٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم .

(٥) انظر المصدر السابق ٤/ ٢٠٨ كتاب الحيل باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ، ورواه أيضا مسلم في كتاب الايمان باب بدء الوحي الى رسول الله ١/١٤٠ رقم (١٦٠)

(٦) الفرقان ٧

هذه الأمور قد خرج من التوكل .

وفي الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه مرّ بقوم من القراء فرآهم جلوساً قد نكسوا رؤوسهم . فقال : من هؤلاء ؟ فقيل : هم المتوكلون . فقال : كلا . ولكنهم المتاكلون يأكلون أموال الناس . ألا أنبئكم من المتوكل . فقيل : نعم . قال : هو الذي يلقي الحبّ في الأرض ثم يتوكّلون على ربه عز وجل " (١)

وهذا هو التوكل الحقيقي المحمود الذي أمره الشرع ، والذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

أما التوكل الصوفي فما هو الا توكل على أصحاب الصدقات ، واعتماد على كرمهم وجودهم .

ولا نستبعد أن نشبه هذا النوع من التوكل بتوكل الرهبان (بيهكشو) في البوذية الذين يكسبون قوت يومهم من صدقات الناس ، ويعتمدون عليها في معاشهم . إذ الاحتراق بأي حرفة في رأيهم ينافي المجاهدة التي يشتغلون بها .

إن هذا النوع من التوكل ينافي عزة الاسلام وأهله ، وإنه كاف لهدم أي مجتمع يقوم على هذا المبدأ .

والاسلام يدعو دائما الى إعمار الارض لا تعطيلها ، ويدعو الى السعي والأخذ بالأسباب ، والى العمل والقوة ، ولا يدعو يوما

---

(١) الاكتساب في الرزق المستطاب : لمحمد بن الحسن الشيباني تحقيق محمود مرتوس ٢٤ .

من الأيام الى الخمول ، والكسل ، والبطالة ، وقد حث الاسلام على العمل للدنيا والآخرة معا .

قال تعالى : " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،ولا تنس نصيبك من الدنيا " (١)

وأكّد أن العمل للدنيا والعمل للآخرة لا يتنافيان ، وعلى هذا مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين ، ووصفهم بأنهم : " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار " (٢)

==========

(١) القصص ٧٧

(٢) النور ٣٧ .

الخاتمة

خاتمة البحث

وبعد أن منّ الله عليّ بالتمام أرى من المناسب أن أذيل الرسالة بذكر خاتمة للبحث أورد فيها أهمّ النتائج التي توصّلت اليها ، فأقول وبالله التوفيق :

(أ) ظهرت البوذية كإحدى الاتجاهات الفكرية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد نشأت بين أحضان البرهمية ، لكنّها أصبحت فيما بعد من أكثر الأديان الهندية أتباعا في العالم حيث يعتنقها الآن أكثر من خمسمأة مليون نسمة ، وتسود معظم البلاد في جنوب شرقي آسيا .

(ب) من خلال دراستي لقصّة حياة بوذا ونحلته البوذية أستنتج مايلي :

١) إن البيئة التي ظهر فيها بوذا بيئة وثنيّة مليئة بالخرافات والضلالات، وقد سادت الهنود في عصره الديانة البرهمية التي تحتوي على الكثير من الآلهة والمعتقدات ، وقد قسّمت البرهمية مجتمع الهند الى طبقات ، لكلّ طبقة ميزة خاصّة ، وجعلت بين الناس فوارق حادّة ، وطبقة " البراهمة " هي الطبقة العليا التي استبدّت جميع النفوذ والامتيازات، فقام بوذا بدعوته الى المساواة ،والغاء الطبقات، والى التخلّص من قيود البرهمية كلها .

٢) عاش بوذا عيشة ترف في أسرة ملكية ، ومالت نفسه الى الزهد بعد أن وقع في نفسه من الهموم والشكوك ، لما رآه في هذا العالم من الآلام والأحزان ، وقد زاد هذا الهمّ في نفسه حتى آلمه فرغب في اصلاح المجتمع ، والبحث عن مصدر هذه الآلام والأحزان. فترك منزل أسرته الى الغابات ، وترهّب ، وأخذ يجرّب عدّة تجربة للوصول الى غايته ، ثمّ أعلن أخيرا أنّه وصل الى درجة العلم الأعلى،ووجد طريق الخلاص الأبدي من مآثر الآلام والأحزان

وصار " بوذا " أي العارف والمستيقظ .

٣) أعلن بوذا أنه اكتشف الحقائق الأربع للكون والحياة . وهي : الألم ، ومصدر الألم ، وإعدام الألم ، والسبيل الى إعدام الألم . وادّعى أنه اكتشفها بجهوده الجبارة وتجاربه النفسية المختلفة ، ولم يدّع يوما من الأيام أنّه نبي أو إله ، لكنّ أتباعه بعده رفعوه الى درجة الآلهة وقدّسوه الى أبعد الحدود .

٤) سلك بوذا مسلك غيره من فلاسفة الهنود قبله في النظرة الى الكون والحياة فقد اعتبر الحياة ألما يجب مقاومته والفرار منه ، وأعلن أنّ الطريق الى ذلك هو اعدام الرغبات النفسيّة كلّها ، لأنّ الرغبات أو الشهوات في زعمه هي السبب لوجود الحياة وتكرارها .

وقد ركّز بوذا تعاليمه كلّها على اعدام الألم وكيفية التخلّص من الحياة واكتشف ما يسمّى بـ " نرفانا " أو الفناء الكلّي عن النفس وعن الدنيا وما فيها ، وافترض لهذا الفناء نظاما رهبانيا يتّبعه كلّ من أراد الوصول اليه من أتباعه .

٥) لم أجد في جميع تعاليم بوذا ما يتحدّث عن الإله والمعاد ، ومن هنا استبعدنا القول بنبوّته ، إنّه لم يعن بالإله وإنما يعني بالانسان وحده وإنّه هو الملجأ الصحيح الذي يلجأ الانسان اليه ، والخلاص عنده عمل شخصي بحت يخصّ الفرد بلا حاجة الى الالتجاء الى الاله المنقذ ، وعلى هذا أنكر بوذا معنى التوبة والقضاء والقدر ، والمعاد ، فالعالم عنده ما هو الا عجلة تدور معها الولادة والوفاة حتّى أبد الآبدين ، والانسان تتكرّر ولادته في هذا العالم مالم تتخلّص أرواحه من أدران الشهوات والرغبات ، أما الأرواح التي تخلّصت منها فانّها داخلة في " نرفانا " السعادة الأبديّة حسب زعمه .

٦) لقي بوذا نجاحا كبيرا في دعوة الناس الى مذهبه ، وأهمّ الأسباب في ذلك هي شخصيّته المثيرة والجذّابة ، ودعوته العالميّة التي لا تخصّ بقوم ولا عرق

على عكس ما عرف فى الديانة البرهمية المعاصرة له ، كما أنّ دعوته الى إلغاء نظام الطبقات من أهمّ أسباب نجاح دعوته ، لأنّ أهل الطبقات اعتنقوا البوذية تخلّصا من سلطان البراهمة ومن اضطهادهم واحتقارهم .

٧) انحطّت البوذية فى الهند حينا من الزمن فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، واستردّت البرهميّة قوّتها ، وأوشكت البوذية أن تنهار حتى جاء الملك أشوكا (٢٧٣ ـ ٢٣٢ ق م) فبعث فيها الحياة مرّة أخرى، وعمل على نشر البوذية داخل الهند وخارجها ، ومن هذا التاريخ انتقلت البوذية من مذهب هندى الى دين عالمي ، وأخذت تنتشر فى كلّ من سيلان،وبلاد شرق آسيا ، وفى نيبال ، وتركستان ، وفارس ، وما جاورها من بلاد آسيا الوسطى كما وصلت البعوث البوذية التبشيرية الى الشام ،والاسكندرية ، واليونان مما يحتمل أن تكون البوذية قد مهّدت السبيل هناك للمسيحية الرومانية لوجود كثير من العلاقات بينهما .

وبعد وفاة الملك أشوكا أخذت البوذية تضمحلّ ببطء حتى أفلت من الهند موطنها الأصلى تقريبا فى القرنين السابع والثامن بعد الميلاد . وبعد الفتح الاسلامى فى أوائل القرن الثامن الميلادى سقطت البوذية نهائيّا فى شمال الهند ، ولكنّها أخذت طريقها الى الشرق الأقصى،الى كلّ من بورما ، وتايلاند ، وكمبوديا ، ولوس، وفيتنام ، وأجزاء من الصين ، وكوريا ، ويابان . وقد سادت البوذية هذه المناطق كلها الى وقتنا الحاضر كديانة رسميّة لها .

٨) طرأت على البوذية بمرور الزمن تغيّرات عديدة ، وضمّت فيها روافد من مختلف العقائد والأمم التي اعتنقتها ، وقد كانت البوذية من الرحابة بحيث تتّسع لعقائد كلّ معتنق لها و متحوّل اليها .

وقد انقسمت البوذية الى فرق ومذاهب مختلفة ، واختلف كلّ منهما فى شخصيّة بوذا ، فذهب بعضهم الى أنّه إله متجسّد هبط الى العالم لانقاذه

من الشرور ، وذهب الآخرون الى أنّه بشر ولكنّه بمفته المتخلّص من صفات البشر كان أعلى من الإله ،فيقدّسونه الى أقصى الحدود ، كما يقدّسون كلّ من سلك مسلك بوذا من القدّيسين. وعلى هذا فقدتحوّلت البوذية من فلسفة أخلاقية وآداب وسلوك الى أكثر الديانة آلهة ومعبودات .

(ج) ومن خلال دراستى لتعاليم البوذية عموما أستطيع أن أستخلص عيوبها فيما يلى:

١) إنّها تقسّم الناس المتديّنين الى فرقتين :الرهبان والمدنيّين.وتفرّق بينهما فى التديّن حيث توجب على الرهبان التقيّدوالعمل بالآداب والسلوك التي تبلغ (٢٢٧) فقرة،بينما لم توجب شيئا على المدنيّين إلاّ على سبيل التطوّع ، إنّ هذه التفرقة جعلت المتدينين قطعة من المعبد ، وأدّت الى وجود طائفة معيّنة من رجال الدين يكتسبون بتديّنهم .

٢) إنّها ألغت الجانب الربّانى والعبادة من تعاليمها ، وهذا يعتبر فراغا كبيرا فى هذه الديانة ، لأنّ الإيمان بالإله اتجاه فطرىّ لا يخلو عنه كلّ انسان، واهمال هذا الاتّجاه يحدث اضطرابا ، وعلى هذا نجد أنّ أتباع بوذا من بعده ملأوا هذا الفراغ،فألّهوه ووصفوه بصفات إلهية .

٣) إنّ فى تعاليمها كثيرا من التناقضات ، والغموض ،والملابسات، ومن الأوهام ،والتخيّلات، يتمثّل ذلك فى تعاليم الأخلاق ، وتعاليم " كارما " والتناسخ ، و " نرفانا " . وهي ككلّ الديانات الوضعية قاصرة فى نظراتها لواقع الانسان والحياة ، وعاجزة عن تحقيق السعادة للناس وعن إصلاح ما فسد من أخلاقهم ، بل العكس إنّها تزيد المنحرف انحرافا والمفسد فسادا كما بيّنّاه .

٤) إنّ ماتدعو اليه البوذية هو قمع الشهوات والرغبات بجميع أنواعها ، ويتمثّل ذلك فى الرهبانيات التى وضعتها البوذية لمن أراد الوصول

الى الكمال ، فعلى الانسان فى البوذية لكى يبلغ الكمال أن يتخلّى عن كلّ روابطه ، عن المجتمع ، والأهل ، والملك ، وما أشبه ذلك، ويعيش حياة الروح والانعزال ، ويتسوّل ولا يعمل ، ويمتنع عن طيّبات الحياة ولذائذها كلّها .

ولاشكّ أنّ هذه الرهبانية مع تعارضها لفطرة البشرية وواقعيتها فانّها تدعو الى التخلّف والانحلال والدمار ، كما تتجلّى فيها الأنانية والنزعة العميقة للانفراد ، والاهتمام بالخلاص الفردى أكثر من التشارك مع الغير والجماعة ، وقد ترتّبت عليها مفاسد كثيرة كما بيّنّاه .

٥) إنّ الاسلام فى مقارنات الأديان يختلف عن الأديان جميعا : الأرضية والمنزّلة، بأنّه الدين الأخير الذى ظلّت أصوله ومصادره ثابتة موثّقة لم يتطرّق اليها تحريف أو تغيير .

وقد جاء الاسلام بالتوحيد الذى حرّر العقل البشرى من جميع الوثنيات ، من عبادة الآلهة الباطلة ، ومن عبادة الفرد ،ومن تقديس الرجال والأبطال، وما شابه ذلك .

وكان من تكريم الاسلام للانسان أن اعترف به كلّه كما فطره الله. جسمه وروحه وعقله وقلبه وارادته ووجدانه،فلم يغفل حقّ جانب من هذه الجوانب لحساب آخر .

إنّ الاسلام يأخذ دائما بفضيلة الوسط لا افراط ولا تفريط،فلا يحرّم الرغبة أو الشهوة،ولكن ينظّمها،ويدعو الى ممارستها فى إطار الضوابط التى تحمى الطبيعة البشرية من الانهيار والتحلّل .

وعلى هذا فلم يعترف الاسلام بالرهبانية، ولم يسمح بانشاء طبقة خاصّة متميزة تسمى بالرهبان أو رجال الدين، لأن كلّ مسلم رجال الدين وكلهم سواء أمام شرائع الله وأحكامه ، وأنّ الدين جزء من المجتمع وليس منفصلا عنه .

(د) ومن خلال دراستي لعلاقة الصوفية بالبوذية تبيّن لي ما يلي :

١) إنّ الصوفيّة فرقة دينية أخلاقية فلسفية تقوم على الزهد والتقشّف والانصراف الى الروح ، وتعتمد على أنواع من المجاهدات والرياضات ، وذلك للوصول الى الغاية ، وهي الاتصال بالذات الإلهية والفناء فيها .

٢) إنّ كلمة " صوفي " أو " تصوّف " لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم ولا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يسمع استعمال هذه الكلمة بمعناها المعروف إلّا في القرن الثاني الهجري والأرجح أنّه نسبة الى الصوف لأنّ قدماء الصوفية في الجملة يؤثرون الخشونة ومن مظاهرها لبس الصوف .

٣) نشأت الصوفية في الاسلام في القرن الثاني للهجرة ، وكانت ترتكز على ركنين أساسيين : الزهد ، وحبّ الله ، ثمّ تطوّرت بعد ذلك تطوّرا كبيرا وأصبحت فنّا مستقلّا وفكرا فلسفيّا مبنيّا على أصول أعجمية وتأويلات فاسدة للنصوص الشرعية .

وقد ظهرت مجموعة من كبار الصوفية ، واستطاع كلّ منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصّة وأتباعا مخصوصين ، وانتشرت هذه الطرق الصوفية في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي ، ولا زالت هذه الطرق الصوفية تؤدي دورها في تشويه سمعة الاسلام وافساد الأمّة الاسلامية في كثير من البلدان في وقتنا الحاضر .

٤) ثبت بالأدلّة التاريخية أنّ هناك مؤثرات خارجية عديدة أثّرت في فرقة الصوفية ، ومن بينها الرهبانية البوذية الهندية ، تلك التي تختلف عن خصائص التصوّر الاسلامي للكون والحياة .

٥) من الأشياء التى تشترك فيها الصوفية والبوذية : الحلول ، والفناء ، وصفة الطريق الى الفناء التى تتمثّل فى الرياضات النفسية وأساليب مجاهدة النفس ، كالخروج من الملك ، والتبتّل ، والجوع ، والصمت والخلوة ، وصفة الذكر والمراقبة ، و تشتركان أيضا فى اتخاذ الشيخ وتقديسه ، وفى لبس الخرقة ، والسياحة ، وملازمة الرباط ، وفى التسوّل وترك العمل .

وختاما نؤكّد بوضوح أنّ التصوّف ليس هو طريق الوصول الى الله ، بل هو فى الواقع والحقيقة انقطاع أسباب الاتصال بالله وبرسالته فى الدنيا والآخرة .

إنّ كتاب الله وسنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم قد رسما الطريق الصحيح للوصول الى الله ، ولم يكن الاسلام ينقصه وبخاصّة بعد أن يقول القرآن الكريم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا "(١)

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

---

(١) المائدة ٣

الفهارس المتنوعة

وتشمل :

١ فهرس الآيات القرآنية
٢ فهرس الأحاديث النبوية
٣ فهرس الأعلام والأشخاص
٤ فهرس البلدان والأماكن
٥ فهرس المراجع
٦ فهرس الموضوعات
٧ فهرس الخرائط

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
١ ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	٣٣٤ ، ٤٠٢
٢ ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	٠٠٩
٣ ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية	٥٥٢
٤ ـ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة	٤٥٠
٥ ـ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا	٢٩٨
٦ ـ ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب	٥٥٨
٧ ـ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	٢٢٦
٨ ـ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى	٢٢٠
٩ ـ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا	٢٢٥
١٠ ـ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله	٣١٦
١١ ـ ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض	١٦٠
١٢ ـ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين	١٣٣
١٣ ـ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم اليهم لا يرجعون	٢٧٨
١٤ ـ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون	١٤٥ ، ١٨٦
١٥ ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله	٣١٤
١٦ ـ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله	٥٧٤
١٧ ـ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٠٣٣ ، ٢٤٢
١٨ ـ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين	١٤٥
١٩ ـ إنك ميت وإنهم ميتون	٥٥٣
٢٠ ـ إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	٢٢١

الآيـة	الصفحـة
٢١ - إن يتّبعون الا الظن وما تهوي الأنفـــس	٣٨٠
٢٢ - أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعـامـا فـهم لـهـا ما لكون	١٦٠
٢٣ - حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون	٢٢٥، ٢٧٧
٢٤ - ذلكم الله ربكم لا إلـه الا هـو خالق كل شيء	٢٠١
٢٥ - زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين	٣١٤
٢٦ - رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله	٦١٣
٢٧ - السائحون الراكعون الساجدون	٦٠٠
٢٨ - سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أُشركوا بالله	٢٣٦
٢٩ - طاعة وقول معروف	٥٣٠
٣٠ - عابدات سائحات ثيّبات وأبكارا	٦٠٠
٣١ - فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض	٦٠٩
٣٢ - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى	٢٣٥
٣٣ - فانكحوا ماطاب لكم من النساء	٥٢٢
٣٤ - فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه	٤٥٠
٣٥ - فطرة الله التي فطر الناس عليها	١٣٢
٣٦ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي	١٣٢، ٥٦٩

الآيـة	الصفحة
٣٧ ـ قـل سبحـان ربي هل كنت الا بشـرا رسـولا	٥٦٩
٣٨ ـ قل لا يستوي الخبيث والـطـيّب	٥٠٨
٣٩ ـ قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مـولانـا	٢٣٣
٤٠ ـ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبـات من الـرزق	٤٠٠
٤١ ـ قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم	٢٢٠
٤٢ ـ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه	٢٤٠
٤٣ ـ كان النـاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشـرين ومنذرين	٠٠٧
٤٤ ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا	٢٤١
٤٥ ـ كنتم خير أمـة أخـرجـت للنـاس	٥٣٩
٤٦ ـ لا الشمـس ينبغي لها أن تدرك القمر	٢١٩
٤٧ ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة	٥٧٠
٤٨ ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريـم	٥٦٩
٤٩ ـ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم	٣١٤
٥٠ ـ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة	٢٢٦
٥١ ـ لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاؤن الا أن يشاء الله ..	٢٣٧
٥٢ ـ لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق	٢٢٧
٥٣ ـ لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ...	٢٢٥

الآيـة	الصفحة
٥٤ ـ ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلا يشكرون	٦٠٩
٥٥ ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	١٧٢
٥٦ ـ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب ...	٢٣٣
٥٧ ـ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق	٦١١
٥٨ ـ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها	٢٣١
٥٩ ـ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها	٢٣٠
٦٠ ـ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا	٤٠٠، ٦١٣
٦١ ـ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفّى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون	٢٢٥
٦٢ ـ وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين	٤٨٣
٦٣ ـ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	٢٤٢، ٤٠٣، ٦٠٥
٦٤ ـ وإذا ما غضبوا هم يغفرون	٣١٤
٦٥ ـ واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما	٦٠٥
٦٦ ـ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة	٥١٤
٦٧ ـ والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا	٢٢٠
٦٨ ـ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	٢٤٣
٦٩ ـ والذين آمنوا أشد حبا لله	٤٥٠
٧٠ ـ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون	٢٢٧
٧١ ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا	٢٦٧

الآيـــة	الصـفحـة
٧٢ ـ والله خلقكم وما تعملون	٢٢٦
٧٣ ـ وأما بنعمة ربك فحدّث	٥٣٠
٧٤ ـ وإن الظنّ لا يغني من الحق شيئا	١٧٨
٧٥ ـ وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم	٥٢٢
٧٦ ـ وإن من أمّة الا خلا فيها نذير	١٧٧
٧٧ ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون	٢٢٧
٧٨ ـ وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل	٢٧٧
٧٩ ـ والتين والزيتون	١٧٣
٨٠ ـ وجادلهم بالتي هي أحسن	٠٠٩
٨١ ـ وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا	٣١٤
٨٢ ـ وخلق كل شيء فقدّره تقديرا	١٩١
٨٣ ـ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل	١٧٧
٨٤ ـ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله	٣٣٩، ٤٠٢
٨٥ ـ وعصى آدم ربّه فغوى، ثم اجتباه ربّه، فتاب عليه، وهدى	٢٤٤
٨٦ ـ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون	١٤٥
٨٧ ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	٢٣٤
٨٨ ـ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	٤٣٧
٨٩ ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما	٥٠١
٩٠ ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك	٥٠٢

الآيـــة	الصفحة
٩١ – ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النســـاء ولو حرصتم	٣١٤
٩٢ – ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى	٢٤٤
٩٣ – ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	٥٩٨
٩٤ – ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن اللـــه	١٩٥
٩٥ – ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللـه	١٩٥
٩٦ – ولقد أرسلنا رســلا من من قبلك، منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك	١٥ ،١٧٧
٩٧ – ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاوذرية	٥٢٢
٩٨ – ولقد بعثنا في كل أمّة رســولا أن اعبـدوا اللـه ـــ واجتنبوا الطـــاغـوت	١٧٦
٩٩ – ولـقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحـــر ورزقناهم مـــن الطيبـــات	٢٧٥
١٠٠ – ولكل قوم هـــاد	١٧٧
١٠١ – وللـــه المثل الأعلى وهو العـــزيـز الحكيـــــيم	٣٧٨
١٠٢ – ولنبلونكم بشـيء من الخوف والجـوع ونقص مـن الأموال والأنفـس	٢٢٨
١٠٣ – ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنـــا	٢٧٨
١٠٤ – وله المثل الأعلى في الســموات والأرض وهو العزيز الحكيـــــم	٣٧٨
١٠٥ – وما أرسلناك الا رحمـــة للعـــالمين	٤١١
١٠٦ – وما أرسلناك الا كافـــة للنـــاس	٠٠٨

الآيـــة	الصفحة
١٠٧ ـ وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنـــه لا إله الا أنا فاعبـــدون	١٧٦
١٠٨ ـ وما أصابكم من مصيبـة فبما كسبت أيديكم ويعفو عـــن كثيـــر	٢٢٨
١٠٩ ـ وما الحياة الدنيا الا متاع الغـرور	٢٢٥ ، ٤٤٩
١١٠ ـ وما كان الناس الا أمة واحـدة فاختلفوا	٥٠٧
١١٢ ـ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل	٥٦٩
١١٣ ـ ومن احســن قولا ممن دعـا الى اللـه	٥٣٠
١١٣ ـ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها	٥٢٤
١١٤ ـ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيـــــه	٦٠٩
١١٥ ـ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا كتاب منيـر	١٨٥
١١٦ ـ ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب	٢٤٠
١١٧ ـ ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها	١٣٣
١١٨ ـ وواعدنا موسى ثلاثين ليلـةوأتممنا ها بعشـر	٥٣٧
١١٩ ـ وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريّا	١٦٠
١٢٠ ـ ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين	٤٨٣
١٢١ ـ يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا.	٢٤٣
١٢٢ ـ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم	٥٩٩
١٢٣ ـ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم	٤٠٠
١٢٤ ـ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	١٥٣
١٢٥ ـ اليوم أكملت لكم دينكم	٦٢١

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

	الحديث	الصفحة
١ ـ	أتى النبى صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ...	٥٧٨
٢ ـ	اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد	٣٨٦
٣ ـ	إنّ لجسدك عليك حقا وإنّ لعينك عليك حقا	٥٠٧
٤ ـ	إنّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه	٢٧١
٥ ـ	إنّ رجلا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : دلنى على عمل يعدل الجهاد	٥١٣
٦ ـ	إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ترد روحه حتى يرد السلام على من سلّم عليه	٥٥٤
٧ ـ	إنّ سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله	٥٩٩
٨ ـ	إنّك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة	٤٩٨
٩ ـ	إنّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه	٥١٨
١٠ ـ	إنّما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر	١٣٢
١١ ـ	إنّ المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة	٦١٠، ٦١١
١٢ ـ	إنّى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم	١٩٦
١٣ ـ	إنّى لم أبعث لعّانا وإنّما بعثت رحمة	٤١١
١٤ ـ	أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيئ	٣٩٨
١٥ ـ	جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى	٣٩٧
١٦ ـ	خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ	٥٢٠، ٥٢١
١٧ ـ	دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة	٥٢٣
١٨ ـ	رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر	٥٩٣
١٩ ـ	ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل .	٣٩٧
٢٠ ـ	ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم	٥٤٢

الحديث	الصفحة
٢١ ـ صم وأفطر وقم و نم فإنّ لجسدك عليك حقّا	٥١١
٢٢ ـ فمن سأل لى الوسيلة حلّت له الشفاعة	٥٨٤
٢٣ ـ قلّة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين	٥٢٠
٢٤ ـ كان الرسول على الله عليه وسلم يتزوّد لمّا خرج الى الغار ..	٦١١
٢٥ ـ كان الرسول على الله عليه وسلم يلبس لأمة الحرب	٦١١
٢٦ ـ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض ..	٢٣٦
١٢٧ ـ لا تُطْرونى كما أطْرت النصارى بن مريم	٥٧٠،٣٨٦
٢٨ ـ لاتواصلوا	٥١١
٢٩ ـ لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير	٦١٠
٣٠ ـ لكل نبى رهبانية ورهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله	٣٩٩
٣١ ـ لوكان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا	٣١٥
٣٢ ـ ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده	٦١٠
٣٣ ـ المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف	٥١٤
٣٤ ـ ما منكم أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة	٢٣٥
٣٥ ـ ما من مولود الا يولد على الفطرة	١٩٧
٣٦ ـ مرّ رجل من أصحاب رسول الله على الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة	٥٤٣
٣٧ ـ مره ، فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه	٣١٥
٣٨ ـ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	٥٤٢
٣٩ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت	٥٣٠
٤٠ ـ نعم المال الصالح للرجل الصالح.....	٥٠١
٤١ ـ نهى الرسول على الله عليه وسلم إضاعة المال	٥٠١،٤٩٨
٤٢ ـ وفى بضع أحدكم صدقة	٣١٦

الحديث	الصفحة
٤٣ ـ هلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك	٥٢٤
٤٤ ـ ياأيها الناس إياكم والغلو فى الدين	٣٨٦
٤٥ ـ ياعثمان إنى لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سنتى	٣٩٨
٤٦ ـ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٥٢٣
٤٧ ـ اليد العليا خير من اليد السفلى	٦٠٩

٣ ـ فهرس الأعلام والأشخاص

الأعلام والأشخاص	الصفحة
(أ)	
ابراهيم عليه السلام : ١٧٣ ـ ٢٢٠ ـ ٣٣١ ـ ٥٧٨	
ابراهيم بن أدهم : ٤٥٠ ـ ٤٦٣ ـ ٤٨٥ ـ ٥١١ ـ ٥١٥ ـ ٦٠٢	
أجاتستروا : ٦٣ ـ ٦٤	
أحمد التجاني : ٥٥٢	
أحمد بن حنبل : ٥٩٩	
أحمد بن خضرويه البلخي : ٤٦٣	
أحمد شلبي : ١٢ ـ ١٠٤ ـ ١٣٠ ـ ١٥٢ ـ ٣٥٧ ـ ٤١٨ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٧	
آدم عليه السلام : ٢٣٩ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤	
ادوين فارس : ١٨٩	
ألاراكاراما : ١٠٣	
أرسطو : ١٢٢ ـ ١٩٥	
أريان بيمكشو : ٤٢	
أساساشي : ١٠٦	
الأشنوي : ٤٨٣ ـ ٥٢٧	
أشوكا : ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٦٤ ـ ٨٩ ـ ٢٤٩ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٧ ـ ٤٣٣	
أفلاطون : ١٢٢	
آناندا : ٦ ـ ٦٧ ـ ١١٢ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٥٢ ـ ٤١٠	
أنس بن مالك : ٣٩٧ ـ ٣٩٨	
أنور جندي : ٣٩٣	
أبوأمامة : ٥٩٩	
أوبالي : ٢٦	
أوتاكاراما بوترا : ١٠٣	
أوريجين : ٣٣٠	
أيوب عليه السلام : ٤٣٠	
(ب)	
باتانجالي : ٧٩	
باتيبا : ١٠٦	
باريفازا : ٣٣٠	
باسين تي : ٦٣	
بانيانا ناندا : ٣٩ ـ ١٨٤ ـ ٢٩٢	
البخاري : ٣٩٧	
براماتما : ٧٦ ـ ٧٨ ـ ٢٠١ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨	
براهما : ٧١ ـ ٧٤ ـ ٧٨ ـ ٨٤ ـ ٩١ ـ ١٧٠ ـ ٢٠٦	
براهماساتجا : ١٧٩	
برميثور : ٢٥	
بشر بن الحارث الحافي : ٤٥٣ ـ ٥١٦	
بطرس : ٣٣٥	
أبوبكر شلبي : ٤٤١ ـ ٤٥٢ ـ ٥٣٢ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٨ ـ ٥٨٠ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٤ ـ ٦٠٦	
أبوبكر الفارسي : ٥٢٦	
أبوبكر الوراق : ٥٣٤	
البلاذري : ٤٣٠	
بمبيهارا : ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٦ ـ ١٠٣ ـ ٣٤٣	
بودها بين يو : ٣٧	
بودهي ناندا : ٣٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٥٦ ـ ١٤١	
بوذا : ١٤ ـ ١٦ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٤ ـ ٢٥	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
٢٦ ـ ٢٧ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٤ ـ ٤٣ ـ ٤٥ ـ ٨٧ ـ	
٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ	
١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧	
١٠٨ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧	
١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧	
١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٧	
١٣٨ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦	
١٤٩ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨	
١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨	
١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦	
١٨٧ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤	
١٩٠ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧	
٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧	
٢١٨ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١	
٢٦٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٥	
٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠٧ ـ ٣٠٩	
٣١٨ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨	
٣٣٤ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦	
٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥	
٣٥٧ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧	
٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٤	
٣٨٥ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩٥ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩	
٤١٠ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧	
٤١٨ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ـ ٤٦٣ ـ ٤٩٩ ـ ٥٣٥ ـ ٥٤٩	
٥٦٠ ـ ٥٦١ ـ ٥٦٧ ـ ٥٨٧	
بوذنات بيهكشو: ٤٢ ـ ٢٨٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٤٨ ـ	
٣٦٠ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧	
بورونا: ٤١٦	
بولس الرسول: ٣٣٠	
بيبا: ٢٦٦	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
البيروني: ٢٥٣ ـ ٤٣٢ ـ ٤٦٢ ـ ٤٨٤	
(ت)	
تاج الدين زكريا: ٥٥٥	
تانيت يوبودهي: ٣٩ ـ ١٥٥	
أبوتراب: ١٥٣	
تيريندرا موهان: ٤٥	
ابن تيمية: ٢٢١ ـ ٤٤٥ ـ ٤٤٩ ـ	
٤٨٩ ـ ٤٩٩	
(ج)	
جابر بن عبدالله: ٥٢٤	
جج: ٤٣١	
أبوجعفر الحداد: ٦٠٢	
جعفربن نصر: ٥١٢	
جلال الدين الرومي: ٢٥٩ ـ ٢٦٦	
الجنيد: ٤٣٩ ـ ٤٤٥ ـ ٤٧٢ ـ ٤٧٧	
٤٨٩ ـ ٤٩٨ ـ ٥٠٣ ـ ٥١٢	
٥١٦ ـ ٥٢٦ ـ ٥٣٢ ـ ٥٨٠	
٥٨٥ ـ ٦٠٢ ـ ٦٠٣	
جوتاما: ٩١ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧	
١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٣	
١٧٤ ـ ٥٦١	
جوروسوامترا: ٩٣	
ابن الجوزي: ٥٠١ ـ ٥٠٧ ـ ٥١٣ ـ ٥٢١	
٥٢٢ ـ ٥٢٣ ـ ٥٣٩ ـ ٥٧٩	
٥٩٣ ـ ٥٩٨	
جوستاف (غوستاف)لوبون: ٣٢٧ ـ ٣٥٧	
٤١٧ ـ ٤١٨	
جولدزيهر: ٤٦٣ ـ ٤٨٤	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
جونتا : ١١٧	
جيفاكا : ٣٤٢	
(ح)	
الحارث المحاسبي : ٤٥٣ ـ ٤٥٩ ـ ٥٤١	
الحجاج : ٤٢٩	
ابن حجر : ٥٨١	
حذيفة بن اليمان : ٤٥٠	
الحسن البصري : ٥٨٠ ـ ٥٨١	
أبو الحسن المزين : ٥٩٦	
أبو الحسين النوري : ٤٤٠ ـ ٤٧٧ ـ ٤٧٨	
الحلاج : ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ ٤٦٨ ـ ٤٩٢ ـ ٥٦٢ ـ ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ـ ٥٦٦	
(خ)	
أم خالد : ٥٧٨	
ابن خلدون : ٥٨٠	
(د)	
داود الطائي : ٥٢٧ ـ ٥٣٣	
داود عليه السلام : ٦١٠	
ابن دحية : ٥٨١	
(ذ)	
أبو ذر الغفاري : ٤٥٠	
ذو النون المصري : ٤٥٤ ـ ٥٣٤ ـ ٥٤٤ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٧	
(ر)	
رابعة العدوية : ٤٥١ ـ ٤٨٢	
راجاوا راموني : ٤٤ ـ ١٩٢	
رادا هاكرشنن : ١٩٢	
راما : ١١٧٩	
راوليسون : ٣٣٠	
راهولا : ١٠١ ـ ٣٥١	
رباح بن عمرو القيس : ٥١٧	
الربيع بن الخيثم : ٥٢٨	
رويم بن أحمد : ٤٤١	
(ز)	
أبو زهرة : ١٦٨ ـ ٢٢١	
(س)	
ساتس جاندرا شاتيرجي : ٤٥	
ساتين بانتا رانجي : ٤٤	
ساتين بودهي نلندا : ٤٦	
ساتين كوسيت : ٤	
ساري بوترا : ١٢٥ ـ ١٥١	
ساماخ بوراوات : ٣٦	
سام بن نوح : ٨٤	
سانان شايانوكول : ٣٧	
سانج جاندرا غام : ٣٨	
ساكيا موني : ٩١ ـ ١٧٤	
ابن سبعين : ٢٥٩ ـ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٥٦٦	
سدودانا : ٦٨ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٣٤٦	
سدهارتا : ٨٨ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٥ ـ ١٤٤ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٦	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
سرى السقطي الفارسي	٤٥٥ ـ ٤٩٩ ـ ٥١١
سعدبن أبي وقاص	٣٩٧
أبوسعيد الخدري	٣٩٨
أبوسعيد الخراز	٤٧٦ ـ ٤٧٧ ـ ٦٠٢
أبوسعيدبن أبي الخير	٥٨٩ ـ ٦٠٤
سعيدبن المسيّب	٥٠١
سقراط	١٢٢
أبوسليمان الداراني	٤٥٢ ـ ٤٨٢ ـ ٥٠٣
	٥٠٦ ـ ٥٠٧ ـ ٥١٦
	٥١٧ ـ ٥٢١ ـ ٦٠٧
سليمان بن عبدالملك	٤٢٩ ـ ٤٣٦
سمنون بن حمزة	٤٤٠
سوشادا	١٠٨
سون كوتي كانا	٢٦
السهروردي	٤٤١ ـ ٤٤٦ ـ ٤٥٩ ـ ٤٧١
	٤٧٨ ـ ٤٨٣ ـ ٥٠٣ ـ ٥١٨
	٥١٩ ـ ٥٣٦ ـ ٥٧٣ ـ ٥٧٥
	٥٨٣ ـ ٥٨٦ ـ ٥٩٠ ـ ٥٩٥
	٥٩٦ ـ ٦٠٢
سهل بن عبدالله	٥٠٤ ـ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ـ ٥١٠
	٦٠٧
سيدقطب	٤٠٠
سيرى بودها سوك	٤٠
سيفا	٧٨ ـ ٨٤
(ش)	
شاشاوال سرى جاندرا	٤٦ ـ ٤٩٤
شانا	٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٠٢ ـ ٢٩٥
الشاه ولي الله الدهلوى	٥٥٨ ـ ٥٥٦
شدّادبن أوس	٥٢٣
الششترى	٤٧٨
شقيق بن ابراهيم البلخي	٤٦٣
الشوكاني	٤٨٨
(ص)	
ابن صلاح	٥٨١
(ط)	
أبوطالب المكي	٤٥٩ ـ ٥١٥ ـ ٥٢١
	٥٤٠
الطبرى	٥١٤
(ع)	
ابن عباس (صحابي)	٥٢٣
أبوالعباس أحمدبن محمدالشقاني	٤٩٠
أبوالعباس الدينورى	٥٤٤
أبوالعباس بن عطاء البغدادى	٥٦٥
أبوالعباس المرسي	٤٨٦
عبدالرؤوف المناوى	٥١٧ ـ ٥٧٧
عبدالرحمن دمشقية	٥١٢
أبوعبدالرحمن السلمي	٤٥٩ ـ ٥٣٣ ـ
	٥٩٨
عبدالقاهر البغدادى	٥٦٤
عبدالكريم الجيلي	٢٥٩ ـ ٤٦٠ ـ ٤٨٠
	٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ ٥٦٦
	٥٦٧
عبدالله بن الجلاء	٥٩٨
عبدالله التسترى	٥٠٣
أبوعبدالله محمدابن خفيف	٥٦٥

الأعلام والاشخاص	الصفحة
عبدالواحدبن يزيد	٤٤٩
عبدالوهاب الشعراني	٤٦٠ ـ ٤٨٧
عثمان بن مظعون	٣٩٧ ـ ٣٩٨
أبوعثمان المغربي	٥٠٦ ـ ٥٣٥
ابن عربي (محيي الدين)	٣٥٩ ـ ٣٥٨
	٤٦٠ ـ ٤٩٣ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٧
ابن عطاء الله السكندري	٤٨٦
عطاء سلمي	٤٨٢
العقاد (عباس محمود)	١٦١
أبوعلي الجوزجاني	٤٧٥
علي زيعور	١٢ ـ ١٧٣
علي بن ابي طالب	٢٣٤ ـ ٥٨٠ ـ ٥٨١
علي بن محمد الدخيل الله	٥٤٩
عمربن الخطاب	١٤ ـ ٥٨٠
عمروبن العاص	٥٠١
عيسى عليه السلام	٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٣٣٤ ـ ٥٧٨

(غ)

الغزالي (أبوحامد)	٤٦٠ ـ ٤٨٤ ـ ٤٩٧
	٥٠٠ ـ ٥٠٥ ـ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ـ ٥١١
	٥٢٣ ـ ٥٢٧ ـ ٥٢٨ ـ ٥٣٨ ـ ٥٣٩
	٥٤٠ ـ ٥٤٣ ـ ٥٤٥ ـ ٥٨٥ ـ ٥٩٦
	٦٠٤ ـ ٦٠٨

(ف)

فاردامانا	٨٢
ابن الفارض	٢٥٩ ـ ٣٥٨ ـ ٤٦٠ ـ ٤٧٣
	٤٨٦ ـ ٤٩٢ ـ ٥٦٦
فاهين	٤٣٤
فراموت	٣١١ ـ ٣٣١ ـ ٣٩٢
فشنو	٧٨ ـ ٨٤ ـ ١٧٩ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٠
الفضيل بن عياض	٤٨٥

(ق)

أبوالقاسم ابراهيم النصرابادي	٥٦٥
القاسم أبوعبدالرحمن	٥٩٩
قبيصة بن مخارق الهلالي	٦١٠
قتيبة بن مسلم الباهلي	٤٣٦
القشيري (أبوالقاسم عبدالكريم)	٤٤٤ ـ ٤٦٠
	٤٧٧ ـ ٤٨٥ ـ ٤٩٦ ـ ٥٠٢ ـ ٥٠٥
	٥٢٥ ـ ٥٢٧ ـ ٥٢٩ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٤
	٥٤٤ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٥
ابن القيّم	٢٣٦

(ك)

كابيل	٦٩
كاساپا	٢٦
كال تيول	٩١ ـ ٩٣
كانشكا	٤٣٤ ـ ٤٠٧
ابن كثير	٦٠٠
كرشنا	١٧٩
الكلاباذي (أبوبكرمحمد)	٤٥٩ ـ ٤٧٢
	٤٧٧ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٢
أبوالكلام آزاد	١٦٦
كونتانيا	١٠٥
كونفوشيوس	١٢٢ ـ ١٧١

(ل)

لاوتس	١٢١ ـ ٤٢٥
لوقا	٣٣٦

الأعلام والأشخاص	الصفحة
(م)	
مايا : ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩١	
متى : ٩٠ ـ ١١٠ ـ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨	
محمد صلى الله عليه وسلم : ٤١١ ـ ٥٣٧	
٥٦٦ ـ ٥٦٧	
محمد اسماعيل الندوى : ٣٢٧	
محمد أمين الكردى : ٥٨٤	
محمد صدقي : ١٧٣	
محمد غلاب : ١٠٢	
محمد بن القاسم الثقفي : ٤٢٩	
مرقس : ٣٣٥	
مريم : ٩٠ ـ ٢٢٠	
المسيح عليه السلام : ٨٨ ـ ٩٠ ـ ١١٠ ـ	
١٥٤ ـ ١٨٠ ـ ٢٣٨ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٧	
٣٣٨ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ـ ٤٢٠	
٥٦٠ ـ ٥٦١	
معاوية بن يزيد : ٤٢٩	
معروف الكرخي : ٤٤٠ ـ ٤٥١	
منجتي : ٤٢٤	
المنصور بن المعتز : ٥٢٨	
موسى عليه السلام : ١٧٥ ـ ٥٣٧	
مهاباشاوادى : ٩١ ـ ٣٥٢	
مهابراهما : ٧٨	
مهافيرا : ٧٢ ـ ١٢١	
مهامانا : ١٠٦	
مهاموني : ١٩٣	
(ن)	
ناغاراجونا : ٤٠٧	
ناندابيهكشو : ٤٤ ـ ١٦٧ ـ ١٩٢	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
ابن النديم : ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ـ ٤٦٢	
أبونصر السراخ : ٤٥٩ ـ ٤٧٣ ـ ٤٨٥ ـ ٦٠٢	
٦٠٤ ـ ٦٠٦	
أبونعيم : ٥٠٦ ـ ٥٢١	
نولدكه : ٤٤٦	
نيكلسون : ٤٥٤ ـ ٤٦٩ ـ ٤٩٥ ـ ٥٢٠	
(و)	
وابا : ١٠٥	
الواسطي (أبوبكر محمد) : ٤٤٢ ـ ٤٧٤ ـ ٥٢٦	
واسن انتاسارا : ٣٥ ـ ٢٦١	
واشيرايان وارورت : ٣٥	
وسوامترا : ٩٤	
ولديورانت : ١٦٦ ـ ٣٩٠ ـ ٣٩٤	
الوليد بن عبدالملك : ٤٢٩ ـ ٤٣٦	
(هـ)	
أبوهاشم الكوفي : ٤٤٨	
الهجويرى (علي بن عثمان) : ٤٤٤ ـ ٤٦٠	
٤٧٤ ـ ٤٧٦ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ـ ٤٩٠	
٥٠٢ ـ ٥٠٤ ـ ٥١٠ ـ ٥١٥ ـ ٥٢٥	
٥٣٤ ـ ٥٧٢ ـ ٥٧٤ ـ ٥٧٥ ـ ٥٧٦	
٥٧٧ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٥	
أبوهريرة : ٥٤٣	
هيلودوروس : ٤٢٠	
هيون سانغ : ٣٩٥ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٥ ـ ٤٦٢	
(ى)	
ياسودهارا : ٩٦	
ياشاش : ٣٣٥	

الأعلام والأشخاص	الصفحة
يحيى بن معاذ الرازى	٤٨٤ ـ ٥٠٥ ـ ٥٣٣
أبويزيد البسطامي	٣٦٣ ـ ٤٥٥ ـ ٤٦٨
	٤٧٢ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٤
	٤٨٩ ـ ٤٩٢ ـ ٤٩٨
	٥٠٢ ـ ٥١٢ ـ ٥٣٥
	٥٦٢ ـ ٥٧٧ ـ ٦٥٣
يسوع	٩٠ ـ ١١٠ ـ ٣٣٥
يوجي راماجاراكا	٤٠
يوحنا	١٩٣
يوسف بن داود	٩٠

٤ ـ فهرس البلدان والأماكن

البلدان والأماكن	الصفحة
(أ)	
أتاربرادیش : ٦٦ ـ ٦٧	
أساساكا : ٦٢	
أسبانيا : ٣٣٢	
استراليا : ١٠ ـ ١٨٧ ـ ٢٦٥	
الاسكندرية : ٣٣٠ ـ ٣٣٣ ـ ٤٢٠	
أسوكارام : ٢٦	
آسيا : ٤٥٨	
آسيا الصغرى : ٥٨	
آسيا الوسطى : ١١ ـ ١٢ ـ ٤٦ ـ ١٧٨	
٤٢٠ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٧	
٤٢٨ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤	
٤٣٦ ـ ٤٦٢ ـ ٤٦٤	
٤٦٠	
أفريقيا : ١٧٧ ـ ١٨٧ ـ ٤٥٨	
أفغانستان : ٤٦ ـ ٥٢ ـ ٥٧ ـ ١٨١	
٤٢٧ ـ ٤٣٤	
اللهآباد : ٢٧ ـ ١١٧	
أمريكا : ١٨٧	
أمريكا الجنوبية والشمالية : ١٠	
اندونيسيا : ٩	
أنكا : ٦٢	
أنوراتافورا : ٢٧	
أنوما (نهر) : ١٠٢	
أوانستي : ٦٢	
أوربا : ١٠ ـ ٥٣ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٢٦٦	
أوربا الشمالية : ٥٧	

البلدان والأماكن	الصفحة
أروفيلا : ١٠٣ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨	
ايران : ٥٢ ـ ٥٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٧ ـ ٥٨٩	
ايبتانا : ٣٤٦	
ايطاليا : ٣٢٩ ـ ٣٣٢	
(ب)	
بافا : ١١٧	
باكتيريا : ٤٢٠	
الباكستان : ٤٢٧	
بانجالا : ٦٢	
بانكوك : ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠	
٤٤ ـ ٤٥ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨١ ـ	
٣٨٣	
بتاليبوترا : ٢٦	
بحرالعرب : ٥٢ ـ ٥٣	
بحر قزوين : ٥٧ ـ ٤٢١	
البرتغال : ٣٣٢	
برما (بورما) : ٢٨ ـ ٣٧ ـ ٣٢٦ ـ ٣٨٤	
٤٢٢	
البصرة : ٤٤٩	
بغداد : ٤٦٦ ـ ٦٠٢	
بلجيكا : ٣٣٢	
بلخ : ١١ ـ ٤٦٢ ـ ٤٦٣	
بنجاب : ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٤١٧	
بودهافيا : ٦٩ ـ ١٠٨ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ٣٨٣	
بيهار : ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٨	

البلدان والأماكن	الصفحة
(ت)	
تايلاند (سيام) : ١٥ ـ ٢٠ ـ ٢٨ ـ ٣١	
٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧	
٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤٢	
٤٣ ـ ٤٦ ـ ١٥٠ ـ	
١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٨٣	
١٩٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٦٧	
٣٢٦ ـ ٣٦٢ ـ ٣٤٠	
٣٥٣ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٩	
٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٤	
٣٩١ ـ ٣٩٢ ـ ٤٠٦	
٤٢٢ ـ ٥٨٧	
التبت : ٢٩ ـ ٨٧ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ ٤٠٧	
٤٢٢	
تركستان : ٥٧ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٤	
٤٣٥	
تركستان الغربية : ٤٢٧ ـ ٤٣٤ ـ ٤٦٥	
تركستان الغربية والشرقية : ٤٦	
توبارام : ٢٧	
(ج)	
جامعة باتنا في الهند : ٤٥	
الجامعة البوذية (مهاتات) : ٣٤ ـ ٣٦	
٣٧ ـ ٤٠	
٤٤ ـ ٤٦	
٤٧	
الجامعة البوذية (مهاجولا) : ٣٧ ـ ٤٥	
٤٦	
جامعة كلكتا : ٤٥	

البلدان والأماكن	الصفحة
جامو : ٣٩٥	
جبال بلشستان : ٥٧	
جبال هملايا : ١ ـ ٣ ـ ١٥ ـ ٥٢ ـ ٥٤	
٦٧ ـ ٣٣١ ـ ٤٢٧	
جبال هندوكش : ٥٧ ـ ٥٨	
جمنا (نهر) : ٥٥ ـ ١١٧	
جنجا أوغنغا (نهر) : ٥٤ ـ ٦٧ ـ ١١٧ ـ ٤١٨	
جنديسابور : ٤٦٦	
جنوب آسيا : ٤١	
جنوب روسيا : ٥٧	
جيتي : ٦٢	
(ح)	
حديقة " موخلارام " : ١٣٠	
(خ)	
خراسان : ١١ ـ ٤٣٢ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٦ ـ ٤٥٧	
٤٦٢ ـ ٤٦٤ ـ ٤٦٨ ـ ٤٨٨	
خليج بنغال : ٥٢ ـ ٥٣	
خوتان : ٤٣٥ ـ ٤٢٤	
(د)	
الديبل : ٤٣٠	
ديفاداها : ٦٩ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٦	
(ر)	
رابطة العالم البوذي : ٤١٤	
راجاغريها : ٢٥ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ١٠٣ ـ ٣٤٤	
٣٧٧	
رأس كوماري : ٥٢	

البلدان والأماكن	الصفحة
رانغون : ٣٨٤	
الرملة : ٤٤٨	
روسيا : ٥٣	
الرومان (الدولة الرومانية) : ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ ٤٠٩	
(س)	
ساتاباناخوها : ٢٥	
ساكا : ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٨٧	
ساواتدى : ٦٧ ـ ١١٧	
سمرقند : ١١ ـ ٤٣٥	
السند : ٥٨ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٧ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٠ ـ ٤٦٤ ـ ٤٦٥	
سنكيانغ (تركستان الشرقية) : ٤٢٧ ـ ٤٣٤	
سوراسينا : ٦٢	
سووانابومي : ٤٢٢	
سيلان (سريلانكا) : ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٣١ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٥٣ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٦ ـ ٣٥٣ ـ ٣٨٤ ـ ٤٠٦ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٢	
سيوستان : ٤٦٤	
(ش)	
الشام : ٤٢٠ ـ ٤٣٢ ـ ٤٤٨ ـ ٤٦٢	
شرق آسيا : ١٣ ـ ٤١ ـ ٣٨٣ ـ ٤٢٢	
الشرق الأوسط : ٣٣٣ ـ ٤٢٠	

البلدان والأماكن	الصفحة
(ص)	
الصين : ٢٩ ـ ٤١ ـ ١٢١ ـ ١٧١ ـ ١٧٧ ـ ٤٠٧ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٤	
(ط)	
طورسينين : ١٧١	
(ع)	
العراق : ٥٨ ـ ٤٣٢ ـ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ ٤٦٢ ـ ٥٨٩	
(غ)	
غرب آسيا : ٤١	
(ف)	
فاراناسي (واراناسي) أوبنارس : ٦٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١٢٢ ـ ١٢٧ ـ ٣٨٤	
فارس : ٤٦ ـ ٥٨ ـ ١٧٨ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٦ ـ ٤٦٢ ـ ٤٦٤ ـ ٥٦٠ ـ ٥٨٩	
فرنسا : ٣٢٩ ـ ٣٣٢	
فلبين : ٩	
فيتنام : ٢٦٣ ـ ٣٥٤ ـ ٤٠٧	
فيسالي : ٢٦ ـ ٨٢ ـ ١٠٣	
(ق)	
قندهار : ١١ ـ ١٨١ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ـ ٣٦٥	

البلدان والأماكن	الصفحة
(ك)	
كابيلاقاستو : ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٨٧ ـ ٨٩ ٩٠ ـ ٩٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٨٣	
كاسي : ٩٦ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٤٩ ـ ١٥٤ ١٥٥ ـ ٣٨٤	
كامبوشا : ٦٢	
كانتارا : ٦٢	
كشمير : ٣٩٥ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ـ ٤٦٥	
كمبوديا : ٢٨ ـ ٤٠٦ ـ ٤٢٢	
كورو : ٦٢	
الكوريا : ٤٠٧ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٦ ـ	
كوسالا : ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ١٦٧	
كوسينارا : ٦٨ ـ ١١٧ ـ ٤٨٧	
الكوفة : ٤٥٣	
كوالالمبور : ٤٨٤	
كوليا : ٦٢	
(ل)	
لوس : ٤٠٦ ـ ٤٢٢	
لوكيا : ٦٣	
لومبيني : ٨٨	
لهاسا : ٣٣١ ـ ٣٣٢	
(م)	
مادشا : ٦٢	
مؤسسة لاحيا ٤ البوذية في تايلاند : ٤٢	
مالا : ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤	
ماليزيا : ٩ ـ ٣٢٦ ـ ٣٤١ ـ ٤٣٢	

البلدان والأماكن	الصفحة
مجدا : ٣٣ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ١٠٢	
المجلس الأعلى لشؤن الرهبان في تايلاند : ٣٩ ٤٢ ـ ٤٣	
المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها في تايلاند : ٤٢	
المحيط الهندي : ٥٢ ـ ٥٣	
مصر : ٤٢٠ ـ ٤٣٢ ـ ٥٨٩	
معبد سوى ديغون : ٣٨٤	
معبد مهاتات : ٣٨١	
معبد ناكول باتوم : ٣٧٩	
المعبد للبحوث الروحية في تايلاند : ٤٠	
مكة المكرمة : ١٧٥ ـ ٤٨٦	
الملتان : ٤٣٠	
منغوليا : ٤٠٧ ـ ٤٢٢	
الموصل : ٤٣٢ ـ ٤٦٢	
(ن)	
ناكون باتوم : ٣٨٤	
نهاوند : ٤٥٥	
نهربرهما بوترا : ٥٤	
نهر رابتي : ٦٨	
نهر السند : ٥٤ ـ ٥٦	
نيبال : ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٨٩ ـ ٣٥٣ ـ ٤٢٠	
النيرون : ٤٣٠	
(و)	
واتشي : ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤	
وادي اندوس : ٧٤	
والي كارا : ٢٦	

البلدان والأماكن	الصفحة	البلدان والأماكن	الصفحة
وانج سا : ٦٢			
الور : ٤٣٠			
وسط آسيا : ٥٧			
الولايات المتحدة : ٢٦٦			
ويتيها : ٦٣			
(هـ)			
الهند : ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٤٠ ـ ٤١			
٤٢ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥			
٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦١ ـ ٧٤			
٧٥ ـ ٧٧ ـ ٨٢ ـ ٨٧ ـ ١١٣			
١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٦٦ ـ ١٧٧			
١٨١ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥٤			
٢٦٠ ـ ٣٢٧ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣٣			
٣٥٤ـ ٣٨٠ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤			
٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٧			
٤١٥ ـ ٤١٧ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠			
٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٧			
٤٢٩ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٠ ـ ٤٦٧			
٥٦٠			
هندوستان : ٥٢			
اليابان : ٢٩ ـ ٤١ ـ ٤٠٧ ـ ٤٢٢			
ـ ٤٢٦			
اليونان : ٤٢٠			

٥ ـ فهرس المراجع

١ ـ المراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أبوحامد الغزالي والتصوف : عبد الرحمن دمشقية ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط / ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

٣ ـ احياء علوم الدين : أبوحامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٤ ـ الآداب العربية في شبه القارة الهندية : د / زبيد أحمد ـ ترجمة د / عبد المقصود محمد ثلقاسي .

٥ ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : عبد القادر شيبة الحمد ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

٦ ـ أديان الهند الكبرى : د / أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط / ٤ ، ١٩٧٦ م .

٧ ـ أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد : محمد بن المنور بن أبي سعيد ابن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير ، ترجمة : اسعاد عبد الهادي قنديل ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، بدون تاريخ .

٨ ـ الاعلام والدعوات الهدّامة : أنور الجندي ، دار الكتب اللبناني ـ بيروت ، بدون تاريخ .

٩ ـ الاعلام والفلسفات القديمة : أنور جندي ، دار الاعتصام ، بدون تاريخ

١٠ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب : الشيخ محمد بن السيد ـ درويش الشهير بالحوت البيروتي . (ت ١٢٧٦ هـ) مطبعة مصطفى البابي ـ الحلبي . ١٣٤٦ هـ .

١١ ـ الأصول والفروع : لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط / ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

١٢ ـ أضواء على التصوف : د / طلعت غنام ، عالم الكتب ـ القاهرة ، بدون تاريخ

١٣ ـ الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ، ط / ٦ ، ١٩٨٤ م .

١٤ ـ الاكتساب في الرزق المستطاب : محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) تحقيق محمود عرنوس ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط / ١ ، ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

١٥ ـ الله : عباس محمود عقاد الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر

١٦ ـ الله يتجلى في عصر العلم : نخبة من علماء الأمريكيين ، ترجمة ـ د / الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبي ، وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ط / ٣ ، ١٩٦٨ م .

١٧ ـ الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل : عبد الكريم بن ابراهيم ـ الجيلي (ت ٨٠٥ هـ) مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط / ٤ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .

١٨ ـ البداية والنهاية : أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف ـ بيروت ، ط / ٢ ، ١٩٧٧ م .

١٩ ـ بد المعارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف ، ابن سبعين : عبد الحق بن ابراهيم بن محمد (ت ٦٦٩ هـ) ، دار الأندلس ـ دار الكندي ، بيروت ط / ١ ، ١٩٧٨ م .

٢٠ ـ بلدان الخلافة الشرقية : كي لسترنج ، ترجمة بشير فرنسيس كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط / ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢١ ـ تاريخ أوربا في العصور الوسطى : د / سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار النهضة ـ العربية بيروت ، ١٩٧٢ م .

٢٢ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) دار بيروت ، بدون تاريخ

٢٣ ـ تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية : احسان حقي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط / ١ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٢٤ ـ تاريخ الفلسفة فى الاسلام : الأستاذ ت ـ ج ـ دى بور
ترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة ،دارالنهضة العربية ـ بيروت ط / ٥ ،
١٩٨١ م ٠ ،

٢٥ ـ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضاراتهم ، (الجزء الأول) :
د / أحمد محمد الساداتى ، مكتبة الآداب ـ القاهرة ،بدون تاريخ ٠

٢٦ ـ تاريخ الهند الحديث ، د / عادل حسين غنيم ، د / عبد الرحيم عبد الرحمن
عبد الرحيم ط / ١ ، ١٩٨٠ م ٠ مكتبة الخانجى بمصر ٠

٢٧ ـ التجانية : على بن محمد الدخيل الله ، دارطيبة ـ الرياض ، بدون تاريخ ٠

٢٨ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى : الامام الحافظ أبو على محمد ـ
عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣ هـ) اشراف على مراجعة ـ
أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف الناشر : محمدعبد المحسن الكتبى ،
مطبعة المعرفة بالقاهرة ، ط / ٢ ،١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ٠

٢٩ ـ التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة : د / ابراهيم ابراهيم هلال ٠
ط/١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دارالنهضة العربية - القاهرة
٣٠ ـ التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق : د / زكى مبارك ، دارالجيل ـ
للنشر والتوزيع ـ بيروت ، بدون تاريخ ٠

٣١ ـ التصوف بين الحق والخلق : محمد فهر شقفة ، الدار السلفية ، ط / ٣ ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ٠

٣٢ ـ التصوف الثورة الروحية فى الاسلام : د/أبو العلا عفيفي٠ القاهرة
١٩٦٣ م٠

٣٣ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف : أبو بكر محمد الكلاباذى (ت ٣٨٠ هـ)،
تحقيق : محمود أمين النواوى٠ مكتبة كليات الأزهرية ، القاهرة٠ ط/ ١،
١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩م ٠

٣٤ ـ التعريفات : الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، دار الكتب
العلمية ـ بيروت ط/ ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م٠

٣٥ ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق: عبدالعزيز غنيم ـ محمد أحمد عاشور ـ محمد ابراهيم البنا ، الناشر: الشعب ـ القاهرة .

٣٦ ـ تلبيس ابليس : ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى البغدادى (٥٩٧ هـ) ، ادارة الطباعة المنيرية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٦٨ هـ .

٣٧ ـ تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث : عبد الرحمن بن على بن محمدبن عمر الشيباني (ت ٩٤٤هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت،ط/ ٢، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م .

٣٨ ـ تناسخ الأرواح : مصطفى الكيك، منشأة المعارف ـ الاسكندرية ، بدون تاريخ .

٣٩ ـ تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك :السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) ، مطبعة مصطفى محمد ، بدون تاريخ .

٤٠ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن :الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ بمصر ط / ٣، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٦ م .

٤١ ـ الجامع لأحكام القرآن : القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى (ت ٦٧١ هـ) ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م .

٤٢ ـ جغرافية العالم ، (الجزء الأول) : دولت أحمد صادق ـ محمد سيد غلاب ـ جمال الدين الدناصورى ، مكتبة انجلو المصرية ١٩٦٦ م .

٤٣ ـ جمهرة الأولياء وأعلام التصوف : السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، مؤسسة الحلبى وشركاه ـ القاهرة ، ط/١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م .

٤٤ ـ جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض سيدى أبي العباس التجانى :

الشيخ على حرازم بن العربى برادة المغربى الفاسي ـ وبهامشـــــه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ،لعمر سعيد النوتى الطورى الكدوى ،الطبعة الأخيرة ١٣٨٠هـ/١٩٤٢م ،مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة.

٤٥ ـ حضارات الهند : د/ غوستاف لوبون، ترجمة : عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبي ، ط / ١، ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٨ م .

٤٦ ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى،أو عصر النهضة فى الاسلام ، آدم متز، ترجمة : محمد عبد الهادى أبوريدة ، دار الكتاب العربـــى الطبعة الخامسة بدون تاريخ .

٤٧ ـ حلية الأولياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت ٤٣٠ هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت، بدون تاريخ .

٤٨ ـ حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب ، عماد الدين الأموى الاسنوى (ت ٧٦٤ هـ) مطبوع على هامش قوت القلوب لأبى طالب المكى، دار صادر بدون تاريخ .

٤٩ ـ دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها : عبـــده الشمالى، دار صادر ـ بيروت، ط ٥، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٥٠ ـ دراسات فى الفرق : د/ صابر طعيمة . مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٥١ ـ الدرر السنية فى شروط أحكام وأوراد الطريقة التجانية : محمد سعد ابن عبد الله الرباطابى . مكتبة القاهرة ، ط/ ٢، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م.

٥٢ ـ الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة : جلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ) تحقيق : خليل محيى الدين الميس ، المكتب الاسلامى ـ بيروت ، ط/١، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٥٣ ـ الدرر المنثور فى التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ، بدون تاريخ.

٥٤ ـ الدعوة الى الاسلام ، سير توماس و. آرنولد. ترجمة : د/ حسن ابراهيم حسن ـ د/ عبد المجيد عابدين ـ اسماعيل النحراوى . مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ، ط ٣/ ١٩٧٠ م.

٥٥ ـ الديانات القديمة ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

٥٦ ـ الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار . ط ١/ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م مكة المكرمة.

٥٧ ـ الدين ، بحوث ممهدة لدراسة الأديان ، د / محمد عبد الله دراز دار القلم ـ الكويت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٥٨ ـ الدين المقارن ، بحث فى سائر الديانات العالمية ، محمود أبو الفيض الحسينى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة بدون تاريخ .

٥٩ ـ ذيل الملل والنحل للشهرستانى ، محمد سيد كيلانى. شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م.

٦٠ ـ رسائل ابن سبعين ، تحقيق ، د/ عبد الرحمن بدوى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ .

٦١ ـ الرسالة القشيرية ، القشيرى، أبو القاسم عبد الكريم (ت ٤٦٥ هـ) تحقيق ، د/ عبد الحليم محمود ـ محمود بن الشريف . دار الكتب الحديثة ـ القاهرة بدون تاريخ .

٦٢ ـ رسالة للشيخ عبد المنعم الحلوانى فى الرد على الشيخ أحمد الكفراوى ، مطبوع ضمن رسائل فى فقه التصوف والذكر. ط ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢ م .

٦٣ ـ الروح : ابن القيم ، شمس الدين أبو عبد الله بن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : محمد اسكندريلدا ، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٦٤ ـ السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين : السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي (ت ١٢٧٦ هـ) ، وزارة الاعلام والثقافة ليبيا ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م .

٦٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي ، ط ٤/ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٦٦ ـ سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،دار احياء التراث العربي ـ بيروت بدون تاريخ .

٦٧ ـ سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) تعليق : أحمدسعد علي ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط / ١ ، ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م .

٦٨ ـ سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ،تحقيق و تخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصـــــــر .

٦٩ ـ سنن الدارمي : أبو عبد الله عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ) دار احياء السنة النبوية ، بدون تاريخ .

٧٠ ـ سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والاسلام : د/ محمد جلال شرف ـ د/ عبد الرحمن محمد عيسوى ، منشأ المعارف بالاسكندرية ١٩٧٢م .

٧١ ـ شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم لمحيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) ط/ ٢، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

٧٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق ، جماعة من العلماء، تخريج ، محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الاسلامى للطباعة والنشر بيروت ، ط / ٤، ١٣٩١ هـ .

٧٣ ـ شفاء العليل ترجمة قول الجميل ، شاه ولي الله الدهلوى ، الناشر: مشهور محل ـ كراتشي ـ باكستان ١١٢٦٠ هـ .

٧٤ ـ شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار المعارف بدون تاريخ.

٧٥ ـ صحيح البخارى ، البخارى ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) (بحاشية السندى)، دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ مصر .

٧٦ ـ صحيح مسلم ، مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت٢٦١هـ) ، تحقيق وتعليق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٧٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ، النووى ، يحيى بن شرف بن مرى الحزامي النووى (ت٦٧٦هـ) ، المكتبة المصرية وكتبتها ، بدون تاريخ .

٧٨ ـ صفة الصفوة ، ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) تحقيق ، محمود فاخورى ،وتخريج أحاديثه ، د/ محمد رواس قلعة جي ،دار المعرفة بيروت ٢ / ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .

٧٩ ـ الصلب والفداء ، د/ محمد توفيق صدقي ، منشأة المعارف بالاسكندرية جلال خورى وشركاه ، بدون تاريخ .

٨٠ ـ الصلة بين التصوف والتشيع ، د/ كامل مصطفى الشيبي ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٨١ ـ العوفية فى الاسلام ، د/ ر.ا . نيكلسون، ترجمة ، نور الدين شريبة مكتبة الخانجي ١٣٧١ هـ/ ١٩٥١ م .

٨٢ ـ طبقات الصوفية : أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) (طبع نور الدين شريبة) القاهرة ، ١٩٥٣ هـ .

٨٣ ـ الطبقات الكبرىٰ : عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ) القاهرة ١٣١٦م .

٨٤ ـ ظهر الاسلام : أحمد أمين، (الجزء الرابع) دار الكتاب العربي بيروت ط/ ٥، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .

٨٥ ـ العقائد الاسلامية : السيد سابق ،دار الكتاب العربي ـ بيروت ، بدون تاريخ .

٨٦ ـ العقيدة الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، دار القلم ـ دمشق ، ط/ ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

٨٧ ـ عقيدة المسلم : محمد الغزالي ،دار القلم ـ دمشق،بيروت، ط/٣، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

٨٨ ـ العقيدة والشريعة في الاسلام :اجناس جولد تسيهر،ترجمة وتعليق : د/ محمد يوسف موسى ـ د/ علي حسن عبد القادر ـ عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة بمصر، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٨٩ ـ العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة) : محمد يوسف النجرامي ، دار الفكر ـ بيروت ، ط/ ١ ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م .

٩٠ ـ عمدة القاري بشرح صحيح البخاري : العيني : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) دار الفكر ـ بيروت بدون تاريخ .

٩١ ـ عوارف المعارف : السهروردي : أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله ابن عموية ،(ت ٦٣٢ هـ) مطبوع ضمن الملحق لكتاب احياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٩٢ ـ العودة للتجسّد في المفهوم العلمي الحديث : عبد العزيز جادو، منشأة المعارف بالاسكندرية ، بدون تاريخ .

٩٣ ـ عون المعبود شرح سنن ابى داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط/٢، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م ،الناشر: محمد عبد المحسن ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٩٤ ـ الغزالى : البارون كارادوفو، ترجمة : عادل زعيتر، ط /٢، ١٩٨٤م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت .

٩٥ ـ الفتوحات المكية : محيى الدين ابن عربى (ت ٦٣٨ هـ) طبعة بولاق ١٨٧٦هـ.

٩٦ ـ فتوح البلدان : البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) تعليق : رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٩٧ ـ الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادى (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق : لجنة احياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ، ط /٥، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٧٢ م .

٩٨ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ابن حزم : أبو محمد على بن محمدبن حزم الظاهرى (ت٤٥٦ هـ) وبهامشه الملل والنحل : الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) الناشر: مكتبة الخنجي بمصر ، بدون تاريخ .

٩٩ ـ الفلسفات الهندية : د/ على زيعور ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط/ ١، ١٩٨٠ م.

١٠٠ـ الفلسفة الشرقية : د/ محمد غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ،الطبعة الثانية بدون تاريخ.

١٠١ـ الفلسفة الصوفية فى الاسلام : د/ عبد القادر محمود. دار الفكر العربى .

١٠٢ـ الفهرست : ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ) دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

١٠٣ـ فى التصوف الاسلامي وتاريخه : د/ رينولد ا. نيكلسون،ترجمة : د/ابو العلا عفيفي،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧م.

١٠٤ـ في ظلال القرآن : سيد قطب ،دار الشروق ط/٩، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١٠٥ـ القاديانى والقاديانية دراسة وتحليل : أبوالحسن على الحسنى الندوى الدار السعودية للنشر ، ط/٣، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

١٠٦ـ قصة الحضارة : ول ديورانت ، (الجزء الثالث من المجلد الأول) ترجمة : د/ زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ط/٣، ١٩٦٨ م.

١٠٧ـ قطر الولي على حديث الولي : الشوكاني : محمد بن على (ت١٢٥٠ هـ) تحقيق وتقديم : د/ ابراهيم ابراهيم هلال ، دار احياء التراث العربى ـ بيروت ، بدون تاريخ .

١٠٨ـ قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد : أبوطالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) ، دار صادر، بدون تاريخ .

١٠٩ـ كتاب البيرونى فى تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أومرزولة : البيرونى :أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ـ الهند ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨م.

١١٠ـ الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد) : دار الكتاب المقدّس (جمعية الكتاب المقدس سابقا) ، القاهرة بدون تاريخ .

١١١ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : اسماعيل بن محمد العجلونى (ت ١١٦٢هـ) ،تعليق : أحمد القلاش ط /٤، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٦٥ م ،مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١١٢ـ كشف المحجوب : الهجويرى : على بن عثمان (ت ٤٩٢ هـ) ، ترجمة : دكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل ، مراجعة : دكتور أمين عبد المجيد بدوى ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١١٣ـ الكواكب الدرية فى تراجم السادات الصوفية : عبد الرءووف المناوى (ت ١٠٣١ هـ) ،تصحيح وتعليق:محمدحسن ربيع ، ط/١، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م.

١١٤ـ لسان العرب : ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) دار صادر ـ بيروت بدون تاريخ.

١١٥ـ لطائف المنن : ابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩ هـ) تحقيق د/عبد الحليم محمود، مطبعة حسن ـ القاهرة، بدون تاريخ .

١١٦ـ لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الأطلاق : عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ).

١١٧ـ اللمع : أبو نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ) تحقيق: د/ عبد الحليم محمود ـ طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م.

١١٨ـ مجموعة الرسائل والمسائل : ابن تيمية : شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق: محمد رشيد رضا المنار، ١٣٤١ هـ.

١١٩ـ مجموع فتاوى : لشيخ الاسلام ابن تيمية (مجلد ١٠، ١١) : جمعها : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد: ط/١، ١٣٨١هـ مطابع الرياض.

١٢٠ـ محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ط / ٣، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٦ م.

١٢١ـ المسند :أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)
(أ) المكتب الاسلامي ، دار صادر ـ بيروت بدون تاريخ .
(ب) تحقيق: أحمدمحمد شاكر،دار المعارف بمصر،ط/٤، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٠٤ م.

١٢٢ـ المسيحية : د/ أحمد شلبي،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ط/٧، ١٩٨٣م.

١٢٣ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمدبن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) تحقيق: عبد العظيم الشناوي،دار المعارف القاهرة، بدون تاريخ .

١٢٤ـ مصرع التصوف أو تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي : برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) تحقيق : عبد الرحمن الوكيل،دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

١٢٥ـ معجم مصطلحات الصوفية : د/ عبد المنعم الحفنى ،دار المسيرة بيروت،ط / ١ ،١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

١٢٦ـ مقارنة الأديان بين اليهودية والاسلام : د/ عوض الله جاد حجازى دار الطباعة المحمدية ٣٠٠ درب الأتراك بالقاهرة ،ط/٢،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٢٧ـ مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) دار الفكر،بدون تاريخ.

١٢٨ـ الملل والنحل : الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(٥٤٨هـ) تصحيح وتعليق:أحمد فهمي محمد،الناشر: محمود توفيق، مطبعة حجازى بالقاهرة ،١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م .

١٢٩ـ منوسمرتى (كتاب الهندوس المقدّس) ترجمة : احسان حقي،دار اليقظة العربية بدون تاريخ.

١٣٠ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية : المقريزى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ) (الجزء الثانى) ،دار صادر- بيروت .

١٣١ـ المواهب السرمدية فى مناقب النقشبندية : محمد أمين الكردى ، (ت ١٣٣٢هـ) ط/ ١، ١٣٢٩ هـ، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر

١٣٢ـ موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب فى عهد العرب : د/ عبد الله مبشر الطرازى، تقديم : أبو الحسن على الحسنى الندوى ط/١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م ، عالم المعرفة - جدة.

١٣٣ـ الموضوعات : ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) ،تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط/ ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م مكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١٣٤ـ الموطأ :الامام مالك بن أنس (ت ١٧٩ه) ،تعليق: محمد فؤاد عبد الباقى، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م .

١٣٥ـ نشأة الفكر الفلسفي فى الاسلام : د/ على سامى النشار، دار المعارف القاهرة ، ط/ ٧، ١٩٧٨ م .

١٣٦ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ت ٦٠٦هـ) ،تحقيق: محمود محمد الطناحى ، دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابى الحلبى ط/١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣ م.

١٣٧ـ الوجود الحق: د/ حسن هويدى،المكتب الاسلامى،الطبعة الثالثة،بدون تاريخ.

١٣٨ـ هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل،ط/٣، ١٩٧٩ م ،دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

١٣٩ـ الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ، محمد مرسي أبو الليل،مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٥٦م .

١٤٠ـ الهند القديمة حضاراتها وديانتها ، د/ محمد اسماعيل الندوى ، دار الشعب ، بدون تاريخ .

١٤١ـ الهند عقائدها وأساطيرها ، عبد الرحمن حمدى ، دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٨ م.

١٤٢ـ اليهودية ، د / أحمد شلبى ط/ ٧، ١٩٨٣م ،مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

٢ ـ المراجـــع الأجـــــــنبية

١) المراجـع باللغة التايلاندية

١ـ الأديان الحيّة في العالم ، الدكتور فراموت، الطبعة الثالثة ٢٥٢٢ ب = ١٩٧٩ م ، مكتبة باناخار بانكوك .

٢ـ أصول البوذية ، سانج جانتاراغام . الطبعة الثالثة ٢٥٢١ ب = ١٩٧٨ م . مكتبة باناخار بانكوك .

٣ـ بوذية مهايان ، أريان بيهكشو. الطبعة الرابعة ٢٥٢٢ ب = ١٩٧٩ م المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها في تايلاند (دهارما بوشا) .

٤ـ بين البوذية والنصرانية في رأينا ، راجاوارامني . الطبعة الثانية ٢٥٢٣ ب = ١٩٨٠ م مكتبة باناخار بانكوك .

٥ـ تاريخ الأديان ، سوشيب بونيانوباب . الطبعة الرابعة ٢٥٢٦ ب = ١٩٨٣ م . مكتبة روم سات بانكوك .

٦ـ تاريخ انتشار البوذية في العالم ، سوشيب بونيانوباب .الطبعة الخامسة ٢٥٢٤ ب = ١٩٨١ م . المؤسسة لاحياء البوذية في تايلاند.

٧ـ تاريخ انتشار البوذية في الأقطار ، الدكتور واسين انتاسارا . الطبعة الأولى ٢٥٢٥ ب = ١٩٨٢ م . مكتبة باناخار بانكـــــوك .

٨ـ تاريخ بوذا الجديد ، الدكتور ساتين بانتارانج سي. مكتبـــــة أودين ساتور . بدون تاريخ .

٩ـ تاريخ بوذا والبوذية ، بوذتات بيهكشو . الطبعة السادسة ٢٥٢٢ ب = ١٩٧٩ م. الجامعة البوذية " مها مونج كوت راجافيد يالـــ " (مهانات) بانكوك. " Mahamonkot Buddhist University "

١٠ــ تاريخ الديانة البوذية ، واشيرايان وارورت ، الطبعة الثالثة والثلاثون ٢٥٢٠ ب = ١٩٧٧ م ، الجامعة البوذية " مهامونج كوت راجافيد يالى " (مهاتات) بانكوك .

١١ــ تاريخ الفلسفة البوذية وتطوّرها ، الدكتور ماماخ بوراوات ، الطبعة الأخيرة ٢٥١٣ ب = ١٩٧٠ م ، مكتبة برى بيتايا ، بانكوك .

١٢ــ ترى بيتاكا (الكتاب المقدّس فى البوذية) ، الطبعة السابعة ٢٥٢٦ ب = ١٩٨٣ م ، الجامعة البوذية " مهامونجكوت راجافيديالى " (مهاتات) بانكوك .

١٣ــ تعاليم للرهبان ، بوذتات بيهكشو ، الطبعة العاشرة ٢٥١٨ ب = ١٩٧٥ م ، المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها (دهارما بوشا) بانكوك .

١٤ــ التفسير الجديد لعقيدة التناسخ ، بوذتات بيهكشو ، الطبعة الأولى ٢٥٢٧ ب = ١٩٨٤ م ، المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها (دهارما بوشا) بانكوك .

١٥ــ الحياة بعد الموت ، يوجي راماجاراكا ، ترجمة سيرى بودهاسوك ، الطبعة الثالثة ٢٥٢٦ ب = ١٩٨٣ م ، المعهد للبحوث الروحيّة فى تايلاند .

١٦ــ دراسات فى الديانة البوذية (الكتاب الأوّل) ، ديش تول واتانا ، المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها (دهارما بوشا) بدون تاريخ .

١٧ــ سمادهي عند بوذا ، بوذتات بيهكشو ، الطبعة السادسة ٢٥١٩ ب = ١٩٧٦ م ، الجامعة البوذية " مهامونجكوت راجافيديالى " (مهاتات)

١٨ــ الفلسفة البوذية ، بودهي ناندا ، الجامعة البوذية " مهامونج كوت راجافيديالى " (مهاتات) عام ٢٥١٠ بـ ١٩٦٧ م .

١٩ــ الفلسفة الهندية ، ترجمة ساتان شايانوكول ، طبعة عام ٢٥١٣ ب = ١٩٧٠ م ، الجامعة البوذية " مهاجولا لونج كون راجا فيديالى" بانكوك. "Mahachula Buddhist University"

٢٠ــ قاموس المصطلحات البوذية ، راجاوارامونى ، الطبعة الثانية ٢٥٢٧ ب = ١٩٨٤ م ، الجامعة البوذية " مهاجولا لونج كون راجا فيديالى" بانكوك.

٢١ــ قانون" كارما " ، بانيانانداً ، طبعة عام ٢٥٢٥ ب = ١٩٨٢ م مكتبة " أمرنوى سات" بانكوك .

٢٢ــ قصة بوذا ، لجنة كبار الرهبان البوذيين فى تايلاند ، الطبعة الأربعون ٢٥٢٢ ب = ١٩٧٩ م ، الجامعة البوذية "مهامونج كوت راجافيديالى" (مهاتات) بانكوك .

٢٣ــ قوانين الرهبنة ، اشترك فى تأليفه جماعة من كبار الرهبان فى تايلاند وسيلان وبرما ، الطبعة الخامسة والعشرون ٢٥٢٤ ب = ١٩٨٠ م ، الجامعة البوذية "مهامونجكوت راجافيديالى"(مهاتات)

٢٤ــ كيف تبعث الموتى ؟ ، بون مي ميتانج كون ، الطبعة الرابعةعشر ٢٥٢٣ ب = ١٩٨٠ م ، مؤسسة " أبيدارما " (شيتوبون آرام) بانكوك . "Shetupon Aram"

٢٥ــ لبّ البوذية ، بودهي ناندا ، الطبعة السابعة ٢٥٢٤ ب = ١٩٨١ م الجامعة البوذية " مهامونج كوت راجافيد يالى " (مهاتات) .

٢٦ــ ماهو الصواب والخطأ ؟ ، الدكتور فراموت ، والراهب كيتي ووتو، الطبعة الأولى ٢٥٢٥ ب = ١٩٨٢ م ، المؤسسة لاحياء البوذية فى تايلاند.

٢٧ــ مبادىء عامة فى الرياضة النفسية ، بوذتات بيهكشو ، الطبعة الرابعة عشر ٢٥٢٣ ب = ١٩٨٠ م ، الجامعة البوذية " مهامونج

== كوت راجا فيديالى" (مهاتات) بانكوك .

٢٨ــ المبادئ الهامة فى البوذية ، واسين انتاسارا . الطبعة الثانية ٢٥٢٤ ب = ١٩٨١ م . مكتبة باناخار بانكوك .

٢٩ــ مجموعة المصطلحات البوذية ، بيين موتوكان . الطبعة الأولى ٢٥٢٤ ب = ١٩٦١ م . مكتبة " كلانج فيديا " بانكوك

٣٠ــ المذاهب البوذية ، ساتين كوسيتو ناخاباتيب . طبعة عام ٢٥١٦ ب = ١٩٧٣ م . مكتبة "باناخار " بانكوك .

٣١ــ المذاهب الهندية الستة ، سانان ثايانوكول . الطبعة الرابعة ٢٥٢٣ ب = ١٩٨٠ م . الجامعة البوذية " مهاجولا لونج كون راجا فيديالى" بانكوك ـ تايلاند .

٣٢ــ مشكلة الألوهية بين البوذية والنصرانية ، ناندا بيهكشو . الطبعة الأولى ٢٥٢٧ ب = ١٩٨٤ م . مكتبة "تين وان" بانكوك .

٣٣ــ مقارنة الأديان ، الدكتور ساتين بانتارانج سي . الطبعة الخامسة ٢٥٢٤ ب = ١٩٨١ م . الجامعة البوذية "مهاجولا لونج كون راجا فيديالى" بانكوك .

٣٤ــ النبي المتنبأ به، بانجونج بن كاسن . الطبعة الأولى ٢٥٢٦ ب = ١٩٨٣ م . جمعية " الجهاد" بانكوك .

٣٥ــ " نرفانا " ، بوذتات بيهكشو . طبعة عام ٢٥٢٤ ب ١٩٨١ م . المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها فى تايلاند (دهارما بوثا)

٣٦ــ النظر من الداخل ، بانيا ناندا . نشره المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها فى تايلاند بدون تاريخ .

ب) مرجعان باللغة البالية هما :ـ

٣٧ــ الأخلاق البوذية الخمسة ، تانيت يوبودهي . طبعة عام ٢٥٢٦ ب = ١٩٨٣ م . الجامعة البوذية "مهامونجكوت راجا فيديالى" (مهاتات)

٣٨ــ بودها دهارما ، بانيا ناندا ٠ الطبعة الخامسة ٢٥٢٥ ب = ١٩٨٢ م
المجلس الأعلى لطبع الكتب البوذية ونشرها فى تايلاند (دهارما
بوشا)

ج) مرجع واحد باللغة الملايوية وهو: ــ

٣٩ــ سير السالكين فى طريقة السادات الصوفية ، الشيخ العارف
بالله عبد الصمد الفلمباني (ت ١١١٢ هـ) ٠ المطبعة الاسلامية
بسنغافور بدون تاريخ ٠

د) المراجع باللغة الانجليزية

40- Buddhism in middle Asia: Prof. Satian buddhinandha.
Mahamongkot Buddhist University Bangkok 2522 B.E =
I979 A.D

4I- Buddhism in Siam: D.r Shashawal srijandra .
Mahamongkot Buddhist University Bangkok 2525 B.E=
I982 A.D

43- Introduction to indian philosophy
D.r Satischandra chatterjee,and D.r Dhirendramohan
datta. Mahachula Buddhist University Bangkok 25I9B.E
=I976 A.D

44- The new Encyclopaedia Britannica. Volume 2
Helen Hemigway Benton; Publisher I973-I974 London.

45- The way to happiness: Mahasisadaya Bhikshu.
"Dharma busha" Bangkok Thailand.

٦ ـــ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكروتقدير	٤
المقدمة	٧ ـ ٥٠
١ ـ أهمية الموضوع	٨
٢ ـ أسباب اختيار الموضوع	١٢
٣ ـ خطة البحث	١٥
٤ ـ منهجى فى هذا البحث	١٩
٥ ـ المشكلات التى واجهتنى خلال كتابة البحث	٢٢
٦ ـ التعريف بالكتب البوذية التى اعتمدت عليها فى هذا البحث	٢٢
ا ـ تعريف " ترى بيتاكا " الكتاب المقدس عند البوذيين	٢٢
ا ـ مكانته عند البوذيين	٢٢
ب ـ تاريخ تدوينـــه	٢٤
جـ ـ المجامع التى عقدت لتدوينه	٢٥
د ـ لغة الكتاب	٢٧
هـ ـ محتويات الكتاب	٢٩
و ـ التعديلات التى لحقت بالكتاب	٣١
ز ـ ملاحظات على الكتاب	٣٢
٢ ـ تعريف الكتب البوذية الأخرى	٣٤
٧ ـ دليل المصطلحات البوذية فى هذا البحث	٤٨
باب تمهيـــدى	
الفصل الأول : البيئة التى ظهر فيها بوذا	٥٢ ـ ٧٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول : نبذة من تاريخ القارة الهندية	٥٢
ا ـ الملامح الجغرافية	٥٢
ب ـ سكان الهند	٥٥
المبحث الثانى : حالة الحكم والسياسة فى عصر بوذا	٦١
ا ـ تقسيم الهند من حيث الحدود والامارات	٦١
ب ـ نظام الحكم والإمارات	٦٣
جـ ـ التعريف ببعض الإمارات والمدن المتعلقة بقصة بوذا	٦٥
المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية فى عصر بوذا	٧٠
الطبقات الهندوسية الأربع	٧٠
الفصل الثانى : عناصر الديانة الهندية فى عصر بوذا	٧٤ ـ ٨٥
المبحث الأول : عبادة الآلهة من مظاهر الطبيعة	٧٥
المبحث الثانى : عبادة الآلهة من الحيوانات وأرواح الأجداد	٧٦
المبحث الثالث : الاعتماد على التأمل الذاتى والرياضة النفسية	٧٨
ا ـ اليوجية	٧٩
ب ـ الجينية	٨٢
الباب الأول	
بوذا ومذهب البوذية	
الفصل الأول : بيت بوذا وحياته	٨٧ ـ ١١٩
المبحث الأول : نسبه وولادته	٨٧
المبحث الثانى : نشأته واتجاهه	٩٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : حياته الثقافية	١٠٢
المبحث الرابع : استنارته	١٠٨
المبحث الخامس : وفاته	١١٧
الفصل الثاني : الفلسفة البوذية وأخلاقها	١٢١ ـ ١٦٢
المبحث الأول : الحقائق السامية الأربع	١٢١
المبحث الثاني : انكار الذات " أناتا "	١٣٩
المبحث الثالث : الأخلاق في البوذية	١٤٦
الأخلاق العامة والأخلاق الخاصة	١٤٧
فرقتان في البوذية	١٤٨
المساواة في البوذية	١٥١
الأخلاق السلبية في البوذية	١٥٤
الفصل الثالث : العقائد في البوذية	١٦٤ ـ ٣١٦
المبحث الأول : قضية الألوهية عند بوذا وأتباعه	١٦٤
ا ـ قضية الألوهية عند بوذا	١٦٤
ب ـ شبهة نبوة بوذا والرد عليها	١٧٣
جـ ـ قضية الألوهية عند البوذيين بعد بوذا	١٧٨
١ / شخصية بوذا عند المذهب الجديد	١٧٨
٢ / شخصية بوذا عند المذهب القديم	١٨٠
د ـ مناقشة البوذيين في قضية الألوهية	١٨٣
هـ ـ تأليه الناموس : التفسير الجديد في البوذية	١٩١
و ـ عقيدة الثالوث في البوذية	١٩٨
ز ـ تصور الألوهية في الاسلام	١٩٩

الموضوع	الصفحة
المبحث الثانى : " كارما " أو قانون الجزاء	٢٠٢
١ ـ تعريف قانون " كارما "	٢٠٢
٢ ـ الاعتقاد بكارما من أصول الاعتقاد فى البوذية	٢٠٤
٣ ـ عقيدة " كارما " فى الديانات قبل البوذية	٢٠٤
٤ ـ عقيدة " كارما " سبب لعقيدة التناسخ	٢٠٩
٥ ـ قبسات من أقوال بوذا فى " كارما "	٢١١
٦ ـ قانون العلة والمعلول	٢١٢
٧ ـ أساطير بوذية فى عقيدة " كارما "	٢١٤
٨ ـ أسباب " كارما " وإخمادها	٢١٧
٩ ـ تفنيد عقيدة " كارما " وبيان رأى الاسلام فيها	٢١٨
المبحث الثالث : تناسخ الأرواح " مسارا "	٢٤٧
١ ـ كلمة تناسخ الأرواح	٢٤٧
٢ ـ المعنى العام لتناسخ الأرواح	٢٤٧
٣ ـ عقيدة تناسخ الأرواح فى الديانات الهندية قبل البوذية	٢٤٩
٤ ـ عقيدة تناسخ الأرواح فى الأسفار الهندوسية	٢٥٣
٥ ـ عقيدة تناسخ الأرواح عند البوذية	٢٥٥
٦ ـ عقيدة تناسخ الأرواح كما وردت فى الأسفار البوذية	٢٥٩
١ / التناسخ عقاب للنفس الشريرة	٢٦٠
٢ / الرغبة سبب للتناسخ	٢٦١
٣ / هل يبعث الانسان حيوانا ؟	٢٦٣
٤ / تذكر الحياة السابقة	٢٦٤
٧ ـ تفنيد عقيدة تناسخ الأرواح	٢٦٧

الموضوع	الصفحة
٨ ـ موقف الاسلام من عقيدة تناسخ الأرواح	٢٧٧
٩ ـ عقيدة تناسخ الأرواح عند الفرق الغالة في الاسلام	٢٧٩
١٠ ـ خلاصة الكلام من التطورات في مفهوم التناسخ	٢٨٥
المبحث الرابع : " نرفانا "	٢٨٧
١ ـ كلمة " نرفانا "	٢٨٧
٢ ـ معاني " نرفانا "	٢٨٨
٣ ـ "نرفانا" هدف أسمى لكل بوذي	٢٩١
٤ ـ " نرفانا " كما وردت في الآثار البوذية	٢٩٣
ا ـ اكتشاف " نرفانا "	٢٩٣
ب ـ غموض " نرفانا " في كلام بوذا	٢٩٤
جـ ـ التناقض بين الخلود والفناء	٢٩٦
د ـ الألم والسعادة عند بوذا	٢٩٨
٥ ـ الطريق الى " نرفانا "	٣٠٢
ا ـ الطريق ذو الشعب الثماني	٣٠٢
ب ـ المراحل الثلاث للطريق الى " نرفانا " ..	٣٠٣
٦ ـ حالتان للفناء " نرفانا "	٣٠٦
٧ ـ تفنيد عقيدة " نرفانا "	٣٠٧
٨ ـ الاسلام دين الفطرة لايقرّ بالنرفانا	٣١٣
الفصل الرابع : الرهبنة في البوذية	٣١٨ ـ ٤٠٤
المبحث الأول : تعريف الرهبنة البوذية ونشأتها	٣١٨
ا ـ التعريف بالرهبنة البوذية وبيانها	٣١٨
ب ـ الغرض من الرهبنة في البوذية	٣٢١
جـ ـ نشأة الرهبنة في البوذية وتطورها	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثانى : الموازنة بين الرهبنة البوذية والرهبنة النصرانية	٣٢٩
المبحث الثالث : نماذج من التقاليد والخصائص والنظم والآداب فى الرهبنة	٣٤٠
١ ـ عادة البوذيين للدخول فى سلك الرهبنة	٣٤٠
٢ ـ نماذج من خصائص الرهبان وتقاليدهم	٣٤٢
ا ـ لبس اللباس الأصفر	٣٤٢
ب ـ حلق الرأس واللحاء	٣٤٤
جـ ـ التسول وترك العمل	٣٤٥
د ـ الصوم الدائم	٣٤٩
هـ ـ الصمت الدائم	٣٥٠
و ـ التبتل (عدم الزواج)	٣٥١
ز ـ سكنى الدير والخضوع لشيخه	٣٥٣
٣ ـ نماذج من الآداب والنظم فى الرهبنة البوذية	٣٥٥
٤ ـ الرياضة الروحية أو ممارسة " سمادهى "	٣٦٢
٥ ـ الاجتماع لذكرى التراتيل الدينية	٣٧١
المبحث الرابع : القديسون وعبادتهم	٣٧٤
المبحث الخامس : بيان ما فى الرهبنة البوذية من فساد ...	٣٨٧
المبحث السادس : موقف الاسلام من الرهبانية	٣٩٧
الفصل الخامس : المذاهب فى البوذية وانتشارها فى الأقطار	٤٠٦ ـ ٤٣٧
المبحث الأول : المذاهب فى البوذية	٤٠٦
١ ـ المذهب القديم (هينايان)	٤٠٦
ب ـ المذهب الجديد (مهايان)	٤٠٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الثانى : انتشار البوذية فى الأقطار	٤١٥
ا ـ انتشار البوذية وانحطاطها فى الهند	٤١٥
ب ـ انتشار البوذية فى بلاد شرق آسيا	٤٢٢
جـ ـ انتشار البوذية فى بلاد السند وآسيا الوسطى	٤٢٧
الباب الثانى	
الصوفية وعلاقتها بالبوذية	
الفصل الأول : التعريف بالصوفية	٤٣٩ ـ ٤٦٩
المبحث الأول : تعريف الصوفية وسبب تسميتها	٤٣٩
المبحث الثانى : موجز عن نشأتها وتطورها	٤٤٨
المبحث الثالث : البوذية مصدر من مصادر الصوفية ـ والأدلة على ذلك	٤٦٢
الفصل الثانى : علاقة الصوفية بالبوذية فى العقائد والأخلاق	٤٧١ ـ ٥٧٠
المبحث الأول : فى الفناء	٤٧١
ا ـ معنى الفناء عند الصوفية	٤٧١
٢ ـ الفناء غاية فى التصوف	٤٧٣
٣ ـ تقسيم الفناء عند الصوفية	٤٧٧
٤ ـ حالات الفناء كما وصفها الصوفية	٤٧٨
٥ ـ الفرق بين الفناء و "نرفانا"	٤٨٩
٦ ـ بعض الحكايات الصوفية فى الفناء .	٤٩٠
٧ ـ الفناء طريق الى الاتحاد والحلول ووحدة الوجود	٤٩١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثانى : فى الطريق الى الفناء ...	٤٩٥
١ ـ الخروج عن الملك أو التجرد من المال والجاه	٤٩٦
٢ ـ التجرد عن شهوة البطن	٥٠٢
٣ ـ التجرد عن شهوة الفرج	٥١٥
٤ ـ الصمت الدائم	٥٢٤
٥ ـ العزلة والخلوة	٥٣١
٦ ـ الذكر والمراقبة	٥٤٣
ا ـ فى صفة تلقى الأوراد والأذكار من الشيخ	٥٤٥
ب ـ فى الاستمداد من الشيخ واستحضاره عند الذكر	٥٤٧
جـ ـ فى الاجتماع للذكر على صوت واحد مع التماثل	٥٥٠
د ـ فى الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الأربعة يحضرون عند الذكر	٥٥٢
هـ ـ فى الذكر والمراقبة على طريقة التنفس	٥٥٤
المبحث الثالث : فى الحلول	٥٦٠
ا ـ عقيدة الحلول فى البوذية	٥٦٠
ب ـ عقيدة الحلول فى الصوفية	٥٦٢
الفصل الثالث : علاقة الصوفية بالبوذية فى العادات والتقاليد	٥٧٢ ـ ٦١٤
المبحث الأول : فى لبس الخرقة والمرقعة	٥٧٢
المبحث الثانى : فى اتخاذ الشيخ	٥٨٣
المبحث الثالث : فى ملازمة الرباط	٥٨٩
المبحث الرابع : فى السياحة	٥٩٥
المبحث الخامس : فى التسوّل وترك العمل	٦٠١

الموضوع	الصفحة
الخـــــاتمة	٦١٥
الفهارس المتنوعـــة :-	
١ ـ فهرس الآيات القرآنية	٦٢٥
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية	٦٣٠
٣ ـ فهرس الأعلام والأشخاص	٦٣٣
٤ ـ فهرس البلدان والأماكن	٦٤٠
٥ ـ فهرس المراجـــــع	٦٤٥
أ ـ المراجع العربية	٦٤٥
ب ـ المراجع الأجنبية	٦٥٩
٦ ـ فهرس الموضوعات	٦٦٤
٧ ـ فهرس الخرائط	
١ ـ خريطة الهند القديمة	٦٠
٢ ـ خريطة المدن التي تجوّل فيها بوذا لنشر تعاليمه ..	١١٩
٣ ـ خريطة البلدان التي تسودها البوذية في الوقت الحاضر	٤٢٣
٤ ـ خريطة بلاد السند وآسيا الوسطى والفرس التي انتشرت فيها البوذية قبل الاســـلام	٤٢٨